

مجلة الدراسات الافريقية



١٩٧٥

العدد الرابع

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة

مجلة الدراسات الافريقية



١٩٧٥

المعد الرابع

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة

رئيس التحرير : الأستاذ الدكتور محمد عبد الفنى سعودى

عُرسل المقالات والأبحاث على العنوان التالى :

**الأستاذ الدكتور محمد عبد الفنى سعودى
معهد البحوث والدراسات الأفريقية
جامعة القاهرة**

محتويات العدد الرابع ١٩٧٥

أولا - بحوث باللغة العربية :

صفحة

دكتور شوقي عطا الله الجمل

- ١ - صفحات من تاريخ البرتغال الاستعماري في المغرب العربي
(في ضوء وثائق الارشيف البرتغالي) ١

دكتورة حورية توفيق مجاهد

- ٢ - الاتجاهات الايديولوجية للوحدة الافريقية ٨٧

دكتور شريف محمد شريف

- ٣ - مدينة عطبرة بالسودان (دراسة في جغرافية المدن) ١٤١

دكتورة سلوى محمد لبيب

- ٤ - ظاهرة الانقلابات العسكرية في افريقيا بين النظرية والتطبيق ٢١١

دكتورة سعاد شعبان

- ٥ - بحث انثروبولوجي ميداني لقرية العش مركز الأقصر ،
محافظة قنا ٢٣٥

دكتور محمد محمد أمين

- ٦ - علاقات دولتي مالي وسنغاي بمصر في عصر سلاطين
المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧ م) ٢٧٣

ثانيا : بحوث باللغة الانجليزية :

دكتور محمد عبد الفنى سعودى

- ١ - حرب السادس من اكتوبر والاقتصاد الافريقى .

دكتور محمد الخواص

- ٢ - مشكلة جنوب السودان .

دكتور فوزى مكوى

- ٣ - أضواء جديدة على العلاقات بين اكسوم وجنوب شبه جزيرة العرب
خلال القرنين الثانى والثالث الميلادى .

السيد / سفير زامبيا بالقاهرة

٤ - اضاء على علاقات زامبيا مع العرب والدول الافريقية .

دكتور فاروق عبد الجواد شويقة

٥ - نمو الاطفال في القامة وانوزن ومعامل بوندار في ثلاث بيئات متباينة في مصر .

صفحات من تاريخ البرتغال الاستعماري في المغرب العربي

(في ضوء وثائق الارشيف البرتغالي)

للدكتور شوقي عطا الله الجمل

SOME CHAPTERS OF PORTUGUESE COLONIAL HISTORY IN THE MAGHREB IN THE LIGHT OF THE DOCUMENTS OF PORTUGUESE ARCHIVES

By

DR. CHAWKY EL GAMAL

Portuguese invasion of Moroccan posts started in 1415 with the conquest of Ceuta. This conquest as described by a portuguese officer named Vasco caravallo was "A momentous and significant event which marks the advent of the epoch of conquests. Modern ages should rather be recorded as beginning at that moment than at the fall of Constantinople in the hands of Moslems".

Portugal accomplished this victory before the latest Arab strongholds in Spain began to fall. Granada was still under the control of Moslems. However, portuguese expeditions ensued against Moroccan ports ; they took El Kasr El Saghir in 1475, Tange in 1504, Agadir in 1505, Essouira in 1506, Safi in 1508, Azemour in 1513, El Gadida in 1514. With these cities under portuguese control, most moroccan ports fell under portugal's domination.

Nevertheless, many facts and aspects of portuguese colonization of Moroccan ports are so far uncovered and undealt with. Portugal's colonization of Angola & Mozambique and Guinea eclipsed to other parts that fell under portugal's control.

Portuguese archives, however, are abundant with hundreds of documents which throw heavy spotlights on the facts implied in these chapters of portuguese Colonization history.

This study attempts to provide an example of what we can draw out of the documents of the archives in Lisbon.

في هذه الأيام التي استجابت فيها البرتغال لمنطق العقل فسلمت السلطات الحاكمة الجديدة فيها ، بحق الأفريقيين في موزمبيق ، وأنجولا ، وغينيا بيساو وجزر الرأس الأخضر في الاستقلال والحرية ، وتيسير دقة شئونهم بانفسهم—لعل السؤال الذي يتبادر للذهن لأول وهلة هو : متى بدأت هذه الموجة الاستعمارية ؟ والحقيقة إنه على الرغم مما كتب عن الإستعمار البرتغالي ، فإن الكثير من الحقائق المتصلة بهذا الإستعمار والظروف والوسائل التي تم بها ، وإنعكاسات الأوضاع الداخلية في كل من المغرب والبرتغال على العلاقات بين البلدين لا زالت لم يكشف عنها النقاب .

وفي هذا البحث محاولة لإلقاء الضوء على بعض الصفحات المبكرة من هذا التاريخ الإستعماري في ضوء الوثائق البرتغالية على الخصوص . ولعل الخطوة السياسية التي اتخذتها الحكومة البرتغالية والتي أشرت إليها تنسحب فائدتها على الناحية العلمية أيضاً ، فيكشف النقاب عن كثير من الوثائق التي لا زالت حبيسة في دور الوثائق أو في وزارة الخارجية البرتغالية (١) .

ولعل الحسن بن الوزان — ليو الأفريقي — من أوائل الذين كتبوا عن علاقات البرتغال بالمغرب العربي ، وقد ساهم الوزان بنفسه في بعض صفحات هذا النضال

(١) من أهم الجهود التي بذلت للاستفادة من محفوظات الأرشيف في لشبونة (Archives Nationales de la Torre do Tombo à Lisbonne) تلك التي قام بها منذ (١٩٠٥) الكونت دي كاستروس (Le Comte de Castros) بمعاونة بعض العاملين في دار الوثائق هذه ، ومن شغفوا بعلاقة البرتغال بالمغرب بالذات من أمثال أنطونيو بايو (M. Antonio Baiao) وكذلك لارانجو كويهو (Larango Coelho) وهذا الأخير شغل منصب أول محافظ لدار الوثائق هذه — وكذا داود لوبس (M. David Lopes) الأستاذ في جامعة لشبونة والمتخصص في تاريخ المغرب بالذات .

هذا بالإضافة إلى كولن (M.G.S. Colin) ، روبرت ريكارد (Robert Ricard) الذين كان لهما فضل تصحيح بعض الوثائق العربية التي نشرت .

ومن الوثائق التي نشرت في هذا المجال

— Joao de Sousa : Documentos Arabicos (Lisbonne 1790).

— M. Antonio Baiao : Documentos do Corpo Chronologico relativos à Marrocos (L' Academie des sciences de Libonne—1925)

لكن لازلنا في حاجة للاستفادة مما نشر ولتأبئة ومضاعفة هذه الجهود .

بين المغاربة والبرتغال ، وترجع أهمية كتابات الوزان إلى أنها تعطينا وجهة نظر أخرى غير وجهة النظر الأوربية والبرتغالية على وجه الخصوص – فيما يتعلق بالأحداث المتعلقة بالغزو البرتغالي للشعوب المغربية بالشمال الأفريقي (١).

أما الكتابات الأخرى في هذا المجال فأغلبها يعالج ناحية أو أكثر من الموضوع، وأغلبها يعطي صورة عامة عن الإستعمار البرتغالي ، لكن الوثائق تكشف عن حقائق لم تتعرض لها الكتب المنشورة ، فمثلا الوسائل التي اتبعتها البرتغال لتنفيذ مخططاتها الإستعمارية واستغلالها للأوضاع في المغرب ذاته واتصالها بشيوخ القبائل وغيرهم من الخارجين على السلطات الحاكمة في المغرب ، ومن ناحية أخرى المقاومة الوطنية الباسلة للمغاربة المخلصين لبلادهم والمؤمنين بحقوقهم في الحرية ضد المستعمر ، وما وقع على السكان من صنوف التعذيب ، وما أصاب البلاد والمؤسسات المختلفة خاصة المساجد والمدارس فيها من تخريب ، كل هذه وغيرها لا نستطيع التعرف عليها إلا بدراسة الوثائق الأصلية ، وقد أهملها عن قصد أو عن غير قصد من تعرضوا لهذا الموضوع وهم قلة، فقد ركز الإهتمام على الإستعمار البرتغالي في موزمبيق وأنجولا وغينيا بيساو ، ولم يلق إستعمارهم للشعوب المغربية نفس العناية (٢).

(١) نشر كذب (وصف أفريقيا) للوزان لأول مرة بالإيطالية في عام ١٥٥٠ ، وترجم بعد ذلك لعدة لغات : – الترجمة الإنجليزية قام بها يوحنا بوري (John Pory) ونشرتها مؤسسة هيكلوت (Hakluyt) في عام ١٦٠٠ .

“The History and Description of Africa and of the Notable things therein contained. Written by Al-Hassan Ibn Mohammed Al-Wezaz al Fasi. a Moor, Baptised as Giovanni Leone, but better known as Leo Africanus (3 Vols).

وقد أعيد نشرها في ثلاثة أجزاء أيضا مع مقدمة وتعليقات للدكتور روبرت برون (Dr. Robert Brown) سنة (١٨٩٦) . وفي عام ١٥٥٦ قام (Jean temporal) بترجمة الكتاب إلى الفرنسية ، وظهرت طبعات أخرى بالفرنسية له بعد ذلك .

(٢) من أهم الكتب التي تناولت الاستعمار البرتغالي ونشير لبعضها أثناء البحث :

(a) Damio de Goes : La Cronica do felicissimo rei de Manuel (1566)

(b) Luis del Marmol : L'Afrique de Marmol (Paris 1667) 3 vols.

(c) J. Gouleven : La place de Mazagan sous la domination Portugais (Larose 1917)

(d) R. Durval, Pires de lima : Historia de dominacao Portugues en Confim (Lisbonne 1930).

(e) David Lopes : Historia de Portugal T. III & IV (1932)

(f) Vasco de Carvalho: La domination Portugaise au Marlaoc (1415—1769), Lisbonne (1936).

وقد افتتح الملك يوحنا (D.J. Oà o) صفحة الإستعمار البرتغالي للثغور المغربية وهو من أسرة أفيز (AVIZ) ، ويعتبر المؤسس لدولة البرتغال الحديثة ، فقد نودي به ملكاً على البرتغال في عام ١٣٨٥ باسم يوحنا الأول (Jean I er) وذلك بعد أن استقلت البرتغال عن نفوذ قشتالة وتقلص نفوذ العرب في شبه جزيرة أيبيريا فلم يبق لهم بعد سقوط أشبيلية سنة ١٢٤٨ م إلا مملكة غرناطة حيث بقيت السلطة في يد بني نصر حتى عام ١٤٩٢ م . وهو العام الذي أضطر فيه أبو عبد الله ابن الأحمر آخر ملوك المسلمين بها لمغادرتها (٢).

ولعل السؤال الذي يلح على الأذهان لأول وهلة هو - لماذا اتجه البرتغال للشمال الأفريقي في تعقبهم للعرب في هذه الحركة التي يعتبرها بعض المؤرخين تتمة للحروب الصليبية المعروفة - بينما كانت غرناطة لا تزال في يد المسلمين ؟

لقد دفعت البرتغال لهذا الاتجاه عدة عوامل من أهمها :

١- تجنبت البرتغال أن تصطدم بأطماع قشتالة ، وكانت قد عقدت معها صلحاً لم يحف مداده بعد (١) .

٢- كانت الموانئ المغربية هي الظهير الذي يحمي المسلمين في غرناطة ، ومنها كانت تطلع السفن محملة بالإمدادات من رجال وعتاد للعرب في أسبانيا ، فالإستيلاء على هذه الموانئ يعتبر خطوة هامة في إضعاف النفوذ العربي في شبه جزيرة أيبيريا ، وهذا من جهة يؤمن البرتغال وغيرها من الممالك الأوربية من أية محاولة للعرب لإسترجاع سلطانهم فيما أصبح الكتاب العرب يطلقون عليه اسم

(١) للدراسة المستفيضة أنظر :

محمد عبد الله عثان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (١٩٦٤) .

دول أسبانيا المسلمة منذ سقوط الخلافة الأموية حتى مقدم المرابطين إلى شبه الجزيرة .

-- ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة (القاهرة ١٩٠٤ ، ١٩٥٦) .

R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne (Leiden 1932) .

(٢) تصطدم مصالح الأسبان والبرتغال وأطماعهما في الشمال الأفريقي فيما بعد ، فعين تخلصت أسبانيا من بقية النفوذ العربي - اتجهت هي الأخرى للإستعمار ، وكانت الثغور المغربية على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي مطمع كل من الدولتين المتنافستين .

(فردوس العرب المفقود) ، وفي نفس الوقت يساعد على تصفية بقية الوجود العربي في شبه الجزيرة الأيبيرية .

ونشير في هذا المجال إلى أن العرب في المغرب—أو على الأقل الصفوة المثقفة والرائدة منهم— لم يستسلموا لهذا المصير الذي آلت إليه الأمور في أسبانيا ، فحين ضعفت دولة بني مرين وضعف ملوكها وشغلوا بالمشكلات الداخلية عن الجواز إلى الأندلس للدفاع عنها ضد الزحف المسيحي ومحاولة استرجاع النفوذ العربي بها—ظهرت جماعات مغربية ، ومن مهاجري الأندلس للدفاع عن الأندلس . واستخدمت هذه الجماعات سلاح القلم للدعوة للجهاد ، بالإضافة إلى العمل على إعداد الشباب المسلم وتيسير سفره للأندلس للانضمام إلى إخوانه المجاهدين هناك ضد الضغط الأوربي ، وكانت الثغور المغربية على الأخص هي الميدان العملي لنشاط هذه الجماعات ، فيها يعد للجهاد ومنها يرحل إلى أسبانيا . وقد برزت من هذه الجماعة أسماء ، منها أبو عثمان سعيد الرندي الأندلسي الأصل ، وهو معاصر للسلطان المريني عبد الحق بن أبي سعيد ، وقد دعا علماء فاس — ملهم من منزلة لدى الناس — للحض على الجواز للأندلس ، وكذلك منهم أبو الحسن علي الشريف الحسني السجلماسي المتوفى عام ٥٨٤١هـ - ١٤٣٨م ، وقد اشتهر بلقب شيخ الغزاة لأنه كان يفد إليه الشباب من سوس وغيرها فيجهزهم ويبعث بهم إلى طنجة وغيرها من الثغور المغربية للجواز منها للأندلس (١).

٣- ويرتبط هذا العامل — بالدافع الديني وراء الإستعمار البرتغالي للثغور المغربية ، فقد كانت من الأهداف المعلنة للملكية البرتغالية الفتية — تعقب القوى الإسلامية وتطويقها ، ومحاولة الإتصال بالملك المسيحي القديس يوحنا (Prester John) الذي كانت تثار حول مملكته وموقعها وثرائها — قصص يتناقلها الأوربيون دون أن يستطيعوا التحقق من صحتها ، وذلك في محاولة لتطويق الدول الإسلامية والقضاء على مصدر قوتها الذي كان يتمثل في ذلك الوقت في تجارة الشرق ، وفي محاولة السيطرة على شرايين الملاحة المؤدية إلى مصادر هذه التجارة .

(١) أنظر : محمد المنوني : التيارات الفكرية في المغرب المريني (مجلة الثقافة العربية—العدد الخامس .)

وقد أشار الملك يوحنا ملك البرتغال الذى - كما ذكرنا - افتتح صفحة الإستعمار البرتغالى فى الثغور المغربية - إلى أن الميدان الحقيقى الذى يستطيع أفراد البيت المالك أن يكسبوا فيه الفخار هو ميدان الجهاد ضد المسلمين فى المغرب ، وأنه سيمنح وسام السيد الأعظم وهو أكبر وسام فى بلاده لمن يثبت جدارته فى هذا الميدان . وتنافس فى هذا المجال أبناء الملك الثلاثة فى ذلك الوقت - دورات ، بدرو ، هنرى (D. Duarte) ، (D. Pedro) ، (D. Henrique) . وكان هذا الشرف من نصيب هنرى الإبن الثالث للملك والذى عرف باسم هنرى الملاح فهو الذى تصدى لهذه المهمة ، وكان إغراق الملك عليه بالرتب من دوافع استخفافه بالمخاطر فى سبيل تحقيق الهدف الذى أعلن الملك عنه (١) .

وقد أشار الضابط والكاتب البرتغالى فاسكودى كرافللو الذى أرخ للاستعمار البرتغالى فى هذه الفترة - إلى الروح التى كانت تسود الشباب البرتغالى عامة يومئذ فقال : « إن الشباب البرتغالى كان يعتقد أن المسلمين - إذا كانوا قد التجاؤا من شبه جزيرة الأندلس إلى الشمال الأفريقى - فإن الواجب يحتم على المسيحيين ألا يتركوهم ينعمون بالمقام بل أن يتعقبوهم هناك » (٢) .

٤ - الأهمية التجارية للثغور المغربية : ولا يتسع المجال هنا لإفاضة فى الحديث عن العامل الاقتصادى وراء الاستعمار البرتغالى فى هذه المرحلة . لكننا نشير إلى أن تجارة البحر المتوسط كانت تمثل المرحلة الثانية فى رحلة تجارة الشرق المربحة إلى أوروبا ، وكانت المدن التجارية الإيطالية جنوه و البندقية يحكم موقعها وأساطيلها تتحكم فى هذه التجارة عبر البحر المتوسط إلى أوروبا . وبرزت فى هذه الأثناء مدن الشمال الأفريقى المطلة على البحر المتوسط إلى أوروبا ثم تلك التى تطل على المحيط الأطلسى باعتبارها منافذ لتجارة الصادرات الأفريقية لأوروبا من قح

(١) للدراسات المستفيضة عن هذا الدافع وراء الغزو البرتغالى للثغور المغربية وموقف البابوية من هذا الأمر ، وكذا البعثات والجمعيات التبشيرية الأوربية عامة والبرتغالية خاصة - أنظر : شوق الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (القاهرة ١٩٧١) ص ١٢١ - ١٢٨ وكذلك ١٥٤ وما بعدها .

(٢) ملاحظة : من الكتب الممتازة عن العامل الاقتصادى وراء الإستعمار

Woolf, Leonard : Empire and commerce in Africa (London 1920)

وماشية وعبيد وذهب ونحاس ، وواردات أوروبا المرغوبة من الأفارقة . وحين اكتشف البرتغاليون في نهاية القرن الخامس عشر طريق رأس الرجاء الصالح للشرق (رحلات فاسكو داجاما Vasco Dagama) في عام (١٤٩٧) وما بعدها – دخل الصراع في مرحلة أخرى – حتى أن البنادقة ألقوا بثقلهم كله في صف القوى الإسلامية الممثلة في ذلك الوقت في السلطنة المملوكية مضحين بالعامل الديني في علاقاتهم بالممالك أو البرتغال ، لكن حسمت موقعة ديو (Diu) البحرية في ١٥٠٩ هذا الأمر في صالح البرتغال (١) .

على أنني أشير هنا إلى نقطة هامة وهي أن أسبانيا رغم أنها دخلت الميدان الاستعماري متأخرة بعض الشيء عن البرتغال لأسباب متعددة في مقدمتها إنشغالها في تكملة المعارك التي انتهت بتصفية الوجود العربي في أسبانيا – فقد حاولت أن تستفيد من وقوع جزر كناريا في يدها عام ١٤٧٦ لمحاولة بسط نفوذها على الساحل المغربي المقابل ومنافسة البرتغال في هذا المجال .

وفي ٢٠ يولية ١٤١٥ غادرت ميناء لشبونة قوة برتغالية ضخمة على ظهر أسطول من ٢٤٠ سفينة بقيادة الملك يوحنا نفسه . وحرص الملك البرتغالي على أن يتخى وجهة هذه الحملة . وفي ٢١ أغسطس وصلت سفن الحملة إلى ميناء سبتة المغربي بعد أن واجهت جواً عاصفاً وبحراً هائجاً ، وقاوم أهل المدينة التي فوجئت بهذا الغزو ما استطاعت لهم المقاومة ، لكن لم تجد المقاومة فدخل الغزاة المدينة ، وفر من استطاع الفرار ممن بقى حياً من سكانها ، وعاد الملك البرتغالي لبلاده بعد أن ترك في المدينة حامية قوامها ٢٥٠٠ جندي ، كما ترك د. بدرو D. Pedro حاكماً عليها ، ومن ذلك التاريخ إلى اليوم لم تعد هذه المدينة إلى حظيرة الوطن الأم ، ولذا يقول الضابط البرتغالي (فاسكودي كرافللو) « إن هذا حدث خطير وعظيم يعتبر بداية لعهد الفتوحات ، لهذا أجدر بأن يعتبر بداية للعصور الحديثة من أن يتخذ سقوط القسطنطينية في يد المسلمين بداية لها » (٢) .

(١) — De Carvalho, Vasco: La Domination Portugaise au Maroc (1415—1779)—
Lisbonne 1936 P. 15

Duffy, : James : Potugeuse Africa (London 1959) P. 82

Johnston: A History of the Colonization of Africa by Alien Races(Cambridge 1913)p. 116

De Caravallh, Vasco : Op. cit. p. 17

(٢)

وكانت الدولة المرينية بالمغرب في دور احتضارها ، فقد كان أبو سعيد عثمان (٨٠٠ - ٨٢٣ هـ / ١٣٩٧ - ١٤٢٠ م) في حروب مستمرة مع أمير تونس الحفصي ، كما كان نفوذ حجاب الدولة ووزرائها ، وتدخلهم في شئون الحكم ، قد زاد بشكل ملحوظ - فلم يستطع الحاكم المغربي أن يتخذ خطوة حاسمة لطرد العدو المغتصب ، وحتى حين اتفق ملك فاس وملك غرناطة في عام (١٤١٩) على توجيه حملة بحرية وأخرى برية مشتركة ضد البرتغاليين في سبتة - لم تجد هذه الجهود في طرد البرتغال من سبتة وأضطرت القوات الإسلامية المهاجمة للعودة ، ولم يجدد المغاربة محاولاتهم لإستردادها إلا بعد ذلك بمدة طويلة (١).

وحين وصل د. ديوارت D. Duarte إلى كرسي العرش في البرتغال بعد أبيه في ١٤٣٣ - عهد لأخويه هنري D. Henerique وفرناندو D. Fernando وهو الشقيق الأصغر بمهمة إتمام الفتوحات البرتغالية في الثغور المغربية . وكانت طنجة بالذات هي الضحية التي تتجه إليها الأنظار . وعلى الرغم من معارضة مجلس الملك في القيام بهذه المخاطرة - فقد أعدت حملة من ٨.٠٠٠ جندي لتحقيق هذا الهدف ، ووصلت هذه الحملة إلى ميناء سبتة في ٢٧ أغسطس ١٤٣٧ وانقسمت إلى قسمين - قسم على رأسه هنري إتخذ الطريق البري صوب طنجة ، والآخر على رأسه الشقيق الأصغر فرناندو أقلع عن طريق البحر بهدف الإطباق على المدينة من البر والبحر . وفي ١٣ سبتمبر بدا كأن الحملة على وشك تحقيق أهدافها ، فقد كانت القوات البرية على أبواب طنجة بينما كانت القوات البحرية تهاجمها بحراً .

اجتاحت هذه الأخطار المغرب في فترة من أخرج فترات تاريخه . فقد كان السلطان المريني أبو سعيد عثمان قد قتل في عام (٨٢٣ هـ - ١٤٢٠ م) وخلفه ابنه عبد الحق وكان طفلاً صغير السن فآلت أمور الدولة إلى الحجاب والوزراء ، وكثر النزاع بينهم في وقت كان يتطلب تضافر الجهود - لكن نجح الوزير أبو

(١) لمن يريد الاستزادة عن تاريخ الدولة المرينية أنظر : (أ) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية لمؤلف مجهول (طبع الجزائر ١٩٢٠) (ب) ابن أبي زرع الفاسي : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (نشر سنة ١٨٤٣ بناية كارل تورنبرج) .

زكريا يحيى فى أن يقبض على ناصية الأمور ونصب نفسه وصياً على الملك الطفل ، وأرسل للأقاليم المغربية المختلفة يحضها على الإسراع بتقديم المعونة للمدينة المحاربة وكان هو على رأس الجيش المدافع وانتهت المعركة بهزيمة البرتغاليين وعدم استطاعتهم اقتحام المدينة والإستيلاء عليها ، وأضطروا - بعد أن أنزلت بهم القوات المغربية المتحمسة للدفاع عن بلادها خسائر فادحة - أن يدخلوا فى مفاوضات للصلح ليستطيعوا الجلاء بقواتهم الباقية ، وكان مما أثاره الجانب المغربى كشرط أساسى للصلح أن يجلو البرتغال أيضاً عن ميناء سبتة ، لكن البرتغال اعتبروا الجلاء عنها فضيحة تؤدى بسمعة الملكية البرتغالية الناشئة . وتضحية بأحلامهم كلها ، وفضلوا عليها أن يبقى شقيق ملك البرتغال الصغير فرناندو رهينة لدى السلطات المغربية لضمان عدم معاودة البرتغال الهجوم على طنجة أو غيرها من الموانئ المغربية . وقد ظل هذا الأمير البرتغالى سجيناً فى فاس حتى مات فى ٥ يونية ١٤٤٣ وقد اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية فيما بعد ضمن الشهداء (١) .

وعقد الصلح وتم انسحاب القوات البرتغالية فى ١٦ أكتوبر ١٤٣٧ .

على أن الملاحظتين الجديرتين بالتسجيل هنا هما :

أولاً : إن اصرار البرتغال على عدم إخلاء سبتة يدل بوضوح على تصميمهم على متابعة تحقيق أهدافهم الإستعمارية مترقبين الفرصة المناسبة لذلك .

ثانياً : إن موقف الكنيسة الكاثوليكية يؤيد بجلاء أيضاً ما ذكرناه عن أن الهدف الدينى كان من أقوى الأهداف وراء الاستعمار البرتغالى .

وفعلا لم يكد الفونس الخامس Alphonse V يخلف د. دوارت D. Duarte على عرش البرتغال فى عام (١٤٣٨) حتى أخذ يعد العدة لمتابعة عمليات الغزو للشغور المغربية ، وكان ما استقر عليه رأى هذا الملك ومستشاريه أن توجه الجهود أولاً للاستيلاء على ميناء القصر الصغير الواقع بين سبتة وطنجة - كققدمة للإستيلاء على طنجة ، وقاد الملك الفونس بنفسه فى

(١) من أفضل ما كتب عن أحداث هذه الحملة :

Ruy De Pina : Chronica De Siera ut Supra T.I. (1790) 10—42

٢١ أكتوبر ١٤٥٨ حملة من ٢٥,٠٠٠ جندي حملتهم ٢٨٠ سفينة ووصلت الحملة إلى هدفها ، فبدأت في ٢٣ أكتوبر في مهاجمة الميناء ودخلت القوات البرتغالية بعد ذلك وعين الملك حاكماً له ، وبني البرتغال حصناً للحامية البرتغالية في القصر الصغير (١) .

على أن الملك المريني الشاب عبد الحق بن أبي سعيد استطاع على الرغم مما كان يواجهه من اضطرابات داخلية أن يوجه بعض قواته للبرتغاليين في مستقرهم الحديد قبل أن يتمكنوا من تمهيد وسائل الإتصالات بينهم وبين مراكزهم في سبتة وأضطر الملك الفونس للعودة لبلاده تاركاً الحامية البرتغالية تدافع عن الغنيمة الحديدية . وكان البحر هو وسيلة البرتغال لإمداد حاميتهم هذه - لكن لم تستطع القوات المحاصرة للمدينة أن تستمر طويلاً في حصارها - فاضطرت في يناير ١٤٥٩ لفك الحصار ، ونجح البرتغال بعد ذلك في أن يربطوا بين منطقتي إحتلالهم في المغرب ، مستغلين إتصالهم ببعض ضعاف النفوس من شيوخ القبائل ليضمنوا مرور قواتهم العسكرية بأمان بين مناطق إحتلالهم .

ونشير هنا إلى أن هذه الأحداث عاصرت حدثاً هاماً هو الذي أشار إليه الضابط البرتغالي دي كرافللو وأعتبر سقوط سبتة في يد البرتغال أكثر منه أهمية ألا وهو استيلاء العثمانيين على القسطنطينية في عام ١٤٥٣. وكان لسقوط عاصمة الإمبراطورية البيزنطية في يد العثمانيين دوى هائل في أوروبا حتى أن الكنائس دقت أجراسها - الدقات الحنازية حداداً على هذا الحدث الجلل .

ودعا البابا إلى حرب صليبية جديدة ضد القوى الإسلامية التي أصبحت تهدد العالم المسيحي وتكيل له الضربات في الصميم ، وكان من الذين استجابوا لهذا النداء الفونس الخامس ملك البرتغال - فساهم بإعداد أسطول وجيش كبيرين ، لكن كان هذا الملك في الحقيقة يخطط لهدف آخر ، فقد نجح في أن يوجه الحملة الصليبية إلى المغرب بحجة إرساء قاعدة بحرية في الشمال الأفريقي تكون في خدمة

(١) أنظر صورة بقايا الحصن البرتغال (نقلاً عن الأصل المحفوظ بالمخطوطات بتطوان) .

الأساطيل والجيش الأوربية في المستقبل ، وقصدت الحملة طنجة باعتبارها أنسب مكان لذلك - لكنها فشلت في الإستيلاء عليها .

على أن الاستيلاء على طنجة ظل منذ ذلك الوقت الحلم الذي يتطلع التاج البرتغالي لتحقيقه ، ويعد العدة له . وفي عامي ١٤٦٣ . ١٤٦٤ بذلت البرتغال ثلاث محاولات ضد هذا الحصن كانت آخرها في ٢٠ يناير ١٤٦٤ ، وخسر البرتغاليون فيها ما ينيف على ٢٠٠ قتيل ، وأكثر من ١٠٠٠ أسير .

وانتهز البرتغاليون فرصة الإضطرابات التي سادت المغرب بسبب مقتل السلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني في عام (٨٦٩هـ - ١٤٦٤) . فقد إستوزر هذا السلطان يهودياً إستبد بالناس وكثر ظلمه لهم فضج أهل فاس بالذات ، وفتكوا بالوزير والسلطان معاً ، وانتخبوا للإمارة أحد الشرفاء من أحفاد الأدارسة هو أبو عبد الله الحفيد - لكن لم تستقر له الأمور فقد نافسه في الإمارة محمد الشيخ ابن أبي زكريا الوطاسي عامل أصيلا ، فسار إلى فاس وحاصرها واستمر الصراع بين الإثنين من عام ١٤٦٥ إلى ١٤٧٢ .

ولم يتأخر الفونس الخامس عن الإستفادة من هذه الفوضى ، فأرسل في عام ١٤٦٩ قوة هاجمت أنفا (Anfa) واستولت عليها ، وكان أغلب سكانها قد هجروها .

كما أرسلت في أغسطس ١٤٧١ قوة بحرية من ٤٧٧ سفينة عليها ٣٠,٠٠٠ مقاتل بهدف الإستيلاء على أصيلا الواقعة إلى الجنوب من ميناء طنجة بقليل . ووصلت هذه القوة في الخامس عشر من الشهر المذكور على مشارف الميناء المذكور ، وبعد مقاومة باسلة من حاميتها وسكانها سقطت المدينة في يد البرتغال في ٢٤ أغسطس ، وأسر البرتغال ٥,٠٠٠ من المدافعين عنها ، وفي قصبة المدينة قبضوا على كثير من النساء والأطفال منهم أولاد وزوجات محمد الشيخ ، وكان هذا الأخير في ذلك الوقت يحاصر فاس بجيشه - فأسرع لينجد المدينة المنكوبة لكن بعد قوات الأوان ، فقد كانت قد سقطت في يد البرتغال . فلم يجد بداً من السعي لعقد صلح معهم ، وفعلا وقعت بين الطرفين في أصيلا معاهدة مدتها عشر سنوات حددت

فيها مواقع كل طرف من الطرفين ، واتفق على ألا يحاول المغاربة الهجوم على القوات البرتغالية في المناطق التي احتلتها ، وأطلق البرتغال صراح زوجات محمد الشيخ وأولاده ما عدا أحد أبنائه الذي بقي كرهينة لضمان تنفيذ شروط المعاهدة (١) .

وفي ظل هذه المعاهدة أيضاً لم يبسط ملك البرتغال نفوذه ، على أصيلا فحسب لكن على الموانئ الهامة المجاورة ، فبسط نفوذه على العرائش وعين حاكماً عليها هو الإبن الثاني لدوق براجانس (Duc de Bragence) ، كما أرسل قوة على رأسها أحد أبناء هذا الدوق أيضاً ويدعى جيان (Jean) إستولت على طنجة في أغسطس ١٤٧١ بدون مقاومة تذكر ، فقد كانت الخلافات الداخلية تفتت الجهود وتصرفها عما هو أهم ، ومن ذلك التاريخ أصبح ملك البرتغال يلقب بملك البرتغال والأقاليم البرتغالية فيما وراء البحار " Rei de Portugal et dos Algarves d'quem et d'Alem Mer "

أما محمد الشيخ فقد عاد لمحاورة الشريف الإدريسي بفاس واضطر هذا الأخير للهرب مع بعض رفاقه إلى تونس ، فانفرد محمد الشيخ بالحكم في فاس (١٤٧٣) وشغل بتوطيد أسس الدولة الوطاسية .

والحقيقة إن الأمر كان يستلزم وجود دولة قوية تمسك بزمام الأمور وتواجه الأخطار التي يتعرض لها المغرب . لكن للأسف لم يستطع الوطاسيون أن يبسطوا نفوذهم على كل أنحاء المغرب . وأن يتفرغوا لمواجهة الخطر الخارجي . وزاد الأمر سوء النزاع على السلطة بين أفراد البيت الوطاسي نفسه . وفي هذه الأثناء برزت في الميدان قوة أخرى حاولت أن تلعب دوراً حاسماً في مجابهة الخطر الخارجي وقد تمثلت هذه القوة في مشايخ الطرق الصوفية وأتباعهم .

وكانت هذه الطرق الصوفية قد إنتشرت في المغرب أيام المرابطين والموحدين ، وكانت الزوايا — وهي مراكز أهل الطريقة فضلاً عن أنها مراكز للنشاط الديني — غالباً تستخدم لأغراض متعددة فهي تستخدم كملاجئ للعجزة ومدارس ودور للبر والإحسان ، وكان شيوخ الطرق يلقون الكثير من الإحترام والتقدير

(١) هو أبو عبد ، الله محمد وقد قضى عند البرتغال سبع سنوات تقريباً ، ولما أنقذه أبوه ورجع كان يتقن اللغة البرتغالية ، فلقب بالبرتغالي وحكم بعد أبيه (٩١٠ - ٩٣١ هـ / ١٥٠٤ - ١٥٢٤ م)

لما يتصفون به من تقوى ، وقد تميز المغرب في تاريخه الطويل منذ الفتح الإسلامي بامتزاج الدين بحياة المغربي إمتزاجاً وثيقاً . على أن أتباع هذه الطرق اضطروا في كثير من الأحيان إلى أن يقصروا نشاطهم على زواياهم بسبب منع السلطات المغربية مزاوله نشاطهم في خارج زواياهم — لكن هذه الزوايا بدأت تنشط من جديد وتظهر على مسرح الأحداث في مواجهة هجمات البرتغاليين وغيرهم من القوات المسيحية بعد أن عجزت السلطة في فاس عن مقاومة هذه الهجمات ومنعها . ومن أكثر طوائف الصوفيين حماساً في هذا المجال طائفتان (١) :

١ — أتباع عبد القادر الجيلاني الذي أنشأ الطريقة القادرية في فاس .

٢ — أتباع محمد الجزولي ، وقد بلغوا أكثر من ثلاثة عشر ألف نسمة وملأوا البلاد بالزوايا وحاولوا أن يتصدوا للإستعمار البرتغالي للمغرب — لكن بالطبع كان الأمر يتطلب إعداداً عسكرياً كاملاً لمواجهة جيش دولة نظامية فنية كالبرتغال .

على أن تحقيق البرتغال لحلمهم في الإستيلاء على طنجة لم يمه الإصطدام بينهم وبين السلطات المغربية — فقد كان طبيعياً أن تتحين السلطات المغربية الفرص لمحاولة تحرير المناطق المحتلة . كما أن البرتغال كانوا يتصلعون لمد نفوذهم على الأقاليم المغربية الأخرى المطلة على المحيط الأطلسي (٢) .

وفي عام ١٤٧٦ هاجم السلطان محمد الشيخ سبتة في محاولة لتوجيه ضربة للبرتغال بها ، وكان مدفوعاً في ذلك بابعاز من ملك أسبانياً الذي إشتهر باسم فرديناند الكاثوليكي (Ferdinand le Catholique) الذي كان في حرب ضد الفونس الخامس . وقد جاء الملك الأسباني نفسه بقواته للمساهمة في توجيه ضربة للبرتغال بها . كما كانت قوات قشتالة تهاجم المدينة من البحر . وكان على الحاكم البرتغالي لسبتة المدعو منديس دي فاسونسيلوس (Rui Mendes De

(١) من الذين كتبوا عن دور أصحاب الطرق الصوفية السياسي في المغرب بول أودينوت (P. Odinet) في كتابه : الدور السياسي الذي قامت به الطرق الصوفية ، والزوايا في مراکش (وهران — ١٩٣٠) .
(٢) ملاحظة : بقيت طنجة في يد البرتغال ما ينيف عن قرنين حتى تنازلوا عنها للإنجليز عام ١٦٦١ كهر قلمته كآثرين دوبر اكانس شقيقة ملك البرتغال لزوجها شارل الثاني ملك إنجلترا وقد استردها المولى اسماعيل فيما بعد (١٠٩٥ هـ — ١٦٨٤)

Vasconcellos) أن يواجه هذا الهجوم المتشعب - على أن البرتغال نجحوا في عقد معاهدة صلح مع قشتالة في ٤ سبتمبر ١٤٧٩ ، كما عقدت في طليطلة بعد ذلك بوقت قصير في ٦ مارس ١٤٨٠ معاهدة أخرى وضعت نهاية للحرب بين أسبانيا والبرتغال . وفي المعاهدتين أطلقت يد البرتغال في أملاك ملك فاس ، وفي الموانئ المغربية التي تعتبر المنافذ للطرق التجارية المؤدية لداخل القارة . وأخذ الملك الفونس الخامس يتجه بنظره للموانئ المغربية المطلة على المحيط الأطلسي والتي تعتبر منافذ لإقليم مراكش ، وكانت السلطة الحقيقية في هذه المناطق الحيوية في يد قبائل المصامدة التي كانت قد نزلت في المناطق الجبلية بالجنوب وكما يذكر البكري « إنها قد تأيدت في الجبال واشتهرت بالمنعة والبأس وحظيت بما لم يحظ به غيرها من الثراء والاستقرار » (١) .

والحقيقة إن هذه القبائل لم تعترف بالسلطة المطلقة لحكام فاس ، وكانت مواطنها دائماً مراكز الثورة والخطر على حكام الشمال . ومن أشهر هذه القبائل - كما يذكر ابن خلدون - هنتاة وموطنهم الجبل المتاخم لمراكش ، ودكالة ومواطنهم الساحل المواجه لجبال الأطلس من جانب الحوف فيما يلي مراكش إلى البحر ، وحاحه ومواطنهم السوس الأقصى (٢) .

وهكذا نجد أن الأوضاع في الثغور المغربية تأثرت ليس فقط بالوضع الداخلي في المغرب لكن بالعلاقات السياسية بين أسبانيا والبرتغال .

وواصل جيان الثاني (Jean II) الذي وصل لعرش البرتغال بعد وفاة أبيه في أغسطس ١٤٨١ - سياسة أبيه في محاولة توسيع نفوذ البرتغال في المناطق الساحلية في المغرب ، فحاول بمجرد إعتلائه العرش بسط نفوذه على أسنى ، كما حاول في ١٤٨٦ أن ييسط نفوذ البرتغال على ازموار وذلك عن طريق الإتصال برؤساء القبائل وربطهم بالبرتغال بمعاهدات وإتفاقيات .

(١) البكري : الممالك والممالك ص ١٥٣ ، ١٥٤

(٢) المصامدة نسبة إلى (مصمود بن يونس) وهم من أكثر قبائل البربر عدداً ، وكان لهم التقدم والدولة قبل الإسلام وبعده ، ولم تزل مواطنهم بجنوب المغرب الأقصى منذ الأجيال المتطاولة - كما يقول المراكشي - في المعجب - أنظر ابن خلدون ج ٦ ص ٤٦١ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ (ويعتبر ابن خلدون من أعظم المؤرخين الذين كتبوا عن البربر) .

وكان للبرتغال كما ذكرنا - مركز حصين في اتقا القرية ، لكن كانت المراكز البرتغالية تتعرض باستمرار لهجمات القبائل ، فكان مركزها في هذه المناطق رهن بموقف القبائل المغربية منها . ولم يقم جيان الثاني بحملة قوية ضد مملكة فاس - لكنه فكر في إنشاء حصن برتغالي متقدم في المنطقة بين العرائش والقصر الكبير على جزيرة نهرية في اللوكس ، واختار له اسم جراكبوزا (Graciosa) . وأرسلت حملة بحرية لتحقيق هذا الهدف ، وكان على رأسها قائد يدعى جاسبار جوسارت (D. Gaspar Jusart) . وهب الأمير الوطاسي محمد الشيخ (٨٧٦-٩١٠ هـ / ١٤٧٢-١٥٠٤) لمواجهة هذا الخطر ، وأتجه إلى خطة تقضي بالإحاطة بالعدو ومحاولة قطع الإمدادات عنه وحصره في مكانه إلى أن يستسلم ، ولتحقيق هذا الهدف أنشأ سداً على اللوكس للتحكم في المنطقة التي كان البرتغاليون يعملون للتحصن بها . ورغم أن الظروف كانت متاحة للإيقاع بالقوات البرتغالية ومحاولة إفنائها - لكن قبل محمد الشيخ أن يعقد مع العدو صلحاً . وفي ٢٧ أغسطس ١٤٨٩ عقدت معاهدة بين الطرفين ، كما تقرر تجديد العمل بنصوص معاهدة أصيلا التي كان العمل بها ينتهي في عام ١٤٩١ . وأتاحت هذه الإتفاقات الجديدة للبرتغال فرصة لتقوية نفوذهم في حصونهم الأربعة (سبتة و القصر الصغير و طنجة و أصيلا) ، كما استطاع البرتغال أن يعقدوا إتفاقات مع عدد من الشيوخ المستقلين عن سلطة فاس أو المناوئين لسلطة الحكومة المركزية فيها ، فكانوا يمدونهم بحاجة جيوشهم من المسون والحيل وغير ذلك^(١) . (على أن عمانوئيل الأول (Emmanuel I ere) الذي خلف جيان الثاني على عرش البرتغال في عام ١٤٩١ رسم سياسته تجاه المغرب على أساسين :

- ١ - يقيم على ساحل مراكش المطل على المحيط الأطلسي عدة قلاع في أماكن متقاربة تختار لهذا الغرض ، ويقيم في كل قلعة مقيم برتغالي تسنده قوة برتغالية .
- ٢ - يرتبط مع شيوخ القبائل وأصحاب النفوذ - خاصة في المناطق البعيدة عن سلطة سلطان فاس بعلاقات وإتفاقات تكفل تعاونهم مع المقيمين البرتغال في الثغور المحتلة وفي القلاع المقامة ، خاصة أن كثيرين من هؤلاء الشيوخ كانوا فعلاً مرتبطين

(١) أنظر محاولة جيان الثاني (Jean II) الإتفاق مع قبيلة بني هنا في أزموور :

Archives Nationales de la Torre do Tombo Gaveta 2 Maco 1 No. 7 .

بمصالح تجارية مع البرتغال . وكان الوكلاء التجاريون يفدون لهذه المناطق — قبل تأسيس القلاع البرتغالية ويؤدون مبادلاتهم التجارية على ظهر مراكبهم ، كما أن الكثيرين من الشيوخ كانوا خارجين عن نفوذ سلطان فاس أو مناوئين له — كما أشرنا من قبل .

وتركزت أنظار الملك عما نوثيل الأول أولاً على أسنى الثغر المغربي الواقع على شاطئ البحر المحيط بأقصى الغرب ، كما يقول ياقوت في معجم البلدان (١)

وكانت أسنى في ذلك الوقت تتنازعها عدة سلطات : أ — سلطة رؤساء الأحزاب الذين إقتطعوها من حكومة الوطاسيين ثم لم يقدرُوا على إدارة سياستها ب — سلطة الوطاسيين الضعيفة ح — سلطة البرتغال المتسرية بواسطة الدسائس والإتفاقات مع رؤساء الأحزاب ، فقد كانت هناك إتصالات مع البرتغاليين من عهد الفونس الخامس ، وجيان الثاني .

وفي خطاب جيان الثاني لحاكم أسنى أحمد بن علي يطلب ملك البرتغال أن يبحث الحاكم عن منزل يستطيع ممثل الملك أن يستقر به ، حتى يزاول نشاطه التجاري . ومن الخطاب يفهم أن هذا الممثل التجاري كان يقوم بتدبير ما تحتاجه البرتغال من منتجات هذه الجهات (خاصة الذهب والحيول والشمع والجلود والحبوب) ، وفي نفس الوقت كان الميناء يشرف على تصريف البضائع البرتغالية . ويبدو أن العلاقات استمرت حتى ١٤٩١ في هذا النطاق (٢) . وكانت سياسة عمانوئيل الأول (Emmanuel I) قائمة على أن يختار نقطاً حصينة على الساحل المغربي ويضع أيديه عليها وينشئ بها الحصون والقلاع ، ويتخذ منها مراكز لتحقيق أهداف

(١) يقول ياقوت في معجم البلدان : أسنى بفتحين وكسر الفاء ، بلدة على شاطئ البحر المحيط بأقصى المغرب ، وتارة تكون مهموزة ، وتارة ممدودة وكلاهما قيل به .
أما عن سبب تسميتها هذه ، فهناك أقوال متعددة في هذا الشأن ، فأبو عبد الله محمد بن محمد الشريف الإدريسي (٥٦٠ هـ - ١١٦٤ م) في نزهة المشتاق (طبعة لندن ١٨٦٦) يورد قصة طويلة يرجع إليها هذه التسمية — وأسنى في لغة الشلوح معناها المعدية أو محطة خروج الحجاج .

(٢) نص خطاب جيان الثاني (Jean II) مرفقة صورته مع البحث والأصل بالأرشيف البرتغالي .

البرتغال في المغرب وفي القارة الأفريقية عامة . والأوضاع التي شرحناها في أسنى كانت مما شجع عمانوئيل الأول على أن يتجه إليها قبل غيرها من الثغور المغربية ، ويحدثنا ليو الأفريقي عنها بأنها كانت مدينة تجارية هامة وأنها حتى ختام القرن الخامس عشر كانت تلعب دوراً حاسماً في تجارة غرب أفريقيا وشمالها الغربي ، كما يتحدث عن قبائلها وكثرة النزاع بين هذه القبائل . ويشير إلى أن الدول الاستعمارية كانت تستفيد من هذه الخلافات والأطماع القبلية لتدعيم نفوذها في هذا الثغر الهام (١) .

وكانت لأسنى بالذات أهمية باعتبارها مرسى مراكش . أو كما يقول ابن خلدون كانت حاضرة البحر المحيط . وأنها تبعد عن مراكش بمقدار ١٥٥ كيلومتراً . وكان الملك عمانوئيل الأول قد أرسل أحد قواده ويدعى أزامبوجا (Azambuja) تمهيداً لبسط النفوذ البرتغالي نهائياً على أسنى . وفي ١٥٠٨ أرسل قائداً آخر هو (جانسالو منديس كاكولو Gancalo Mednes Cacolo) ومعه أربعة سفن حربية برتغالية وذلك لإسكات أصوات المعارضين للنفوذ البرتغالي من الوطنيين ومساندة أزامبوجا (Azambuja) لتحقيق ما أرسل لأجله . ووصلت الحملة الثانية هذه في يناير ١٥٠٨ . وكانت البرتغال قد مهدت لبسط نفوذها بالإتصال مع زعماء القبائل ، فلم تجد الحملة صعوبة في تحقيق أهدافها . والطريقة التي حقق بها البرتغاليون أغراضهم في أسنى ، كما في غيرها من الثغور المغربية تكاد تكون واحدة وتدعو للعجب من عدم يقظة السلطات المسئولة عن حماية المنطقة ، أو من تساهلها مع البرتغال ومن كان يسانداهم من شيوخ بعض القبائل . وفي أسنى ، استطاع البرتغال أن يحصلوا من السلطات الموالية لهم في المدينة على حق بناء دار تحفظ بضائعهم ، ويأوى إليها التجار من رعاياهم حين يحضرون بسفنهم للتجارة مع هذا المنفذ البحري . وبني البرتغال لهذا الهدف على شاطئ المحيط قصبة مربعة الشكل جعلوا على كل

(١) Leo Africanus : The History and Description of Africa (Published by Hakluyt London 1896), pp. 284, 293 & 367 .

ويؤكد ليو أن شخصاً يدعى عبد الرحمن استطاع الوصول للسلطة بمساعدة البرتغال ، لكن قتله يحيى بن تيفت (Yahia Ben Tafit) وأصبح أيضاً صاحب النفوذ في أسنى بتقريبه لبرتغال ولعب هذا الأخير دوراً حاسماً لتدعيم نفوذ البرتغال في هذه الجهات .

ربع منها برجاً ، وجعلوا في وسطها عدة دور وخزائن سمح لهم حكام أسنى بها باعتبارها دوراً للتجار ، ولكنها في الواقع كانت دار حرب مهدت لهم السبيل لإحتلال أسنى ، فلما اكتمل كل شيء فتحوا لها باباً على البحر - وقيل إنه من هذا الباب كانوا ينزلون عساكرهم ليلاً ، وأن الأسلحة كانت ترد في صناديق على اعتبار أنها بضائع ولم يفطن لذلك المسؤولون عن الميناء من المغاربة . وبعد أن تجمعت لهم القوة لم يلبثوا أن انقضوا على السكان بالأسلحة التي جلبوها بهذه الخدعة حتى اضطّر السكان للجوء إلى المساجد بالمدينة ، واضطروا في النهاية للإستسلام . وقد عامل البرتغال أهل أسنى بعد تسليمهم للسلطات البرتغالية ، أسوأ معاملة وأذاقوهم من العذاب ألواناً ، وأهانوا المعاهد الدينية فنقضوا بعضها حجراً على حجر ، بينما جعلوا المسجد الكبير محلاً للقاذورات ، وعبثوا بالمحارم واستباحوا التجارة في الأحرار فباعوا بعض أهلها جهاراً ، وسفكوا الدماء ونهبوا المال وضربوا الدور (١).

هذه صورة للطريقة التي اتبعها البرتغال لتثبيت أقدامهم في ميناء أسنى وللمعاملة التي لقيها الأهالي منهم ، وهي صورة تكررت في كل المناطق الأخرى التي مدوا نفوذهم عليها .

وكانت أسنى مسورة بسور عرف فيما بعد بالسور القديم كان الأهالي يحتمون به ويهاجمون الغزاة ، فلجأ البرتغال إلى هدم هذا السور وبنوا سوراً جديداً يحقق لهم التحكم في البلد وهو ما أطلق عليه اسم (السور البرتغالي) وبقياه باقية إلى اليوم . وأشير إلى أن البرتغال لجأت لوسائل متعددة لكنها متشابهة لوضع أيديها على كافة الأماكن الصالحة لرسو السفن أو التي يمكن إعدادها ببعض الجهد لتكون موانئ تجارية أو حربية في هذه المنطقة المحيطة بأسنى شمالاً وجنوباً .

فإلى الشمال من أسنى هناك لسان داخل في البحر ، فسعى البرتغال لوضع أيديهم عليه بأيسر السبل ، وكانت لصياد دار صغيرة على هذا اللسان اشتراها منه البرتغال ، وفي ظل هذا التصرف بنوا برجاً سموه (سانت كروز - الصليب المقدس) وجعلوا له بابان أحدهما للبحر والآخر يؤدي إلى البر ، وأصبح هذا البرج مركزاً للجنود البرتغاليين الذين يذهبون لأسنى أو لغيرها من المناطق للتجسس والإعداد للأعمال

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الكائنوني العبدى : أسنى وما إليه قديماً وحديثاً ١٣٥٢ هـ ص ٨٢ .

العسكرية وغيرها ، هذا ولعل خطاب سكان أسنى للملك عمانوئيل الأول المؤرخ ٢ يولييه ١٥٠٩ أى بعد أن بسط البرتغال نفوذهم عليها بفترة قصيرة - يعطى فكرة عن الأوضاع فى المدينة بعد إستيلاء البرتغال عليها وعن أسلوب البرتغال وسياساتها الاستعمارية (١).

فقد وجدت السلطات البرتغالية فى تنازع شيوخ القبائل فيما بينهم فرصة لتحقيق أهدافها ، وبرز الخلاف على الحصص بين يحيى بن تعففت و على بن عثمان ، وكان كل منهما يتقرب للمستعمر ليحصل على تأييده فيركن إليه بمشيخة البلد فى مقابل إخضاع الأهالى للسلطان البرتغالى ونقض الولاء للسلطات المغربية - ومن دراسة خطاب هذه الفئة من سكان أسنى للملك البرتغالى تتضح الحقائق الآتية :

١ - يتحدث السكان فى أول الخطاب الموجه إلى ملك البرتغال عن أسنى بأنها (بلده) أى بلد الملك البرتغالى - وهذا يوضح إلى أى حد وصل الأمر بهذه الفئة .
٢ - الهدف الأساسى من الخطاب هو الشكوى من تصرفات وسياسة القائد البرتغالى الأسنى وهو (Diogo De Azambuja) ، ويشيرون إنه كان بوسعهم الدخول فى طاعة سلطان مراکش لكنهم نقضوا ولاءهم له وارتموا فى أحضان البرتغال طواعية .

٣ - يشيرون إلى تعيين يحيى بن تعففت شيخاً للبلد ليكون - كما قالوا - قطرة بين المسلمين والحكام النصارى ، وإنه قبل هذا العمل تحت ضغط ودون رغبة منه ، لكن حدث خلاف بينه وبين الحاكم البرتغالى الذى أراد فتح أبواب أسنى لقبيلة بنى ماجر ، وانتهى الأمر بعزل يحيى بن تعففت وتعيين على بن عثمان شيخ القبيلة المذكورة فعاثوا فى الأرض فساداً دون أن يحرك العامل البرتغالى ساكناً لحماية الأهالى ومعاقبة المذنب .

٤ - يوضحون كيف يعيث الجنود البرتغال فساداً فى البلد ، حتى أنهم أصبحوا يقبضون على أولاد المسلمين ويبيعونهم كالرقيق ، فاضطر الأهالى من قبائل المصامدة وغيرها لهجرة البلد .

(١) أصل الوثيقة المذكورة موجود فى (Archives Nationales de la Torre do Tombo Casa dos Tratados : Documents Arabes وصورتها مرفقة مع هذا البحث) .

٥ - يشكون مما أصاب الجوامع والصوامع من سرقة الحصر ، وتدنيس دور العبادة هذه وهدمها والإستيلاء على الأوقاف (الأحباس) الموقوفة عليها .

٦ - يحذرونه من أن الرجل الذي انحاز إليه عامله وهو علي بن عثمان في الوقت الذي يدعى أنه يعمل فيه لحسابه - يتصل بسلطان مراکش ومولاي زيان بأزمور ، ويذكرون أن جميع القبائل (قبيلة عبد ، رحراحة ، زناتة ، دكالة) تؤيد تعيين يحيى بن تعففت ولا تساند علي بن عثمان - إلا قبيلة واحدة هي بني ماجر .

٧ - يشيرون إلى أنهم هم الذين يسروا لعامله أمر الإستيلاء على أسنى ، فلم يستول عليها بقوته فليس له فضل في ذلك (١) . ويمتدحون القائد الآخر الذي أرسل بعد ذلك وهو بيدرو دى أزفيدو (Perdo de Azevedo) لأنه لين العريكة متواضع فيطلبون أن يبقى هذا القائد في بلدهم وأن يعاد الأمر لنصابه فيما يتعلق بحماية المساجد وإعادة الأسرى ، وتعيين شيخ على البلد ممن يثق بهم الأهالي خلاف علي بن عثمان حتى يرجع من ترك البلد من أهلها وتعود لها الحركة والحياة التجارية .

٨ - ويحذرونه من الإستماع لرأى المرشدين الذين قدم لهم ديجو دى أزامبيجا (Diojo de Azambuja) الرشاوى من خيول وعبيد ليشهدوا لصالحه .

هذا وقد تبدل الحكام الإقليميون البرتغال على أسنى ، ويعتبر نينو فرنانديس دى أتيد (Nuno Fernandis) de Ataide الذي عين حاكماً عليها في عام ١٥١٠ وبقى حتى وفاته عام ١٥١٥ - أبرز هؤلاء الحكام لأنه هو الذي ثبت أقدام الحكم البرتغالي ورسم سياسة البرتغال هنا لسنين عدة ، وقد استطاع إخضاع القبائل بين أسنى ومراكش لنفوذ البرتغال - على أن شخصية يحيى بن تعففت الذي أعيد لمشيخة البلد وسلم زمام الأمور المتعلقة بالمسلمين بها تعتبر أيضاً من الشخصيات الهامة التي استند عليها الحكم البرتغالي هنا ، وقد أدى خدمات ضخمة للمستعمر ، وظل يعمل لحسابه حتى قتل في عام ١٥١٨ واعتبر البرتغال فقدته خسارة لا تعوض ، حتى أن الوثائق البرتغالية التي ترجع لهذه الفترة تذكر مقتله . وقتل ملك بن داود

(١) بالطبع هذا إعراف لا يشرفهم كوطنين .

سنة ١٥٢١ الذي لعب نفس الدور كما سنشير في سانتا كروز (أكادير) - على أنه ضربة أصابت عمودين من أهم الأعمدة التي يقوم عليها النفوذ البرتغالي في الشغور المغربية ، وكانت بداية لإنهيار هذا الحكم نهائياً .

وقد أعطى البرتغال ليحيى بن تغمف حرية التصرف فيما يتعلق - بشئون المسلمين حتى أنه وضع التنظيمات وسن القوانين التي تنظم علاقات السكان بعضهم ببعض الآخر ، وكان ينب عنه من يقوم بالفصل في الخصومات بين الأهالي إلى غير ذلك من الشئون الداخلية (١) . وظلت الشكاوى ضده للحاكم البرتغالي لأسنى تتوالى حتى اغتيل (٢) .

ومنذ عام ١٥٠٦ كان البرتغال قد بسطوا نفوذهم على مدينة الصويرة الواقعة على بعد ٣٨ كيلومتراً جنوبي أسنى على مصب نهر تانسيفت (Tensift) . وعلى بعد ١٧٠ كيلومتراً من الصويرة يوجد مرسى أكادير ، وكانت لهذا الميناء أهمية خاصة باعتباره المنفذ لحاصلات سوس ومنتجاتها الوفيرة بالإضافة إلى أنه مرفأ صالح لرسو السفن التجارية الأوربية، ولم تغب هذه الأهمية عن أنظار البرتغال . ويرجع النفوذ البرتغالي في أكادير إلى السنوات الأولى من القرن السادس عشر ، فحوالي عام ١٥٠٢ كان شاب برتغالي مغامر يدعى جوالوبس دي سيكيورا (Joao Lopes DE Sequira) يسعى لعقد اتفاقات تحول له وضع يديه على منطقة أو أكثر من الساحل المغربي على المحيط الأطلسي تتيح له فرصة القيام بنشاط تجارى وخلافه في هذه المناطق التي كانت الأضواء قد أخذت تسلط عليها منذ السنوات الأولى للكشوف الجغرافية الحديثة ، ولفتت نظره بالذات المناطق المحيطة باكادير شمالاً وجنوباً ، وكان البرتغال قد ارتبطوا في عام ١٤٤٧ باتفاقات مع شيوخ بعض القبائل في هذه المناطق (منطقة ماسة بالذات) تحول لهم بعض

(١) أنظر الوثيقة الخاصة بالتنظيمات التي أصدرها يحيى بن تغمف لأهالي أسنى والأصل في : (Archives Nationales de la Torre de Tombo Casa dos Tratados — Documents Arabes) وصورتها مرفقة مع البحث ، والوثيقة الأخرى الخاصة بتعيين رؤساء للقبائل بأسنى والمناطق المجاورة .

(٢) أنظر الشكوى المقدمة من الحسن لمجط في ١٢ أكتوبر ١٥١٢ للقائد البرتغالي نينو فرناندس دي أتيد (Nuno Fernandes de Ataide) ضد يحيى بن تغمف - والخطاب الآخر المؤرخ في ديسمبر ١٥١٢ منه ومن أربعة آخرين من سكان أسنى للقائد المذكور بنفس المعنى .

الحقوق والإميازات التجارية ، ولم يجد البرتغال في هذه الجهات مقاومة كبيرة من السكان أنفسهم ، لكن العقبة الحقيقية التي سيواجهونها في المستقبل ستكون من الأسباب الذين كانت أنظارهم مسلطة على جزر كناريا المواجهة للساحل المغربي في هذه الجهات ، وقد وقعت هذه الجزر في أيديهم منذ عام ١٤٧٦ وأصبحت من أهم المحطات البحرية لسفنهم وهي تعبر الأطلنطي خلال الخمسين سنة الأولى من اكتشاف واستعمار الأمريكتين^(١) وسنشير فيما بعد بتفصيل أكثر للوسائل التي اتبعتها البرتغال لتثبيت أقدامها في منطقة ماسة بالذات .

على أن هذا الأسلوب من المغامرات الذي يتمثل في نشاط جوا لوبس (Joao Lopes) شهدت القارة الأفريقية منه الكثير في بداية عصر الإستعمار الأوربي لها ، وكانت مغامرات أمثال هؤلاء الأفراد أو الشركات واتصالاتهم بالسلطات غير الشرعية وعقد المعاهدات معها دون أي اعتبار للسلطات الشرعية مقدمة للاستعمار الرسمي الحكومي^(٢) .

وكان الشاب البرتغالي لوبس (Lopes) يلقي تأييداً من الملك عمانوئيل الأول لكن بصفة غير رسمية ، فقد كان هذا الملك يتحاشى الدخول في نزاع سافر مع الأسبان ، حتى أن لوبس (Lopes) اضطر للاعتماد على ثروة زوجته للصرف على أوجه نشاطه في هذه المناطق الساحلية بالمغرب . وفي أوائل ١٥٠٨ كان قد وفق في بناء حصن في المنطقة الواقعة شمال أكادير (فونتي) أطلق عليه اسم سانتا كروز دي نيبا (Santa Cruz de Naiba) ، كما استطاع اتخاذ نقطة ارتكاز أخرى في ساحل ماسة ، لكنه كان في حاجة لقوة عسكرية للاحتفاظ بهذه المناطق والحماية نشاطه خاصة أنه كان يجد منافسة ومعارضة قوية من السفن الأسبانية والجنوية والفرنسية ، ولذا فقد عرض لوبس (Lopes) على الملك عمانوئيل أن يتنازل

(١) فيما يتعلق بنشاط الأسبان في جزر كناريا أنظر :

Johnston,A History of the Colonisation of Africa by Alien Races(Cambridge 1913)P. 116

(٢) من أبرز الأمثلة لهذا-نشاط الألمان في غرب أفريقيا وشرقها من أمثال كارل بيترز (Dr. Karl

Peters) وغيره/ قبل دخول (بسمارك) وحكومته في هذا الميدان ، كذلك جهود (سيزل رودس

(Cecil Rhodes) التي ترتب عليها بسط النفوذ البريطاني على مناطق شاسعة في جنوب القارة .

للحكومة البرتغالية عن كافة حقوقه في هذه المناطق ، وتم هذا العمل في عام ١٥١٣ ، فحلت الحكومة البرتغالية محله وعينت فرنسيسكو دي كاسترو (D. Francisco De Castro) للنهوض بأعباء هذه المنطقة تحت إشرافها ، وهكذا بدأت المرحلة الثانية من هذا النشاط الإستعماري الذي — كما ذكرنا — نجد أمثلة عديدة له في تاريخ أفريقيا الإستعماري وعلاقتها بأوروبا .

وكانت فترة وجود فرنسيسكو دي كاسترو (D. Francisco De Castro) في هذه الجهات والتي استمرت لمدة تسع سنوات (١٥١٣ — ١٥٢١) فترة نشاط حقيقي ، فقد أكمل القلعة البرتغالية في سانتا كروز وجعل لها أبراجاً وأحاطها بسور لحمايتها ، وجعل لها باباً على البحر وآخر للبر ، كما أعد الميناء للتجارة ولاستقبال السفن فعادت إليه الحياة ، وأصبح مركز الحركة التجارية في المنطقة ، حيث كانت تصدر منه كميات كبيرة من الجلود ، والصوف ، والذهب ، والنحاس ، وشمع العسل ، والعييد . كما كان يستقبل السفن المحملة بالبضائع الأوربية التي تجدها أسواقاً عند الأفريقيين . وكانت السلطات البرتغالية تتقاضى ضرائب على السفن الداخلة أو الخارجة من الميناء ، وقد رعد أفراد الحامية البرتغالية في الحصن في عام ١٥١٤ ب ٧٠٠ جندي نظامي ، خلاف الجنود غير النظاميين وأفراد القبائل الموالية للبرتغال والتي كانوا يستعينون بها وقت اللزوم . وأتخذت إجراءات لتزويد هذه المنطقة بما تحتاجه للتعمير من أخشاب أو مؤن كالقمح ، وكانت بعض القبائل في المناطق الداخلية تخشى تنكيل السلطات المغربية بها ، إذا تعاملت مع البرتغال — لكن استطاع الحاكم البرتغالي د. فرنسيسكو أن يجد في المعاديين للسلطات المغربية سنداً له ، ومن هؤلاء شخصية لعبت لحساب البرتغال دوراً هاماً وكثرت ترديد اسمه في الوثائق البرتغالية بالذات — هو ملك بن داود أحد رؤساء القبائل التي دانت بالولاء للبرتغال ، والكتاب البرتغال يشبهون دوره في سانتا كروز بدور يحيى بن تعففت في أسنى . فقد كان اليد اليمنى للبرتغال في تأمين مصالحهم التجارية في هذا الميناء ، بل بسط نفوذهم على مساحات واسعة من الساحل المقابل لمنطقة سوس . ولذا حين ترك فرنسيسكو كاسترو D. Francisco de Castro المنطقة نهائياً في عام ١٥٢١ كان قد بسط نفوذ البرتغال على منطقة واسعة وأصبحت أقدامهم

راسخة في هذه المنطقة الساحلية . وتعتبر فترة إدارته أزهى فترة بالنسبة للاستعماري البرتغالي للمنطقة ، فمُنذ رحيله حتى سقوط سانتا كروز في مارس ١٥٤١ (أى في أقل من عشرين سنة) تعاقب على هذه المنطقة أحد عشر حاكماً ، فلم تتسم فترة حكم أى منهم بالاستقرار ، كما سنوضح بعد ، حتى أن وضع الحماية البرتغالية نفسها أصبح حرجاً ، وأصبحت تفتقر للسلاح والرجال . ولم يستطع البرتغال أن توجه لها العناية الضرورية – حتى أنه ظهر أنها في خضم مشاكلها المتعددة نسيت أن لها حماية ومصالح في هذه المنطقة كما يقول (فريجانيه) (١) أما عن ماسة التي أشرنا لأهميتها من قبل ، فالوثائق البرتغالية تمدنا بتعلومات هامة عن الظروف والوسائل التي ثبت البرتغال عن طريقها أقدامهم في هذه الجهات ومدوا نفوذهم فيها . ففي وثيقة مؤرخة ١١ يناير ١٤٩٧ (محفوظة في الأرشيف البرتغالي) نجد ثلاثة من شيوخ وأعيان هذا الميناء هم (الشيخ عبد العزيز ، وحمو بن بركة ، وسيدى يحيى) يعلنون ولاء قبائلهم للسلطات البرتغالية ، ويوقعون معاهدة صداقة مع البرتغال جاء فيها (٢):

- ١ – أنهم يتعهدون بدفع مبلغ من المال سنوياً رمزاً لتبعيةهم للبرتغال .
- ٢ – تعنى كل أجفان (أى مراكب) ملك البرتغال التي ترد لماسه من الضرائب الجمركية .
- ٣ – يسهلون مهمة مندوبي ملك البرتغال في شراء الخيول التي يحتاج إليها البرتغال .
- ٤ – يسمح للبرتغال ببناء قلعة في المكان الذي تراه مناسباً لذلك ، ويتعهدون بتقديم الماء العذب والمؤن التي يحتاجها العمال الذين يعملون في تشييد هذا الحصن ، ولا يسمحون لأحد بأن يشغله بعد إتمامه إلا من يختاره الملك البرتغالي .

M. Friganier : Historia de Santa Cruz P. 119

(١)

(٢) الأصل العربي للوثيقة غير موجود – لكن الأصل البرتغالي مع ترجمة فرنسية موجود في :

Archives Nationales de la Torre de Tombo Livrodas Ihlas, fol. 50 copie XVI sicle

٥ - يتعهدون بعدم التفاوض مع أية جهة أخرى دون إعلام ملك البرتغال مسبقاً .

٦ - يبدون إستعدادهم لتقديم إثني عشر من أبناء أشرافهم كرهائن بالبرتغال على أن يعاملوا معاملة حسنة ، وذلك حتى يتم إقامة القلعة ولضمان استتباب الأمن في إقليمهم .

٧ - في مقابل هذا يعتبر ملك البرتغال أهل ماسة من رعاياه ويمكنهم من المتاجرة في البرتغال ، ومع الأقطار الأخرى الموالية لها ، على ألا تنقل بضائعهم للخارج إلا على سفن برتغالية .

وفي خطاب مؤرخ ٢٨ ربيع الأول ٩١٦ هـ (٦ يولييه ١٥١٠) يعبر أهل ماسة للملك عمانوئيل الأول عن ترحيبهم لقراره ، بارسال قوة من خمسين فارساً لحماية القلعة البرتغالية التي بنيت بهذا المكان ، ويذكرون أنهم بسبب انضوائهم تحت لوائه شنت عليهم بعض القبائل المعادية هجوماً وقتلوا ٢٥ رجلاً من خيرة رجالهم - ورغم هذا فإنهم لا يجدون من البرتغال أية حماية فسفهم التي تبحر إلى أسنى للتجارة ، يهاجمها الأسبان ويستولون على بضائعها ، ويذكرون أن الأمر وصل إلى أن جو لويس (Joao Lopes) البرتغالي والذي يعتبر ممثل الملك في ماسة لا يتورع عن شراء أولاد وعبيد شيوخ ماسة الذين يقعون في أيدي اعدائهم ويذكر شيوخ ماسة في خطابهم أنهم أرسلوا للملك مندوباً عنهم لشرح وجهة نظرهم هو (بعز) ويطلبون إما أن يظهر الملك سطوته ويحمي الحصن الذي رفعوا عليه أعلامه ، ويحميهم هم ، أم أنهم سيضطرون للجوء لمن يستطيع توفير الحماية لهم ، حتى لو كان يهودياً ، فقد أصبحوا اضحوكة في نظر القبائل الأخرى التي تتندر عليهم بانهم (زعموا أنهم تحت أمان النصراني - فرجعوا فارغين لا لمتاعهم ولا لدينهم) - والوثيقة المذكورة بتوقيع محمد بن علي ، ويعقوب بن علي ، ويحيى بن محمد ، وحمو بن بركة (١) .

ومن هذه الوثيقة يتضح لنا أنه حتى ذلك الوقت (١٥١٠) لم تكن سلطة

البرتغال الرسمية قد بسطت على هذه المنطقة ، وأن البرتغال كانت تعتمد على إرتباطاتها مع بعض شيوخ القبائل ، وكان أوبس (Lopes) يعمل لحساب البرتغال هنا - لكن كانت تعوزه القوة العسكرية لحماية الحصن الذي أقيم في المنطقة ولقرض هبة البرتغال على كافة القبائل بها - وهذا ما تحقق في هذه المنطقة كلها كما ذكرنا سابقاً ابتداء من ١٥١٣ .

ومن المناطق الهامة التي بسطت البرتغال نفوذها عليها أيضاً في الساحل المغربي منطقة أزموور وهي ميناء هام تصدر منها حاصلات قبيلة دكالة ومنتجاتها المتنوعة الزراعية بالإضافة إلى الخيول ونوع من السماد الممتاز و الرقيق . وكان جيان الثاني Jean II قد نجح عام ١٤٨٦ في عقد معاهدة مع شيوخ أزموور ، كان من شروطها أن يسمح ببناء حصن برتغالي في أزموور . وجدت هذه المعاهدة في ١٢ يناير ١٤٩٧ في عهد عمانوئيل الأول على أن تبقى سارية المفعول لمدة ١٥ عاماً. والوثائق البرتغالية لا تخبرنا بمعلومات كثيرة عن علاقات أزموور بالبرتغال في الفترة ما بين (١٥٠١ ، ١٥١٣) ، وكل ما يمكن أن نستنتجه من هذه الوثائق - أن المقيم البرتغالي في أزموور مارتين رينل (Martin Reinel) توفي في عام ١٥٠٢ فحل محله ريو جيل (Rui Gil) ، لكن هذا الأخير لم تكن - كما يبدو - علاقته بأهل أزموور طيبة ويبدو أنه صدرت له أوامر من الملك عمانوئيل بتنفيذ الشرط الذي تضمنته المعاهدة مع الأهالي ببناء قلعة في أزموور ، وحين حاول هذا المقيم البرتغالي تنفيذ هذا الأمر رفض الأهالي السماح له بذلك ، فكانت هذه بداية الصدام بين الطرفين . وحدث في عام ١٥٠٤ أن تعرضت بعض السفن التجارية البرتغالية الراسية في ميناء أزموور - للهجوم والنهب من السكان ، وقدم سكان أزموور اعتذاراً للملك عن هذا الحادث ، ووعدوا برد كل ما نهب ، وكما يذكر الملك البرتغالي في خطابه لأهل أزموور - إنه كان في نيته أن ينزل العقاب بالذين قاموا بهذا العمل لكن بتوسط زوجته التي لا يرد كلامها قبل الصفح عنهم ، ولكنه اشترط أن يقدموا كمية كبيرة من القمح رمزاً للصداقة وليغيظوا الأعداء ويفضحوا كذبهم ووشايتهم (١) .

(١) الأصل في Archives Nationales de la Torre do Tombo, Casa dos Tratados-

Documents Arabes.

على أن الخلافات بين أفراد البيت الوطاسي في عام ١٥٠٦ - ١٥٠٧ أدت إلى أن يلجأ مولاي زيان إلى أزموور حيث كان له أنصار بها وذلك للخلاف بينه وبين محمد بن محمد الشيخ البرتغالي (١) .

وفي هذه الأثناء كان الملك عمانوئيل الأول يفكر جدياً في إحتلال أزموور احتلالاً كاملاً ، وكان قد مهد لذلك ببناء حصن مزكان (البريجة) (٢) .

ويقال إنه أوفد العمال والبنائين يصحبهم عدد من رجال جيشه لحمايتهم فشرعوا في البناء ليلاً ونهاراً وبنوا بها حصناً مربعاً اتخذوا في وسطه خزاناً للمياه وسوروا المدينة بسورين أحدهما خارجي والآخر داخلي وعملوا بالسور خندقاً يؤدي للبحر - كما جدد الملك البرتغالي حصن سانتا كروز ، وانتهز فرصة الخلاف بين الوطاسيين لتحقيق أحلامه في الاستيلاء على أزموور ، وكانت لها في نظر البرتغاليين أهمية خاصة لأنها مفتاح الطريق إلى مراكش ، وسافر مولاي زيان بنفسه إلى البرتغال ليدرس مع الملك مشروع الحملة على أزموور ، ولم يتحدد في الوثائق ما يؤيد أن الملك استدعى هذا التأثير على سلطان الوطاسيين للبرتغال ليتدارسوا معا مشروع الحملة ، فلا نستطيع أن نرجع الرأي القائل أن المبادرة كانت من هذا الخارج عن سلطة حكام المغرب أم بدافع وإيعاذ من الملك البرتغالي . والنتيجة لا تختلف كثيراً طالما أن الاتفاق قد تم بين الإثنين لإتمام عملية الغزو التي أعدت لها حملة برتغالية كبيرة - وعاد مولاي زيان إلى أزموور ليمهد لعملية الفتح ، لكن يبدو أن الأمور استقرت له بأزموور دون الاستعانة بالبرتغال ، ولذا فحين وصلت الحملة البرتغالية إلى أزموور في عام ١٥٠٦ لم تجد التيسيرات التي كانت تنتظرها ، وأضطرت للانسحاب . ولما شعر مولاي زيان بأن البرتغال يعدون العدة لحملة جديدة خشي عاقبة الأمر فأرسل للملك (عمانوئيل) يعرض التفاوض لعقد معاهدة بين الطرفين وانتهى الامر في ١٥١٠ ، إلى عقد معاهدة مماثلة لتلك التي عقدت في

(١) حكم فاس (٩١٠ - ٩٣١ هـ / ١٥٠٤ - ١٥٢٤ م) .

(٢) البريجة تبعد عن أسنى ١٥٠ كم شمالا ، وقد تهدمت أثناء حصار السلطان محمد بن عبد الله العلوي لها فسميت (المهلومة) ولكنها جددت وعمرت فسميت الجديدة - أنظر الكانوني مرجع سابق ص ٤٣ .

عام ١٤٨٦ وبموجبها أصبح من حق ملك البرتغال أن يبنى في أزموور حصناً تقيم فيه حامية برتغالية بالإضافة إلى تيسيرات تجارية للبرتغال في الميناء (١).

وظل العمل بهذه المعاهدة سائراً حتى عام ١٥١٣ . وكان الملك عمانوئيل يعد العدة طوال هذه المدة لبسط نفوذه كاملاً على أزموور وتحقيق أحلامه في الزحف على (مراكش) ذاتها. وفي ٢٠ أغسطس من هذا العام كانت الحملة على أهبة الاستعداد لتحقيق أهدافها، وكان على رأسها دوق براجانس (Duc de Bragance) الذي لقب (بدوق البلاد فيما وراء البحار) . والحقيقة إن الوثائق البرتغالية تعطينا معلومات وافية عن الأحداث التي صاحبت هذه الحملة ، فهناك عدة خطابات بشأنها متبادلة بين البابا ليو العاشر وبين الملك عمانوئيل ، وهذا يدل على أن هذه الحملة كانت تنسم بالروح الصليبية (٢).

وكانت الحملة مكونة من ٤٣٠ سفينة من أنواع مختلفة تحمل ٢٠.٠٠٠ جندي ، ووصل هذا الجيش الضخم أمام أزموور في أول سبتمبر عام ١٥١٣ وبدأت مدافع البرتغال تصب نيرانها على المدافعين عن الميناء ، وإضطرت المدينة في ٣ سبتمبر لفتح أبوابها للمهاجمين . ويذكر ليو الأفريقي إن المسلمين إضطروا لإخلاء المدينة والجلاء عنها تحت ضغط نيران القوات المهاجمة (٣).

وفي ١٩ سبتمبر أذاع الملك البرتغالي في لشبونة خطاباً زف فيه إلى الشعب الأنباء عن فتح أزموور . وفي روما إستقبل البابا ليو العاشر خبر الإستيلاء على

(١) في خطاب لأحد أشرف أزموور (على بن سعيد) - لعله من عيون البرتغال بالمنطقة وهو مؤرخ ١٥١٠ إشارة إلى إن مولاي زين يعمل حسب شروط المعاهدة المعقودة بين الطرفين ، وأن مندوب الملك في أزموور موضع رضى الأهالي (أنظر صورة الوثيقة في ملحق البحث) .

(٢) جلس هذا البابا على كرسى البابوية في الفترة (١٥١٣ - ١٥٢١) وهو من أسرة مدتشى Medici وكان اسمه قبل أن يصل إلى كرسى البابوية جوفاني ميدتشى (Giovanni de Medici) وهو الذي عاش في كنفه في روما الرحالة المغربي الحسن بن محمد الوزاني (ليو الأفريقي) ، وقد أطلق عليه البابا اسمه بعد أن عمده ، وقد ذاع إسم هذا البابا للدور الذي لعبه للدعوة لحملة صليبية لمواجهة خطر الأتراك العثمانيين ، وكذلك لموقفه من لوثر وأتباعه من الخارجيين على الكنيسة الكاثوليكية .

(٣) أنظر الطبعة التي أشرنا إليها سابقاً P. 377 وكلمة أزموور معناها في لغة البربر الزيتون ويصفها أبو الفداء بأنها أحد مدن بر العدو وتسكنها قبائل من صنهاجة .

أزمور على أنه نصر للمسيحية ، وعلق على خطاب الملك بهذا الشأن بقوله : إنه يقدم له الشكر على هذا العمل الذى يسهم فى تحقيق رسالة المسيح (١) .

وبعد أن إستتب الأمر للبرتغال فى أزمور تقدم مستشارو الدوق بالنصيحة له بانهاز الفرصة للسير إلى مراکش لفتحها - لكنه تردد وأخيراً رفض الفكرة لأن الملك أعطى الأوامر - كما ذكر - باحتلال أزمور وليس مراکش . على أن إحتلال مراکش ظل هدفاً من أهداف البرتغال ستحاول تحقيقه كما ستحاول توطيد نفوذها فى حوض نهر سبو بهدف محاصرة فاس ومحاولة فتحها . وعلى الرغم من النكبات التى حلت بقوات الإحتلال البرتغالى فى ثغور المغرب فى عام (١٥١٤) نتيجة لموت دى جوا دى مينسيس (De Joa de Menses) فى أزمور فى ١٥ مايو ١٥١٤ ، وانتشار الطاعون بين الجنود البرتغال فى المغرب وبين القبائل المخالفة لهم - فإن هذا لم يشهم عن الإستمرار فى الإعداد للخروج من حصونهم الساحلية للزحف للداخل صوب فاس و مراکش منهزين فرصة الإضطرابات التى كانت عليها الدولة الوطاسية التى كان ملوكها فى فاس يقضون أيامهم الأخيرة بينما كانت دولة أخرى - هى الدولة السعدية تشق طريقها للظهور على مسرح الأحداث وتمسك بدفة البلاد فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخها .

وفى صيف ١٥١٥ كان الموقف من وجهة نظر البرتغال مناسباً لتحقيق حلمهم فى غزو مراکش فقد كانت القبائل العربية قد بادر الكثير منها بعد إنتصار البرتغال فى أزمور - إلى إعلان ولائه لهم ، ووصل الأمر إلى تنافس بين كل من القائد البرتغالى فى أسنى نينو فرناندو دى أتيد (Nuno Fernande de Ataide) وقائد أزمور دى جوا دى مينسيس (De Joa de Meneses) ليسبق كل غريمة فى دخول (مراكش) ، فقد ظنوا أنها نزهة تنتهى بهالة من المجد على رأس من يسبق إليها . على أن ملك فاس الذى أزعجته أخبار جيوش البرتغال وإستعداداتهم أرسل يعرض على البرتغال المفاوضة للصلح فقد كان إزدياد نفوذ السعديين وإلتفاف

(١) أنظر عنوان الخطاب المرسل من عمانويل الأول لليابا ليو العاشر يشره بسقوط أزمور (تاريخ الخطاب ٣٠ سبتمبر ١٥١٣) .

الناس حولهم يقلق باله (١) . لكن شروط ملك البرتغال لم تكن معقولة ، فلم يكن في الإمكان قبولها . . . فقد طلب أن يسمح له ببناء قلعه برتغالية في مراكش ، وأن يدفع له حكام فاس سنوياً مبلغاً من المال رمزاً للخضوع . وهكذا كان على كل من الطرفين المغاربة والبرتغال أن يستعد للمعركة الحاسمة ، وكان هذا العام ١٥١٥ فعلاً عاماً حاسماً في تاريخ البرتغال الإستعماري في المغرب العربي . . . وفيما يتعلق بمراكش كانت هناك إستعدادات من عدة جهات للمشاركة في مهاجمة المدينة ، ففي الوقت الذي كان حاكم أزموور على رأس ٣,٠٠٠ رجل منهم ٥٥٠ برتغالي ، ٢٥٠ من الموالين للبرتغال قد تحرك في أبريل ١٥١٥ صوب مراكش ، كانت قوة أسنى قد تحركت هي الأخرى مع ٤٢٣ من الفرسان في اتجاه مراكش ، وكانت بعض قبائل الشرقية التي أعلنت ولاءها للبرتغال تستعد هي الأخرى للمشاركة في هذا العمل ، ويبدو أن خريطة المدينة لم تكن مدروسة من قواد القوات المهاجمة فاختلّفوا فيما بينهم في تحديد الاتجاه الذي يسهل إقتحام المدينة منه ، واتجه الرأي في البداية على أن تقتحم المدينة من ناحية الباب المواجه لزاوية سيدي العباس السبتي في الشمال - لكن حين أخذت القوات تعسكر في هذا المكان إكتشفت أن المستنقعات تنتشر فيه بحيث تعوق تقدم الفرسان ، وكانوا يكونون قوة يعتد بها في الجيش المهاجم ، فاتجهت القوات إلى منطقة باب فاس (باب الحميس) ، بينما قبائل الشرقية (٢) الموالية للبرتغال إتجهت إلى مهاجمة المدينة من الشرق ، وأخرى من الجنوب في مواجهة القصبة . وأدى هذا إلى تشتيت القوة المهاجمة خاصة أن الخطة لم تكن مرسومة على حصار المدينة لفترة طويلة. وإستمرت المعركة بين القوات المدافعة والمهاجمة أكثر من أربع ساعات إستطاعت فيها القوات المغربية داخل أسوار المدينة أن تكبد العدو المهاجم خسائر فادحة ، وأن تضطره للتقهقر في ٢٢ أبريل ١٥١٥ بعد أن يئس من قدرته على إقتحام المدينة وكانت لهذا النصر نتائج .

(١) كانت مياينة قبائل درعة و السوس الأقصى و حاحة لأبي عبد الله القائم بأمر الله ٩١٥ هـ (بداية لتأسيس الدولة السعدية ، واستطاع السعديون في عام (١٥٢٠) إزراع مراكش من الوطاسيين وإن كان الأمر لم يستقر لم نهائياً في فاس إلا في (٩٢٧ هـ - ١٥٥٠ م) بعد مقتل أبي حنون آخر أمراء الوطاسيين .

(٢) كانت قبائل الشرقية موالية للبرتغال من مدة ، وهناك خطابان بالأرشييف البرتغالي موجهان =

فقد قوى نفوذ السعديين الذين كان لهم فضل قيادة المعركة في الدفاع عن الدين ، وفي نفس الوقت شجع المغاربة على معاودة الهجوم على القوات البرتغالية في الثغور المغربية ، هذا على أن البرتغال عاودوا محاولتهم للإغارة على مراکش مراراً لكن الأمر لم يخرج عن حدود المناوشات ، فقد كانت موجة المد في الغزو الإستعماري البرتغالي قد أخذت تنحصر . وإذا كان فشل البرتغال في تحقيق أحلامهم المتعلقة بالتوسع من نقط أرتكازهم في أسنى وأزمور إلى مراکش في الداخل قد أضعف مركزهم — فإن معركة المعمورة التي قصد بها توسيع نفوذهم في حوض نهر سبو بهدف فتح الطريق نحو فاس تمثل الحلقة الثانية في هذا الفصل الختامي من فصول نفوذهم الإستعماري في المغرب ، وكانوا قد جمعوا في المعمورة (المسماة اليوم المهدية) قوة كبيرة قدرت بـ ٨,٠٠٠ مقاتل حيث أقاموا قلعة هناك تكون مركزاً للهجوم على فاس ، لكن رغم ما كنت تعانيه الدولة الوطاسية من الضعف في أيامها الأخيرة هذه فقد هب الوطاسيون ومن خلفهم الآلاف من الشباب المغربي المتحمس للدفاع عن قلب بلاده، ولم يكتف المغاربة بالمقاومة بل شنوا هجوماً على الحصون البرتغالية في المعمورة في يوليو ١٥١٥ وأسفرت المعركة عن قتل أكثر من أربعة آلاف من البرتغاليين واضطروا الناجين لأن يلوزوا بالأسطول البرتغالي الذي كان راسياً بالميناء في محاولة للهروب ، وقد أغرقت من هذا الأسطول ثمانى سفن بحرية ، وهكذا كانت معركة المعمورة نذيراً آخر على انتهاء موجة المد الإستعماري في هذه البلاد ، ولذا فإن جمهرة الكتاب البرتغاليين يعتبرون عصر عمانوئيل الأول قمة ما وصل إليه النفوذ البرتغالي في المغرب^(١) بينما يعتبرون عصر جيان الثالث (Jean III ١٥٢١ - ١٥٥٧) عصر تصفية هذا النفوذ البرتغالي ، وإن كان هذا القول — كما يبدو — لا يعطى صورة شاملة عن الواقع إذ أن عملية

= إلى الملك عمانوئيل الأول من هذه القبائل — الأول مؤرخ في سبتمبر ١٥٠٧ تشكوفيه هذه القبائل من معاملة مثل الملك المدعوى جيل ماجرو Ru Gil Magro والثاني مؤرخ في أكتوبر ١٥١٦ تمتح فيه الممثل الجديد للملك .

(١) مات جيان الثالث في ١١ يونيو ١٥٥٧ وخلفه ابنه سيستيان (Sebastien) وكان طفلاً صغيراً فحكم تحت وصاية الملكة كاترين وعمه الكاردينال هنري وقد قتل هذا الأخير في معركة وادي المخازن في تمّ جحادي الثانية سنة ٩٨٦ هـ (٤ أغسطس ١٥٧٨) .

إنحسار المد الاستعماري البرتغالي ، ثم تصفية هذا الاستعمار ترجع في الحقيقة لعوامل متعددة بعضها تتصل بظروف البرتغال الداخلية والخارجية ، والبعض الآخر يرجع لظروف المغرب نفسه ووثبة الحكام السعديين والقوى الشعبية لمحاربة العدو الإستعماري ، وسنشرح ذلك بإيضاح فيما بعد ، لكن لعل من الواجب هنا أن نقف وقفة لنلقى نظرة سريعة على الأوضاع في المغرب وإنعكاساتها على الموقف من هذا العدو الإستعماري . الصورة التي تعطيها لنا الوثائق المتبادلة في هذه الفترة بين حكام فاس وحكام مراکش وبعض شيوخ القبائل وغيرهم من ناحية والملك جيان الثالث البرتغالي من ناحية أخرى—هي في الحقيقة إنعكاسات طبيعية للأحداث التاريخية التي كان المغرب يمر بها : فالأمراء الوطاسيون وصلوا للدرجة كبيرة من الضعف فأصبحت عدة قبائل لا تعترف بسلطانهم ، كما أنهم لا يجدون بداً من مسالمة العدو البرتغالي ، بينما يعمل السعديون على تثبيت أقدامهم في مراکش والمناطق المحيطة بها إستعداداً لقيادة البلاد في حرب التحرير المناطق المستعمرة ، وفي نفس الوقت يحاول البرتغال تثبيت أقدامهم في المناطق التي استولوا عليها مستخدمين أسلحتهم القديمة لمحاولة كسب تأييد ومعاونة بعض ضعاف النفوس من شيوخ القبائل ، هذا وتنعكس حالة الضعف التي كانت عليها البرتغال على مستعمراتها الأخرى في الهند وأمريكا . والوثائق تمدنا بمعلومات وافية عن اتفاقية عقدت في ٢٢ ذي الحجة ٩٣٢ هـ (٢٩ سبتمبر ١٥٢٥) بين الملك جيان الثالث والأمير السعدي حددت فيها مناطق البرتغال في أسنى وأزمور بالذات التي يحق لهم فيها السكنى واستغلال الأرض ، كما نصت الاتفاقية على التصريح لهم بالتجارة مع المدن الإسلامية فيما لا يحرم الإسلام تداوله من السلع ، وقد وقع على هذه الاتفاقية كل من حاكم أسنى وأزمور وعن البرتغاليين إثنان من ممثلي الملك البرتغالي هما ماتشادا (Machda) والآخر إبراهيم رابين (Rabbin) اليهودي (١)

لكن يبدو أن البرتغال لم يحترموا ما تعاقدوا عليه ، ففي ٢٤ صفر ٩٣٢ هـ (١٠ ديسمبر ١٥٢٥) أرسل الأمير السعدي أبو العباس أحمد بن محمد القائم

(١) دخل عدد كبير من اليهود في خدمة البرتغال — ونص الإتفاق موجود في

Archives Nationales de la Torre do Tombo—Gaveta 20 Maco 4, No. 24.

وصورته مرفقة مع هذا البحث .

(الذي اشتهر بلقب الأعرج) - (١) خطاباً إلى الملك جيان الثالث - يذكر له إنه رغم الاتفاق الذي عقد ووقع من كل من حاكم أسنى وحاكم أزموور - فقد كثرت اعتداءات اتباعه على المسلمين وعلى ما يملكون من ماشية بالإضافة إلى قوافلهم التي تحمل المسافرين والبضائع ويطلب الأمير السعدي أن يوضع حد لهذه الإعتداءات وأن يعين أحد القضاة لأسنى للتحقيق في هذه الأحداث (٢).

ويشير خطاب آخر للأمير السعدي مؤرخ في ٢٢ جمادى الثانية ٩٢٣ هـ (٢٦ مارس ١٥٢٧) إلى وصول رد ملك البرتغال على الخطاب السابق - الذي سلم إلى (أبي عبد الله محمد الشيخ) (٣). وفي رده يعد الملك البرتغالي بالوفاء بالاتفاق السالف الذكر ويرجو أن يعمل حاكم مراکش بالمثل (٤).

وقد كان الحكام الوطاسيون في فاس - في هذه المرحلة الأخيرة من عمر دولتهم يرون أن مصلحتهم تملئ عليهم أن يحتفظوا بصداقة البرتغال ، فقد كانوا يعلمون أن السعديين الذين أصبح لهم النفوذ في مراکش يترقبون الفرص لتصفية الوجود الوطاسي في فاس أيضاً . ورسائلهم لمثل البرتغال في الثغور المغربية تدل على ذلك - ففي رسالة مؤرخة أواخر ذي الحجة ٩٣٣ هـ (سبتمبر ١٥٢٧) نجد مولاي مسعود يرسل باسم خاله ملك فاس (أحمد بن محمد الشيخ الوطاسي) إلى حاكم أزموور يذكر إنهم على محبتهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ويعتبر

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد القاسم السعدي - بويغ بالولاية في حياة أبيه عام ٩١٨ هـ وجددت بيعته بعد ذلك بعد وفاة أبيه في عام ٩٢٣ هـ . وقد إنتقل لمراكش في عام ٩٣٠ هـ بعد انزاعها من أيدي الوطاسيين الذين كانت لا تزال سلطتهم في فاس ، وقد غلب السعديون على فاس ٩٥٦ هـ .

(٢) الوثيقة موجودة في الأرشيف البرتغالي Archives Nationales de la Torre do Tombo Casa dos Tratados. Documents Arabes.

(٣) أبو عبد الله محمد الشيخ - هو شقيق السلطان أبي العباس - الأعرج وكان والياً لأخيه على سوس ، وقد حكم بعده (١٥٤٤ - ١٥٥٧ م) .

(٤) الخطاب موجودة صورة منه في :

Archives Nationales de la Torre do Tombo. Gaveta 20 Maco 4. No. 11

ومصورته مرفقة مع البحث .

لوصول رسولهم اليهودى دون أن تكون معه رسالة رداً على رسالتهم للسلطان البرتغالى ، ويذكر إنهم لم يتعودوا منه هذا الشئ (١).

وقد غلبت روح المساواة على الخطابات المتبادلة فى مختلف المناسبات بين السلطان الوطاسى أحمد بن محمد الشيخ ورجاله من ناحية وبين حكام البرتغال من ناحية أخرى . فحاكم سلا (محمد بن لحسن زنبق) فى خطاب له أرسل إلى حاكم أزمور (غير مؤرخ لكن يرجح أنه فى إبريل ١٥٣٠) - بشأن طلب إعادة أسير هرب من عند سلطان فاس وسرق منه (لجامين) للخيل أحدهما مرصع بالذهب - يشير إلى الصداقة بين البرتغال وحكام فاس ويشير فى الخطاب إلى أنه من جهة أهل المغرب فانهم يتكلفون بمنع أى ضرر يصيب البرتغال منهم - والأرجح أن الإشارة هنا إلى حكام مراکش من السعديين (٢).

هذا على أن السعديين على الرغم من أنهم لم يكونوا قد بسطوا نفوذهم بعد على كل بلاد المغرب - إذ لم يستقروا نهائياً فى فاس إلا فى شوال ٩٦١ هجرية ١٥٥٣ م - فقد كان موقفهم من المستعمرين البرتغال أكثر صلابة - فقد وجه الأمير السعدى ابى العباس أحمد (الأعرج) خطاباً إلى جيان الثالث Jean III فى ٢٣ ربيع الأول ٩٣٦ هـ (٢٥ نوفمبر ١٥٢٩) بشأن شخص ارتد عن الاسلام . ومن دراسة هذا الخطاب يتضح لنا :

١ - أن الأمير السعدى يلقب نفسه بسلطان مراکش وأحوازها ، وحاحه وأحوازها ، وسوس وأقطارها ، ودرعه وأعمالها ، وتوجرارين وما والاها ، وادى نون وما قاربها ، وهى الأقاليم التى كانت حتى ذلك الوقت (٩٣٦ هـ - ١٥٢٩ م) قد بايعت السعديين بالخلافة .

(١) صورة الخطاب مرفقة هنا - وهو موجود فى : Archives Nationales de la Torre do Tombo. casa dos Tratados Documents Arabes والسلطان أحمد بن محمد الشيخ الوطاسى - المشار إليه هنا - هو حاكم فاس (٩٣١ هـ - ٩٥٦ هـ) وقد أسر فى عام (٩٥٦) أثناء الحروب مع السعديين - وخلفه السلطان أبى حسون للمرة الثانية وهو آخر ملوك الوطاسيين وبموته إنتهت الدولة الوطاسية.

(٢) الخطاب موجود فى : Archives Nationales de la torre do Tombo—Casa dos tratados. Documents Arabes والصورة مرفقة مع البحث

٢ - يذكر له إن الواجب يقضى فى حالة من يرتد عن دينه أن يعود لوليه ويقضى معه فترة فاذا اقتنع بعد ذلك بالرجوع لدينه كان بها وإلا فله أن يختار الدين الذى يراه .

وهذا الخطاب يدل على صلابة السعديين وعدم تهاونهم فى أى حق من حقوقهم أو حقوق رعاباهم (١).

هذا على أن الثغور المغربية - عامة فى بداية عهد جيان الثالث الذى حكم من (١٥٢١) كانت فى حالة سيئة وأخذت حالتها تنتقل من سيء إلى أسوأ ، بعد أن ضعفت سلطة الدولة الأم (البرتغال) على رجالها ، فأصبحوا يسومون الأهالى العذاب ، ولم تكن من رقابة عليهم سوى ضمائرهم ، ولعل شكوى أهل أزمور المؤرخة فى ١٥٢٩ تعطى صورة عن الحالة التى وصلت إليها فى ذلك الوقت معظم الثغور المغربية الواقعة تحت أيديهم - فهم يشيرون لما أصاب البلاد من نهب للأموال ، وللأهالى حتى أصبحت خراباً .

ولهجة الخطاب تدل على مبلغ ما يشعر به أهل أزمور نتيجة للظلم الواقع عليهم . فهم يخاطبون الملك البرتغالى - بكل شجاعة ذاكرين له (إن ذنوبهم فى رقبته وأنه إن كان سلطاناً قادراً فإن الله أقوى منه) :

والحقيقة إنه بوصول الأمراء السعديين إلى الحكم فى المغرب تطوى صفحة من صفحات الصراع الطويل بين المغرب والبرتغال لتبدأ صفحة جديدة من هذا الصراع .

على أن المغرب لم يواجه فى هذه الفترة فى ظل حكم السعديين - المستعمر البرتغالى فحسب - لكنه واجه محاولة غزو أخرى تمثلت فى أطماع الدولة العثمانية التى كانت قد مدت نفوذها على المشرق العربى ، ثم انجذبت إلى المغرب العربى ، ومنذ أمتد النفوذ العثمانى إلى الجزائر ، وبعد استيلائهم بالذات على تلمسان القريبة من حدود المغرب الشرقية دخلت العلاقات المغربية التركية فى دور حرج .

(١) صورة الخطاب موجودة فى الأرشيف البرتغالى ومرفقة هنا .

لكن المغرب استطاع في هذه المرحلة الجديدة من كفاحه أن يتخلص من الإستعمار البرتغالي ، وأن يصمد في وجه الاطماع العثمانية .

ولا شك في أن هذه الصفحة الجديدة من الكفاح بمعاركها التاريخية الحاسمة – تستحق دراسة أخرى منفصلة فنرجو أن نتناولها في بحث قادم إن شاء الله .

والله ولي التوفيق

ملحق البحث

نشر في هذا الملحق صوراً لبعض الوثائق الأصلية المتعلقة بموضوع البحث ،
والتي أشرنا إليها في هوامش البحث ذاته - مع إعادة كتابة كل وثيقة منها مع
الشرح والتعليق لتيسير مهمة الاستفادة منها - لأنه رغم الجهد الذي تتطلبه هذه
الوثائق لم يكن قراءتها والتحقيق من ألتاظها ومدلولها - فإن قيمتها تبرر كل جهد
يبدل فيها .

والأمل أن يتسع لنا المجال مستقبلاً لنشر عدد أكثر من هذه الوثائق الهامة
المتعلقة بتاريخ البرتغال الإستعماري في المغرب العربي في هذه الفترة لأهميتها في
كشف الكثير من الأحداث التي لا تتضح على حقيقتها إلا من خلال هذه الوثائق
الأصلية .

ولعل الوثائق المنشورة هنا تؤكد هذه الحقيقة

بيان بالصور والوثائق الأصلية الواردة في الملحق

- ١ - بقايا الحصن البرتغالي بالقصر الصغير (الأصل بالمحفوظات بتطوان) .
- ٢ - خطاب الملك جيان الثاني (Jean II) إلى قائد أسنى ومسكانها (الأصل العربي مرفق معه في نفس الورقة الأصل البرتغالي وهو مؤرخ ١٦ أكتوبر ١٤٨٨ مرجود بالمحفوظات بلسبونة) .
- ٣ - خطاب سكان أسنى إلى الملك عمانوئيل الأول (Emanuel I) يشكون من تصرفات عاملة مؤرخ ٢ يولييه ١٥٠٩ - (الأصل بالمحفوظات بلسبونة) .
- ٤ - تنظيمات يحيى بن تعففت الذى كان يعمل لحساب البرتغال في مدينة أسنى . مؤرخ أول ربيع الثاني ٩١٨ هـ / ١٢ - ٢٥ يونيو ١٥١٢ م (الأصل بالوثائق بلسبونة) .
- ٥ - خطاب من الملك عمانوئيل الأول (Emanuel I) إلى مواطني أزموور - مؤرخ ٢٢ أبريل ١٥٠٤ (الأصل بالمحفوظات بلسبونة) .
- ٦ - خطاب على بن سعيد من أشراف أزموور إلى الملك عمانوئيل الأول - مؤرخ أول شعبان ٩١٦ هـ - ١٢ نوفمبر ١٥١٠ (الأصل بالأرشف بلسبونة).
- ٧ - عنوان خطاب الملك عمانوئيل الأول إلى البابا ليو العاشر يبشره بالإستيلاء على أزموور ٣٠ سبتمبر ١٥١٣ (الأصل بالمحفوظات بلسبونة) .
- ٨ - الهدنة المعقودة بين مولاى أحمد الشريف السعدى وملك البرتغال جيان الثاني مؤرخة ذى الحجة ٩٣٢ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٥٢٥ (الأصل بالمحفوظات في لشبونة) .

٩ - خطاب مولاي أحمد الشريف السعدى إلى ملك البرتغال جيان الثانى - مؤرخ ١٠ ديسمبر ١٥٢٥ - (الأصل فى المحفوظات بلبونة) .

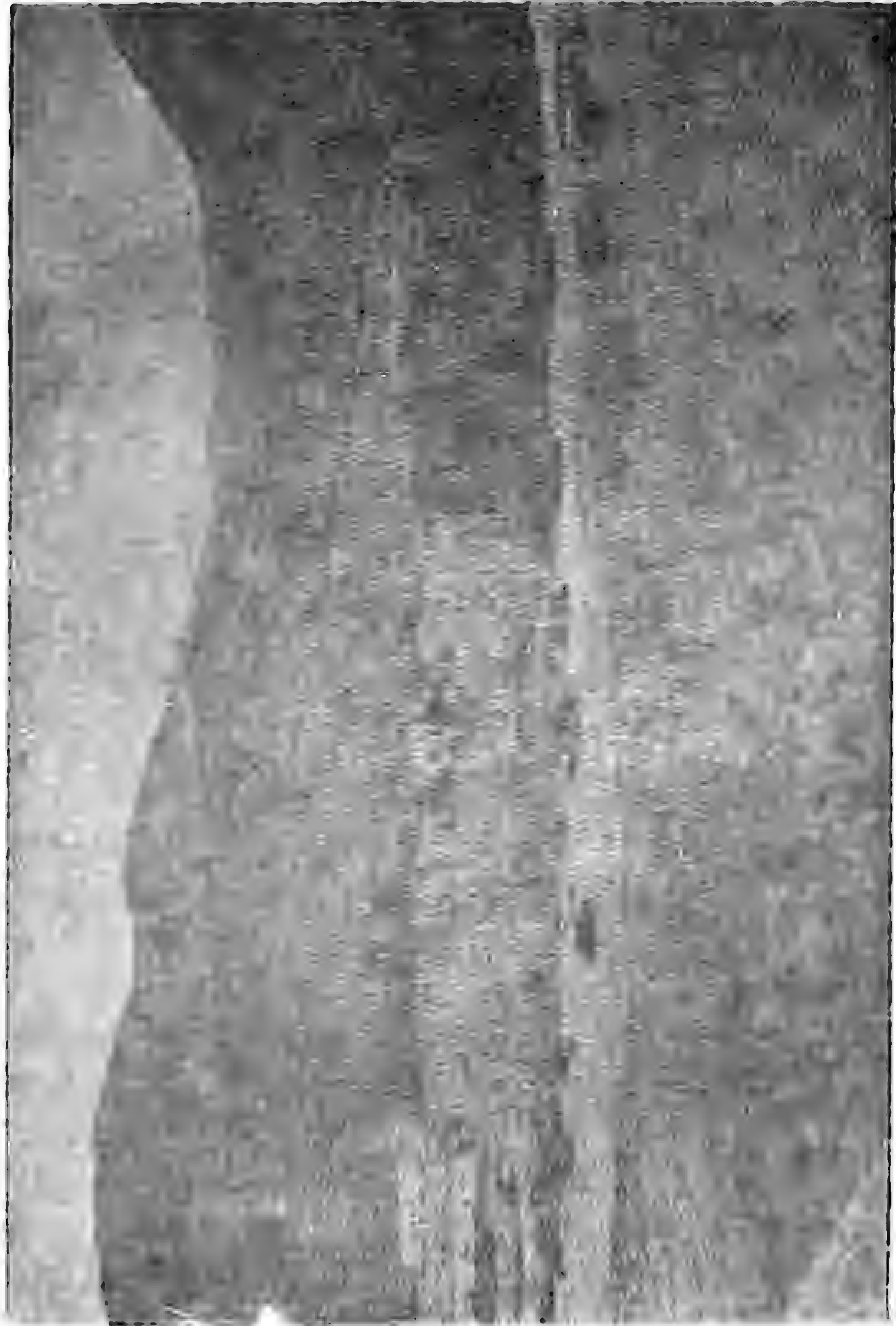
١٠ - خطاب من مسعود بن ناصر نغاس (أثناء حكم أحمد بن محمد الشيخ الوطاسى) إلى حاكم أزموور بشأن أسير هرب إلى أزموور مؤرخ ١٧-٢٦ سبتمبر ١٥٢٧ (الأصل بالأرشفيف بلبونة) .

١١ - خطاب سكان أزموور إلى الملك جيان الثالث ملك البرتغال يشكون من ظلم مندوبه ببلادهم مؤرخ فى أزموور ٢٠ أبريل ١٥٢٩ (الأصل بالأرشفيف بلبونة).

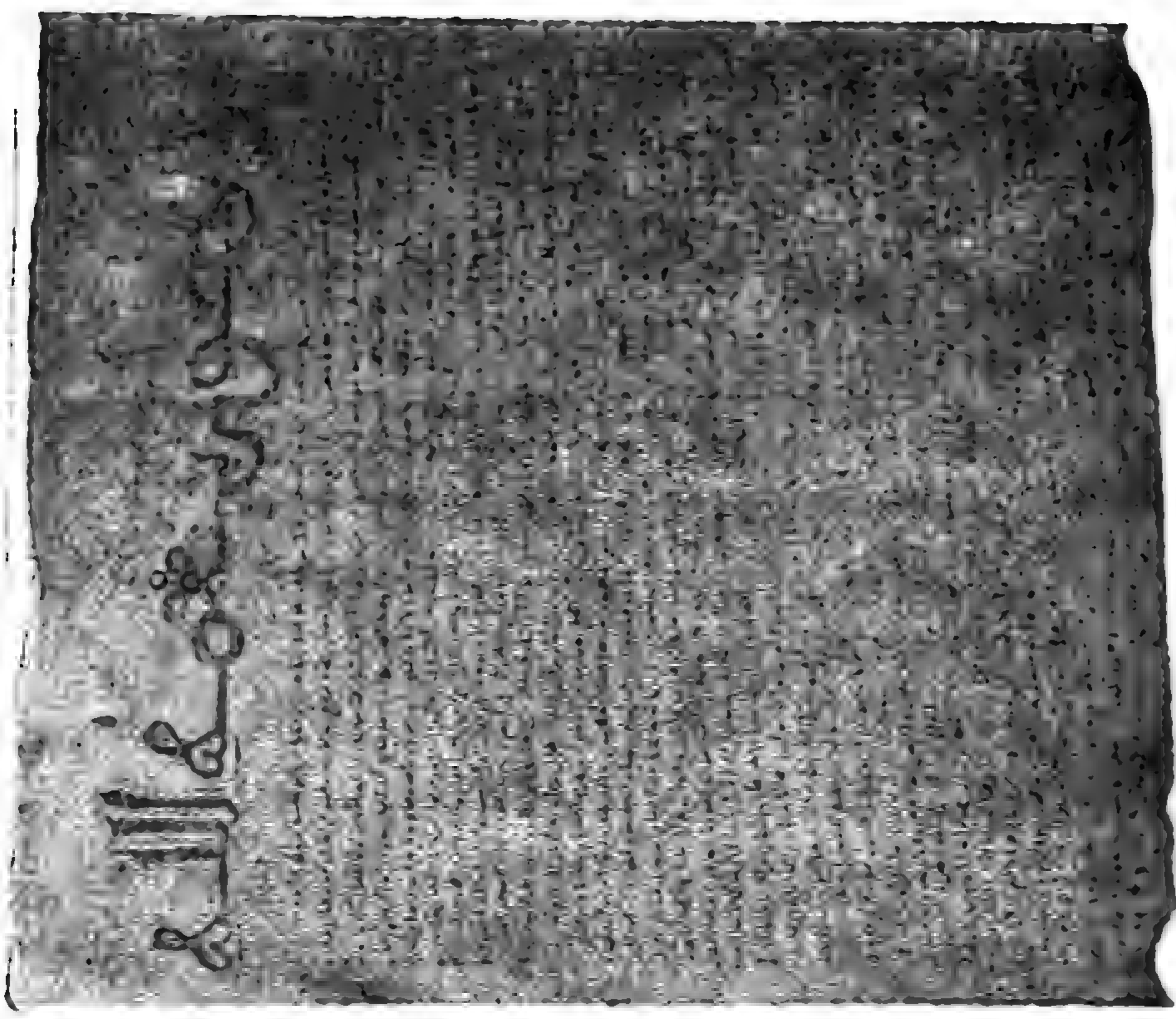
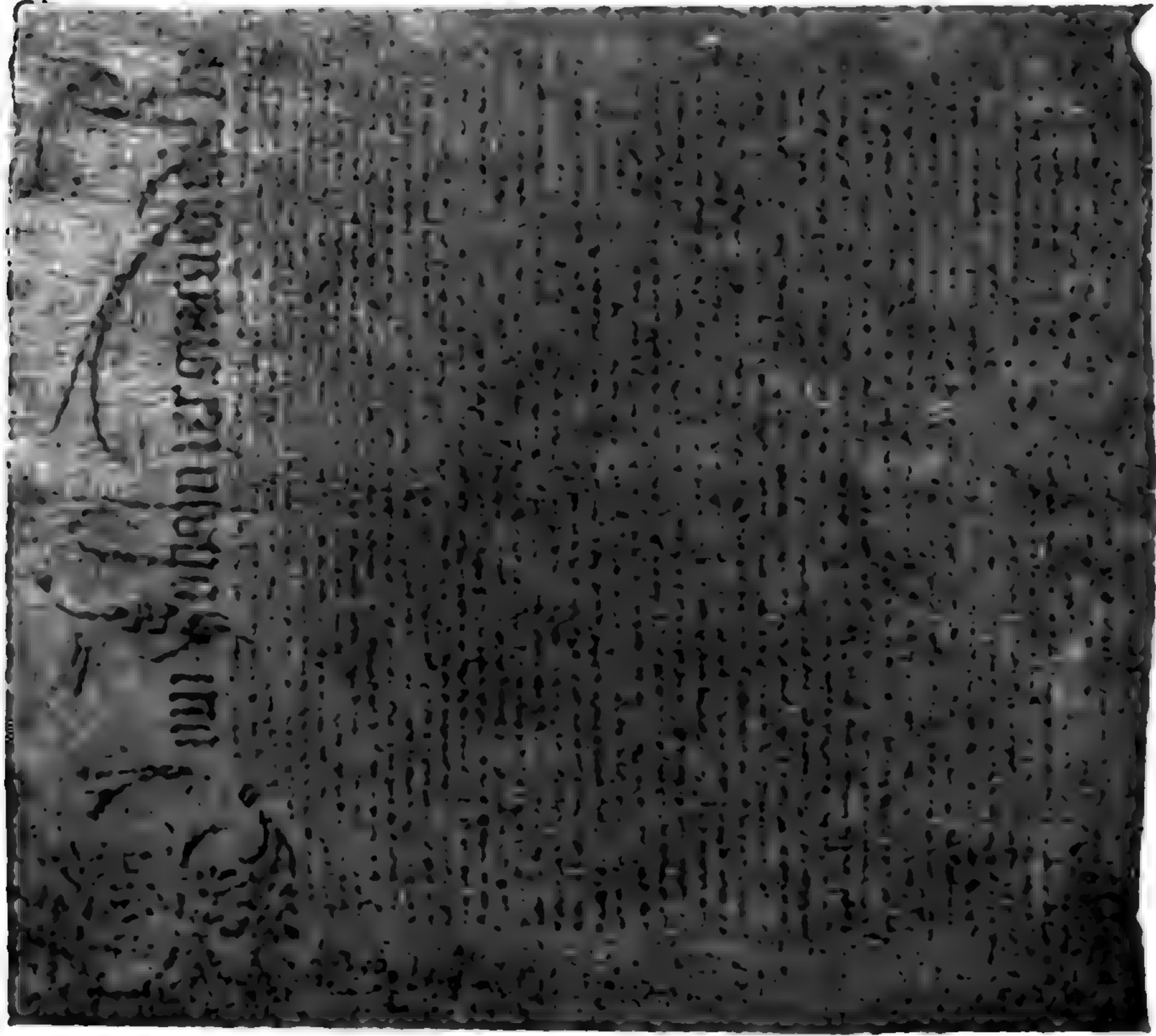
١٢ - خطاب الأمير السعدى أبى العباسى أحمد (الأعرج) إلى جيان الثالث ملك البرتغال - مؤرخ ٢٣ ربيع الأول ٨٩٣٦ - ٢٥ نوفمبر ١٥٢٩ (الأصل بالأرشفيف بلبونة) .

١٣ - خطاب من محمد بن الحسن زنبق قائد سلا فى عهد الأمير الوطاسى أحمد بن محمد الشيخ إلى قبطان مدينة أزموور البرتغالى مؤرخ ٦ أبريل ١٥٣٠ (الأصل بالأرشفيف البرتغالى) .

١٤ - خريطة توضح الأطماع الأجنبية فى المغرب فى القرن السادس عشر الميلادى (العاشر الهجرى) .

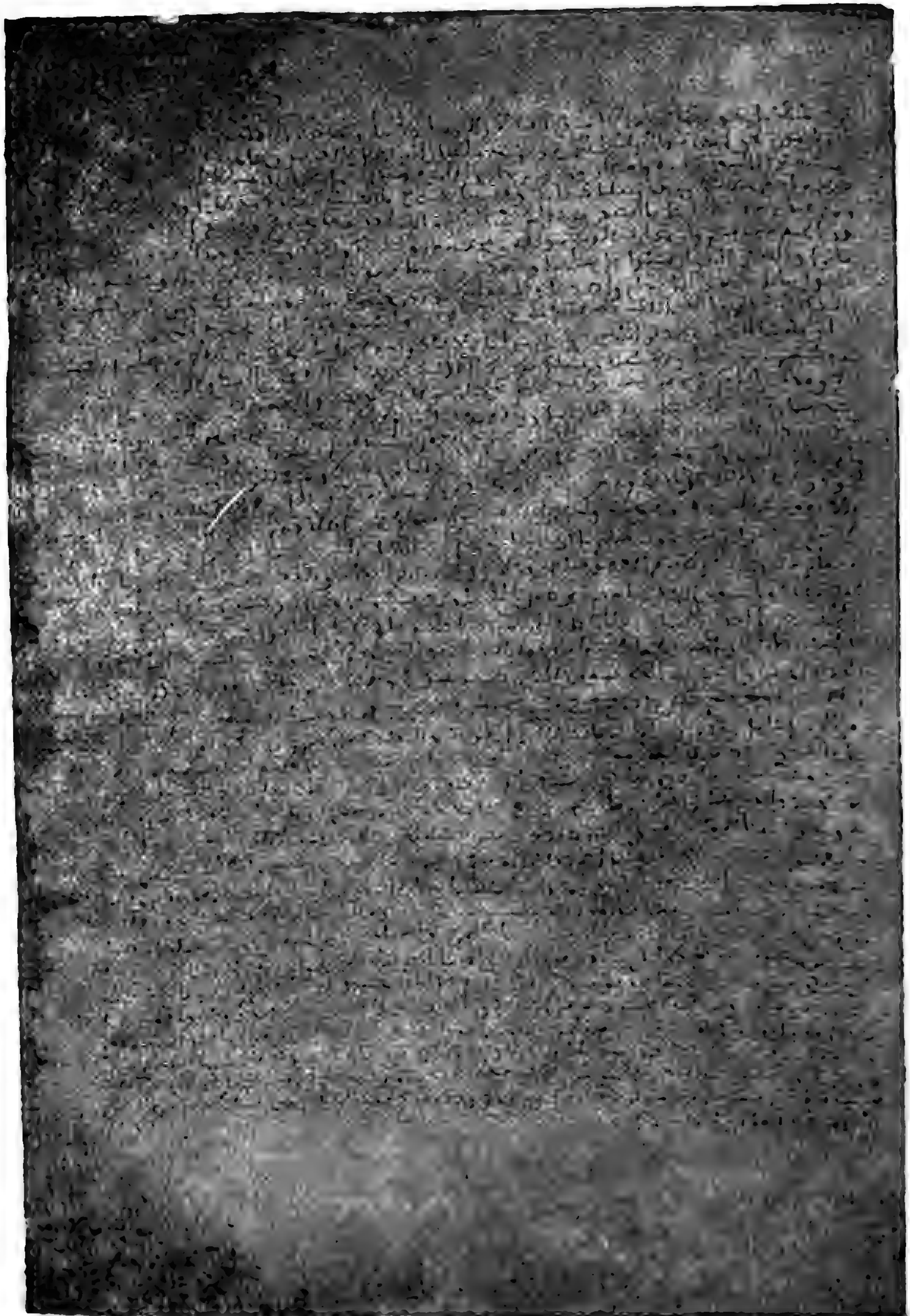


١ - بقايا الحصن البرتغالي بالقصر الصغير (الأصل بالمحفوظات - بتطوان)



٢ - خطاب الملك جيان الثاني (Jeanli) الى قائد اسفى وسكانها - الاصل العربى - مرفق معه فى نفس الورقة الاصل البرتغالى
(مؤرخ : ١٦ اكتوبر ١٤٨٨)

[The page contains dense handwritten text in Arabic script, organized into several columns. The handwriting is cursive and typical of historical Islamic manuscripts. There are some larger, possibly decorative or section-opening words interspersed throughout the text.]



٥ - خطاب من الملك عمانوئيل الاول (Emanuel I) الى مواطني ارمور
(مؤرخ ٢٢ ابريل ١٥٠٤)
(الاصل بالمحفوظات - بنسونه)

خطاب علي بن سعيد من اشراف ازموذ الى الملك عمانوئيل الاول
(مؤرخ: اول شعبان ٩١٦ هـ - نوفمبر ١٥١٠) (الاصل بالمحفوظات - بلشيوه)
٤٧

EPISTOLA

JOHANNIS DE ALMEIDA
 JEMMECHIS Regis Portugallie
 et Sclavorum et de Dictione
 sup in Africa Eboris. Ad S.
 in xpo patrem et omni nobili
 omni Leone. R. Pont. Dux



١ - عنوان خطاب الملك عمانوئيل الاول الى البابا ليون العاشر بشره بالاستيلاء على ازمو
 ٢٠ سبتمبر ١٥١٣
 (الاصل بالحفوظات - بلشبون)

خطاب من مولاي احمد الشريف السعدي الى ملك البرتغال
مؤرخ: ١٠ ديسمبر ١٥٢٥
(الاصل بالارشيف بلشبونة)

٩ - خطاب من مولاي احمد الشريف السعدي الى ملك البرتغال
(الاصل بالارشيف بلشبونة)



١٠ - خطاب من مسعود بن ناصر نفاس (أثناء حكم احمد بن محمد الشيخ الوطاسي)
الى حاكم ازمورت بشأن اسير هرب الى ازمورت

الملك جيان الثالث ملك البرتغال - بشكون من ظلم متدويه ببلادهم
(مؤرخ : ازمو في ٢٠ ابريل ١٥٢٩)
(الاصلي بالمحفوظات - بلشبونه)



١٢ - خطاب الامير السعدي ابي العباس احمد (الاعرج) الى جيان الثالث ملك البرتغال
مؤرخ ٢٣ ربيع الاول ١٢٦ هـ (الاصل بالارشفيف بلنبونة)

شرح الوثائق السابقة والتعليق عليها

- ١ -

خطاب من جيان الثاني (Don Jean II) إلى قائد أسنى وسكانها - الأصل العربي بلغة ركيكة ، لغة مترجم الملك وفي نفس الورقة الأصل البرتغالي في الناحية الأخرى من الورقة - على ورق برشمان سميك .

التاريخ : ١٦ أكتوبر سنة ١٤٨٨ .

دون جون بنعمة الله سلطان برتغال والمغريبين المحيطين (١) بالبحرين وصاحب كناوة الذهبين (٢) كل من يقف على كتابنا هذا تعلموه أن بأمر أحمد بن (٣) على قائد مدينتنا أسنى جالعندنا يحيى الزيات شبرينه (٤) وابن عمه وحضر ودفع إلينا واحد الكتاب من القائد المذكور عمه ، معلم بعلامته مطبوع بطابعه وكان يطلب منا أن كي نعطا تصديق وتحقيق ليحيى المذكور في كل ما يقول ويطلب لنا عنه وأنه يعمل ويوفى بالتحقيق كل ما يعمل معنا ويثبته بلا شك ولا نقصان ولا واحد ، وبقوة تلك الكتاب يحيى المذكور قال لنا إن أحمد بن على عمه المذكور ، كان يقول إلينا أنه والمدينة المذكورة وسكانها مع أحوازها كانوا للسلطان مولانا وأبي المرحوم (٥) وكان عنده كتابه الذى أرسل إلينا نروه ، وإن من بعد موته كذلك كان يحسب نفسه وما زال يحسب إنه أديا لنا (٦) والمدينة المذكورة وناسها وجميع حوازاها وبجميع ما فيها كذا مجموع كيخدمنا كمثل لطبيعة وحقيقة السلطان وصنيعه كما عمل دأيم حتى لداب ، لكن لكيما عد يعملوا الكل ويعرفوه عن متاعنا (٧) ، كان يطلب من نعمتنا أن كي ترسلوا له كتابنا كيف كنا ، ناخذوه ونقبلوه للأبد عنا وعن تابعينا عن قايدنا وصنعنا وكلهم الذين تاتون لقدام ، وكذلك المدينة المذكورة عن متاعنا بسكانها وجيرانها وأحوازها في الحال والمستقبل لنستخدموا

(١) يلاحظ اللقب الذى كان يصفيه ملك البرتغال على نفسه .

(٢) من الذهب ، ولعل له علاقة بشهرة هذه المناطق في الذهب .

(٣) يلاحظ أن قائد مدينة أسنى كان من المسلمين والحقيته إن المدينة لم تكن خلصت بعد للبرتغال .

(٤) Jahia Ajiod Sobrinho (في النص البرتغالي) .

(٥) توفى Alphonse V في ٢٨ أغسطس ١٤٨١ .

(٦) تبعنا . (٧) يلاحظ ركافة لغة الخطاب العربي المرفق مع النص البرتغالي

منه بالتحقيق ، ومنهم الكل كمثل متاعنا (١) الأصليين والنوبيين وأن كمثل متاعنا يرعا إليهم ، وتكون حوائجهم وهم في كل موضع منظورة ومحروزة كمثل لمتاعنا الأصوليين الأصفياء والخدام ، فنظرنا مطلبهم ورعينا الخدمة الذي للمذكور المولا السلطان أبي ولنا في الزمان الجابر ، ماع معمول نحيا تقبلوا ونرضاه خدمتوا حسب ما طلب منا ، وكذلك من سكان وجيران المدينة المذكورة وأحوازها وعندنا فيه خبر فأخذناه وقبضناه للأبد عنا وعن الذين ياتون بعدنا من داب لقدام ، عن قايدنا ه صنعينا وملتزمنا له وكل من يأتي بعده من القيادة للمدينة المذكورة ولسكانها ولأحوازها الذين هم اليوم ويكونون لقدام ، أخذناهم وقبلناهم عن متاعنا كذا بالتحقيق كيف هم الأصوليين من سلطتنا وملكنا ، وهو القايد المذكور برقد عنا في الحين علامنا الذي نحن نرسلوا له في المدينة المذكورة في الموضع المشهور منها (٢) كمثل لحقيقة وطبيعة وسلطانه مولا ه كمتاعنا الطيب الجيد الأمين القايد والصنعى ودائماً نخدمنا ويتبعنا بذاته وبحوائجه كلها وبالمدينة المذكورة وناسها (٣) وسكانها وأحوازها في كل زمان ومكان الذي منه ويكتبنا (٤) بكل وجه يؤمر به أو يطلب به وكذلك القيادة الآخرين الذين ياتون بعده وزايد يحبس عنا عنده علام (٥) آخر متاعنا مع الطبل (٦) الذي نحن أيضاً نصرقوا له لكي يكن هو والآخرين الذين ياتون بعده معروفين إنهم متاعنا القيادة ويحلف ، فالحين والوقت بالآزمة (٧) أن يكمل كل شئ بالتحقيق ويحفظه بالدين الطيب بلاشك ونقطة الخلاف ما يعمل ولا يوافق عليه (٨) وكذلك جميع الخاصة خاصة المدينة المذكورة يحلفوا اليمين المذكور عنهم والآخرين من العامة يحلفون عنهم أو باكلايهم (٩) وزايد ينصفونا في كل سنة في شهر شتبر ثلاثمائة مثقال من الذهب العين (١٠) ذهباً عيناً أو قيمتها في شمع (١١) أو في سلعة غيرها مما يرضون عمالنا (١٢) الذين يكونون بتلك المدينة أن يقبضوا ذلك

(١) ملكنا (إتباعنا) . (٢) يضع العلم المرسل له في مكان بارز .

(٣) هو والمدينة وسكانها يكونون تابعين لنا . (٤) يكتب لنا . (٥) يحفظ العلم المرسل له .

(٦) الطبل - وهو مستخدم عند الأفريقيين كما هو معروف لإعلان الحرب أو في المناسبات الهامة الأخرى .

(٧) يلزم . (٨) بالذمة ، ولا يفعل خلاف ما يؤمر به . (٩) بوكلائهم .

(١٠) ٨٠٠ مثقال من الذهب الخالص . (١١) هذه المناطق كان من صادراتها الذهب ، والشمع .

(١٢) عمالنا هم قواد المواف .

عنا ، وإثنان من الخيل جياداً جداداً ، وكذلك أيضاً نحن منتظرين أن نجسوا دائماً في المدينة المذكورة داراً لتجارتنا (١) ومتاعنا ولمتاع الأصولين متاعنا وللأشتغال بها ، وأخرى الذي نامروا أن تساق من هنالك نحتاجوا أن يكونوا في تلك المدينة عمالنا وآخرين مراراً كثيرة يمشون رجالنا ليجلسوا معها ويكونوا مؤمنين وتكون جايد (٢) محروزه ومحفوظة كيف ينبغي لخدمتنا إن المذكور أحمد بن علي قايدنا في مدينتنا المذكورة يبوب وينتظر (٣) فالساعة والوقت شيء داراً تكن جيدة ومنفعة وحرية أو يعطى موضعاً لعمالنا أن يامروا بعملها أين يكون ، كل شيء محفوظ وعلى خاطرنا وإرادتنا ، ونحن على هذا الكتاب رضىنا للقايد المذكور ولسكان المدينة المذكورة وحوزها الذي هم داب أو يكونوا لقدام أن ياتوا إن شاءوا (٤) ويرسلوا لسلطتنا في أجناتنا (٥) وفي متاع الأصولين متاعنا ليتابعوا ويتعاملوا ويسوقون كل ما يريدون من السلعة والذين يحبون ويحملون أخيراً للمدينة المذكورة أو أين ما يحبون ، ومنها ما يغرمون إلا ما يغرمون أو صليين بلادنا ، وذاك بكلها التحريرات والظواهر والتحشيات الذي بالشرع (٦) وبستنا الذي بسلطتنا هم معطين للأصوليين متاعنا ومرضيات ، وكثل الأصوليين متاعنا وأصفيائنا نأمرنا (٧) عليها دائماً الإستحفاظ ونشهرنا لمرتنا (٨) ولبطارقة البحر من سلطنتنا ولرئيسى الأجفان تاجرين أو محاربين وكذلك لكلهم أصفيائنا إن مع كل من يتصادقون من سكان وجيران المدينة المذكورة وحوزها أو مع حوايجهم أن لا يعملوا لهم عيب ولا مضرة بل يعملوا لهم بحل لأشياء (٩) متاعنا حسب ما يعملوا للأصوليين متاعنا ، والذي يعمل العكس تأمروا عليه بالعقوبة الذي يستوجب بالشرع والحد ، وكذلك ترغبوا ونوكلوا لبطارقة وأصفياء ووصولين متاع السلاطين الفنشين (١٠) بنى عمنا ومن

(١) تحفظ بمكان للتبادل التجارى . (٢) جيدة .

(٣) يبحث حالا .

(٤) شاموا .

(٥) سفنا .

(٦) حسب الشريعة والسنة .

(٧) نأمر .

(٨) أمير آلات البحر .

(٩) الأشياء كخاصتنا .

(١٠) حكام الدويلات الأخرى بالأندلس .

جميع الطاعات الذي يكن بيننا وبينهم العافية إن في حقنا إذا تصادقوا مع المذكورين
أن لا يعملوا لهم عيب وأن يرعوهم بخير ويتركوهم يمشوا خليص ويجوا كمثل متاعنا
ومن هو تحت أمتنا وحفظنا وملكنا كمن معنا منه كلفة كبيرة وفكرة (١) ، ولصحة
هذا كله وهذه الأشياء أمرنا بكتابنا هذا للقائد المذكور وللمدينة المذكورة مرشوم
برشمتنا ومطبوع بطابعنا من الرصاص لحوزهم وإستحفاظهم - كتب بيلد شتوبر من
شهر أكتوبر من عام ١٤٨٨ .

(١) ليس بيننا وبينه كلفة ، أى تابع ت .

الأصل موجود في :

خطاب من سكان آسنى إلى الملك عمانوئيل الأول (Emmanuel I) يشكون من تصرفات عامله وما أصاب المدينة من أعمال القوضى والسرقة والإسترقاق وما أصاب المساجد وغيرها — حتى هجر السكان المدينة .

مورخ ٢ يولييه ١٥٠٩

الحمد لله وحده وإليه يرجع الأمر كله ولا بد من لقائه ولا ينج هارب من قضائه وإذا ضاقت كان الفرج من عنده .

ضيفنا ومولانا السلطان ضون منوال (١) حفظه الله — خدامك بل عبيدك الساكنين تحت علامك (٢) وطاعة الله وطاعتك في بلدتك (٣) بلدة آسنى هم يسلمون عليك ويقبلون يديك والأرض تحت قدميك ، ومما نعلمك به يا مولانا بأن نحن جازت علينا شدايد وأهوال ونحن تحت طاعة الله وطاعتك من المخاوف والمجاعات والمحن الكثار والغبات (٤) من المسلمين ومن النصارى ، ونحن يا مولانا أعلمناك بذلك كله وكتبنا لك يا مولانا جملة من الكتب ولا عرفنا هل بلغوك أملا (٥) ونحن شكونا عليك فيهم لين ما رأينا (٦) من يقبل شكوتنا إلا الله وأنت ، وترانا نجمع لك ذلك كله في كتابنا هذا ونختصر لك فيه ، فأول يامولانا نعلمك به بأن نحن ما كرهنا عبد الرحمان إلا في حق الذى عصاك (٧) ولم يدخل تحت طاعتك ولا رضا حتى قتلناه وقلنا خرجنا من العذاب ودخلنا فى الجنة إنما دخلنا تحت طاعتك فاصرفنا يامولانا فى الوقت والحين لعاملك ديوغ الدالزنبوج (٨) وأدخلناه فى دارك (٩) وخرج للغاية كل من من كان فى آسنى وتقبلناه بأحسن القبول كل ذلك يامولانا محبة فيك ونحن يامولانا قادرون ندخل سلطان مراکش ومولاي زيان من أزموور ، وكان بأسنى رجال كانوا أهلا للشيخا ونحن يامولانا أخبرناك ورضيناك من دون هؤلاء ، يوم دخل عاملك ديوغ الدالزنبوج دخل بقصبة فى يده وغصن من الحسبق وأكرمنا نزله وبقايا مولانا على عز وكرامه ماشاء الله ، ونظر بعقله فى البلاد وفى

(١) (Emmanuel I) Don Manoel (٢) علمك . (٣) يشيرون بأنها بلدة !

(٤) غبن وظلم . (٥) أم لا ؟

(٦) لم نجد من يسمع لشكوانا إلا الله . (٧) خرج عن طاعتك .

(٨) Diogo de Azambuja (٩) القلمة البرتغالية فى آسنى .

الأمر وظهر له من الرأي ومن الصلاح أن يوقف رجلاً من المسلمين يكون قنطرة بين المسلمين والنصارى ويصلح بذلك الرعية التي فسدت لين (١) الغم إذا كانت غير راعى هلكت فتكلم مع أهلن (٢) آسنى واتفق رأيهم على ذلك ، ففتش ذلك الرجل فلم يوجد أحسن وأوفى وأصدق سالم من جميع العيوب غير الشيخ يحيى بن تعففت (٣) فقبله وقبلته العامة ، والشيخ يحيى كاره لذلك وغير راض به فقلبت عليه العامه مع عاملك ديوغ الدالزنبوج (٤) ويرجوا عليه وعطاه علامك ومشاهبه (٥) في البلد وفرحت الناس ودخلت العربان (٦) وكان البيع والشراء والأخذ والعطا وأرسلوا الناس بحوائجهم الذي - أخرجوا للمدينة وغيرها خوفهم تقوم الفتنه (٥) من بعد موت عبد الرحمان واستأمنت الناس حين رأوا علامك ورقد كل واحد منا رقادهم وبقينا كذلك أيام ، فحبس عاملك ديوغ الدالزنبوج للشيخ يحيى في فتح الباب (٨) فقال له الشيخ يحيى ذلك مايعلى (٩) على مولانا السلطان في هذا الوقت حتى تعمّر البلاد وتستأمن الناس حداً ، فقال له عاملك لا بد من فتحه . فقال له الشيخ يحيى نكتب لمولانا السلطان بذلك فإذا أمر بفتحه في هذا الوقت فتحناه فاتفقوا على ذلك وأصرفوا (١٠) لك يا مولانا مرسلات عبد الله اللحياني مع يحيى وازنزع ، فلما طلعوا لم يتربص (١١) عاملك ديوغ الدالزنبوج حتى يأتى أمرك . فتكلم مع على بن وثمان (١٢) وقبيلة السراق بنى ماجر ، وأدخلهم علينا فأكلونا وأكلوا البلد (١٣) وأفسدوه وقتلونا وشتتوا بنينا وبناتنا ، حتى ما بقى فيه يامولانا لا صغير ولا كبير ولا يتيم ، ولا مسكين ولا شيخ ولا عجوزه ولا هجاله ، إلا التاكلت فيه والتاكلت فيه يامولانا أموالاً ما يعلم (١٤) عددها إلا الله وكذلك الحوايج والدخاير ، وعاملك

(١) لأن . (٢) أهل .

(٣) أشار ليو الأفريق إلى قصة هذا الرجل الذي لعب دوراً هاماً خساب انبرتغال .

(٤) Diogo de Azambuja (٥) مشى .

(٦) الرجل . (٧) كانوا يخشون قيام فتنة .

(٨) طلب فتح أبواب المدينة . (٩) لا يصلح .

(١٠) أرسلوا . (١١) لم ينتظر .

(١٢) صحتها على بن عثمان (١٣) قتلوا علينا .

(١٤) أى سلبت أموال لا تقدر .

يا مولانا قادر على منعه (١) بعشرة رجال مع أهله آسنى ، ففتح الباب عاملك ديوغ الدالزنبوج فى تلك الساعة وبقوا بنى ماجرياكلوا فى آسنى ثلاثة أيام من بعد فتح الباب وعاملك ديوغ الدالزنبوج ينظر فيهم ولم يقول لهم ماذا يفعلون والقيساريه (٢) يا مولانا بازاء داره وهو قادر على منعها من غير خروج من داره والتاكت فيها أموالا كثار وأبا يمنعها (٣) فهذا يامولانا أول الغدرات الذى أعذرنا عاملك ديوغ الدالزنبوج تحت علامك ، ومن بعد ذلك يامولانا كانوا زوج (٤) من رجالك ساكتان فى خربه من الخراب فى الخلافى (٥) فاحية آسنى قبالة الفساد (٦) والزنا بالمسلات فدخلوا عليهم بعض رجال من مدينة دكاله (٧) فى الليل وقتلوهما فأصبحوا موتاً فلما رأى عاملك ديوغ الدالزنبوج ذلك لم يتربص (٨) حتى يعرف من فعل ذلك الأفعلة فأطلق رجالك على البلد وقتلوا منه ستة أو سبعة رجال والمجرمين الكثير منهم وأكلوا كثير من الديار وأخطعوا (٩) النساء والأولاد حتى سقطت الفساد بالبنين والبنات، فلما كان يامولانا عشية النهار أتاه الخبر بأن أهل المدينة فعلوا ذلك الفعلة فلم يعقب (١٠) يامولانا أحد من رجاله على ما فعلوا فهذا يامولانا غدره أخرى والثالثة من الغدرات يامولانا خرجت وحد (١١) القافلة من آسنى فيها المسلمين مع اليهود حملوها بعض الفرسان من قبيلة الغربى فأغدروها (١٢) وكلوها فرجع عاملك ديوغ الدالزنبوج يامولانا على الذين دخلوا البلد وساقوا له المنفعة ودخلوا فى الأمن والعافيه فربط كل من أصاب (١٣) منهم وعاد كل من يدخل منهم ويسوق المنفعة للبلاد يربطه ويبيعه (١٤) ، وهو ستة منهم يامولانا باعهم لقابك الذى أتا (١٥) من جزيرة الحشب يامولانا براءة من كاتبك فرشطا بن دالميد (١٦) وأبا له كاتبك بذلك وقال له انا ما نعطيك براءة إنك إشتريتهم

-
- (١) منع هذه الفوضى والتعدى. (٢) مبنى مربع للتجار (دائرة المعارف الإسلامية).
(٣) أبى ورفض . (٤) كان إثنان . (٥) خارج المدينة .
(٦) تدار للفساد . (٧) قبيلة بربرية وقد تعربت .
(٨) رأى - لم يتربص . (٩) أثاروا فزعهم .
(١٠) لم يعاقب . (١١) قافلة واحدة. (١٢) غدروا بمن فيها.
(١٣) من وقع تحت يديه من أهل البلد. (١٤) يتاجر فيهم كالعبيد. (١٥) أتى.
(١٦) براءة بأنهم ليسوا أحرار من (Christovao de Almeida)

حتى يعطيني القبطان ديوغ الدالزبنوج براءة بيده إنه أمرني بالقهر مني (١) فعطا له (٢) القبطان ديوغ الدالزبنوج براءة إنه أمره بالقهر منه وترا يامولانا البراءة بيد كاتبك فرشطين دالميد وأسثله (٣) يامولانا وهو يعطيك صحة الخبر ، وزايد من هذا يامولانا عاملك ديوغ الدالزبنوج قال لفرسانك ورجالك أن من أصاب منهم ما يشتري من المسلمين في الخفا (٤) يشتريه وبهذا الأمر يامولانا عادت رجالك تشتري في المسلمين ويأخذونهم غصباً وقهراً وعادت السراق من المسلمين ومن اليهود يسرقون أولاد العربان والمصامد (٥) كان بأسني يامولانا كثير من ضعفاء العرب الذين ما كان عندهم بهائم (٦) للرحيل ولا كان لهم جهد عليه فسرت أولادهم وأخذت غصباً وكذلك أولاد المصامد وكذلك المسوقين من العربان في الأمن والعافية والآتين بالمنفعة (٧) للبلاد من دخل منهم لآسني ما يرجع لأهله وعاد كل واحد يسرق ويبيع حين أصاب من يشتري منه (٨) حتى إتعدر الكثير منهم الذي ما عرفنا له عدد من أهلين بر وأهلين البلد وطلعوا لبلادك والكثير منهم طلع لجزيرة الخشب وكثير من رجالك يامولانا إنحبسوا (٩) بأيدهم ولا رأنا من عاقب عاملك ديوغ الدالزبنوج على ذلك لا من المسلمين ولا من النصارى ولا من اليهود غير وحد العرب كان مسلم ورجع نصراني (١٠) إنصابوا بعض الأولاد بيده أمر بصلبه وغير ذلك مارأينا ، فلما رأت يامولانا العربان والمصامد هاذة الأفعال فرت وهربت خوفاً على رؤسهم ودراريهم (١١) ونعلمك يامولانا بان أول من إشتغل بهدم الديار بأسني عاملك ديوغ الدالزبنوج وينقل الخشب على العجلات ويحرقها ، فلما رأت المسلمين ذلك يامولانا أيسوا (١٢) من آسني وأيقنوا بالخروج منه ، وكذلك الذين خرجوا أيسوا الرجوع إليه وإشتغل كل واحد من المسلمين بهدم داره وحرق خشبها ، وإشتغلوا النصارى بهدم جوامعنا وسرق حصارهم (١٣) ودقاقهم فهدموا لنا جامع بالقبور ولم يبق فيه حيط واقف ، وكذلك زاوية لنا بازايه يقال لها زاوية سيدى نوعلى ،

(١) بدون إرادته . (٢) نأعطى له . (٣) إساله .

(٤) في الخفاء . (٥) قبيلة المصامدة . (٦) لا يقوون على الفرار .

(٧) من يأتون للبلاد بالنفع عن طريق الحضور ببضائهم للإتجار بها .

(٨) طالما وجد المشتري . (٩) وضعوم في الحبس . (١٠) إرتد .

(١١) ذريتهم - أى أولادهم . (١٢) ينسوا . (١٣) حصر

جامعنا الكبير الأعظم سرقوا حصوره وهدموا فيه ويبولون فيه ويغيطون (١) ،
وصومعة جامعنا الأعظم الذى هو مشهر (٢) ديننا ترا رجالك فيها أيضاً يبولون
ويغيطون ، وجامع آخر لنا بباب الشعب أخذه عاملك ديوغ الدالزنبوج مع زوج
أبيار من الماء هنالك للعامة ، قطع عليهم (٣) بحائط وأدخلهم فى جنان هنالك وأخذ الجنان
لنفسه وكذلك جامع لنا بباب البحر مشت (٤) حصوره ودقاه ، وجامع لنا بناحية
أورير (٥) مشت حصوره ودقاه أيضاً وغيرها ولاء مما لا نصف لك ، وأخذوا
لنا أيضاً أحباس (٦) هاذة الجوامع من الجنانت (٧) والديار والحنات (الحوانيت)
ويا مولانا رجالك يدخلون ديارنا ويعملون أيديهم فى نساينا وبناتنا ، وعاملك ديوغ
الدالزنبوج يا مولانا عارف بهاذة المسایل ، ولم يعقب أحد من رجالك على فعلة من
هذه الأفعال ، ونحن يامولانا أخذنا على رجالك ولاكن (٨) أخذنا على عاملك ديوغ
الدالزنبوج الذى كان عارف بهذه المسایل وكان له الحكم عليهم ولم ينه أحد منهم ولم
يعقبه ، وهاذه الأفعال يامولانا الذى هربت الناس وأخلت آسنى ، ولو رأو الناس
يامولانا الفرخ والخير ما يخرجون ديارهم وبلادهم وبلاد جدودهم ويمشون على
بلاد الناس وديارهم ولاكن يامولانا خرجهم الهم والغم والكشفه (٩) وقلة الأمان ،
ونحن يامولانا مع هاذة الأهوال صابرين على البلاد حين عرفنا أنك غير عارف
بهاذه المسایل وكاره لها ، وننتظرون الرحمة تنزل من عند الله وعندك ، حتى ورد
علينا كتابك الذى أرسلت لنا بالأمن والعافية ففرحنا به غاية الفرخ ، كأن الرحمة
نزلت علينا من السماء ، ولو لم يوف عاملك ديوغ الدالزنبوج ، فكتابك الأول
وعطنانا خبر بانك تحب ترسل الشيخ يحيى بن تعنفت وشاع الخبر فى البلاد وفرحت

(١) يتبرزون .

(١) تقام فيه شعائر الدين - ترى .

(٢) فصلهم أى حجزهم .

(٤) سرقت .

(٥) Aurir .

(٦) ما حبس للصرف عليها .

(٧) الجنائن (الخدائق) .

(٨) ولكن .

(٩) العار .

الناس بكتابك وتجديد (١) الأمن والعافية ، وعملوا أهلن أسنى الذين خرجوا منه على الرجوع إليه ، فلما سمع (٢) عاملك ديوغ الدالزنبوج بمجى الشيخ يحيى بن تعففت سعا (٣) فى هلاكنا وفساد البلاد وأمر بنى نساء الشيخ يحيى وأولاده وكذلك عبدالله اللحياني الذى جاء مرسل (٤) من عندك يامولانا كرهه فى حق الذى كان يخاطبه بالحق والصدق ، ونفاهم من غير سبب ولا جريمة وكرهنا نحن أيضاً فى حق الذى نكتب لك بالحق والصدق ، وعاد ينسب إلينا أفعالا لم تفعلوها ولا نرضوها من قتل النصارى وغيرهم ونحن نحب بين علينا بذلك ، وكم أصاب منهم موتى (٥) غير واحد مشا (٦) يسكر ويشرب الشراب ويزنى بالمسلات أغدروه (٧) أصحابه وقتلوه الذين كان يسكر معهم وما عرفناهم ، وغير ذلك نحب بينه علينا ، ثم بعد ذلك أدخل علينا الغدار على بن (٨) وثمان مع قبيلة السراق بنى ماجر (٩) الذين أكلوا البلد وأفسدوه وقتلونا وشمتموا بنا وبنساتنا وبناتنا أدخلهم علينا بالقهر منا على بن وثمان أغدر ضيفه (١٠) عبد الرحمن الذى كان ياكل خبزه ، وأغدر صاحبه بن تعففت ، وأغدر أهلن أسنى وأغدرك أنت يامولانا الذى نصبت التفاق لدارك ورجالك ، وسعا فى (١١) هلاكهم ، ومن بعد ما خرج من أسنى مشا يلايم (١٢) الجيوش ومشا لسلطان (١٣) مراکش ومولاي زيان بازموور وأتفق ماله على جميع الجيوش والحركة لآسنى ولا أصاب غرضه فى المسلمين ، وعاملك يامولانا ديوغ الدالزنبوج عارف بهاذه المسائل ، مع ذلك كله أدخله علينا بالقهر منا وبرح عليه (١٤) أنه شيخ أسنى فلما رأت الناس ذلك دهشت وعملت على الخروج وهربت العربان من عبد (١٥) وغيرهم من الذين كانوا يسوقون النفعة للبلاد ، وعدم (١٦) كل شئ والقط مع الفار يامولانا لا يسكن فى غار واحد ، نحن ما نسكن مع من أكلنا وقتلنا وشمتم بنساتنا ودراريننا (١٧) وترايا مولانا حوايجنا الذى أكلوا لنا تراهم يلبسوها (١٨) ونحن

- | | | |
|----------------------------|---|--------------------------------|
| (١) تجدد . | (٢) سمع . | (٣) سعى . |
| (٤) رسولا . | (٥) كم قتل منهم . | (٦) مشى . |
| (٧) غدر به . | (٨) Ali Ben Ouachman - عينه حاكاً فى أسنى | |
| (٩) Beni Mager | (١٠) غدر به . | (١١) وسعى . |
| (١٢) يلايم أى بعد الجيوش . | (١٣) إتفق مع سلطان مراکش، ومولاي زيان بأزمور ضد البرتغاليين . | |
| (١٤) زاد عليه . | (١٥) عبد (Abda) قبائل فى أسنى . | |
| (١٦) ضاع وهلك . | (١٧) دراريننا أى أولادنا . | (١٨) يلبسون الملابس المرسوقة . |

تنظر فيها ، وأنت يامولانا اختر في عشرة ألف مهاز أو مهاز واحد قبيلة عبد مع قبيلة رجراجة وقبيلة زناته وقبيلة دكالة الكل عظم واحد (١) هؤلاء وقبيلة واحدة ولف واحد وحال واحد عددهم واحد وصديقهم واحد ، وبني ماجر عدو لهاؤلاء ، اختر فيهم وفي بني ماجر ، وعاملك يامولانا ديوغ الدالزنبوج لا يكذب عليك ويقول لك إنه أخذ أسنى بذراعه نحن يامولانا الذى أعطناك أسنى (٢) ونحن أدخلنا عاملك ديوغ الدالزنبوج كما وصفنا لك ، ونحن يوم الذى نصب على بن وثمان النفاق لدارك ورجالك ما قاتل واحد منا ولا فأت ولا حيناً إلا يهلكوا بني ماجر عن آخرهم (٣) ونحن يامولانا أتاناً قائدك (٤) وفرحنا به كثير وهو بنا ، وهو رجل لين صغير الرأس (٥) عارف بطبايع المسلمين واسع الخلق (٦) ومثل هذا يامولانا يصلح لهذه البلاد والمسلمون فارحين به كثير ونحن يامولانا شكونا عليه (٧) بالذى جرا علينا وبجوامعنا وصومعتنا الذى فيها النصارى وقال لنا يامولانا إنه ما ساق أمر لذلك (٨) وإن نكتبوا لك نحن ونشتكو عليك ، وكل ما أمرته به يعمل ، نحن كتبنا لك يامولانا هذا الكتاب وأعلمناك بجميع ما جرا علينا فيه وأنت يامولانا إذا تحب أسنى للعافية والفايدة والمنفعة أمر بنزول رجالك من صومعتنا (٩) الذى هى عصمه ديننا لين حد ما كانوا فيها رجالك ما يدخل وحد المسلم يسكن فى أسنى من الذين خرجوا منه ولا من غيرهم كل من هو مسلم يهرب من ذلك ويجفل (١٠) وأما نحن يامولانا ما نحن عند المسلمين إلا نصارى ، والثانية يامولانا تأمر أن لا يطلع مسلم من أسنى لا حر ولا عبد والذين فيه أسارى ينطلقون (١١) وترسل رجلاً يكون قنطرة (١٢) بين المسلمين والنصارى ويأخذ العافية مع العربان وتحث العربان على البلاد وتخزن فيه ويرجعون أهلن أسنى وتعمر البلاد ويكون البيع والشراء وتستفيد منها وتدخل

(١) الكل متفقون ضد قبيلة (بني ماجر) .

(٢) الفضل فى خضوع المدينة لكم يرجع لأصحابها !

(٣) لو وقفنا ضدها هلكت القبيلة كلها فهى ضعيفة .

(٥) القائد المذكور هو Pedro de Azevede الذى خلف Diogo de Azambujo فى حكم ساق فى مايو ١٥٠٩ .

(٥) هذا ملح معناه لين المريكة متواضع . (٦) واسع الصدر .

(٧) له . (٨) لم يصدر أمراً بذلك . (٩) صومعتنا

(١٠) يهرب . (١١) يطلق سراحهم . (١٢) واسطة بينهما للتفاهم .

عليك المنفعة منها ، وإذا ما عملت (١) هاذا يامولانا ولو تقع على أسنى مال الدنيا ما تصلحه ولا تحرث العرب عليه ولا تخزن فيه ، وإذا ما كان عليه الحرث والخزين ما يسكن واحد من المسلمين فيه لين (٢) ما هي عمارة أسنى غير العرب والحرث والخزين ، وعمارته أسنى من العربان قبيلة عبد من دون غيرهم ، وإذا تحب أسنى يامولانا قبالة الشر (٣) تراه بيدك أكتب لنا يامولانا نخرجوه لك ، والسلام عليكم .

كتب في اليوم الثاني من شهر يوليه عرفنا الله خيرته بمنه وجوده وكرمه ولا رب غيره ولا معبود سواه .

ونعلمك أيضاً يامولانا بأن خديمتك الذي أصرفت (٤) لأسنى يخرج لك الإ نقرسوا (٥) ويعرف لك الحق من الباطل ، فان أرشاه عاملك ديوغ الدالزنبوج وعطاه وحد الحصان ووحيد المسلم من الذين إتخلوا بأسنى (٦) وأنت يامولانا إذا أردت أن تعرف صحة هذا الخبر وصحة ما كتبنا لك به وصحة كلامنا أسئل (٧) رى منلر ومنون غرسى ، وانطاني ذا الزبير ، وجرج دماى (٨) ومثل هاؤلاء الذين ما يرضون بالعار ولا بالشماته وهم خدامك بالحق والصدق والنية ولا قط خالفوا قولك ولا أمراك ولا مشوا يامولانا إلا فيما يصلح عليك وينفعك وكذلك لب د مال (٩) أسئلهم يامولانا وهم يعرفونك بالحق من الباطل ، ويعلمونك صحة الأخبار وغير هؤلاء يامولانا لا تأخذ لكلامهم ولا بقولهم ، لين (١٠) ما مشوا في صلاحك ولا فيما ينفعك ، لين ما يحبون إلا ما يسرقوا وما يأكلون (١١) ويقولون لك غير الحق ولو كان بغروضهم تأخذ الشرفى في حق يصبحوا ما يسرقون (١٢) ومما يأكلون كمثل ماسرقوا وكالوا ، وأما ما ينفعك يامولانا ما إشتغلوا به والسلام عليكم .

(١) لم تعمل (للنفى) . (٢) لأن . (٣) فاعل الشر نسله لك يدأ بيد.

(٤) أرسلته . (٥) يتحرى الحقيقة. ويلاحظ استخدام ألفاظ غير عربية.

(٦) رشاه بحصان وعبد من الذين أخنم من المدينة . (٧) أسأل .

(٨) Rui Mendes - Dom Garcio — Antonio de Azevedo & Gorge de Mayer

وهم ضباط برتغاليون كانوا بأسنى بعضهم كان حاكماً على الميناء .

(٩) Lapo de Mello . (١٠) لأن .

(١١) يأكلون ظلماً . (١٢) ما كانوا يتفلسفون في هذه الأعمال .

عبدالله بن جط - مسعد وهس - منصور بن سعد الله - أحمد بن حُد - علي
وبورحيس .

يصل الكتاب بحول الله وقوته إلى يد مولانا السلطان ضنون متوال حفظه الله .

أصل الوثيقة في :

Archives Nationales de La Torre do Tombo - Casa dos Tratados. Documents Arabes.

(بدون رقم)

تنظيمات (أوامر) أبو زكريا يحيى بن تعففت بمدينة أسنى — وبه الأحكام والقواعد التي يعمل بها في مختلف المخالفات .

مؤرخ : أول ربيع الثاني ٩١٨ هـ (من ١٦ ، ٢٥ يونيو ١٥١٢) .

الحمد لله وحده بسم الله الرحمن الرحيم — وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كثيراً .

بسم الله وتوفيقه وبإذن من له الأمر والأحكام بمدينة أسفى الشيخ الأجل
الأفضل الأكل الأفضل الأعز الأرفع الأجل الأكمل المؤيد المنصور أبو زكريا
يحيى بن محمد أدام الله عزه وامتع المسلمين بحياته وأفسح لنا في دولته أمن بالظفر (١)
والنصر وأعلا مناره وألهمه إلى طريق رشده — اتفق (٢) رايه الرشيد الميمون السعيد
على أن قدم (٣) على قبيلة الحارث الشاب المكرم أبو عبد الله محمد بن حجاج وفوض
له الأمر في أحكامهم بعد رضائه بذلك واستعان بالله طالباً الإعانة على توفيقه إلى
ما قد قدم عليه ، إلى أن طلب له في تعيين رجالات (رجال) وشطارا ممن يرضا الشاب
المكرم يستعين بهم (٤) على أفعاله وأقواله وما يحتاج إليه من كافة شأنه وال أمره ،
ووضع الأمير المذكور جميع شأنه وأموره بيد محمد المذكور ، وأقامه مقام نفسه
ولا خرج عليه في ما فعل ففعله ماض وجاز ، فمن عصاه وخالف أمره يعاقب
عقوبة شديدة ، فمن إستحق من العصاة ضرباً ضرب والله يتولا (٤) أمورنا وأمور
المسلمين أجمعين بيد التبسط (٥) لما جرت به العوايد من أسلافهم وأقرانهم ، جعل
على من قدر الله عليه بقتل أخ مسلم ما سبق في حكم التنزيل وما جاءت به السنه من
سيد البشر (صلى الله عليه وسلم) ، فان كان القتل قتل عمداً فيه بما قال الله تبارك
في كتابه العزيز وكتبنا عليهم فيهاذا إن النفس بالنفس ، والعين بالعين ،
والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ، وقال تعالى
والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما فمن فعل فعلة يستحق بها العقوبة فيحكم عليه ، بقول
الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وجعلنا الله وإياكم ممن أطاع مولاه وخالف

(٣) جملة مقدما

(٢) اتفق

(١) بالظفر

(٥) التروى وإعادة النظر

(٤) يتولى

هو اه وسلك بنا ربكم طريق الهدى بجاه نبيه محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وهاذ
شهد من حضر ذالك ودعاه وخفضه كما يجب ، قبلت شهادته فى أول ربيع الآخر
عام ثمانية وعشر بعد تسع مائه عرفنا الله خيره وخير ما بعده والحمد لله وحده .

وبعد فهاذ دية من سرق عشرة أواق أو مايه دينار دراهم أو تقطع يده ودية
من جرح أخيه المسلم وقتين أو عشرون ديناراً والكبش يعطيه للمجروح ، ودية من
ضرب بعصا أو حجر وقية واحدة أو عشرة دنانير .

ومن ذكر ما سلف من العار (١) بين الناس فعليه وقتين أو عشرون ديناراً
أو ثور ، وإن شتمت امرأة رجلاً ضالماً (٢) فعليها نصف وقية أو خمسة دنانير أو
كبش ، ومن وجد فى بيت غير بيته على وجه العيب والحيانة فعليه عشر أواق
أو مائة (٣) دنانير .

ومن طلب عند رجل ماله أو دينه يرفع أمره إلى المقدم يحكم فيه بحكمه يوجب
له ميجالا (٤) ، فاذا لم يعطيه بعد المجال يحكم فيه بما شاء .

ومن غوت عليه المرأة كلف عليه الشهود ، وإلا عليه اليمين وإن تبين فيه
خسوس ديناراً أو خمسة أواق .

ومن ظهرت منه نعة فعليه عشرون ديناراً أو وقتين أو دينهم .

ومن قدر الله عليه فهتك حرمة أخيه فعليه مائة دينار للمخزن ويأخذ صاحب
الحرم حرمة .

ومن حكم عليه الشرع بالحكم ثم رجع للخصام بعد الحكم فعليه عشرون ديناراً
أو ثور .

ومن هرب بالمحصنة يوكل ماله وتحرق بيته وينفى من بلده ، ومن حكم السلطان
وتؤخذ دية المرأة من ماله ، وإن وجد قتل ، وليس على من قتله دية أو يحبس إلى
بين يد السلطان ، ومن جعل يده فى مال رجل بالغصب فعليه خسوس ديناراً لسبب

(٢) ظلماً

(٤) يعطيه مهلة

(١) العيب

(٣) مائة

تعديته في مال المسلمين ، هاذا إذا كان له عليه دين ، وأما إن كان سارقاً - مائة دينار (١) . الشب المكرم محمد بن منصور - وعلى بن عمر - علي بن عمر بوخشب - وجعوب بن موسى - علي بن محمد بن قه - وعمران بن عب - علي بن عياد - وزينون والبوصر - وعلي بن فتوح - وعمر بن كتابر - وروح بن بجود - وروح بن سعيد - وعلي بن عريف - ومسعود بن حنين - وحم بن عمر - ومحمد بن عماره - وعلي بن حمد - وعلي بن محمد القاسمي بن سعدان - ومحمد بن الحافظ ومبارك بن إبراهيم (٢).

ومن طلب عند رجل ماله أو دينه يرفع أمره إلى الحاكم (٣) - وأحمد بن المحلوف - ومبارك بن عيسى - وبوفليح - وحماد وعلي بن سعيد وكار - وعلي بن جابر والحلول - وحمد وبريج - ومبارك بن عمر - ومن الذبيخ وزيد بن ساس وغانم بن علي - والكح والكراش .

(١) أي يبلغ مائة دينار

(٢) كثرة التوقيعات الهدف منها إعطاء قوة للأوامر

(٣) هذا التعبير الذي جاء في وسط التوقيعات بنفس خط الوثيقة وهو تكرار لشيء وارد بها من قبل ولعل القصد التصحيح أو التوضيح .

ولم يوضح المقصود بالحكم - لكن لعله الحاكم البرتغالي لأسفنى

Archives Nationales de la Torre de Tombo - Casa dos Tratados Documents Arabes.

من الملك عمانوئيل الأول Emmanuel I إلى مواطني آزموور يصفح عنهم بعد أن كان مصمماً على عقابهم لما حدث لبعض رجاله وقواده في بلادهم ، وذلك لشفاعة زوجة الملك لهم ، ويطلب كمية كبيرة من القمح ليغيطوا الأعداء ويتضح كذب الوشاة .

لشبونة في : ٢٢ إبريل ١٥٠٤

هاذا الأشياخ الفضلا والرؤساء الأما والخاصة والعامه . أهل ازموور نحن ضون منوال بفضل الله ونعمه سلطان البرتغال والغريين وصاحب كناوه . مستفتح أقاليم غريبه وأمصار وجزور وبحار وأقاليم هندية^(١) وأوطان فرنسية^(٢) ثم بلاد الكو^(٣) سلام يراجع سلامكم وبعد، وصلنا كتابكم وفهمنا جميع ما تضمنه كتابكم وخطابكم وقد ذكرتم لنا ما وقع عندكم من الندامة على ما انصدر من فعلكم في النازلة التي أحدثوها عندكم وقلتم إن القلوب^(٤)... قد اتجمعت بينكم وأن صارت قلوبكم مؤلفه ومجتمعه وكلمتكم واحدة وطلبتم منا العفو والتجاوز^(٥)... ما نزل والصفح عليه وأن تنموا على صلحنا وعهدنا وتمينتنا منكم^(٦) وأعترفتم بذلك كله وطلبتم منا القبول ، وإنكم تكونوا لنا خدام وأصدقاء ، وقلتم إنكم تردون^(٧) جميع ما أتخذ لنا هنالك ولرجالنا في مرستكم وبلدكم في قواربنا الذي إنفسدت عندكم ولرجالنا وتجارنا ، وأشرتم في كتابكم بجميع المحبه والنصيحة إلينا ومهما إنكم ما حمدتم الله عز وجل مولانا ولا شكرتموه على ما منحكم وأعطاكم من صلحنا معكم الذي كنتم تحت رعيننا وحفظنا وحملكم نظركم الفاسد على هنك العهد والميثاق الذي كان بيننا وبينكم ومددتم أيديكم في أمر ليس بواجب عليكم^(٨) ، بل كان من الأمر الواجب والعهد (اللازب) ^(٩) رعى مسایلنا وخدمتنا والإستحفاظ عليها فنازلتكم ووافقكم كانت

(١) قام فاسكودا جاما في عام (١٤٩٧) برحلة فوصل لنهاية القارة الأفريقية في (١٤٩٨) وعبر رأس الرجاء الصالح إلى الساحل الشرق للقارة وبارشاذ البحارة العرب وصل إلى كلكت على الساحل الغربي للهند وعاد إلى لشبونه في سبتمبر (١٤٩٩) .

(٢) فارسيه . (٣) قصده غير واضح . (٤) غير واضحة .

(٥) التجاوز عما بدر منهم . (٦) السلام القائم بيننا . (٧) ترجمون .

(٨) يشير إلى نهب البضائع والسفن . (٩) اللازم .

أولا للتأديب والتعزيز من العفو والصفح والغفران ، وإن كانت عادة الملوك أمثالنا الصفع والغفران كما قلتم ، وقد كنتم قد كتبتم قبل هاذا ولم يصلكم عليه جواب فسبب ذلك كان الجرح الذى لحقنا من جهتكم ومن فعلكم القبيح الذى أدركنا من نحوكم وكنا عاملين على أدبكم وتعزيزكم لاشك فيه وأن نكافئكم بفعلكم ونجازيكم عليه ونثر ككم مثلاً وموعظة لمن ينقص عهده ولمن يأتى بعدكم ولا نصلكم بخير فهذا كان مقصودنا^(١)، والآن حين كتبتم وأعترفتم بذنبكم وتوسلتم بأقرب إلينا^(٢)، وأحبهم لدينا السلطانة زوجتنا التى عنكم قصدتنا وقصدتها له مقام عظيم عندنا ، وطلبتم العفو منا على مافات وأظهرتم الندامة وكيف كلمتكم فى ذلك واحدة فنحن عنكم عفونا واسمحنا لكم^(٣) فيما مضى وغفرنا لكم ما وقع منكم وذلك إن أوفيتم بما قلتم فى كتابكم برد جميع ما أخذتم إلينا ولرجالنا ، فاذا أوفيتم بما قلتم فلكم الأمان التام والخير والإقبال العام ، وأنتم تحت حفظنا ورعايتنا وعهدنا كما كنتم بالعهود الموثوقة والعقود الأزمه ، ووجب شكركم إلينا على هاذا وتجديد الحمد والشكر لله الذى سمحنا لكم ورضينا بقولكم وهاذا الأمر فات وجاز ، ومافات وجاز جوزناه^(٤) فاستعملوا من اليوم لقدام الصدق والوفاء والنصيحة فى خدمتنا ، فلو علمتم ما لكم فى عافيتنا من الخير الشامل والأمن الكامل ، وما تصلكم من الفوائد ، وإلى بلدكم من الخير الزايد لحمدتم الله كثيراً جداً عل^(٥) ذلك واعملوا على تأكيد المودات وإجلاب المحبات تنالوا المسرات ، وما قلتم إن كانت عندكم هديه تصرفوها إلينا ورجال من أخياركم وبيوتكم^(٦) ياتون لعندنا ويقفون علينا فاعملوا فى ذلك ما يسركم وما يعجبكم والذى يسركم يسرنا وما يعجبكم يعجبنا ولاشك أن جميع من ياتينا من عندكم نبروه^(٧) ونفرحوا به وبملاقيته فاعلموا ذلك وما بقى عندكم من شروطنا والجزية التى خلت فى هاذه السنين تموا^(٨) عليها ، وليعلموا

(١) تهديد .

(٢) أقرب الناس .

(٣) سألناكم فيما بدر منكم .

(٤) تجاوزنا عنه .

(٥) عل

(٦) بيوتاتكم .

(٧) نبره أى نكرمه .

(٨) أتموا ، أى ادفموا .

الخاصة والعامة إنكم لنا أصدقاء نريد منكم أن تبذلوا لنا جهدكم وتسمحوا في الخروج من هنالك من عندكم وحوزكم القين كفيز^(١) قمح لياتوا به لملكنا وهذا أكثر لما ينظر إليه أنكم لنا خدام وأحباب وينكبث^(٢) بذلك أعدائكم وتأكد المودات ويتضح كذب الأشاة^(٣) وتنالوا منا على ذلك المزيات^(٤) وتعلوا لكم على جيرانكم الدرجات عندنا ، وتكون لكم اعيننا دائماً ناظره وأسماعنا لكم واعية وحوائجكم كلها مقضية بنفوس رضية .

سنع طابا رش فارس دارنا وأميننا أصرفناه^(٥) إليكم بجوابنا هذا وقلنا له ما يقول لكم عنا ، فجميع ما يقول لكم عنا صدقوه شافياً ، فعاملوه بحميل في قضاء حوائجهم ومالكم في الخير وألا مان عن عوايد وسامحوه بحصن^(٦) وافر من إكرامكم وزايد ، واعملوا حسب مايقول لكم ، وإن وافقتم على مايقول لكم وأتى من عندكم مع من نتكلمو أو نستامنوا إليه ففرحوا لذلك كثيراً وإن أوفيتهم بما قلتم وكتبتم تصرفوا^(٧) لهناك ل عندكم وكيلنا وتاجرنا وفيطورنا^(٨) بجميع ماتحتاجون ويصلكم كما طلبتم وأصرفتم إليه^(٩) وإذا نظرتهم هذا بنظر صحيح سالم لكم فيه منفعة عظيمة ووجب عليكم خدمتنا كما هو المظنون منكم حسب ما ذكرتم والترقم وكتب وترجم خديكم ونصيحكم ومعتقدكم عبد الله الزغبى^(١٠) مسلماً عليكم من الحضرة .

(١) الكفيز (Kafiz) = من ٢٥ إلى ٥٠ لترا كما جاء في دائرة المعارف الاسلامية .

(٢) ينتاظ .

(٣) الوشاة .

ونلاحظ التبرير العجيب من ملك لهذا الطلب العجيب .

(٤) المزايا .

(٥) أرسلناه .

(٦) بحظ .

(٧) ترسل .

(٨) وأسطولنا .

(٩) ما ذكرتم له .

(١٠) من المغاربة بالبرتغال وكان في خدمة ملك البرتغال - يعمل كترجم له .

الأصل موجود في :

خطاب على بن سعيد من أشراف أزمو ر للملك عمانوئيل بشأن مولاي زيان

مؤرخ : أزمو ر في أول شعبان ٩١٦ هـ . (بين ٣ ، ١٢ نوفمبر ١٥١٠)
نجد (١) السلاطين — وسلاطة الماجدين ملك الروم طون منوال أرشده الله بمنه
وكرمه .

الحمد لله رب العالمين — والصلاة والتسليم على سيدنا محمد خاتم النبيين —
والرضى عن آله وأصحابه الأخيار المنتخبين .

ملك الروم (٢) وتاجهم ، أصلهم ومالكهم ، سلاطة السلاطين ، ونجد الأمرا
الماجدين — صاحب العهد المتين — والحسب المكين — وجوده فاق عن أمثاله —
وخيره عم أقاربه — طون منوال (٣) أرشده الله بمنه سلام يراجع سلامكم وبعد —
فان كاتبه على بن سعيد (٤) محبكم وخديمكم لم يزل كيف (٥) تعرفونه — راغباً في
الهدنة والعافية والحمد لله الذي كمل علينا بها وبمحنة مولانا زيان لكم — وبخدمته
لديكم حتى فاقت محبته فيكم محبتنا — وصفايه (٦) لكم صفا وثنا — فكن على يقين
بهاذا وكلامنا تعرفوه — وما نحكوه لكم جربته فاقبل خدمته وهديته ، وطول
رقبته كما طول رقبتم ، ولا تعمل لأعدائه أهل الغرب ما يرهصونه به ، هرب
لكم ، وقصدكم قصداً له دمام (٧) عمل ما قدر عليه من صنعه رعيأ لكم ووفيني
بالشروط على حسب ما فسرتم ولم نقصروا (٨) بشيء من كلامكم ودياك إذا
القاصبة (٩) نعم الرسول ونعم الرجل هو ، خصه كاتب مثله في الطبع والخلق ،

(١) قة .

(٢) الروم يعبرون بها دائماً عن المسيحيين .

(٣) Dom Manuel .

(٤) من اشراف أزمو ر .

(٥) كا .

(٦) صفاؤه .

(٧) ليجد مأوى لديكم .

(٨) نقصر

(٩) Diogo de Alcacova

وجوان (١) حمل حصاناً رعيّاً لكم ، وصرد من أربعين أوقية في بعض السلع كل ذلك مراعاة من السلطان لكم ولو كان منه قلق وسوء طبع ومالم يقل فالسدة (٢) محموده والعذر مقبول ، وبقية الكلام تعرفوها من كتب خدامكم وأرسالكم بافواههم وكل شيء رأوه عياناً ، والسلام يعم مقامكم ومن لاذبكم (٣) بتاريخ أوائل شعبان عام ستة وعشر وتسعمائة عرفنا الله تعالى خيره .

وأولاد دياك (٤) بفضلكم أيها الملك ترسلهم له (٥) إذ هو اللائق بهذا الوطن وتريح نفسه بولده وزوجته ، وهو عندنا وعند السلطان في مقام عظيم وعند جميع الناس والحمد لله وما يحكي لكم عن عضلته (٦) فنحن حبسنه من غير وده (٧) لمصلحتنا ومصلحتكم حتى لم يكون بحمد الله سوى جميع الخير والشكر لله والجميل لكم ومولانا زيان راجلكم وخدمكم لكل ماتحبه يعمل لكم وهو عاركم (٨) في أعدائه وأعدائكم وهديته تعذره ، عمل جهده فيكم وفي الله فاعمل معه ما يعرف لكم إذ الملوك للملوك رحمة ونعمة وكاتبه ومولانا زيان خدمتهم فيك واحده ومحبتهم فيك كذلك ولا تعمل في هذا شك ولاريب وما على يديه خير من على يد العوام والسلام .

(١) Josao

(٢) ما لم نقله (مثل معروف) .

(٣) لاذ بكم .

(٤) الذين هم لديك .

(٥) يقصد Diogo

(٦) تعطيله .

(٧) دون ارادته .

(٨) ما يصيبه عار له ولك .

الأصل موجود في :

هدنة (اتفاقية سلام) معقوده بين مولاي احمد الشريف وملك البرتغال ؛

مؤرخة ٢٢ ذى الحجة ٨٩٣٢ (٢٩ سبتمبر ١٥٢٥)

الحمد لله وحده ، يتعرف بحول الله وقوته ، من وقف على مكتوبنا هذى ، يعلم صحة ما فيه إن مولاي نصره الله وخلد ملكه قبل جميع الشروط الدين^(١) اناهم إبراهيم بن ازمو^(٢) من عند القبطان عز ساي دى ميلو صاحب مشور^(٣) سلطان برتغال وناظر رما^(٤) برتغال والشروط على غرامه الدشور^(٥) تركها مولاي نصره الله والحدود الدين هم لأهل اسنى يحرقون المدينة ، وتزروت ، والدشور وبني مكر^(٦) وهدو الدشور من جملة حدود النصر^(٧) يحرقونهم أو يسكونونهم ، وكذلك جميع من لم يحرم بيعه في ديننا يشترونه النصر في بلاد مولاي نصر الله ، وإبراهيم بن أزمر شهد بذلك وعلى يديه كان ذلك، والعافية^(٨) الذى عليها هاد الشروط على تمام^(٩) من شهر ذى حجة عام اثنين وثلاثين وتسع ومائة إلا^(١٠) شهر ذى حجة عام ثلاثة وثلاثين وتسع مائة وكتب بأمره وصفيه وعبيده محمد بن أحمد متعه الله بطول حياته بتاريخ^(١١) ٢٢ من ذى حجة عام ٩٣٢ وشهد بذلك نون البرس^(١٢) كاتب القبطان باسنى .

(١) التى آتى .

(٢) Ibrahim Ben Zamiro اليهودى الذى فى خدمة ملك البرتغال

(٣) Garcia de Mello عضو مجلس الشورى .

(٤) رماة .

(٥) القرى .

(٦) يقومون بزرع Emedian - Tazrout - والقرى Beni Mager

(٧) النصارى .

(٨) السلم .

(٩) لمدة عام .

(١٠) إلى

(١١) بتاريخ .

(١٢) Nuno Alvaris

خطاب من مولاي احمد الشريف إلى ملك البرتغال (Jean III) يذكر له إنه على الرغم من الصلح والاتفاق الذي عقد بين الطرفين فلا يزال اتباعه يعتدون على المسلمين ويطلب وقف ذلك .

مؤرخ : ٢٤ صفر ٩٣٢ (١٠ ديسمبر ١٥٢٥)

يصل بحول الله وقوته إلى يد عظيم الروم (١) سلطان برتغال الحمد لله وحده .

من عبد الله المعتمد على الله الشريف لطف الله به إلى عظيم الروم سلطان برتغال — أما بعد فاني أحمد الله الذي لا الله إلا هو ، وأصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذي وجب به إعلامنا لكم أننا عملنا العافية (٢) مع خدامكم قبطن أسنى (٣) وقبطن أزموور بأمركم في العام الماضي على يد النصراني خديمكم مشاط (٤) واليهودي إبراهيم الحزان (٥) . وفي تلك العافية (٦) أخذوا أهل أزموور زوج مسلمين من خدامنا وطلعوهم لذلك البر بتعكم (٧) وكل يوم نطلبهم ولا رأينا لهم خبر ، وأهل أسنى أيضاً بعثوا سراقهم (٨) سرقوا البقر من بلادنا وباعوهم في أزموور وظهر فيها عياناً ، وفي هذه العافية الآخرة التي كانت بيننا على يد اليهودي إبراهيم بن زمير (٩) أخذوا أهل أزموور قافلة عليها الشمع (١٠) وردوا الناس وأكلوا (١١) الشمع والبهائم ولاردو

(١) كان يطلق عليه هذا اللقب أي عظيم المسيحيين ، وهذا يذكرنا بكثير من الوثائق بهذا الشكل في صدر الإسلام .

(٢) السلام ، أي الاتفاق .

(٣) قبطان أسنى وهو في ذلك الوقت Goncalo Mendes Sacoto .

(٤) Machodo

(٥) Ibrahim Rabbin (عدد كبير من اليهود دخل في خدمة البرتغال) .

(٦) وفي أثناء سريان هذه المعاهدة .

(٧) (بتاعكم) بركم .

(٨) الموص .

(٩) نفس الشخص السابق وكان يدعى Ibrahim Ben Zamiro

(١٠) كان الشمع من صادرات هذه البلاد .

(١١) استولوا على الشمع والبهائم وأعادوا الناس .

إلا الناس برؤسهم خاصة ، وأيضاً رسل قبطان أسنى الخانه (١) والتقو مع قافلة من خدامنا وأخذوها وقتلوهم كلهم لكي يأكلون القافلة ، وقتلو جميع أهلها لكي لا تظهر عليهم (٢) ، وظهرت عليهم ، وأيضاً أخذوا زوج مسلمين وطلعوهم لذلك البر متعكم والقافلة الذين ماتوا أهلها ردوا من بهائمها والذي عليها نحو من ثلثين وبقى الثلث (٣) وحاصل الأمر فإن كانت هاذة العافية بأمركم ترسلوا لنا من ينصف لنا (٤) في جميع مالنا عند خدامكم فلا نرضاكم يعملون خدامكم هذا في عافيتكم ، تبعتمو من يقف حتى يرجع جميع ما ذكرت لكم ، ويأخذ الحق من الذين عملوا هاذا الفعل القبيح لأننا لانصبر على ذلك أبداً إلا واجب علينا نعرفكم بذلك ، فالله الله ثم الله في الجواب (٥) في القرب دخول الكتاب خروج الجواب ، وإنا ما ننتظر إلا ما عندكم فان انصفتم لنا من حقنا وعلمتم عمل الحق والشرعة فالذين عملوا هاذا الفعل القبيح فالحمد لله والعافية تبقيما على حالها ، وإلا فنحن مانصبر على ماجرا فينا أبداً ، ومن يوم عملنا مع خدامك العافية ما انصدر منا عيب قط وإذا رسلتم شرعكم (٦) فظهر له جميع ذلك ، ونحن نحب منكم تبعتمو قاضياً يكون قاعدا في آسف أبداً ، جميع ما كان يظهر له ولاكن بعد أن تأخذ جميع حقنا وتكون العافية بالقول والفعل والسلام على من اتبع الهدى .

رابع وعشرين من صفر عام ٩٣٢ هـ

(١) أرسل (قطاع الطرق) .

(٢) لهُو آثار جريمتهم .

(٣) ردوا جزء واستولوا على الباقي .

(٤) ينصفنا .

(٥) أجب دون تأخير - بمجرد وصول الخطاب أرسل الرد .

(٦) عد لكم .

الأصل في :

خطاب من مسعود بن الناصر الذي كان مع خاله احمد بن محمد الشيخ
الوطاسي حاكم فاس إلى الكونت دي لمارش حاكم أزموور

مورخ : أواخر ذى الحجة ٩٣٣ هـ (١٧ سبتمبر ١٥٢٧)

القند (١) المرفع دون طول (٢) قندى لمارش (٣) أكرمه الله

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيا بعده .

من عبد الله الراجي رحمه الله مسعود أصلح الله حاله وبلغه في الدنيا والآخرة
آماله إلى المكرم الأوجه الأرفع الأفضل الأكل الأوفى الأصنى الشجيع الكبير في
قومه دون انطنى ، قندى لمارش — أكرمه الله وأصلح حاله سلام عليكم ورحمة
الله — أما بعد يكون عندكم أن نحن على محبتكم واعتقادكم حتى يرث الله الأرض
ومن عليها ، وبعد قد وصلنا اليهودى ولا راينا منكم معه كتاب (٤) وكل ضتنا
نضن أن يجي الرسل من عندكم ولا تصرف لنا كتاب ما استعودنا منكم هذا شى (٥)
إنكم تنساو (٦) المحبة ، ونحن كتبنا للسلطان (٧) جواب كتابه مع إبراهيم الخزان
اليودى (٨) ونحن منتظرين جوابه ، وبعدن (٩) يجينا الجواب من عنده نصر فوا له
واحد من خدامنا إن شاء الله فكون بعلمك .

وكتب في أواخر الحجة عام ثلاثة وثلاثين وتسعمائة .

(١) الكونت .

(٢) D. Linhares

(٣) D. Antonio

(٤) لم يأت لنا خطاب .

(٥) الشىء .

(٦) تنساوا .

(٧) يقصد ملك البرتغال .

(٨) Ibrahim Ben Zammou

(٩) إن (ما) .

الأصل في :

خطاب من سكان ازموور إلى جيان الثالث (Jean III) يشكون من ظلم مندوبه ببلادهم وما يعانونه منه ويطلبون إقامة العدل .

مؤرخ : ازموور (في ٢٠ إبريل ١٥٢٩)

الحمد لله وحده الرى (١) دون جوان الله يعيشه (٢) من خدامكم مسلمين أزموور تقبل أقدامكم عن الخير والحمد لله. أما بعد مادخلنا بلادكم (٣) ولاخدمناكم إلا بأمان أبيكم وكانت نعمته علينا عامه (٤) ووفاه (٥) كبير ولاقط لحقنا في مدته غبن ، وخلفته أنت : مارأينا في أول مدة إلا الخير حتى صرفت (٦) لنا جورج (٧) دياجش كصر (٨) مزارقك (٩) الوافيه وخصر (١٠) أمانك انذى كان مثل أمان أبيكم أو أكثر منه وقلنا ما عندكم خبر حتا (١١) صرفت إلينا الكوجدور (١٢) فرحنا به فرحاً شديداً وقلنا زال عنا الباطل واتواترت أخبارنا ببلاد المسلمين جات منها اثنا عشر خيمه هاربت (١٣) إلينا ولو دام ذلك علينا ما يبق أحد نكوز في عمارة قوية في بلادك (١٤) ثم بعد ذلك بين الكرجدور حقناً وغرم منه جورج دياجش (١٥) لبعض منا حقاً كتر عليه الأمر قال ما نعزم شىء حتا (١٦) نبليغ للسلطان. ثم عند ذلك قال لنا

(١) الملك . Roi D.—Joao

(٢) يحفظه .

(٣) بلادكم !

(٤) كثيرة .

(٥) وفاؤه .

(٦) أرسلت .

(٧) Jorge Vugas

(٨) كسر (حطم) .

(٩) قاربك (الوفاق الذى كان بينه) .

(١٠) خسر .

(١١) حتى .

(١٢) أرسلت إل Corregedor

(١٣) جاءت حين أطمأنت على العدل والسلام .

(١٤) يعم الخير .

(١٥) ظهور الحق ضايق Jorge Vugas

(١٦) إلى أن نبليغ .

الكرجدور ، كتب ما أخذ لكم وأنا نبغله إلا بين يدي السلطان(١) كتبنا معه إليكم ،
وكنا نقول قبل هادا ما عندكم خبر حقاً أذاك الكرجدور بأخبارنا(٢) كلها وصرفت
لنا برأتكم فرحنا أيضاً فرحاً شديداً واتجازينا بتلك الرجال الذي اتاوه(٣) اليكم
وقلنا إذ سمعت كلامهم تعرف الغبن والباطل الذي نحن فيه الضر(٤) والأمر في
بلادك والآخر والأضر من بلاد الشريف ، والآخر والأضر من بلاد سلا(٥) ، قلنا
إذا سمعت كلامهم تعمل لنا الحق يرتعد(٦) به قلوبنا ، فلما بلغ إليكم ما عملتم(٧) منهم
شيء عرفنا أن الباطل كله منكم ، الله يجعل دنوبنا في رقبتكم(٨) وتعلمنا أكان نحن
أسار في بلادك عين لنا أضيافنا يطعمون الطعام(٩) نحن ضعنا من كل جهة بالأخذ
والأضر في بلادك وفي بلاد المسلمين ، ومضان الجوع(١٠) زرنا أكله الشريف
وتركنا للجوع ماقدرون على شيء ومتاعنا(١١) وأولادنا عباهم جورج دياجش ،
وايت(١٢) تعمل لنا الحق ، الله يعمل دنوبنا في رقبتك ، واد انت سلطان وقدرت
علينا السلطان الكبير أقدر منك(١٣) وإذا وفيت ماتوفي إلا لروحك(١٤).

أما نحن لا نحسبنا إلا مضيئنا والسلام

(١) ملك البرتغال .

(٢) بأخبارنا .

(٣) أتوا .

(٤) الضر .

(٥) ضرر من جهات متعددة من حاكك ومن الشريف ، ومن حاكم سلا .

(٦) نسعد به .

(٧) لم تعملوا .

(٨) يحمله ما يعانونه .

(٩) لو كنا أسرى (عبيد) عين لنا من يطعمنا كما يفعل مع العبيد .

(١٠) متنا من الجوع .

(١١) ما نملكه .

(١٢) رفضت .

(١٣) وإذا كنت تتباهى بقوتك فانه أقوى منك .

(١٤) ما تفعله من خير يعود عليك أنت .

الأصل في :

خطاب مولاي أحمد للملك جيان الثالث (Jean III) بخصوص شخص
إرتد عن الإسلام ومسائل أخرى .

مؤرخ في : ٢٣ ربيع الأول سنة ٩٣٦ هـ (٢٥ نوفمبر ١٥٢٩) .

المختار بين النصارى سلطان برتغل دونجوان .

الحمد لله وحده

من عبد الله تعالى أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العلمين (١)
سلطن مراکش المحروسة وأحوازها وحاحه وأحوازها ، وسوس وأقطارها ،
ودرعة وأعمالها وتوجرارين وما والاها ، ووادي نون وما قاربها — الشريف أيد الله
أمره وأعز بالتأييد المظفر نصره إلى ساطن برتغل دونجوان — أما بعد حمد الله تعالى
كلمة التوحيد وعزها بالعز المتقاس (٢) والتأييد . فقد ورد علينا كتابكم ، وفهمنا
ما ذكرتم فيه على أمر ابن بشتان فارس (٣) ووقفنا منه على شهادتكم إنه داخل في
دين النصرانية فلم نشك في شهادتكم بذلك ولا إتهمناكم فيه ، ولكن الذى هو الحق
في ديننا فيمن كان أمره كذلك أن يخرج من بلادكم ومن تحت أحكامكم بالأمان
من عندنا ويبيت مع وليه (٤) عشر ليال أو خمسة عشر فأى دين اختار في تلك المدة
يرجع إليه وهذا هو الحق (٥) . . . وأما قبطان اسنى فرنششك لبس (٦) لولا ما
سلف بيننا وبين القبطان غرسيد ميل (٧) من الغدر ما يكون بيننا وبينه إلا الخير لما
ظهر لنا منه من الركون إلى ما يصلح بيننا وبينكم ، كلما تعملون منه من الخير فهو
محله وقراره (٨) والله سبحانه يوقفنا إلى ما فيه صلاح الدنيا والدين .

وكتب اسبع بقين من ربيع الأول عام ست وثلاثين وتسعمائة عرفنا الله خبره
بمنه وكرامه .

كتب في التاريخ .

- (١) العالمين ، تعالى . (٢) الصفة المذكورة في الخطاب غريبة .
(٣) Ibn Bouchta ben Fares (٤) المولى = الأب بالنسبة للابن ، والأخ بالنسبة للأخت اليتيمة .
(٥) بعد ذلك له حق أن يمتنق أى دين . (٦) Francisco Iapes
(٧) Garcia de Mello (٨) في مكانه (صحيح) .
الأصل موجود في :

Archives Nationales de la Torre do Tombo - Casa dos Tratados - Documentos Arabes.

خطاب من محمد بن الحسن زنبق (قائد سلا) إلى قبطان مدينة أزمور .

مؤرخ : ٦ أبريل ١٥٣٠

الحمد لله وحده الفارس الماجد المعظم الحبيب الأصيل قبطان (١) مدينة أزمور
أنظن إليست (٢) من كاتبه لديكم محبتكم ، وعن توحش إليكم كثير ، عبد الله
وصيف (٣) مرلاى أحمد نصره الله — محمد بن الحسن زنبق (٤) عن الخير والحمد لله .
وقد بلغنا كتابكم وعلما ما فيه فيما ذكرت لنا وقد وصل إلينا الشيخ يحيى ابن
الديب والتقىنا معه فيما ذكرت لنا من حجة (٥) الصالح الذي سبق كتبنا لكم بثلاثين
يوماً من يوم كان خروج الشيخ يحيى ابن الديب ، فاعمل على ذلك وما ذكرت لنا
من حال أهل الغرب أن نوفيك منهم (٦) نحن أملك بل ما يوديك من أهل الغرب
بالأمان التام والله على ما نقول وكيل ، وشين (٧) عندنا من الكلام تشفى فيه من
كتاب يحيى ابن الديب ويكرن عمالك عليه ، والذي نركد عليه (٨) فيه إن وحد
الأسير هرب من محلة السلطان (٩) الله ينصره ونحب منك انهوا (١٠) هرب بزواج
الجوم أدى السلطان ، ونحب إذا وصل لعندكم تاخذ من عنده اللجوم واحد ذهب
وآخر نقرة (١١) ولا نحب ألا ترفع رقبتى بين قياد الغرب (١٢) وأنا قلت للسلطان الله
ينصره شين (١٣) مشا لأزمور يملك حتى بين يديك لأن أنا قلت للسلطان الله ينصره

(١) قبطان .

(٢) Antonio Leste

(٣) خادم .

(٤) قائد سلا .

(٥) المسائل المتعلقة بالصلح .

(٦) نوفيك باحضارهم .

(٧) عيب .

(٨) عليك .

(٩) سلطان فاس (أحمد الوطاسى) .

(١٠) أنه .

(١١) فضة .

(١٢) ترفع مكانى .

(١٣) بما أنه

من يوم مشا ورجالنا لأزمور عطينا لهم الأمن وشين هو في أزمور بحال (١) إن هو
 في سلا ولا نحب منك إلا ترفع بي مع السلطان نوف (٢) في كلام مع السلطان الله
 ينصره نهار ان يبلغ اكم ترصفه (٣) مع هادا الرفاتسه (٤) الذي أتوكم بكتوبنا
 حما (٥) يدرك السلطان هنا على حوزنا (٦) والله يكثر خيرك فيما عادت (٧) مع
 رجالنا وما صرفت (٨) لنا من الحوايج بلغونا الله يكثر خيرك والذي مرجت لنا من
 أبي سالم وغيره من المسادين ونحن جيران والخير ساف بيتنا ولا عندك إلا الخير
 وكل ما تكلأ (٩) من حاجة أكتب لنا فيها نصرته لك إن شاء الله وبوافرية (١٠) إذ
 جاتخبرنا به وكذلك المرأ (١١) إذا جات تعرفنا بها والسلام عليكم وبركاته .
 وكتب عبد مولى أحمد نصره الله محمد بن لحسن زنبق وسلم .

(١) طالما هو في أزمور كأنه في سلا .

(٢) نوفي .

(٣) تصرفها لي - ترسلها .

(٤) أصحاب المراكب .

(٥) حينما .

(٦) ما يملكه .

(٧) صحتها عملت .

(٨) أرسلت .

(٩) ما تحتاج إليه .

(١٠) بكثرة .

(١١) المرأة .

الآصل في :

الاتجاهات الأيديولوجية للوحدة الأفريقية

للدكتورة حورية توفيق مجاهد

أستاذ مساعد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة

تحتل الوحدة الأفريقية اهتماما خاصا في العلاقات بين الدول الأفريقية كأحد الأبعاد الهامة للسياسة الدولية الأفريقية . وعلى الرغم من كثرة ما قيل عن الوحدة الأفريقية إلا أنه لا يوجد هناك اتفاق في الرأي حول مفهوم محدد لها حيث أنها في الواقع لا تعبر عن مفهوم واحد بل عن مفاهيم متعددة واتجاهات مختلفة تباينت على مر السنين ومن دولة لأخرى ومن زعيم لآخر . وإن كان من الملاحظ أن الوحدة الأفريقية استخدمت للتعبير عن ثلاث اتجاهات رئيسية : فقد استخدمت أولا بالمعنى الواسع الذي يعنى وحدة الصف ومحاولة تحقيق التضامن بين ذوى الأصل الأفريقى وهو ما عرف باسم الجامعة الأفريقية Pan-Africanism أو التضامن الأفريقى أو بمعنى أدق التضامن الزنجى وهو ما ميزها في شكلها الأولى خارج القارة نفسها على وجه الخصوص (١) . وهناك من استخدم لفظ وحدة أفريقية ليعنى في جوهره بالتحديد الحكم الذاتى أو الاستقلال للشعوب الأفريقية جنوب الصحراء (٢) . ولكن الرأي الغالب في هذا الخصوص هو أن حركة الوحدة الأفريقية مرت بعدة مراحل وأن مرحلتها الوسيطة هي التي تمثلت في استخدامها كأداة لمحاربة الاستعمار والسعى لتحقيق الاستقلال وذلك في الفترة ما بين سنة ١٩٤٥ حتى بداية استقلال الدول الأفريقية ١٩٥٧ . أما الاتجاه الأساسى الأخير للوحدة الأفريقية فقد تمشى مع مضمون الكلمة وذلك منذ الاستقلال عن طريق بلورة هياكل تنظيمية تحقيقا للوحدة بين الدول الأفريقية المستقلة على مستوى القارة . وانفصلت الحركة تنظيما عن خارج القارة وبدأت القارة تشهد بلورة العديد من التنظيمات سواء الوظيفية أو السياسية تحت لواء الوحدة الأفريقية .

وللتعرف على الاتجاهات الايديولوجية للوحدة الافريقية يجب أن نبدأ من جذورها حيث ، انها كما أشرنا قد غيرت ثوبها عدة مرات وان كان الجوهر — هو روح التضامن والترابط الأخوي — قد ظل واحدا . ومن ناحية أخرى ، فانه بالرغم من كثرة الكتابات عن الوحدة الافريقية الا أن هناك القليل الذى حاول معالجة موضوع اتجاهاتها الايديولوجية . ومن ثم فإن هذا البحث سيركز على الاتجاهات الايديولوجية للوحدة الافريقية .

اولا — أهم الاتجاهات الايديولوجية المرتبطة بجذور الوحدة الافريقية :

بدأت حركة الوحدة الافريقية خارج أفريقيا — التى كانت تروح تحت نير الاستعمار — وتبلورت فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحالى . فقد بدأت فى الولايات المتحدة الأمريكية وجزر الهند الغربية فى شكل وعى عنصرى وحركة احتجاج بين القلة من الطليعة المثقفة من أصل أفريقى ومن سلالة من جلبوا من أفريقيا عن طريق تجارة الرقيق وذلك لتأكيد رابطتهم بأفريقية (٢) . وبتطور الحركة ، اكتسب الشعور العاطفى أبعادا ثقافية . فحركة الوحدة الافريقية فى أصلها ليست حركة سياسية بل هى حركة أفكار وعواطف . كأن الشعور أساسا هو الوعى العنصرى ممن اقتلعوا من جذورهم من أفريقيا ليعيشوا على هامش المجتمعات الأوروبية البيضاء مغربين عن أنفسهم مع ما صاحب الاقتلاع من الحاق صفة العبودية وفقدان الهوية والمساواة بالأوروبى والأبيض بصفة عامة . ولقد عبر « دياللوتلى » — أول سكرتير عام لمنظمة الوحدة الافريقية — عن البيئة التى نمت فيها الوحدة الافريقية بأنها ولدت « فى ظروف عاطفية تتميز بالغربة التامة والاستغلال البدنى والتعذيب الروحى » (٣) .

وعليه فهناك عدة مفاهيم ارتبطت بجذور الوحدة الافريقية (٤) وعلى رأسها مفهوم « الغريب والمنفى » « the alien & exile » الذى يعتبر من أهم الركائز العاطفية للوحدة الافريقية (٥) . فالشعور بالضيق فى الغربة فى العالم الجديد والحنين الى أرض الآباء والأجداد كانت وراء فكرة الوحدة الافريقية ووراء الاتجاه الراديكالى الثورى فيها الذى قاده ماركوس جارفى والمنادى بالعودة لأفريقيا . وقد ارتبط بالغربة وذكاها الشعور بالضعف .

فالوعى العنصرى ناتج عن اللون وقد ارتبط اللون بالاستعباد والذل والتألم . حقيقة أن العبودية في أوائلها في العالم الجديد لم تكن قاصرة على الأفريقيين السود بل ان البيض من الأوروبيين سبقوهم في الخضوع للرق في العالم الجديد ، ولكن ما لبث أن أصبح الرق بالنسبة للأفريقيين هو الظاهرة الشائعة وبذلك أصبحت الصفة مرتبطة باللون بصفة عامة . ويلاحظ أن صفة الرق والعبودية هذه لم تترك آثارها فقط بالنسبة لأبناء هؤلاء من المثقفين الذين ولدوا أحرارا ، بل ان البعض من الرواد الأوائل من دعاة فكرة الوحدة الأفريقية ولدوا أرقاء ، من ذلك Gustavus Vassa, Ottobah Cugoano وذلك في القرن الثامن عشر ، ومن ذلك أيضا « بوكرو واشنطون » الذى تتلمذ على يديه دكتور دى بوى وان كان ما لبث أن انشق عليه وهاجمه كما سيرد .

هذا الشعور بالضعف والوعى العنصرى كان أحد الأبعاد العاطفية لجذور الوحدة الأفريقية ، وكان من الطبيعى أن يرتبط به بعد آخر يناقضه وهو رفض الضعة ومحاولة تخلص الشخصية الأفريقية وأصحاب اللون الأسود من صفة العبودية التى ألحقها بهم ظلما الأوروبيون خدمة لمصالحهم . وعليه فمن أهم ما تضمنه مفهوم الوحدة الأفريقية من أسس هو الرغبة فى الاستقلال والحرية والهيبة والكرامة . ومن هنا كان التركيز على الشخصية الأفريقية والعمل على إبراز مميزاتها وكيانها واستقلاليتها ومحاولة إبراز الثقافة الأفريقية الأصلية وأحياء الماضى من قيم وتاريخ يفتخر به قبل مجيء الأوروبي وإبراز المزايا الخاصة بالزنج كالقدررة الموسيقية (٧) والرقص والايقاع والرياضة والقوة العضلية وغيرها . ومن هنا فقد ارتبط مفهوم الوحدة الأفريقية منذ البداية بالرغبة فى إقامة تميز مشترك بين المنحدرين من أصل زنجى وإيجاد شعور أكبر من التضامن وتحقيق الشعور بالوحدوية والانتماء السياسى بين الجماعات المتفرقة المقتلعة من جذورها مع بعضها البعض ثم مع أفريقيا .

كأن الوحدة الأفريقية فى جذورها الأولى كانت حركة ثقافية نامية عن وعى عنصرى مرتبط باللون هدفت بالدرجة الأولى الى مساواة ذوى الأصل الأفريقى الأسود بالأوروبيين البيض والى خلق تضامن أخوى مبنى على رابطة اللون (٨) . وعليه فيمكن القول بأن أساس الوحدة عند الطليعة الأوائل هو العمل ضد التفرقة العنصرية فقد كانت وحدة عنصرية أكثر منها وحدة أفريقية .

وقد بدأت الحركة في أصلها الأول كتعبير بسيط للتضامن الأخوي بين السود من أصل أفريقي في الولايات المتحدة الأمريكية وجزر الهند الغربية .

وبذلك فإن مفهوم الوحدة الأفريقية الذي زكى مفهوم الشخصية الأفريقية ارتبط في بعض المناطق الناطقة بالفرنسية في العالم الجديد بمفهوم « الزنوجة Negritude » التي تعنى قيمة السواد « the value of black-ness » والتي تعتبر صيحة عنصرية للرد على العنصرية البيضاء . هذه العنصرية جعلت مفهوم الزنوجة مرفوضا من الكثير من دعاة الوحدة الأفريقية التي ظلت حركة وعى عنصري لا حركة عنصرية (٩) .

وما دنا في مجال توضيح الأبعاد الأيديولوجية للوحدة الأفريقية في مرحلتها الأولى فربما يكون من المفيد توضيح أبعاد الوعى العنصري في هذه الحركة . فحركة الوحدة الأفريقية ظلت بصفة عامة حركة وعى عنصري لا حركة عنصرية . فهي لم تهدف الى سمو الزنوج على غيرهم من الشعوب والأجناس بل الدعوة الى المساواة بين الأجناس تأكيدا بأن روح الأخوة والتسامح من أهم مميزات الزنوج . وهي بهذا تختلف عن الحركات الوجدانية الأخرى كالتضامن الجرمانى أو السلافى التي تميزت بقيامها على أسس عنصرية . وقد عبر عن هذا بوضوح « جورج بادمور » الذى سعى بمفكر حركة الوحدة الأفريقية وأحد روادها حين أوضح أن « الوحدة الأفريقية ترفض كلا من العنصرية البيضاء والشوفينية السوداء . فهي تنادى بالتعايش العنصرى — بين العناصر — على أساس المساواة المطلقة واحترام الشخصية الانسانية » (١٠) .

وهناك الكثيرون الذين حاولوا اقران أو تشبيه حركة الوحدة الأفريقية في مرحلتها الأولى عندما كانت حركة وعى عنصري بالصهيونية (١١) . بل ان البعض ذهب الى تسمية حركة الوحدة الأفريقية « بالصهيونية السوداء » (١٢) وقد اطلقت هذه التسمية أكثر على الاتجاه الراديكالى المنادى بالعودة لأفريقيا والذى تزعمه « ماركوس جارفى » — الذى أطلق عليه البعض « موسى الأسود » . ولكن حتى « دكتور دى بوى » صاحب الاتجاه الاصلاحى المعتدل والمنادى بالتعايش بين الأجناس ومساواتها استخدمها أيضا . وقد عبر عن ذلك بقوله : « فالحركة الأفريقية تعنى بالنسبة لنا ما يجب أن تعنيه الحركة

الصهيونية بالنسبة لليهود ، وهو تركيز جهود عنصر والاعتراف بالخطوط العنصرية » (١٣) ولكن على الرغم من أن البعض يركز على هذا التشابه (١٤) على أساس أن كليهما مبني على عنصر وثناً خارج المكان الذي ينادى بالارتباط به ، إلا أن هذا الرأي يعتبر سطحياً . حيث أن الصهيونية كما أثبتت الأحداث حركة عنصرية بينما الوحدة الافريقية ظلت دائما حركة وعى عنصري (فالافريقيون في الحقيقة لا يكرهون البيض وليسوا بعنصريين) (١٥) . ومن هنا كان رفض الكثيرين لمفهوم الزنوجة الذي ينادى بقيمة السواد حيث يخشى من الرد على العنصرية البيضاء التي طالما عانوا منها بعنصرية مضادة . فالدعوة السائدة هي قيمة الانسان أيا كان لونه أو جنسه (١٦) .

وبما أن الهدف الأساسي للوحدة الافريقية في أصولها الأولى كان المساواة بين الافريقي الأسود والأوروبي الأبيض وتخليص الأول من صفة العبودية التي ألحقها به الثاني ، فمن الطبيعي أن ينتج عن هذا نتاج منطقي وهو المناداة بحق الافريقيين في أنفسهم وأراضيهم . ومن هنا كان مفهوم « أفريقيا للافريقيين » ، الذي بدأ كصيحة لا في أفريقيا التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار بل في أمريكا وأوروبا .

ولقد عبر « دكتور دي بوى » - الذي عرف باسم « أب الوحدة الافريقية » والذي قاد حركة الوحدة الافريقية قرابة نصف قرن من الزمان - عن طبيعة ارتباط الزنوج في العالم الجديد بفكرة الوحدة الافريقية وأسبابها حين قال : « عندما أقرر الى أفريقيا أسأل نفسي : ما الذي بيننا والذي يكون رابطة أشعر بها أكثر مما يمكنى شرحها ؟ أفريقيا بالطبع أرض الآباء ، ولكن لا أبى ولا أبو أبى رأى أفريقيا أبدا ولا عرف معناها أو اهتم بها إطلاقا . والرابطة الطبيعية ضعيفة ورابطة اللون ضعيفة نسبيا كرابطة ، ولكن الجوهر الحقيقي لهذا الانتماء تراثه الاجتماعي في الرق والتمييز والاهانة . هذا التراث يربط سويا لا مجرد أطفال أفريقيا ولكن يمتد خلال آسيا الصفراء الى البحار الجنوبية . ان هذه الوحدة هي التي تجذبني لأفريقيا » (١٧) .

ولكن اذا كانت حركة الوحدة الافريقية قد بدأت خارج أفريقيا كحركة وعى عنصري فمن هم روادها الأوائل ؟ وكيف انتقلت من العالم الجديد الى أفريقيا ؟ وما هي أبعادها الأيديولوجية في قلبها الافريقى ؟ •

ثانيا - الرواد الأوائل لحركة الوحدة الافريقية واتجاهاتهم :

في المرحلة الأولى للوحدة الافريقية ظهرت الكثير من الشخصيات التي تزعمت أو نادت بمفهوم الوحدة الافريقية بعضها تعارض بشدة مع الآخر وبعضها أكمل الآخر وهى على أى حال تمثل أبعاد مفهوم بل مفاهيم الوحدة الافريقية • وفي الواقع كانت هناك دوائر رئيسية نشطت في اطارها حركة الوحدة الافريقية في المنفى في العالم الجديد أولا ثم في أوروبا حتى انتقلت لأفريقيا وذلك في فترة ما بين الحربين •

وعلى الرغم أن من الشائع تحديد المرحلة الأولى للوحدة الافريقية ببداية هذا القرن أى ببداية بلورة جذورها التنظيمية ، الا أن لها تاريخا أوسع من هذا حيث تعود جذورها الى أواخر القرن الثامن عشر (١٨) • ومن الممكن تفهم هذا الاختلاف في أن حركة الوحدة الافريقية لم تتبلور كحركة الا في بداية القرن العشرين ولكن سبقت هذا مجهودات متعددة تبنها رواد أول لفكرة الوحدة الافريقية بمفهومها السابق توضيحه ، وان كانت تمثل جهودا فردية عرضية أى دون استمرارية الى حد كبير •

وقد يتساءل البعض عن السبب في بداية بذور التفكير في الوحدة الافريقية في أواخر القرن الثامن عشر بالذات • في الواقع في أواخر القرن ١٨ وفي ١٧٨٧ على وجه التحديد بدأت تحدث تغيرات بعيدة عن القارة الافريقية وان كانت تمس شريحة هامة من المنحدرين من أصل أفريقى أسود ممن جلبوا من القارة في ظل « مثلث تجارة الرقيق » مما أسهم بمرور الوقت في خلق « مثلث الأطلنطى » للوحدة والتضامن الافريقى (١٩) • ففي أمريكا كانت البداية الفعالة لالغاء الرق والنشاط المنظم للأفرو - أمريكيين الأحرار Free Afro-Americans أى المحررين من المنحدرين من أصل أفريقى والتي انتهت بإنشاء دولة ليبيريا فيما بعد • وفي بريطانيا كانت بداية انتفاضة الغاء

الرق أما في غرب أفريقيا فقد كانت النتيجة غير المباشرة لالغاء الرق انشاء سيراليون التي أسهمت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في تكوين الطليعة المثقفة في غرب أفريقيا البريطانية . كل هذه التغيرات أسهمت في ايجاد الطليعة الجديدة في العالم الجديد وفي أفريقيا تلك الطليعة التي ابتدعت مفهوم الوحدة الافريقية الذي ترجم في القرن العشرين الى انتفاضة سياسية وعمل (٢٠) .

وكان على رأس الرواد الأوائل لفكرة الوحدة الافريقية في القرن ١٨ كتاب مثل Ottobah Cugoana و Gutavus Vassa من العبيد الذين جلبوا لبريطانيا حيث علموا أنفسهم بأنفسهم وأصبحوا أحرارا هناك . وقد قام هؤلاء الرواد بتطوير مجموعة أفكار وتقاليد ثقافية مثلت أساس الوحدة الافريقية في القرن العشرين (٢١) .

وبعد هذا الجيل الأول حمل الأفرو - أمريكيون الأحرار في الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة رجال الدين منهم لواء حركة التضامن الأفريقي ابتداء من حوالي سنة ١٨٣٠ . وقد ظهر في النصف الثاني من القرن ١٩ بعض الرواد من أهمهم E.W. Blyden وهو من جزر الهند الغربية وان كان من القلائل الأوائل الذين عبروا الأطلسنطى لأفريقيا (٢٢) . فقد عاش معظم حياته في ليبيريا وسيراليون وقد كان هناك أن قابل أهم كتاب أفريقيا في تلك الفترة وهو J.A.B. Horton من سيراليون الذي نادى باصلاح الأوضاع الداخلية في المناطق المستعمرة حديثا في غرب أفريقيا خاصة ساحل الذهب (٢٣) .

ومن أهم كتاب الطليعة الافريقيين ان لم يكن أهمهم هو J.E. Casely Hayford وهو محام من ساحل الذهب اعتبره جورج بادموور أبا للوحدة الافريقية من قبل دي بوى (٢٤) . وقد نادى هايفورد بالدعوة لفكرة اقامة اتحاد للمناطق البريطانية في غرب أفريقيا وذلك منذ سنة ١٨٩٦ . كما نادى بالألا يكون هناك ضرائب بدون تمثيل للافريقيين في المجلس التشريعي بأنفسهم وضرورة المساواة في شغل الوظائف وبالاقتراع العام على أساس المساواة أى أنه باختصار رفض أبدية الاستعمار ونادى بالمساواة والحكم الذاتي مع استمرار الولاء للتاج البريطاني (٢٥) . أما في الولايات المتحدة الأمريكية فان من ألمع الأسماء في تلك الفترة Martin R. Delany الذي كان الأب الحقيقي لفكرة العودة

الاختيارية لأفريقيا — تلك الآراء التي تبناها من بعده ماركوس جارفى — وذلك بهدف بناء دولة حديثة على أرض أفريقيا والتخلص من الاستعمار الأوروبي (٣٦) . وقد سافر فى رحلة الى أفريقيا فى ٢٤ مايو ١٨٥٩ وزار ليبيريا من يوليو — أغسطس ١٨٥٩ ووصل الى ليجوس . كما عمل رئيسا لتحرير «The Mystery» وكرسها لآرائه هذه (٣٧) .

أما أول من استخدم اصطلاح الوحدة الأفريقية أو الجامعة الأفريقية Pan-Africanism وعبر عن فكرتها ودعا لها فى هذا القرن فهو سيلفستر ويليامز H. Sylvester Williams (٣٨) وهو محام من ترينداد أقام وعمل فى لندن (٣٩) . وقد عقد ويليامز علاقات وثيقة من ناحية مع بعض الأوروبيين خاصة من أعضاء المجموعة الفابية فى بريطانيا حيث كان عضوا بها ، ومع الأفريقيين فى بريطانيا حيث عمل مستشارا قانونيا لهم متخصصا فى المسائل الزراعية التى كان لها أهمية كبيرة عند بداية استيطان الأوروبيين كما كان مستشارا للزعماء الباتو من أفريقيا الوسطى حيث كانت الأراضى القبلية تحت التهديد بالاستيلاء من المهاجرين البوير وشركة سيسل رودس كما قدم أيضا مساعداته لزعماء الفاتى حيث سعى حاكم ساحل الذهب فى عهد سير ويليام ماكسويل لتحويل الأراضى القبلية الى ملكية تاج . وقد أعطى ويليامز اهتماما خاصا للأوضاع فى جنوبى أفريقيا خاصة التفرقة العنصرية . وفى سنة ١٨٩٧ أسس « جمعية الوحدة الأفريقية » وهى أول جمعية من نوعها فى العالم وقد وصل عدد أعضائها سنة ١٩٠١ الى ٥٠ شخصا من أصل أفريقى و ١٥٠ من أصل أوروبى (٣٠) . ولقد أعطى لها دستورها « مهمة أن تؤمن للأفريقيين والمنحدرين عنهم فى العالم حقوقهم المدنية والسياسية الحقيقية ، وأن تحسن ظروف اخوتنا المضطهدين فى القارات الأفريقية والأمريكية والأجزاء الأخرى من العالم وذلك بتنمية الجهود لضمان التشريع الفعال ، وتشجيع شعبنا فى المؤسسات التعليمية والصناعية والتجارية ، وتقوى علاقات الصداقة بين الأجناس القوقازية والأفريقية ، وتنظم مكتبا يكون بمثابة مستودع لجمع الكتابات المعتمدة والاحصائيات المرتبطة بشعبونا فى كل مكان ، وأن تقوم بحملة لجمع الأموال لتستخدم فقط لتحقيق تلك الأهداف » (٣١) . وقد دعا سيلفستر ويليامز لأول

مؤتمر للوحدة الافريقية من ٢٣ - ٢٥ يوليو سنة ١٩٠٠ ذلك المؤتمر الذى أتاح الفرصة لظهور امكانيات دكتور دى بوى الذى حصل لواء الوحدة الافريقية من بعد وليامز الذى بدأت جهود حركة الوحدة الافريقية التى نظمها تأفل بعد المؤتمر المذكور بقليل . فقد عاد وليامز الى ترينداد بعد المؤتمر لانشاء فروع لجمعية الوحدة الافريقية الأمر الذى لم يلق نجاحا ثم سافر الى جنوب أفريقيا وعمل بالمحاماة هناك فكان أول شخص زنجى يقوم بذلك وفى نفس الوقت كرس جهوده لمناهضة التفرقة العنصرية هناك . وعاد الى وطنه وما لبث أن توفى سنة ١٩١٣ (٣٢) .

وتمثلت أهم زعامات الوحدة الافريقية من بعد أول من نادى بمفهومها أى سيلفستر ويليامز فى كل من دكتور دى بوى William E. Burghard N Du Bois الذى تزعم مؤتمرات الوحدة الافريقية من بعد ويليامز والذى أعطى للحركة اطارها التنظيمى ووسع مجالها والذى عرف باسم « أب الوحدة الافريقية » - ومنافسه وغريمه ماركوس جارفى Marcus Aurelius Garvey الذى قاد حركة شعبية فى الولايات المتحدة الأمريكية بين الزوج بعد الحرب العالمية الأولى وعرف « بالمسيح الأسود » . ولعل من المفيد عقد مقارنة بينهما حتى يمكن التعرف على طبيعة اتجاهاتهما الأيديولوجية حيث مثلا اتجاهين أساسيين ومتناقضين فى النظر للوحدة الافريقية (٣٣) .

تميز دكتور دى بوى بالارستقراطية فى أفكاره وتصرفاته (٣٤) وقد قال بنفسه عن نفسه « ان زعامتى كانت زعامة أفكار فقط . اننى لم أكن أبدا ولن أكون أبدا شعبيا » (٣٥) . وقد كانت كتاباته موجهة لطليعة مثقفة من السود وقد كان شاغله الشاغل هو المساواة فى الحقوق السياسية بين البيض والسود (٣٦) وقد ذكر بنفسه أنها ليست حركة اتصالية (٣٧) فلم يهدف الى الدعوة للعودة لأفريقيا بل هدف الى استيعاب السود فى المجتمعات التى يعيشون فيها وأخضع هذا الهدف لمفهومه عن الوحدة الافريقية . وقد عبر عن رأيه فى مؤتمر سنة ١٩٠٠ بأن فاصل اللون سيكون المشكلة الرئيسية فى هذا القرن ولكنه رأى أن جبهة القتال ليست فى أفريقيا أو فى جزر الهند الغربية بل فى الولايات المتحدة الامريكية . وقد كان من أهم مبادئه عدم العنف .

وعلى خلاف دي بوى كان ماركوس جارفى شديد الشعبية والجاهورية^(٣٨) واعتبر بمثابة مسيح أسود ولم تكن آراؤه متقبلة من المثقفين الذين لقي منهم ومنذ البداية العداء والهجوم الشديد ، وكان على رأس مهاجميه دي بوى • وقد كرس جارفى حياته لهدف أسمى فى مفهوم عن الوحدة الأفريقية وهو حركة العودة لأفريقيا «Back to Africa Movement» — التى واجهت معارضة شديدة من الدول الاستعمارية ومن الولايات المتحدة الأمريكية^(٣٩) • كما نادى بالكثير من الأفكار التى ترفض الاستيعاب وترمى الى إبراز التميز والاستقلالية وليست المساواة العنصرية فقط بل التفوق العنصرى من جانب السود • وحيث آمن بأنه من الناحية الواقعية لا يمكن أن يحصل السود على المساواة فى مجتمعات بيضاء • اذن هى حركة عنصرية تهدف للرد على العنصرية البيضاء وهى فى قلبها العنصرى هذا تقترب من الصهيونية خاصة فكرة ارتباطها بالأرض والعودة لوطن منشود والتى تبنتها كل منهما • وقد استطاع جارفى أن يجمع الطائل من الأموال لتسويل مشاريعه ولكن فى النهاية أفلست « شركة النجمة السوداء للملاحة » التى كان يهدف من وراء انشائها نقل الزنوج من أمريكا الى أفريقيا • كما أن فى مشاريعه التى سعى لتحقيقها اقامة مؤسسات تجارية وصناعية تنتشر فى العالم يمتلكها ويديرها الزنوج •

وحيث أن حركة دي بوى كانت اصلاحية محضة وأراد تحقيق المساواة فقط والاستيعاب ولم ينشد الانفصال أو الانشقاق ، فقد قام بالتعاون مع الليبراليين البيض المعادين للتمييز العنصرى والسود المعارضين لبرنامج بوكر واشنطن — الداعى السود للبحث عن الخلاص فى كل ما يمكن أن يشتري بالمال وترك فكرة المساواة بالبيض أى تقبل التفرقة العنصرية وعدم الثورة على الوضع القائم بل مجرد اصلاحه بما يرفع مستوى معيشة السود بقدر الامكان^(٤٠) • وكانت نتيجة هذا التعاون أن أنشئت « الجمعية القومية لتقدم الشعوب الملونة NAACP »^(٤١) سنة ١٩٠٩ وهى الجمعية التى مازالت من أهم جمعيات الزنوج فى الولايات المتحدة الأمريكية حتى الآن • وقد مثل دي بوى الروح بالنسبة لها وعمل رئيسا لتحرير مجلتها الأزمة «The Crisis» التى أنشئت سنة ١٩١٠ لنحو ٢٣ عاما • وقد بنى دي بوى رأيه على وعى

بالروابط الشديدة بين حل المشكلة السوداء في الأمريكتين وأفريقيا تحت السيطرة الاستعمارية (٤٢) .

أما جارفي فكونه هدف الى حركة العودة لأفريقيا وعدم اندماج الزنوج في المجتمعات التي وجدوا بها ، فقد قام بإنشاء « الجمعية العالمية لتقدم الزنوج UNIA » (٤٣) بهدف توحيد كافة السود في شعب واحد . وقد استطاع بالفعل أن يضم لها نحو ٢ مليون عضو في فروعها الثلاثين المنتشرة في الولايات المتحدة الأمريكية . كما أنشأ كنيسة خاصة بالسود : هي « الكنيسة الأورثوذكسية الأفريقية » (٤٤) . وقد ارتبطت هذه الخطوة بانتشار الكنائس المنشقة في أفريقيا (٤٥) . وقد قام جارفي بنشر جريدة « العالم الزنجي » كما نظم جهاز عيادات الصليب الأسود . واقترح إنشاء « بيت أسود » في معارضة « البيت الأبيض » في واشنطنون ينتخب لرؤاسته زنجي مرة كل ٤ سنوات كما أعلن عن ضرورة قيام دولة زنجية كبيرة في أفريقيا لتكون وطنا لكل الشعوب السوداء . وقد أعلن نفسه رئيسا مؤقتا للجمهورية الأفريقية – للولايات المتحدة الأفريقية – وذلك في اجتماع الجمعية المذكورة أتها سنة ١٩٢٠ في هارلم بنيويورك في شكل مؤتمر دولي . ومن الملاحظ أن جارفي قد حاول بالفعل إنشاء مستعمرة للزنوج الامريكيين في ليبيريا ولكن القنصل العام لليبيريا في بلتيمور في الولايات المتحدة الأمريكية أعلن أنه خول سلطة التصريح بأن أى شخص أو أشخاص يحاولون ترك الولايات المتحدة الأمريكية الى ليبيريا تحت رعاية جارفي لن يسمح لهم بأن تطأ أقدامهم أرض جمهورية ليبيريا (٤٦) هذا وقد ذهب جارفي في ثورتيه الى حد التطرف حيث تعاون مع الجمعية البيضاء الارهابية « Ku Klux Klan » التي هدفت الى التخلص من السود وبذا اتفقت معه في الاستراتيجية وأن اختلفت معه في التكتيك . وكان هذا التعاون من أهم عوامل اضعاف حركته .

وعلى عكس دي بوى الذى كانت حركته اصلاحية فان جارفي كانت حركته سياسية واضحة ، وقد آمن بالثورية والعنف ، ومما نادى به « لا القانون ولكن القوة ، لا العدالة ولكن السلطة » . كما أعلن بفخر بعد مجيء موسولينى للحكم : « انتى كنت أول الفاشيين » (٤٧) ولم يتردد في الدعوة للعنف ضد

السود الذين يعارضون برنامجه ، وعليه فقد قامت معارك في الشوارع بين مؤيديه ومعارضيه . وقد عرف بصفة عامة بالديماجوجية والشعبية الكبيرة (٢٨) ليس فقط في الولايات المتحدة الأمريكية بل في أفريقيا نفسها حيث انتشرت في نيجيريا وساحل الذهب وسيراليون أخبار آرائه وأفكاره . ولقد قال عنه كوامي نكروما فيما بعد بأنه تأثر بأفكار ماركوس جارفى وكتابات أكثر مما تأثر بأى شئ آخر في الولايات المتحدة الأمريكية (٢٩) . ويرى البعض أن أهم تأثيراته الخاصة على الوحدة الأفريقية قد تكون تأثيره على أفكار نكروما الذى قاد حركة الوحدة الأفريقية بعد الاستقلال (٣٠) .

ويضاف الى مايندى بوى وجارفى من اختلافات الاختلاف بينيهما فى مواجهة الحركة الشيوعية ، تلك الحركة التى تبلورت بعد الثورة البولشفية الشيوعية فى روسيا سنة ١٩١٧ والتى جذبت لأفكارها الكثير من الزعماء الأول لحركة الوحدة الأفريقية فى مطالبتهم بالمساواة مع البيض وعدائهم للتفرقة العنصرية ومعاتاتهم منها . فكل من الماركسية والوحدة الأفريقية فى مرحلتها الأولى هذه مثل حركة احتجاج الأولى على أساس طبقى والثانية على أساس عنصرى ومن الطبيعى أن يكون هناك تقارب عاطفى بينهما على الأقل للوهلة الأولى أو للنظرة السطحية .

فبالنسبة لجارفى فقد عارض الشيوعية العالمية منذ البداية وهاجمها ولم ينضم فى أى وقت الى الحركة الشيوعية ولا الى الأحزاب الاشتراكية فى أمريكا وهو ان كان ثوريا ويؤمن بالتغير الا أنه كان « قوميا أفريقيا » ولم يؤمن بالفلسفة الماركسية ولا بالانتماء للحركة العالمية وكان موقفه قويا وواضحا ولا يدع مجالا للبس . أما دى بوى فهو يختلف كثيرا عنه وعلاقته بالحركة الشيوعية تدع مجالا للبس والجدال حول ما اذا كان ماركسيا أم لا ؟ فبعد الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ أبدى دى بوى إعجابه بالتجربة وبتعايش الأجناس والألوان والقوميات فى الاتحاد السوفيتى الذى زاره سنة ١٩٢٦ . ومع تأثره بالأفكار الماركسية الا أنه وللنهاية لم يؤمن بفكرة صراع الطبقات وكان هذا موضع خلاف عميق بينه وبين الشيوعيين الأمريكين حيث رأى أنه لا تحالف طبقى بين العمال السود والبيض فى أمريكا حيث هناك عنصرية من جانب الأخيرين فى مواجهة الأول تتضح فى عدة مجالات منها رفضهم الانضمام

للقابات العمالية ولقد بلغ من هجوم الشيوعيين عليه وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية في العشرينيات ، أن أطلق عليه « البورجوازي الصغير » ونفس الشيء على حركة الوحدة الافريقية التي نادى بها (٥١) . وفي أخريات أيامه سافر الى الصين والاتحاد السوفيتي الذي ظل متأثرا بتجربتهما . وقد بدا هذا التأثير واضحا من رسالته التي حملها زوجته — الى المؤتمر الأول للشعوب الافريقية في أكرا في سنة ١٩٥٨ — حيث كان يقيم في الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت ولكن أقعده كبر سنه — والتي أوضح فيها معالم تطور حركة الوحدة الافريقية وناشد فيها التمرين بأن : « يضعوا عليهم الأثواب الجميلة لاشتراكية الوحدة الافريقية وأن يعرفوا أن رابطتهم بعالم البيض أقرب للشيوعيين لا للغرب » (٥٢) .

وفي أواخر أيامه اكتسب دي بوي الجنسية الغانية حيث مات ودفن هناك في أغسطس سنة ١٩٦٣ وهو يعد بالاشتراك مع زوجته دائرة معارف للعالم الأسود . أما جارفى فقد مات في المنفى في لندن سنة ١٩٤٠ منسيا وفقيرا بعد أن قضى عليه وعلى حركته الحكم عليه بالسجن خمس سنوات سنة ١٩٢٣ في الولايات المتحدة الأمريكية بعد افلاس شركته بدعوى التدليس والتي أبعد بعدها عن الولايات المتحدة الأمريكية . وقد مات جارفى دون أن تطأ قدمه أرض أفريقيا وهو الحلم الذي أضاع حياته من أجله .

وأخيرا يمكن القول بأن كلا من « دي بوي » « وجارفى » ترك بصماته على حركة الوحدة الافريقية : فالأول أعطاها اطارها التنظيمي في شكل مؤتمرات الوحدة الافريقية التي نظمها ابتداء من سنة ١٩١٩ . ومن أهم انجازاته أنه وضع محدودية الطليعة من الأمريكيين السود في اطار واسع من الوحدة الافريقية وقد نجح في استراتيجيته الرامية الى نقل فكرة الوحدة الافريقية الى أفريقيا نفسها عن طريق الطليعة الجديدة من الافريقيين أنفسهم وما تزال كثير من أفكاره حية أما الثاني فعلى الرغم من فشله في تحقيق هدفه (٥٣) فإن له الفضل في جعل الجماهير الزنجية في الولايات المتحدة الأمريكية تعي بأصلها خالقا فيها روح التضامن كما يرجع اليه الفضل في اعطاء الأبعاد السياسية لمفهوم الوحدة الافريقية .

ويمثل « جورج بادمور » *Georgo Padmore* أهم الزعامات التي ظهرت من بعد « دي بوى » وهو من جزر الهند الغربية ^(٥٤) — ترينداد — وقد حمل لواء الوحدة الافريقية والدعوة لها من بعد « دي بوى » وعرف باسم مفكر الوحدة الافريقية ^(٥٥) وأهم ما يميز « جورج بادمور » هو موقفه من الحرية الشيوعية . فقد كان في بادئ الأمر من أهم المتحمسين لها والمنضمين الى صفوفها وقد حاول أن يجد قاعدة تنظيمية للوحدة الافريقية في الحركة الشيوعية العالمية وكان قد غادر الولايات المتحدة الامريكية بعد اضراب في الجامعة التي كان بها الى الاتحاد السوفيتي حيث فتحت له الأبواب وقد لعب دورا نشيطا في مكتب الزوج الخاص بالنقابات العمالية المرتبطة بالكومنترن وهو البروفيترن ^(٥٦) . الى جانب أنه انتخب لسوفيت مدينة موسكو حيث كانت مهمته استقبال الضيوف الانجليز . ولكن بادمور شأنه شأن الكثيرين انشق على الحركة الشيوعية العالمية وأصبح من أهم مهاجميها وذلك في سنة ١٩٣٥ . وفي أهم كتاباته « الوحدة الافريقية أم الشيوعية ؟ » الذي نشر سنة ١٩٥٦ اعتبر الشيوعية البديل الايديولوجي للوحدة الافريقية . وقد حذّر منها على حركة الوحدة الافريقية حيث اعتبرها وسيلة في يد البيض لتؤكد تفوقهم على السود . كما رأى أن الوحدة الافريقية هي البديل الايديولوجي لكل من الشيوعية والقبلية ^(٥٧) . ومن أهم ما نادى به « جورج بادمور » مبدأ أفريقيا للافريقيين والوعي بالوحدة الثقافية الافريقية لاقامة ولايات متحدة افريقية ^(٥٨) . وتعتبر آراؤه من أهم الأسس الايديولوجية التي ميزت الوحدة الافريقية في شكلها الأخير بعد الحرب العالمية الثانية . ولقد نشط بادمور في مؤتمرات الوحدة الافريقية خاصة مؤتمر مائسستر سنة ١٩٤٥ حيث مثل أهم زعامات مثقفي جزر الهند الغربية وتدعمت العلاقات بينه وبين كوامي نكروما وقد عمل بالفعل مستشارا له لشئون الوحدة الافريقية وذلك حتى وفاته في سنة ١٩٥٩ .

هذا وقد بدأ يظهر الرعيل الثاني من رواد حركة الوحدة الافريقية وزعمائها وذلك نتيجة لمجهودات الطليعة الأولى : فبينما كان الأول بالدرجة الأولى من المنحدرين من أصل أفريقي من الأفرو — أمريكيين ومن جزر الهند الغربية ، كان الآخرون من الافريقيين الدارسين في الخارج . فكلا الفريقين من

المثقفين في الثقافة الأوروبية ، وكلاهما من أكثر العناصر تحركاً من الناحية الاجتماعية وشعوراً بعدم الاستيعاب والمعاونة من العنصرية والتفرقة ضدهم في مجتمعات شعروا فيها بالغربة نتيجة اللون . وأخيراً فينما الأول قادوا حركة الوحدة الإفريقية كحركة ثقافية بالدرجة الأولى خارج القارة فإن الآخرين مثلوا حلقة الوصل بينها كحركة خارجية وحركة مقاومة للاستعمار ومن ثم الاستقلال - أي على أيديهم انتقلت إلى حركة سياسية في القارة نفسها .

ومن أهم الشخصيات التي برزت من هذا الرعيل الثاني الإفريقي من حملوا لواء الوحدة الإفريقية دكتور تنامدي أزيكوي ودكتور كوامي نكروما . فالأول نادى بحركة الوحدة الإفريقية كحركة ثقافية وذلك قبل أن يصبح زعيماً قومياً في بلده نيجيريا . وقد نادى بالنهضة الثقافية للرجل الإفريقي وأكد سنة ١٩٣٧ أن إفريقيا القرن العشرين وإفريقيا سيكونون عاملاً يجب أخذه في الحسبان كما أكد بأن أفريقيا تمثل وحدة واحدة وأن أساس هذه الوحدة ثقافي (٥٩) . أما دكتور كوامي نكروما فقد حمل بحق لواء الوحدة الإفريقية منذ استقلال دولة غانا وقد ارتبط اسمه بها وكرس جهده للمناداة بالوحدة السياسية القارية الفورية في أفريقيا . وذلك كما سيرد توضيحه .

هذا ولم تكن حركة الوحدة الإفريقية في بدايتها قاصرة فقط على الناطقين بالإنجليزية فقد كانت هناك دائرة من الناطقين بالفرنسية وذلك في المناطق الفرنسية سواء في باريس أو العالم الجديد . وكان على رأس هؤلاء داماس Leon Damas وليرو Etienne Léro وفيما بعد إيمي سيزار وهو من جزر الهند الغربية الذي ارتبط به مفهوم « الزنوجية » السابق توضيحه وقد عبر بطريقة ملحمية (شعرية) قبل سنة ١٩٣٠ عن فكرة الزنوجية كصيحة .

وقد قام جماعة من الطلبة الكاريبيين سنة ١٩٣٢ بإنشاء جريدة « الدفاع الشرعي L'Égite Défense » التي تاهضت الاستيعاب الثقافي من جانب فرنسا في المناطق التابعة لها والتي تشغلها الشعوب السوداء . وكان هؤلاء الطلبة في الغالب من اليساريين وقربيين من الحركة الشيوعية التي شاركوها في معارضة العنصرية والمجتمع البورجوازي . ولكن وكما كان الحال بالنسبة

لدائرة دي بوى كان اهتمامهم الأكبر هو تأكيد القيم الافريقية وشرعية الثقافة الافريقية وأصالتها (٦٠) . كأنها كانت هي الأخرى حركة ثقافية لا سياسية .

أما « جون برايس مارس (٦١) Jean Price Mars » فقد كان من أهم رواد الوحدة الافريقية من الناطقين بالفرنسية عندما كانت حركة ثقافية قبل أن تصبح حركة سياسية . وقد كتب الكثير من المقالات واعتبرت كتاباته من زاوية الوحدة الافريقية ثورية في وقته . وقد أكد على وجود حضارات زنجية في أفريتيا ذات عظمة وقوة ونادى بإعادة اكتشاف أفريقيا وشعوبها ومدنيتها بل ان من آرائه أصالة وتفوق الجنس الافريقى . وقد تأثر ليوبولد سنجور عندما كان طالبا في السوربون بأفكار مارس، وبدأ يفكر في مشكلة بعث الثقافة في افريقيا السوداء (٦٢) . ويعتد « سنجور » من أهم شخصيات الرعيل الثانى من زعماء حركة الوحدة الافريقية في المناطق الناطقة بالفرنسية ولكنه على خلاف نكروما نظر اليها نظرة ثقافية بلورها في اطار مفهومه عن « الزنوجة » (٦٣) .

هذا ولم تكن دائرة الناطقين بالانجليزية ودائرة الناطقين بالفرنسية منفصلتين تماما بل ربطت بينهما مجموعة ثالثة تمثلت في الزوج الأمريكىين الداعين للنهضة الزنجية الذين تأثروا بأفكار دي بوى والذين جذبتهم باريس في العشرينيات واشتركوا في عدم الرضا عن العالم البورجوازى وعملوا على البحث عن الحرية البشرية في الحرية الفنية (٦٤) . وعليه ففى هذه الفترة يلاحظ أن الزوج الأمريكىين والكاريبين والكتاب الافريقين في المناطق الفرنسية أعادوا سويا اكتشاف أفريقيا (٦٥) .

بالإضافة الى هذا فقد اشترك القلة من المثقفين من المناطق الخاضعة للسيطرة الفرنسية في بعض مؤتمرات الوحدة الافريقية خاصة مؤتمر مانشستر . كما عمل نكروما منذ ذلك المؤتمر على تدعيم علاقاته مع بعض الشخصيات التى برزت فيما بعد خاصة ليوبولد سنجور ، وهوفوى بونيه وايشى الذين أصبحوا رؤساء لدولهم السنغال وساحل العاج وداهومى – على التوالى – بعد الاستقلال .

ومن الآثار الهامة في الدعوة لحركة الوحدة الافريقية بمضمونها الثقافي بين أوساط المثقفين من المناطق التي كانت تحت السيطرة الفرنسية مجهودات مجلة « الوجود الافريقي Presence Africaine » التي أنشئت سنة ١٩٤٧ والتي أنشأها أحد شباب الطليعة من السنغاليين وهو M. Alioune Diop وقد أخذت تلك المجلة على عاتقها تكملة الطريق الذي بدأه دي بوى ومؤتمرات الوحدة الافريقية (٦٦) وهي تركز على الثقافة الزنجية وابرار الشخصية الافريقية وابعاد الوحدة الافريقية . وكان لها تأثيرها على حركة الوحدة الافريقية من خلال ما قامت بنشره خاصة ما تعاق بالارتباط التاريخي بين مصر وأثيوبيا وأفريقيا .

وقد استطاعت مجلة الوجود الافريقي أن تنظم سنة ١٩٥٧ — بعد كثير من المجهودات — المؤتمر الدولي للكتاب والفنانين السود ، الذي حضره ستون مندوبا من بينهم ليوبولد سنجور وجون برايس مارس وايمي سيزار . ومع أن هذا المؤتمر كانت أبعاده ثقافية تتعلق بعالمية الثقافة السوداء وركز على الوحدة الزنجية أكثر منها على الوحدة الافريقية الا أن المؤتمر التالي الذي عقد في روما سنة ١٩٥٩ كانت أبعاده سياسية واضحة حيث اتخذ قراره الخاص بالاستقلال والوحدة الافريقية وكذلك الاعلان الذي اتخذ مبادرته الرئيس سيكوتوري بادانة القهر الثقافي لفرنسا في أفريقيا . وقد تقرر في هذا المؤتمر تكوين جماعات في كل مكان بين الجماعة الزنجية لتشرح للعالم قيم وأصالة الثقافة الزنجية (٦٧) .

ثالثا - المؤتمرات الأولى للوحدة الافريقية واتجاهاتها الايديولوجية :

منذ المؤتمر الأول للوحدة الافريقية الذي عقده سيلفستر ويليامز نما تدريجيا الاطار التنظيمي للوحدة الافريقية وتبلورت مفاهيمها وأبعادها وبدأت تغرس هذه الأفكار في الطليعة من الافريقين أنفسهم الموجودين بالولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الذين غرسوها بدورهم في القارة الافريقية منذ ذلك الوقت . وقد غيرت الحركة ثوبها من ١٩٠٠ الى ما بعد الحرب العالمية الثانية .

فقد كان أساس الوحدة عند الطليعة الأوائل هو العمل ضد التفرقة العنصرية وعليه بدأت كحركة وحدة عنصرية أكثر منها وحدة افريقية . ولكن بدأ الاهتمام بشئون القارة نفسها يتبلور تدريجيا بعد أن كان هامشيا . وبدأت الحركة نفسها تتطور من حركة ثقافية الى حركة سياسية . كما بدأ يظهر بوضوح أن المؤتمرات التي سيطر عليها في الدرجة الأولى منذ البداية الطليعة من الزنوج الأمريكيين ومن جزر الهند الغربية ، بينما كان الافريقيون المشتركون يمثلون استثناء ، انتهت في مؤتمرها الأخير في مانشستر بأن أصبحت كلية تحت سيطرة الطليعة من الافريقيين من المثقفين في الخارج والتي لمعت منهم كثير من الشخصيات لتصبح زعامات سياسية في أفريقيا فيما بعد كما سبق توضيحه . كما يلاحظ أخيرا أن مركز الثقل في الدعوة للوحدة الافريقية انتقل تدريجيا من الولايات المتحدة الأمريكية - حيث لم يلق دعائها فيما بعد التأييد وأصبحوا تحت ضغط من السلطات خوفا من تغفل أفكار هدامة وشيوعية بينهم كما فقدوا التأييد المادي - الى أوروبا ومنها الى أفريقيا على يد الطليعة من الافريقيين الدارسين والعاملين في الخارج . وهذا هو مضمون ما يطلق عليه « مثلث نفوذ الاطلنطي » (٦٨) في الدعوة لفكرة الوحدة وانتقالها من العالم الجديد الى أوروبا ومنها الى أفريقيا .

أى باختصار يمكن القول بأن حركة الوحدة الافريقية منذ تطورها حتى سنة ١٩٤٥ كانت حركة بواسطة الطليعة المثقفة من ذوى الأصل الافريقى في خارج أفريقيا من أجل المساواة العنصرية أولا وأصبحت حركة بواسطة الافريقيين من أجل الافريقيين وتوحيد أفريقيا وفي أفريقيا نفسها .

وقد نما الاطار التنظيمى لحركة الوحدة الافريقية في ظل مؤتمرات الوحدة الافريقية التي بدأها سيلفستر ويليامز بمؤتمر سنة ١٩٠٠ . فقد قامت « جمعية الوحدة الافريقية » التي أنشأها سيلفستر ويليامز - وقد سبق الإشارة اليها - بعقد أول مؤتمر للوحدة الافريقية . وقد ارتبط التوقيت للمؤتمر بالمعرض الدولى بباريس - حيث من الطبيعى لم يكن هناك الكثير من الزنوج الذين يستطيعون تحمل نفقات المؤتمر وحده . وقد تضمن أول تصريح عن النية في عقد المؤتمر من قبل الجمعية المذكورة توضيحا للدافع

الذى عقد من أجله وهو أنه نتيجة للجهل المنتشر بشدة في إنجلترا عن معاملة الأجناس الوطنية في ظل الحكم الأوروبي والأمريكى فإن الجمعية الافريقية التى تتكون من أعضاء من الجنس المقيمين في إنجلترا ، والتي أنشئت منذ عامين ، قررت أثناء معرض باريس سنة ١٩٠٠ (الذى زاره العديد من الشخصيات من الجنس الأسود) أن تعقد مؤتمرا في لندن في شهر مايو من ذلك العام من أجل اتخاذ خطوات للتأثير على رأى العام بخصوص الاجراءات والأوضاع المؤثرة على رفاهية المواطنين في الأجزاء المختلفة للعالم خاصة جنوب أفريقيا ، وغرب أفريقيا ، وجزر الهند الغربية والولايات المتحدة الأمريكية (٦٩) .

وقد عقد المؤتمر بالفعل في لندن في قاعة وستمنستر من ٢٣ - ٢٥ يوليو سنة ١٩٠٠ وكان الهدف الأساسى من المؤتمر هو الاحتجاج على الاستيلاء على الأراضى القبلية في أفريقيا عن طريق المستعمرين من المستوطنين البريطانيين (٧٠) . وبذلك سعى الى تعبئة التضامن الافريقيين المهدين من المستوطنين في أفريقيا (٧١) . فقد عقد المؤتمر في أعقاب حرب البوير وتغلغل سيسل رودس في وسط أفريقيا . فمفهوم الوحدة الافريقية وفقا لهذا المؤتمر الأول عنى التضامن وتأكيد الذات العنصرية (٧٢) . وقد استفاد ويليامز من المساعى الحميدة للبعثات التبشيرية البريطانية ومن اتجاه تقدمى في رأى العام البريطانى حينذاك تمثل فيمن كانوا أنصار إلغاء الرق . ومن أهم الأسس التى أوضحت قبيل عقد المؤتمر خاصة من جانب بوكر واشنطنون الذى كان أول من أعلن عن الدعوة لعقده هو أنه :

« لا يوجد هناك مكان يمكن أن يذهب اليه الفرد لا يقع سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة تحت السيطرة البيضاء وفي هذه الحالة فإن السود يفضلون أن يبقوا في اطار النفوذ الأمريكى وأن هذا يوضح تماما أن العودة لأفريقيا بالنسبة للزنجى خارجة عن الموضوع ، حتى اذا سلمنا بأن غالبية الزنوج ترغب في الذهاب ، وهم حقيقة لا يرغبون (٧٣) » . وقد أوضح المؤتمر أن الهدف الذى

ينشدة متعدد الأبعاد ، فهو يهدف أولا : الى خلق تقارب بين الشعوب المنتمية لأصل أفريقي في أنحاء العالم وثانيا : الاتفاق على خطط لتحقيق علاقة صداقة أقوى بين الأجناس القوقازية والافريقية .

وأخيرا : بداية حركة تهدف الى أن تؤمن لكافة الأجناس الافريقية المقيمة في دول متحضرة (متقدمة) حقوقها الكاملة وأن تسمى مصالحها الاقتصادية^(٧٤) .

ومن الواضح أن الرواد الأوائل للوحدة الافريقية لم يكونوا عنصريين بالمعنى السابق توضيحه بل كان هدفهم المساواة بين الأجناس . فقد أوضح أعضاء المؤتمر أن المشكلة الأساسية التي جمعتهم كانت مطلب المساواة العنصرية . وقد حضر المؤتمر ثلاثون عضوا من مثقفي الزنوج في العالم الجديد جميعهم من الناطقين باللغة الانجليزية^(٧٥) . وتولى السكرتارية دكتور فيكتور دي بوي ، الذي أتاح له المؤتمر فرصة الظهور وكان في هذا المؤتمر أن قال كلمته التي اعتبرت بمثابة النبوءة وهي أن : « مشكلة القرن الحالي هي مشكلة فاصل اللون والعلاقة بين الأجناس^(٧٦) » .

وقد تناول المؤتمر العديد من الموضوعات التي تراوحت بين تاريخ أفريقيا ومعاداة الاستعمار والتنمية وما أطلق عليه « الوثنية المتحضرة » هذا بالإضافة الى الإصلاحات الأوروبية^(٧٧) .

وفي ختام أعمال المؤتمر أرسل سيلفستر ويليامز التماسا الى الملكة فيكتوريا باسم المؤتمرين مطالبين فيه بعدم اغفال مصالح الافريقيين في جنوب أفريقيا خاصة خضوعهم للعمل الجبري ، والتمييز العنصري ، ومنع التجول ، والتصاريح وتقييد حق التصويت . وبعدها أعلنت الملكة سيلفستر ويليامز عن طريق جوزيف تشمبرلين - سكرتير المستعمرات - اهتمامها بالأخذ في الاعتبار مصالح ورفاهية الأجناس الأصلية وذلك عند تحديد الخطوط التي ستسير عليها ادارة المناطق المستعمرة (في جنوب أفريقيا)^(٧٨) .

وقد كان مؤتمر الوحدة الافريقية هذا هو أول وآخر مؤتمر ينظمه سيلفستر ويليامز اذ بدأت بعدة الحركة من الناحية التنظيمية تخبو و انتهت قبل وفاته كما سبق توضيحه الى أن تولى بعثها من جديد « دكتور دي بوي » الذي قام

بتنظيم سلسلة من المؤتمرات استطاع من خلالها أن يوسع أبعاد الوحدة الافريقية (٧٩) وان كانت قد ظلت مجرد مؤتمرات ينقصها صفة الدوام أى لم تتحول الى منظمة ولم تستطع أن تكون لها سكرتارية دائمة .

وقد كان أول تلك المؤتمرات التى عقدت تحت زعامة دى بوى هو مؤتمر سنة ١٩١٩ فى باريس مستفيدا من عقد معاهدات الصلح بفرساي . على أساس أن مصير البشرية ولمئات السنين القادمة مركز هناك وانها فرصة لجذب انتباه العالم للمشكلة الزنجية (٨٠) . فقد كان هدف المؤتمر أن يسمع للعالم صوت الافريقيين وأولئك المنحدرين من أصل افريقى أسود . وقد عقد المؤتمر تحت شعار « أفريقيا للافريقيين » على أساس أنه تمشيا مع المبادئ التى أعلنها الرئيس الأمريكى وودرو ويلسون فان للسود الحق فى تقرير مصائرهم . وقد عارضت فرنسا فى المؤتمر ووقفت ضده ولكن جهود « دى بوى نجحت بفضل وجود ستة أعضاء ملونين فى الجمعية الوطنية الفرنسية وخاصة تأييد أهمهم وهو « بليزديان » (٨١) - أول مندوب للسنغال فى الجمعية الوطنية الفرنسية وذلك لمدة عشرين عاما متوالية - والذى كان صديقا حسيما « لكليمنصو » الذى عمل بنجاح على تأييد جهود « دى بوى » وصحبه فى عقد المؤتمر .

وعلى هذا فقد عقد المؤتمر وضم سبعة وخمسين عضوا من خمس عشرة دولة (٨٢) ولكن معظم الأعضاء كانوا من الولايات المتحدة الأمريكية وجزر الهند الغربية . ولكن الجديد فى هذا المؤتمر عن مؤتمر سنة ١٩٠٠ هو اشتراك اثنى عشر عضوا من أفريقيا - من الدارسين فى الخارج - هذا بالإضافة الى أن الأعضاء بصفة عامة كانوا من المستعمرات الانجليزية والفرنسية بالإضافة الى قلة من المستعمرات البلجيكية والأسبانية وبعض الدول الافريقية مما يعتبر تجديدا عن المؤتمر السابق . وقد قامت NAACP بتمويل هذا المؤتمر وفعلت نفس الشئ بالنسبة للمؤتمر التالى له .

وقد تضمنت قرارات المؤتمر (٨٣) الحاجة الى اصدار قوانين للحماية الدولية لمواطنى أفريقيا بما يشبه ما اقترح من قانون دولى للعمل . وأن تنشأ عصبة الأمم مكتبا دائما تعطى له مهمة خاصة للنظر فى تطبيق تلك القوانين

بما يتمشى مع الرفاهية السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمواطنين . كما طالب المؤتمرين معاملة مواطني أفريقيا والشعوب المنحدرة من أصل أفريقي على أسس من بعض المبادئ التي وضعوها ، من ذلك : أن ينتشر التعليم ويصبح حقا لجميع المواطنين ، وأن تحسن الظروف الصحية وظروف العمل ، وينظم استغلال رأس المال بحيث يمنع استغلال المواطنين وانضاب الموارد الطبيعية لأفريقيا ، وأن تبقى الأرض ومواردها الطبيعية للأفريقيين . ولكن أهم ما نفس عليه هو أنه يجب أن يكون لمواطني أفريقيا الحق في الاشتراك في الحكم بالسرعة التي تتمشى مع تطورهم على أساس مبدأ أن الحكومة موجودة من أجل المواطنين وليس وجود المواطنين من أجل الحكومة . كما أنه بالنسبة للزواج المتمدينين ، « المتحضرين » فانه كلما كان هناك أفراد من أصل أفريقي متحضرين وقادرين على مقابلة اختبارات الثقافة المحيطة تعطى لهم حقوق مثل اخوانهم المواطنين فلا يحرموا بسبب الجنس أو اللون من أن يكون لهم صوت في حكوماتهم والعدالة أمام المحاكم والمساواة الاقتصادية والاجتماعية على أساس المقدرة .

وقد رأى « دى بوى » أن نظام الانتداب كنظام اشراف دولي في ظل عصبة الأمم يعتبر من أهم انجازات مؤتمر الوحدة الافريقية هذا . ولكن لا يشاركه الكثيرون في هذا الرأي على أساس أن ودرو ولسون في وضعه لنظام الانتداب قد تأثر كثيرا في هذا المجال برأى رئيس قسم المستعمرات الذي اشترك في وفد الولايات المتحدة في معاهدات الصلح (٨٤) .

هذا ولم يستطع هذا المؤتمر كسابقه أن يحقق مبدأ الدوام فلم يتحول الى منظمة ؛ كما أنه كسابقه ولاحتيه حتى مؤتمر سنة ١٩٤٥ لم يستطع أن يجعل له جذورا في افريقيا ذاتها ، وان كان قد اتفق فيه على عقد مؤتمر لاحق سنة ١٩٢١ (٨٥) .

وقد تلا هذا المؤتمر بالفعل مؤتمر جديد من دورتين في لندن ثم في بروكسل في أغسطس - سبتمبر سنة ١٩٢١ ويلاحظ أن دى بوى أصبح موضع هجوم من عدة جهات وذلك نتيجة لأفكاره التي اعتبرت ثورية من جانب الكثيرين ، على الأقل بمقياس ذلك الوقت والظروف التي كانت تعيشها

أفريقيا والزواج بصفة عامة . فقد هوجم من السلطات الاستعمارية وكما هوجم من بعض زعامات NAACP على أساس أن سعيه لحركة الوحدة الأفريقية يخضع مشكلة الزواج في أمريكا لها بينما في رأيهم أن الحقوق المدنية للسود هناك أهم من البحث عن الوحدة الأفريقية . كما بدأت أيضا المهاجمة الشديدة من جانب ماركوس جارفى الذى تزعم اتجاهها مغايرا لفكرة الوحدة الأفريقية — كما سبق أن أوضحنا . وتعويفا عن هذه الجهات المضادة عمل دى بوى على كسب عطف وتأيد الاشتراكيين الفرنسيين والأوساط الفأية والعمالية فى بريطانيا (٨٦) .

وقد كان المؤتمر أوسع بعدا وتشكيلا من سابقه فقد ضم ١٣٠ عضوا منهم واحد وأربعون أقاليم أفريقية وخمسة وثلاثون من الولايات المتحدة . وقد عقد هذا المؤتمر الثانى الذى نظمه دى بوى فى القاعة المركزية فى لندن وذلك من ٢٨ — ٢٩ أغسطس سنة ١٩٢١ . وقام المؤتمر بنشر « اعلان للعالم » وجهه دى بوى وكانت نصوصه متواضعة بصفة عامة (٨٧) . وأهم ما تضمنته الاعتراف للزواج بحقوق متساوية مع البيض . وقد كان الطلب الرئيسى الذى قدم بالنيابة عن الجنس الزنجى من خلال عناصره المثقة يتعلق بحكم محلى ذاتى للشعوب والجماعات المتخلفة على أن يزداد تدريجيا بزيادة الخبرة والمعرفة ليصل الى حكم ذاتى كامل . وفى دورة بروكسل تكملة للمؤتمر أرسل وفد برئاسة Dantes Bellegarde — سفير هايتى فى فرنسا — قدم التماسا الى لجنة الانتدابات التابعة لعصبة الأمم مؤكدين مرة ثانية على المساواة التامة بين الأجناس البشرية . وقد أدخل دى بوى فى هذا المؤتمر أحد الأبعاد الجديدة لفكرة الوحدة الأفريقية التى أصبحت من أهم مفاهيمها وهو يتعلق ببداية الحديث عن العلاقات والاتصال بين الأجناس حيث نودى بضرورة قيام مؤسسات ، وهيئات ومنظمات بين الشعوب المضطهدة . وأن الديمقراطية يجب أن تعم العالم . وقد حدثت انقسامات حادة بين الزعماء فى المؤتمر وهوجم الحضور على أساس أنهم شيوعيون وعلى أثر هذا المؤتمر قطعت جمعية NAACP تمويلها لمؤتمرات الوحدة ونشاطها خوفا من اتهامها بالشيوعية والتطرف مركزة على حقوق الزواج فى أمريكا . وقد أدى هذا الى الصعوبات المالية التى واجهتها المؤتمرات فى انعقادها بعد ذلك .

أما المؤتمر التالى فقد تم خلال سنة ١٩٢٣ فى لندن ولشبونة ثم فى باريس . وقد واجه دى بوى فى هذه الفترة العداء والهجوم الشديد من جانب كل من جارفى وأتباعه والشيوعيين الذين قالوا ان حركته حركة « بورجوازية صغيرة لقومية سوداء » (٨٨) . ونتيجة لصعوبة تمويل المؤتمر لرفض NAACP القيام بذلك فقد مولته الجمعية الوطنية للنساء الملونات فى الولايات المتحدة الأمريكية . وقد حضر دورة لندن شخصيات من افجلترا على رأسها هارولد لاسكى وسيدنى وب وويلز وغيرهم من الزعماء الاشتراكيين الانجليز . وقد اشترك فى أعماله عدد من أعضاء حزب العمال ، ووجه رمزى ماكدونالد السكرتير العام للحزب رسالة تعاطف للوفود . وكان أهم مطلب سياسى هو أن للأفريقيين الحق فى أن يكون لهم صوت فى حكوماتهم وأنه يجب معاملة الشعوب السوداء كما تعامل الشعوب الأخرى وأن هذا هو الطريق الوحيد للسلام والتقدم . وقد انتقل المؤتمر الى لشبونة تحت وطأة الاتهام بالشيوعية بدعوة من « العصبة الافريقية » وهى جمعية ثقافية من الأفريقيين المستوعبين فى البرتغال ومقرها لشبونة . وفى دورة لشبونة هذه طالب دى بوى بتخفيف حدة العمل الجبرى فى أنجولا وجزر ساو تومى وبرنسيب وقد أعطته الشخصيات البرتغالية وعدوا بتأييد مطالبه ولكن دون جدوى . وقد قام دى بوى بعد المؤتمر مباشرة بزيارة غرب أفريقيا محاولا اقامة علاقات مع المؤتمر الوطنى لغرب أفريقيا البريطانية والذى مثل الطليعة الجديدة ونادى بالحكم الذاتى للأفريقيين — حيث قابل أعضاءه فى سيراليون — ولكنه فى الواقع لم ينجح فى اقامة رابطة عضوية أو تنظيمية . وبذلك ظل مؤتمر الوحدة الافريقية بدون جذور فى أفريقيا .

ورابع المؤتمرات التى نظمها دى بوى وآخرها هو ذلك الذى عقد فى نيويورك سنة ١٩٢٧ ومولته نفس الجمعية النسائية السابقة الذكر لنفس الأسباب المذكورة من قبل . وقد كان هذا المؤتمر موسعا وزادت نسبة الحضور كثيرا ليصل الى ٢٠٨ مندوبين من اثنتى عشرة دولة — ويرجع الكثيرون السبب فى هذه الزيادة الى وجود المؤتمر فى نيويورك أى قرب الزنوج فى أمريكا وجزر الهند الغربية . وقد بدأت تتضح فى هذا المؤتمر معالم مفهوم الوحدة الافريقية

وأبعادها التي تبلورت بوضوح بعد ذلك . فقد ركز على حق الأفريقيين في أن يسمعوأ أصواتهم للحكومات التي توجه أمورهم وأعلن عن حق السود في أفريقيا وفي مواردها ، كما نودى بإيجاد نوع من العدالة متلائمة مع الأوضاع المحلية يطبقها قضاة أفريقيون وضمان تطوير التعليم ونشر التعليم الابتدائي . ونودى كذلك بنزع السلاح في العالم ووضع حد للحروب .

وقد أوضح « دى بوى » خطه الجديد الذى انتهى في النهاية الى تخلص حركة الوحدة الأفريقية من الوعي العنصرى اللونى حيث أكد امكان تعاون جميع الشعوب الملونة في العالم من الزنوج والمصريين والهنود والصينيين والأثيوبيين الخ في حركة عامة لتحرير الملونين من الاستعمار والتفرقة العنصرية وأكد بوضوح أن « الزنوج والشعوب السمراء والصفراء حلفاء طبيعيون في هذه الحركة ضد الشعوب البيضاء » (٨٩) .

اذن فسنلاحظ أنه في هذا المؤتمر وضع أنه مازال هناك وعى عنصرى ولونى ولكن بدلا من التركيز على السود أصبح على الملونين وذلك في مواجهة البيض . أى اتسع نطاق الوعي العنصرى وتخطى الزنوج الى أجناس أخرى ملونة .

من ناحية أخرى فإن من الأسس الجديدة للوحدة الأفريقية التي أصبحت فيما بعد من ركائزها والتي تبلورت في هذا المؤتمر هو رفض — ان لم يكن معاداة الشيوعية ومهاجمتها من جانب بعض زعماء الوحدة الأفريقية . وقد أبدى جورج بادموور مهاجمته الواضحة للشيوعية لوقوفها في وجه الوحدة الأفريقية ومهاجمتها سواء لماركوس جارفى أو لدى بوى ولكل من تنظييمها وهما UNIA و NAACP على الرغم من الاختلافات الواضحة بينهما وكذلك مهاجمتها لمؤتمر الوحدة الأفريقى في جنوب أفريقيا بحيث ظرت اليها جميعا على أنها تمثل قومية أفريقية لصغار البورجوازيين تحول دون تغلغل التأثير الشيوعى بين الزنوج . وقد أكد بادموور في هذا المؤتمر أن الشيوعيين يهدفون اما للسيطرة على مثل هذه المنظمات أو هدمها وعليه فقد اتهمهم بالنفعية لغير صالح الوحدة الأفريقية .

ومن الملاحظ أن هذا الاتجاه الخاص بهاجمة الشيوعية تبلور بوضوح بعد سنة ١٩٣٦ حيث قام جورج بادموور وجيمس ويتر ابراهامز وآخرون من المثقفين الأمريكيين ومن جزر الهند الغربية - الذين سبق وأن جذبتهم الأفكار الماركسية وأرادوا استخدامها كسلاح في حركة الوحدة الافريقية - بقطع علاقاتهم مع الحركة الشيوعية وقاموا بنقل نشاطهم الى بريطانيا (٩٠) .

هذا وقد تضافرت عدة عوامل على تأخير عقد مؤتمر تال للوحدة الافريقية وذلك لقراية عقدين من الزمان : فمن ناحية حاول دي بوى عقد مؤتمر وحدة افريقية سنة ١٩٢٩ في تونس على أرض افريقية لأول مرة ، ولكن جهوده فشلت نتيجة لرفض السلطات الاستعمارية الفرنسية (٩١) . ومن ناحية أخرى فقد أسهمت كل من الأزمة الاقتصادية العالمية وأثرها على الولايات المتحدة الأمريكية ثم الحرب العالمية الثانية في تأخير عقد المؤتمر المنشود . هذا بالإضافة الى أن دي بوى نفسه عمل أستاذا للاجتماع بجامعة اطلنتا واشغل أيضا بتحرير والاشتراك في تحرير دائرة للمعارف عن الزنجى ..

ومع ذلك فان جهود المهتمين بنشر فكرة الوحدة الافريقية لم تتوقف بل نشطت (٩٢) وقد كان لاندلاع الحرب في أثيوبيا واعتداء ايطاليا عليها الذى انتهى بالقضاء على استقلال أقدم دولة مستقلة في أفريقيا - الأمر الذى لم تحرك له بفاعلية عصبة الأمم ولا دولها الكبرى انجلترا وفرنسا - أن تحركت المشاعر بشدة ضد الاستعمار وعلى عدم المساواة والرغبة في التخلص من كليهما (٩٣) . وعليه فقد انشئت في لندن عام ١٩٣٥ « جمعية الأصدقاء الافريقين الدوليين لأثيوبيا » (٩٤) ، وكان أعضاؤها من أعضاء مؤتمرات الوحدة الافريقية السابق ذكرها من ذلك بادموور وكنياتا هذا بالإضافة الى الوحدة الافريقية السابق ذكرها من ذلك بادور وكنياتا هذا بالإضافة الى التشريعات الاستعمارية .

هذا وقد حل محل هذه الجمعية ذات الأهداف المحدودة المكتب الدولى للخدمة الافريقية (مكتب الخدمة الافريقى الدولى) The International African Service Bureau وذلك سنة ١٩٣٧ وقد قام بنشر جريدة Pan Africa وكان فى المجلس التنفيذى للمكتب جومو كينيا ، وهذا المكتب بدوره

خلفه اتحاد الجامعة الافريقية Pan African Federation وذلك سنة ١٩٤٤ . وقد ضم عشرين جمعية افريقية معظمها في انجلترا بما فيها المكتب المذكور ، وقام لتحقيق الأهداف التي أعلنت من قبل في المؤتمرات الأربع السابقة التي نظمها دي بوى وهي تتلخص في طلب الاستقلال ووحدة افريقية ونهاية كل أنواع التفرقة العنصرية وتعاون الشعوب الافريقية والذين يعضدون آمالهم (كان اهتمام هذه الجماعة في بادىء الأمر هو حقوق الرجل الأسود في العالم أجمع ولكنها تركزت بالتدريج على المشاكل الافريقية فقد ركزت أولا على الحقوق المتعلقة بالأرض ثم على مسألة التحرير السياسى) . وكان من زعماء هذا الاتحاد « جورج بادمور » . ووالاس جونسون زعيم النقابات العمالية في سيراليون وجومو كينيا . وقد قام الاتحاد هذا بنشر جريدة الرأى العام العالمى الافريقى وأخذت في نشر نشرات وأبحاث وكتب من أشهرها Facing Mount Kenya لجومو كينيا ، Africa & World Peace لجورج بادمور وقد جعل الاتحاد من مهامه أيضا وضع برنامج وطنى وهو برنامج العمل الايجابى الذى يقوم على مبدأ غاندى في عدم العنف وعدم التعاون مع السلطات الاستعمارية في أفريقيا .

وأخيرا عندما عقد مؤتمر الوحدة الافريقية المنشود في مانشستر سنة ١٩٤٥ بعد أسابيع من اجتماعات الاتحاد العالمى للنقابات العمالية في فبراير - والذى نظمه اتحاد الجامعة الافريقية السابق ذكره والذى دعى دكتور دي بوى لرئاسته تكريما له - اعترافا بجهوده - بدا واضحا التحول الكبير في حركة الوحدة الافريقية . فقد حضر المؤتمر عدد قليل جدا من الزنوج الأمريكين بينما كانت شريحة جزر الهند الغربية ما زالت قوية نسبيا تحت زعامة بادمور وجيمس ودكتور « يتر ميليار » . ولكن المهم أن هذا المؤتمر كان للمرة الأولى مؤتمرا لزعماء افريقيا الشباب الذين لم يكونوا قد لمعوا بعد في ذلك الوقت في دولهم . وقد تولى النشاط بالدرجة الأولى كوامى نكروما وجورج بادمور اللذان عملا سكرتيرين للمؤتمر كما لعب جومو كينيا دورا هاما أيضا (٩٥) . وقد قدمت التقارير عن المناطق الافريقية المختلفة بواسطة الافريقين أنفسهم لأول مرة .

وقد عولجت عدة موضوعات وبدا واضحا فيما عولج من موضوعات واتخذت من قرارات التحول الجذرى من الاصلاحية والمرحلية الى الثورية والراديكالية بالمفهوم الافريقى . وكان هذا بالطبع بفضل ظهور أجيال الزعامة الجديدة الافريقية . واتخذت عدة قرارات أعطت أبعادا جديدة للوحدة الافريقية (٩٦) . فقد طالب المؤتمر لأول مرة باستقلال كافة الشعوب المستعمرة وتحريرها من السيطرة الاستعمارية سياسية كانت أم اقتصادية ، كما أوضحوا مناداتهم بمبدأ « العمل الايجابى » المستوحى من تعاليم غاندى ولكن فى الوقت نفسه أوضحوا أنه اذا استخدم الغرب العنف فان الافريقيين سيلجأون كحل نهائى للقوة لتحقيق الحرية . كما أعلن المؤتمر المطالبة بالاقتراع العام . كما أشير الى امل المؤتمر ان تقوم الشعوب الاسيوية والافريقية بكسر قيود الاستعمار قبل وقت طويل ، ثم وقوفها كشعوب حرة متحدة لتدعيم وحماية حرياتهما واستقلالهما من عودة الاستعمار الغربى ومن مخاطر الشيوعية .

وقد تضمنت اعمال المؤتمر ايضا اداة الانقسامات الاقليمية فى افريقيا واداة اقامة مستعمرات بيضاء على الارض المنزرعة ومحاربة الامية وسوء التغذية وبلااعتراف بالحق النقابى وانشاء التعاونيات كما نادى المؤتمر باستقلال الجزائر وتونس والمغرب .

يضاف الى هذا ان المؤتمر وافق بالاجماع على اعلان مثلى وفود غرب افريقيا الذين طالبوا فيه بالاستقلال التام والمطلق لشعوب بلادهم (٩٧) . كما تقدم المؤتمر باعلان للقوى الاستعمارية يتميز بالطابع المعنوى اكثر منه التهديد بالعمل على اتخاذ قرارات متمشية مع ميثاق الاطلنطى (٩٨) . وختموا تصريحهم للشعوب المستعمرة بالقول : « يا شعوب العالم المستعمرة والمخضوعة اتحدوا » .

اذن فقد رأت الطليعة من دعاة الوحدة الافريقية فى ذلك الوقت ولأول مرة فى مؤتمر الوحدة الافريقية ان تحرر الشعوب الافريقية واستقلالها هو السبيل الوحيد لاتحادها . كأن مؤتمر ما نشتر مثل خطوة انتقالية فى تطوير الوحدة الافريقية من حركة احتجاج الى اداة فى يد الحركات الوطنية الافريقية ، لمحاربة الحكم الاستعمارى (٩٩) .

ومنذ ذلك الوقت اخذ نكروما - الذى عمل سكرتيرا لهذا المؤتمر - على تزعم حركة الوحدة الافريقية والدعوة لها . فقد أخذ المبادرة في مؤتمر مانشستر للعمل على تجميع وفود غرب افريقيا في لجنة اقليمية عرفت باسم « السكرتارية القومية لغرب افريقيا » التي عقدت مؤتمرا في لندن من ٣٠ أغسطس الى أول سبتمبر سنة ١٩٤٦ . وقد أخذت على عاتقها نشر مفهوم اتحاد غرب افريقيا كخطوة رئيسية في سبيل تحقيق ولايات متحدة افريقية على مستوى القارة (١٠) . وقد اشترك في هذه السكرتارية عناصر من الناطقين بالفرنسية من ابرزهم « ايشي » الذي أصبح رئيسا لجمهورية داهومي . وقد وافقت السكرتارية في مؤتمرها هذا على قرارات مؤتمر مانشستر للوحدة الافريقية وعلى العمل على خلق اتحاد في غرب افريقيا وفي نفس الوقت قام « اتحاد الجامعة الافريقية » السابق ذكره في انشاء رابطة قوية مع وفد « المجلس القومى لنيجيريا والكاميرون NCNC » وهو أول تنظيم سياسى ينشأ في أفريقيا البريطانية تحت زعامة دكتور ازيكوى والذي تبعه تنظيميا الحزب في ساحل الذهب (١١) (أى حزب مؤتمر ساحل الذهب المتحد UGCC) .

وما دما بصدد الانتهاء من بحث مؤتمرات الوحدة الافريقية ، يجدر بنا توضيح نقطة غالبا ما تؤدي الى ايس في تفهم هذه المؤتمرات وهو المتعلق بعددها : فقد بلغ عددها حتى مؤتمر مانشستر سنة ١٩٤٥ ستة مؤتمرات أولها كان سنة ١٩٠٠ تحت زعامة سيلفستر ويليامز والاربعة التالية ابتداء من سنة ١٩١٩ وحتى سنة ١٩٢٧ تحت زعامة دكتور دى بوى ، اما الاخير وهو مؤتمر مانشستر فقد دعى دى بوى لرئاسته تكريما له ولكن لم يكن هو منظمه . واعتبار عدد المؤتمرات ستة - ومؤتمر مانشستر المؤتمر السادس للوحدة الافريقية - يدخل في الحساب أول مؤتمر للوحدة عقده ويليامز على أساس أن المؤتمرات الخمسة التالية له ما هي الا تكملة لنفس الخط الذي بدأ في هذا المؤتمر الأول (١٢) . ولكن هناك الكثير من الدارسين في مجال الوحدة الافريقية الذين لا يدخلون مؤتمر ويليامز هذا في حساب عدد المؤتمرات على أساس ان طبيعته كانت محدودة عن المؤتمرات التي تلتها والتي نظمها أو رأسها دى بوى . وعليه فهؤلاء يشيرون الى مؤتمرات الوحدة الافريقية على أنها خمسة فقط . ويلاحظ ان هذا الرأي قد أخذ به مؤتمر مانشستر الذي تضمنت قراراته أنه المؤتمر

الخامس للوحدة الافريقية (١٠٣) - مسقطه بذلك مؤتمر ويليامز . وقد أكد على هذا الرأي على وجه الخصوص جورج بادامور .

وأيا كان الوضع فيلاحظ انه بالإضافة الى تلك المؤتمرات المعروفة والتي سبقت الإشارة اليها ، هناك مؤتمر اخير للوحدة الافريقية بعد مؤتمر مانشستر وان كانت ليست له شهرة الاخير ، وعليه فكثيرا ما يغفل عنه الباحثون وهو المعروف من جانب رواده بالمؤتمر السادس للوحدة الافريقية - تمشيا مع الاتجاه السابق في عدم احتساب مؤتمر سنة ١٩٠٠ . وهذا المؤتمر يختلف عن سابقه فقد عقد ولاول مرة في افريقيا ذاتها كمؤتمر افريقي خالص حيث عقد في خماسي في ساحل الذهب من ٤ - ٦ ديسمبر سنة ١٩٥٣ تحت زعامة كوامي نكروما الذي ما أن وصل الى السلطة قبل الاستقلال في فترة الحكم الذاتي حتى دعى لهذا المؤتمر وقد كان هذا المؤتمر محدودا للغاية من حيث المشتركين فيه فقد وجهت الدعوة اليه بصفة شخصية ولم توجه للحزب السياسية . وقد حضره دكتور ازيكوي وكثير من الشخصيات النيجيرية كما حضره مراقبون من ليبيريا بما فيهم قنصلها العام في أكرا . ولقد أوصى بعقد مؤتمر قومي لغرب افريقيا على أن تكون سكرتاريته في أكرا (١٠٤) .

كأن مفهوم الوحدة الافريقية كما بلوره دي بوي من خلال مؤتمرات الوحدة الافريقية أصبح يعنى الاستقلال الذاتي أو استقلال الشعوب السوداء في افريقيا . وفي الواقع فان أهم انجازات مؤتمرات الوحدة الافريقية هي انها كانت مدرسة للطلبة الجديدة من المثقفين الافريقيين الشباب الذين تلقوا تعليمهم في الولايات المتحدة الامريكية : ففيها التقوا ومنها تعلموا .

مبحث ختامي - عوامل التغير والاتجاهات الايديولوجية الحديثة للوحدة الافريقية :

يمثل مؤتمر مانشستر سنة ١٩٤٥ نهاية المرحلة الاولى في الوحدة الافريقية التي تميزت بأن مفهوم الوحدة الافريقية أخذ شكل صحيحة احتجاج من جانب الطليعة من المغربين الذين هم من أصل افريقي في العالم الجديد ضد التفرقة العنصرية .. وقد عني مفهوم الوحدة الافريقية في الدرجة الأولى التضامن الاخوي العنصري الذي يقصد به التضامن اللوني سواء بين السود من الافريقيين أو من سلالاتهم . ثم توسع المفهوم الى حد كبير ليعني تضامن الملونين . كأن التركيز كان على اللون بالدرجة الأولى حيث ارتبطت به ظلما صفة العبودية التي عانت منها سلالات الزنوج في العالم الجديد .

وقد بدت مؤشرات انتهاء مرحلة الوحدة الافريقية في شكلها الأولى هذا بانجذاب الكثير من الشباب من الافريقيين الدارسين في أوروبا والولايات المتحدة الامريكية نحو هذه الحركة التي ظلت وحتى مؤتمر مانشستر خارج افريقيا . وقد حمل هؤلاء الطليعة من الشباب الافريقي الدارس في الخارج لواء حركة الوحدة الافريقية الى أفريقيا نفسها ولذلك بعد مؤتمر مانشستر . وبعد أن كانت الحركة مجرد صحيحة احتجاج وحركة ثقافية أصبحت بالدرجة الأولى في مرحلتها الثانية أداة لمحاربة الاستعمار في القارة حيث اعتبر أنه لا مساواة للافريقي بالأوروبي ولا تأكيد لعدم تبعية الشخصية الافريقية ولأصالتها واستقلاليتها الا بتخليص شعوب القارة الافريقية من الاستعمار والتبعية للأوروبيين .

أي أن أهم ما ميز حركة الوحدة الافريقية بعد الحرب العالمية الثانية هو انها أصبحت تستخدم كسلاح ضد الاستعمار ومن ثم اتخذ كأداة لمحاربة الاستعمار في القارة على أساس أنه لا تخليص للشخصية الافريقية ولا للافريقيين من صفة التبعية ولا أمل لوحدهم الا بخلاصهم من الاستعمار كخطوة للوحدة . وعليه فالاستقلال الذي سعت اليه الطليعة الجديدة من الافريقيين سعيا دائما لم ينظر اليه في تلك الفترة على أنه نهاية في حد ذاته بل وسيلة لغاية الوحدة الافريقية . أو بعبارة أخرى أصبح شعار « أفريقيا للافريقيين » الذي رفع منذ مؤتمر

دكتور « دى بوى » الاول للوحدة الافريقية لا مجرد صيحة جوفاء بل حقيقة يسعى من أجلها بكافة الوسائل . وأصبحت أهم مرشد للوحدة الافريقية في مرحلتها الثانية هذه . فحركة الوحدة الافريقية انتقلت الى الواقع وأصبحت تعنى التضامن ضد الاستعمار ووحدة الكلمة على مواجهته وتصفيته .

(١) عوامل التغيير :

وقد شجعت عدة عوامل هذه النظرة الجديدة للوحدة الافريقية — أى كأداة لمحاربة الاستعمار وضرورة التخلص منه — بعضها خارجى عن أفريقيا ومتعلق بتغيير الوضع الدولى وبعضها يرجع لأفريقيا نفسها ؛ ومن أهم هذه العوامل آثار الحرب العالمية الثانية : فمن ناحية فإن الدول الاستعمارية السابقة خرجت من الحرب اما منهزمة كلية مثل ايطاليا ، واما منهزمة واقعا وان كانت منتصرة سياسيا من الناحية القانونية لاتتصار حليفاتها — مثل فرنسا وان كانت ما زالت منهارة سياسيا واقتصاديا على الرغم من اعتبارها منتصرة سياسيا ، أو منتصرة عسكريا وان كانت قد خرجت منهارة اقتصاديا كإنجلترا . فهزيمة الدول الاستعمارية أو انهيارها هز صورتها فى أعين الشعوب الافريقية وخاصة فى أعين أكثر شرائحها تحركا من الناحية الاجتماعية وهم الطليعة الجديدة . ولكن من أهم العوامل بعد ذلك انهزام فرنسا فى الهند الصينية على يد شعوب ملونة . ثم عدم انتصارها فى الجزائر على الرغم من ضراوة حرب التحرير الجزائرية واستمرارها لنحو عقد من الزمن . ومن ناحية أخرى فإن استقلال الكثير من الدول الآسيوية كان له أثره وعلى وجه الخصوص استقلال الهند بهدى من مبادئ غاندى فى عدم العنف والعمل الايجابى التى تبنتها حركة الوحدة الافريقية كما سبق توضيحه . من ناحية ثالثة فإن المناخ العام الذى ساد بعد الحرب العالمية الثانية فى ظل منظمة الأمم المتحدة والدعوة للمساواة وحقوق الانسان ونبذ الاستعمار وقد كان لهذا أثره الفعال فى هذا المجال ، حيث أكدت بعض الاخلاقيات والمعنويات الدولية التى تنبذ فكرة الاستعمار والاضطهاد .

ويعنينا الآن التركيز على عدة عوامل كان لها آثارها العميقة على أبعاد الوحدة الافريقية وتطورها ومفاهيمها الجديدة أيضا هذه العوامل نبعت من

افريقيا ذاتها لا من خارجها كما كان الحال في المؤثرات الواقعة على أبعاد الوحدة الافريقية في مرحلتها الأولى كما رأينا .

ومن أهم العوامل التي استجدت بعد ذلك وكان لها آثارها العميقة على أبعاد الوحدة الافريقية ومفاهيمها الجديدة والتي يعنينا توضيح ثلاثة عوامل أساسية منها وهي :

أولا - قيام الثورة في مصر في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ :

حيث أن مصر التي لم يكن لها دور يذكر في المرحلة الأولى للوحدة الافريقية أى عندما كانت حركة وعى عنصري واحتجاج بطلب المساواة العنصرية متخذة القلب الثقافي أداتها (١٠٤) - بدأت تنشط بفاعلية في تحقيق الوحدة الافريقية بمفهومها الجديد السابق توضيحه ، أى كأداة لمحاربة الاستعمار .

وقد مثلت الثورة في مصر تغيرا جذريا في رؤية مصر لافريقيا فقد أصبحت النظرة شاملة بعد أن كانت تقليديا جزئية ومركزة على الاهتمام بحوض النيل أولا وقبل كل شيء وتليها الدول الاسلامية في افريقيا (١٠٥) . أصبح ينظر الى افريقيا على أنها أحد الدوائر الرئيسية للسياسة الخارجية المصرية منذ قيام الثورة (١٠٦) .

من ناحية أخرى فإن دور مصر بعد الثورة في حركة الوحدة الافريقية كأداة لمحاربة الاستعمار يتضح في ضوء ثورية النظام نفسه الذي جعل من أهم أسس ايدولوجيته محاربة الاستعمار فهذه الثورية جعلته مصدر اشعاع وجاذبية للحركات التحررية في القاهرة . وقد كان للاتصار المعنوي لمصر في مواجهة العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ أثره الكبير في اعطاء مصر مكانة خاصة في افريقيا عند محاولاتها لمواجهة الاستعمار .

وقد أنشأت مصر الرابطة الافريقية كمقر لحركات التحرير في القاهرة . وأصبحت مصر تلعب دورا نشيطا في تمويل هذه الحركات وزعمائها والشخصيات الثورية بالمال والعتاد وغيره .

يضاف الى ذلك أن اهتمام مصر بالوحدة العربية - الذي يبدو في زعامتها لجامعة الدول العربية حيث أنه عند قيامها كانت مصر الدولة الافريقية الوحيدة فيها - لم يكن على حساب الوحدة الافريقية حيث ومنذ البداية وحتى

الآن اعتبرت مصر حلقة اتصال بينهما . كما أنها اعتبرت نفسها أيضا حلقة وصل هامة لحركة التضامن الافريقى الآسيوى .

وباختصار فان الثورة فى مصر وما صاحبها من تغييرات جذرية داخليا وخارجيا كان لها آثارها الواضحة على حركة الوحدة الافريقية بمفهومها فى ذلك الوقت وبعده ، فقد أصبحت مصر من زعامات حركة الوحدة الافريقية وأسهمت فى تأكيد تلاشى دعوى العنصرية « أوا للون » كأساس لحركة الوحدة الافريقية لتحل محلها مفهوم القارية والتضامن فى اطارها .

ثانيا - نمو حركة التضامن الافريقى - الآسيوى :

وقد سبق أن ذكرنا أن دعوى اللون كأساس لحركة الوحدة الافريقية قد بقيت وان تغيرت أبعادها ، فبعد أن كان التركيز على تضامن السود فى كل مكان أصبح التضامن على الأخوى بين الملونين - بمعنى غير الأوروبيين - أى الشعوب التى عانت من الاستعمار الأوروبى والتسلط بصفة عامة .

وعليه فقد نمت تدريجيا حركة التضامن الافريقى - الآسيوى . وقد كان مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ من أهم دعائها . ومع أن الدول الافريقية لم يكن لها ثقل وكانت أثيوبيا هى الدولة المستقلة الوحيدة جنوب الصحراء التى حضرت هذا المؤتمر كما أرسلت ساحل الذهب - أى غانا فيما بعد - مراقبين ، ولكن اعلان باندونج ما لبث أن استوعب فى أفكار الوحدة الافريقية . فقد تضمنته مواثيق المؤتمر الأول للدول الافريقية المستقلة فيما بعد سنة ١٩٥٨ ومؤتمر الدار البيضاء وغيرها . وقد تبع مؤتمر باندونج العديد من مؤتمرات تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية .

وبانشاء منظمة تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية سنة ١٩٥٧ بسكرتيريتها فى القاهرة ، نمت أكثر الاطار التنظيمى لحركة التضامن الافريقى - الآسيوى حقيقة أنها ليست شعبية تماما بل شبه حكومية ، وحقيقة أن كثيرا من الدول الافريقية ظل بعيدا عن الاشتراك فيها - خاصة الدول الناطقة بالفرنسية - وذلك لوجود الاتحاد السوفيتى ومن قبل الصين الشعبية أيضا الا أنها تمثل رمزا لحركة التضامن الافريقى - الآسيوى . وكانت مصدرا للافتتاح الافريقى على العالم الخارجى والاشتراك فى المحافل الدولية .

وكانت مصر أهم حلقة اتصال وعنصر ديناميكية في المنظمة حيث كان لها من الناحية التنظيمية دور فعال (١٠٦) وقد أصبحت السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية والآسيوية في القاهرة كما أن السكرتير العام للمنظمة منذ انشائها - مصري وتتولى مصر تمويل أكثر من ثلث حصتها .

ثالثا - استقلال غانا :

كان لاستقلال غانا - ساحل الذهب سابقا - أثره الكبير في حركة الوحدة الافريقية . فمن ناحية كان أول مؤشر لنجاح مفهوم الوحدة الافريقية في حلقتها الثانية كأداة لمحاربة الاستعمار . ومن ناحية ثانية فإن استقلال غانا بالذات كان فاتحة لاستقلال بقية الدول الافريقية - حقيقة أنه قد سبقها دول أخرى للاستقلال في افريقيا ولكن هذه الدول اما أنها ليست زنجية - كمصر ، ليبيا ، المغرب ، تونس والسودان - أو زنجية ولكن لم تخضع للاستعمار - كأثيوبيا وليبيريا - بالإضافة الى جنوب افريقيا التي تحكمها أقلية من المستوطنين البيض من أصل أوروبي والتي لا تعتبر مستقلة واقعيا وإن كانت مستقلة قانونيا . فاستقلال غانا هدم الادعاء الذي طالما نادى به الدول الاستعمارية من عدم قدرة الافريقين على حكم أنفسهم وضرورة تبعيةهم للأوروبيين وفقا لما عرف « بعبء الرجل الأبيض » الذي اعتبر من وجهة نظر دعاة هذه النظرية العنصرية الاستعمارية ان له مهمة تاريخية في الأخذ بيد الافريقين - الأمر الذي لم يؤخذ بجديته وإن كان ليس هذا مجال بحثه وعليه فإن استقلال غانا كان له أثره الكبير في فتح باب التحرر أمام بقية الشعوب الافريقية . أى كان مؤشرا لرحيل الاستعمار من القارة بصفة عامة .

من ناحية ثالثة يلاحظ أن الرئيس الدكتور كرامى نكروما لم يكن فقط زعيما قوميا تحقق استقلال غانا على يديه ولكنه كان من أهم زعماء الوحدة الافريقية بل انه أصبح حامل لواء الوحدة الافريقية والمنادى بها وكرس جهوده لتحقيقها ومثل زعامة ثورية ديناميكية ليس فقط على المستوى الداخلى بل على مستوى القارة . فالوحدة الافريقية بعد الاستقلال في افريقيا ارتبطت في الدرجة الأولى باسم كوامى نكروما الذى آمن بها وكان الوحيد الذى دعا اليها وحاول تحقيق الوحدة السياسية الفورية في افريقيا الأمر الذى لم ينهب اليه زعيم آخر في ايمانه بإمكانية تحقيقها (١٠٨) .

(ب) الاتجاهات الايديولوجية الحديثة للوحدة الافريقية :

هناك عدة أسس ايدولوجية عامة للوحدة الافريقية تبلورت على مر تاريخ حركة الوحدة الافريقية خارج القارة ووضحت في مؤتمر ما نشستر واعتبرت أساسا لابعاد حركة الوحدة في أفريقيا نفسها بعد الاستقلال (١٠٩) .

أى أن الوحدة الافريقية بدأت بعد الحرب العالمية الثانية تأخذ مفاهيم ايدولوجية جديدة تبلورت على مر السنين وأصبحت مرشدا لمجهودات ومحاولات تحقق الوحدة وبلورة المؤسسات الوحدوية .

ولعل أهم الأسس الايديولوجية الجديدة هي أن الوعي العنصرى لم يعد يصبح بصفة عامة أساسا لفكرة الوحدة الافريقية بل حل محله الوعي القارى بأن أفريقيا ككل عانت من الاستعمار وأن اللون وحده ليس هو أساس الاضطهاد الأوروبى للأفريقيين بل ان القارة بأكملها عانت من الاضطهاد .

وان الفاصل بين أفريقيا جنوب الصحراء وأفريقيا شمال الصحراء — أو أفريقيا الزنجية أو السوداء وأفريقيا العربية — هو فاصل مصطنع أكده ويؤكداه الأوروبى في محاولته السيطرة على شقى أفريقيا وعليه فقد بدأت تنهار الأسس العنصرية والتركيز على السواد والتضامن اللونى بالذات على أساس أنه لا يوجد هناك جنس خالص وكلمة افريقى معناها أى شخص يعيش في أفريقيا خلاف الأوروبى والآسيوى (١١٠) وباختصار فإن الوعي القارى حل محل الوعي العنصرى على أساس أن شعوب القارة أجمعها عانت من الاستعمار .

من ناحية أخرى المناداة بالاستقلال التام لكل أفريقيا ورفض الاستعمار في كافة أشكاله وتصفيته تماما في القارة بما في ذلك بقاياها المتمثلة في النظم العنصرية في جنوب القارة وذلك تأكيدا للمبدأ الذى رفعه آباء الوحدة الافريقية . حقيقة أن الاتفاق لم يكن تاما على الموقف الموحد ضد الاستعمار الجديد ولكن الاتفاق كان تاما على تصفية الاستعمار بمفهومه التقليدى في كافة صورته .

ومع أن التركيز كان على رفض الاستعمار الا أنه كان هناك أيضا تأكيد على رفض العنف كأسلوب للكفاح من أجل الاستقلال والعمل على تأكيد الأساليب السلمية وعلى رأسها تعاليم غاندى في العمل الايجابى — أى العمل

الايجابى القائم على عدم العنف مثل الاضطرابات والمقاطعة وعدم الطاعة المدنية .
وقد تضمن هذا المبدأ تحفظا وهو أنه يعتبر ساريا الا اذا لجأ المستعمر للعمل
القهرى العسكرى أى الرد على العنف بالعنف .

ومن ضمن الأسس الايديولوجية المناداة بضرورة قيام نوع من الاتحاد
على مستوى القارة وتحقيق ما أطلق عليه كهدف بالولايات المتحدة الافريقية
على نمط يشبه الولايات المتحدة الأمريكية أو « كومنولث الأمم الافريقية » .
وكان الاتجاه السائد فى خطوات تحقيقه : هو عن طريق مجموعات من
الاتحادات الاقليمية المتشابكة بحيث تتنازل كل دولة عن جزء من سيادتها
للاتحاد .

ويلاحظ أن الوحدة الافريقية اشتراكية فى أبعادها الاقتصادية . ومن هنا
يجدر توضيح علاقتها بالشيوعية . فمن الأسس الايديولوجية الهامة للوحدة
الافريقية التى تميزها فى صورتها الحديثة نبذ الشيوعية كمذهب عالمى ورفضها
رفضاً باتاً مع الايمان بالاشتراكية النابعة من واقع مشاكل الدول الافريقية .

ويلاحظ أن الرواد الأوائل كانوا سباقين فى هذا المجال وفى اتخاذ الوحدة
الافريقية كبديل ايدىولوجى للشيوعية وذلك كما سبق توضيحه .

وفى هذا المجال تجدر الاشارة الى أن أبعاد الاشتراكية فى أفريقيا تضمنت
القيم الأساسية للمجتمعات الافريقية وعلى رأسها التأكيد على الدين والقيم
الروحية السائدة مع التركيز على الأسس العلمية لا مجرد المذاهب المجردة وعليه
فهى اشتراكية قائمة على الالتقاء والاستفادة بغيرها مع تطويع مثل هذه
المبادئ الخارجية لواقع الحياة الافريقية .

وهذه النقطة ترتبط بها نقطة أخرى وهى الحياد الايجابى بمعنى عدم
التدخل كأطراف فى السياسة الدولية والمشاكل العالمية ولكن لا يعنى هذا
أنهم محايدون فيما يتعلق بما يمس مصالح أفريقيا . أى الحياد بمعناه الايجابى
بما يضمن عدم الانحياز وابعاد الحرب الباردة عن أفريقيا ويرتبط بهذا تأكيد
الشخصية الافريقية فى المجال الدولى .

ومن دعائم الوحدة الافريقية التركيز على ابراز الشخصية الافريقية وتأكيدها وهو المفهوم الذى استمر مع حركة الوحدة الافريقية منذ نشأتها خارج أفريقيا . ويتمثل فى العمل على نهضة القيم والثقافة الافريقية واحياء الماضى الذى عمل الأوروبي على طمسه . ولكن عدم الوقوف عند الماضى فقط بل التركيز على التقدم الحديث والتمدين وأخذ ما هو مفيد من الماضى مع امتزاجه بالأفكار الحديثة .

ومن ناحية أخرى : تضامن الشعوب الافريقية فى كل مكان والتحالف الأخوى مع الشعوب الملونة المبنى على التاريخ المتبادل المكفاح ضد السيطرة البيضاء والاستعمار .

أما فيما يتعلق بالاتجاهات الداخلية فى وحدات أو مكونات الوحدة الافريقية — أى الدول الافريقية المستقلة — فقد كان هناك التركيز على القومية لتحل محل القبلية أى الايمان بالقومية فى أفريقيا على مستوى الدولة القومية وفى حالة قيام اتحاد تتنازل هذه الدولة القومية عن جزء من سيادتها للاتحاد كما سبق توضيحه . ومن ناحية أخرى الايمان بنوع من الديمقراطية نابع من طبيعة المجتمعات الافريقية .

وقد يبدو لأول وهلة أن هناك تناقضا فى هذه الاتجاهات الداخلية اذ أنها من ناحية تنادى بالتخلص من القبلية والزعامات التقليدية ومن ناحية أخرى تنادى باحياء الماضى وعصوره الذهبية وقيمه . ولكن فى الواقع لا يوجد تناقض حيث الهدف هو التخلص مما هو تقليدى فى التنظيم السياسى والمؤسسات وكل ما يمثل تحديا للدولة الحديثة فى افريقيا مع احياء الماضى معنويا ومن جهة القيم .

وأخيرا يمكن تلخيص أهم الاتجاهات الايديولوجية للوحدة الافريقية فى شكلها الحديث بعد الحرب العالمية الثانية فى ظل الاستقلال بأنها حركة قارية ، تحررية ، اتحادية ، اشتراكية لا شيوعية ، سلمية ، حيادية وتضامنية مع الشعوب الآسيوية .

الهوامش

١ - عرف دكتور دى بوى - المعروف باسم « أب الوحدة الإفريقية » - « Pan Africa » بأنها تعنى « تفهما ثقافيا وتعاونيا بين كافة الجماعات المنحدرة من اصل زنجى من اجل تحقيق تحرر اقتصادى وروحى للشعوب الزنجية فى اقرب وقت ممكن » .

Julius Lester (ed.). The Seventh Son : The Thought and Writings of W.E.B. Du Bois. New York : Vintage Books, Vol. II, 1971, p. 208.

ومن الواضح ان اصطلاح « Pan-Africanism » او الجامعة الإفريقية اصبح يستخدم كمرادف للوحدة الإفريقية .

٢ - استخدم هذا المعنى المحدود على وجه الخصوص ريفورد لوجان استاذ التاريخ بجامعة هاورد الأمريكية ، واحد زملاء دكتور دى بوى اى احد الرواد الاوائل للوحدة الإفريقية كحركة فكرية .

Rayford W. Logan. «The Historical Aspects of Pan Africanism, 1900 - 1945 in Pan Africanism Rconsidered. Edited by the Ame rican Society of African Culture. Los Angeles : Univ. of Calif. Press, 1962, P. 38.

Immanuel Wallerstein. Africa: the Politics of Independence. — ٣. New York: Random House, 1961, P 103.

Immanuel Wallerstein. Africa: the Politics of Unity. — ٤. London : Pall Mall Press, 1968. p. 7.

٥ - لمزيد من المعلومات عن الجذور العاطفية لحركة الوحدة الإفريقية ، انظر :

Colin Legum. Pan-Africanism : A Short Politcal Guide. New-York: Frederick A. Praeger, 1962. pp. 13-23.

ولمزيد من المعلومات عن الجذور الاولى للوحدة الإفريقية وتطور الافكار ، انظر :

G. Shepperson & T. Price. Independent African. Edinburgh: The University Press, 1958.

٦ - عبر فى اشعار غنية عن هذه الشاعر الكثير من الاوائل ومن اهمهم كلودماكى :

Claud Mckay. Selected Poems of Mckay. New York, Twayne, 1959-1961.

٧ - كما يوضح جون برايس مارس - أحد رواد الوحدة الافريقية من الناطقين بالفرنسية كيف أن عذاب الزنجى وما تمتع به من تفاؤل مستمر على الرغم من صعوبة ما عاناه فضلا عن دفاء عواطفه وصدق احساساته كان من اهم نتائجها الموسيقى الامريكية - الجاز - المعروفة عالميا والتي تعتبر اصالتها احتكارا للزنج .

The American Societe of African Culture, Pan Africanism Reconsidered ... op. cit., p. 20.

٨ - بهذا الصدد عبر أحد الدعاة الأوائل للفكرة وهو Langston Hughes الذى جاء من أصل مختلط في الولايات المتحدة الامريكية ولكن كان على وعى لونه كبزر حين قال :

نحن مرتبطون - انت وانا انت من الهند الغربية وانا من كنتاكي
نحن مرتبطون - انت وانا انت من افريقيا وانا من الولايات
نحن اخوة انت وانا

٩ - في المهرجان الثقافى للوحدة الافريقية المنعقد في عاصمة الجزائر سنة ١٩٦٩ تحت رعاية منظمة الوحدة الافريقية بدا واضحا الانفصال بين الزنوجة والوحدة الافريقية ، الأمر الذى أعلن لأول مرة . فقد دعى المؤتمر لتأكيد أصالة الفن الافريقى وتأييد الوحدة وتنسيق الحساسية بين شمال الصحراء وجنوبها . وقد هاجمت الدول الثورية وعلى رأسها غينيا مفهوم الزنوجة . وقام الرئيس سيكوتورى بهجوم مباشر على فكرة الزنوجة على أساس انها تقسم الدول الافريقية وتقف ضد الوحدة الافريقية وقد ايدته الى حد كبير الرئيس بومدين . ونفس الهجوم قام به دياللو تلى سكرتير عام منظمة الوحدة الافريقية .

فقد عبر سيكوتورى عن أن « المسئولين الافريقين ، الزعماء ايا كان موقفهم يجب ألا يسترشدوا بالمفاهيم الخاطئة للزنوجة أو بتكتيك الاستعمار الجديد الذى يقسم القارة الى افريقيا الناطقة بالفرنسية وافريقيا الناطقة بالانجليزية ، افريقيا شمال الصحراء وافريقيا جنوب صحراء بل فقط بالآمال الوحيدة للشعوب التقدمية التى بصرف النظر عن مسائل اللون ، الدين ، أو الجنسية تكون قوة واحدة هى قوة الثورة التى تأخذ مكانها فعلا في عدد كبير من الدول في العالم » .

على العكس فان الدول المحافظة والاصلاحية ، وعلى رأسها اعضاء ال OCAM وخاصة ساحل العاج ، لم تتقبل هجوم الثوريين ومنهم دياللو تلى على الزنوجة وتأييدهم للوحدة الافريقية .

انظر :

«Festival D'Alger. Negritude et Panafricanisme» Le Mois en Afrique No 46, Oct., 1969, pp. 9 — 12.

George Padmore. Pan Africanism or Commusim ? The Coming Struggle for Africa, London : Dennis Dobson, 1956. p. 379.

Edmund David Cronon. *Black Moses : The Story of Marcus Garvey & the Universal Negro Improvement Association*. Madison: The University of Wisconsin Press, 1955.

Legum op. cit., p. 14.

انظر ايضا :

نفس الراى ارتآه رائد آخر من رواد الوحدة الافريقية من الناطقين بالفرنسية وهو جون برايس مارس وان كان فى نفس الوقت قد اكد على عدم عنصرية حركة الوحدة الافريقية وانها ليست ضد عالمية العنصر البشرى :
انظر تقريره فى :

The American Society of African Culture, *Pan Africanism Reconsidered ...* op. cit., p. 20.

Philippe Decraene. *Le Pan-Africanisme*. Paris : Presses Universitaires de France, 1970, p. 20. — ١٢

The Crisis. Feb. 1919. New York. NAACP.

— ١٣

١٤ — من اهم هؤلاء كولين ليجوم ، انظر لمناقشة هذا الراى :
Legum, op. cit., p. 14-22.

William H. Lewiss. *New Forces in Africa*. Washington : Public Affairs Press, Library of Congress, 1962, p. 54. — ١٥

١٦ — وان كان Aloune Diop الذى انشأ مجلة « الوجود الافريقى Presence Africaine » المعروفة فى مجال الدراسات الافريقية يدافع عن مفهوم الزنوجة على اساس انه يركز على اصالة وقيمة الثقافة الافريقية والروح الافريقية وان هذا التركيز لا يعنى عنصرية بل هو خطوة لمساواة الثقافة الافريقية والشخصية الافريقية بغيرها فى العالم حيث يؤكد ديوب ان السعى كان ضد العنصرية والمناداة بالمساواة العنصرية .

انظر المرجع السابق ص ٢٢ ، ٢٤ — ٢٥ .

١٧ — عن آرائه الخاصة فى هذا الموضوع انظر :

W.E.B. du Bois, *Dusk of Dawn*, New York : Harcourt, Brace and Co., 1945 (reprinted by Schocken Books, New York, 1968).

١٨ — لمزيد من المعلومات انظر :

Immanuel Geiss, «Pan-Africanism». *Journal of Contemporare* Vol. 4 N. 1, 1969, pp. 187-200.

انظر ايضا :

R.W. July. *The Origins of Modern African Thought*. London : Faber & Faber, 1968.

١٩ - بدأت الحركة كوعى عنصرى بين أولئك الطبيعة ممن جاءوا من اصل افريقى أسود وفقا لمثلث التجارة عبر الاطلنطى الذى مثل العنصر البشرى فيه اهم اضلاعه وهو ذلك الذى قام بين افريقيا والعالم الجديد آخذا من افريقيا اقوى عناصرها البشرية ومادا العالم الجديد بدعامة تنمية موارده الزراعية والتعدينية الا وهو العنصر البشرى الذى جلب فى ظل تجارة الرقيق .

Geiss, *op. cit.*, pp. 187-188.

٢٠ -

٢١ - المرجع السابق .

٢٢ - راجع :

Hollis R. Lynch. Edward Wilmot Blyden. 1832-1912. Pan-Negro Patriot. London : Oxford Univ. Press, 1967. See also, Gideon-Cyrus M. Mutiso & S.W. Rohio, (eds.). Readings in African Polical Thought. London : Heinemann, 1975. pp. 3-18.

٢٣ - انظر :

Martin Minogue and Judith Molloy (eds). African Aims & Attitudes : Selected Documents. London : Cambridge Univ. Press, p. 15-14.

Padmore, *op. cit.*, p. 89.

٢٤ - انظر :

ونفس الشيء اطلقه Decraene مرجع سابق ص ١١٠ .

٢٥ - انظر : Minogue & Molloy (eds.) *op. cit.* pp. 17-25.

٢٦ - فقد نادى بأن : « سياستنا يجب ان تكون افريقيا للجنس الافريقى ويحكمهم الرجال السود وبالرجال السود أعنى من اصل افريقى : الذين ينادون بالانتماء لهذا الجنس » .

M.R. Delany. Official Report of the Niger : Exploring Party. New York, 1861. انظر آراءه فى :

والفترة المذكورة انظر ص ٦١ من هذا المرجع .

٢٧ - انظر :

Cryil E. Griffith. The African Dream : Martin R. Delany & the Emergence of Pan-African University Park & London : The Pennsylvania State Univ. Press, 1975.

E.B. Du Bois, The World & Africa. New York : Viking, 1947. p. 78 - ٢٨

ولدراسة تفصيلية حديثه عن هنرى سيلفستر ويليامز - وحياته ونشاطه انظر :

J.R. Hooker. Henry Sylvester Williams. Imperial Pan Africanist. London : Rex Collings, 1975.

ومن المراجع العربية الاساسية التى تناولت الوحدة الافريقية فى مرحلتها الاولى نخص بالذكر : د. عبد الملك عودة ، فكرة الوحدة الافريقية ، القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٦٦ .

٢٩ - هنري سيلفستر ويليامز من مواليد ترينداد سنة ١٨٦٩ . وقد سافر الى الولايات المتحدة الأمريكية ودرس القانون ثم سافر الى كندا ومنها الى لندن سنة ١٨٩٥ حيث اكمل دراسته وعمل هناك بالمحاماة . ولم يبدأ تبشور فكره عن أجداده من القارة الافريقية ومشاكلها الا بعد وصوله الى لندن . وقد بدأ سنة ١٨٩٨ كتابة المقالات السياسية ضد الاستعمار البريطاني لروديسيا .

٣٠ - اعتمدت الجمعية على تدعيم الجمعية القابية لها ، وعلى حصيلة اشتراكات الاعضاء وكان الافريقى يدفع ٥ شلنات والاوربي جنيها . انظر المرجع السابق ص ٢٨ .

٣١ - المرجع السابق ص ٢٣ .

٣٢ - عن تجربة ويليامز في جنوب افريقيا انظر المرجع السابق من ص ٦٤ - ٨٢ .

٣٣ - عن أهم الاختلافات بينهما انظر :
Padmore, op. cit. p. 128 & after.

٣٤ - ولد دي بوى في ٢٣ فبراير سنة ١٨٦٨ في إحدى قرى ميشوسيس في الولايات المتحدة الأمريكية . وهو زنجى من أصل مختلط وكان فخورا بأجداده من الفرنسيين والهولنديين وقد حصل على الدكتوراه من جامعة هايدلبرج وعمل أستاذا لعلم الاجتماع بجامعة اطلنتا بالولايات المتحدة الأمريكية .

أما ماركوس جارفى فقد ولد سنة ١٨٨٥ في مدينة خليج سانت آن على الساحل الشمالى لجمايكا ، وقد جاء الى الولايات المتحدة في ٢٣ مارس سنة ١٩١٦ وكان زنجيا خالصا فخورا للغاية بهذا وكان يقول عن دي بوى أنه عدو الجنس الأسود ودخيل عليه .

٣٥ - انظر ، دي بوى Du Bois, Dusk of Dawn, op. cit, p. 303.

انظر ايضا : Decreane, op. cit, p. 15.

عن تجميع لمجموعة كتابات دي بوى انظر :
Julius Lester (ed.,). The Seventh Son. The Thought and Writings of W.E.B. Du Bois. New York : Vintage Books, Vol I & II, 1971.

٣٦ - بدأ دي بوى النشاط الفعلى منذ مؤتمر سنة ١٩٠٠ الذى بدأت تبرز فيه قدرته القيادية . وقد كان الحدث الذى حرك جهوده التنظيمية هو انه في يونيو سنة ١٩٠٥ طرد نحو ٣٠ من المثقفين من الزنوج من أحد الفنادق في مدينة بفلو الأمريكية بسبب اللون فقرروا الصراع من أجل الحصول على الحقوق السياسية وقد عقدوا اجتماعا عند شلالات نياجرا في الجانب الكندى وفى الصيف التالى اجتمعوا تحت زعامة دي بوى في فرجينيا الغربية وأعلنوا برنامجا يسمى « بحركة نياجرا » الذى ركز بصفة خاصة على المطالبة بكافة الحقوق السياسية والمدنية والاجتماعية لكل الأمريكيين المولودين احرارا وانهم لن يكفوا عن الاحتجاج حتى يحصلوا على كافة هذه الحقوق وتعتبر حركة نياجرا أول حركة احتجاج للسود في القرن العشرين .

من حركة نياجرا هذه انظر :

Lester *op. cit.*, Vol. I, pp. 52-54.

The Crisis. February, 1919, Vol. X VII, No 4, p. 166 in_ ٣٧
Lester. *op. cit.*, 189-190

٣٨ - اسهمت عدة عوامل في جعل جارفى شعبيا وفي جعل آرائه تلقى الصدى لدى الكثير من عامة الزنوج فمن ناحية توفى بوكر واشنطن أحد رواد الزنوج في أمريكا في ١٤ نوفمبر سنة ١٩١٥ أى قبل حضوره بشهور ومن ناحية أخرى ففي هذه الفترة نزح عدد كبير من الزنوج من الجنوب للشمال مما جذبهم للزعامة الجديدة .

Logan, *op. cit.*, p. 45.

٣٩ -

٤٠ - عبر دى بوى عن آرائه هذه المعادية لبرنامج بوكر واشنطن سنة ١٩٠٣ في كتابه السابق ذكره

The Souls of Black Folk. Chicago : A.C. Mc Clurg & Co, 1905.

انظر أيضا كتابه Dusk of Dawn السابق ذكره خاصة ص ٧٠ - ٨٣ .

٤١ - "The National Association For the Advancement of Colored People"

عن نشأة هذه الجمعية وتطورها انظر : Lesetr, Vol. I. *op. cit.*, p. 55-62

٤٢ - Yves benot, Les idéologies des indépendances Africaines, Paris : Francois Maspero, 1969.

٤٣ - "The Universal Negro Improvement Association".

ولزيد من المعلومات عنها انظر : Cornon, *op. cit.*

انظر : J. Garvey, Philosophy & Opinions. New York : 1923.

٤٤ - مما يلفت النظر انه قد جعلت الملائكة فيها سود بينما الشيطان أبيض .

٥٤ - ركزت الكنائس المنشقة على وجود هيراركية افريقية سوداء للكنيسة . وقد أدمجت في المفاهيم المسيحية بعض العادات والقيم الأساسية للمجتمعات الافريقية وعلى رأسها تعدد الزوجات والكنائس المنشقة "Separatist Churches" يطلق عليها البعض الكنائس المستقلة أو الكنائس الاثيوبية.

انظر :

Wallerstein. Africa : the politics of Unity ... *op. cit.* p. 10.

Longan, *op. cit.*, p. 46.

٤٦ - انظر :

٤٧ - انظر :

Dcreane, *op cit.*, p. 19, Legum ; *op. cit.*, P.26, & Wallerstein, Africa, the Politics of Unity, *op. cit.*, P. 26.

٤٨ - استطاع جارفى ان يجمع فيما بين ١٩١٩ ، ١٩٢١ ما يقرب من ١٠ ملايين دولار بطرق متعددة تضمنت بيع صورته وخطبه وكروت اعياد الميلاد وقد كان يحرص في خطبه على ان يعطى لنفسه طابعاً يتميز بالقوة الخارقة والنبوة من ذلك ما اعلنه : « ابحثوا عنى في الرعد ، ابحثوا عنى في العاصفة ، ابحثوا عنى في كل ما هو حولكم لاننى بمعونة الله ساتى وسأحضر معى ملايين العبيد السود الذين ماتوا في امريكا وجزر الهند الغربية وملايين الموتى في افريقيا لاساعدكم في الصراع من اجل الحرية والاستقلال والحياة » .

انظر Decraene مرجع سابق ص ٨ - ٢٠ .

٤٩ - Kwame N Krumah. Chana : The Autobiography of Kwame N Krumah. Edinburgh & New York : Nelson, 1957, p. 45.

٥٠ - انظر : Logan, *op. cit.*, p. 46.

ولعل اهم ما جذب نكروما في افكار جارفى هو ما يتعلق برأيه في ضرورة اللعب على الاصابع السوداء فقط للبيانو بدلا من الحاجة للعب على كل من الاصابع البيضاء والسوداء حتى يتحقق التناسق وهو الراى الذى نادى به Dr. Kwegyir Aggrey مساعد مدير كلية امير ويلز وأول عضو هيئة تدريس افريقى بها والذي كان اول من غرس في نكروما واشعل فيه فكرة الوحدة الافريقية وعليه فقد وجد نكروما في مبدا جارفى « افريقيا للافريقيين » هاديا ومرشدا .

انظر : N Krumah, the Autobiography of ..., *op. cit.* p. 33.

٥١ - Vernon Mc Kay. Africa in World Politics. New York & Evanston : Harper & Row, 1936, p. 99.

عن راي دى بوى في الشيوعية انظر :

Lesetr, *op.cit.*, Vol. II, pp. 261-296

٥٢ - W.E.B. Du Bois, "Pan Africa, 1919-1958," All-African Peoples Conference, News Bulletin, Vol.1 No. 3.

٥٣ - من الملاحظ ان حركة العودة لافريقيا ماتت واقعيا بعد اختفاء جارفى من على المسرح ولكن ربما يكون من المفيد الاشارة الى انه عندما قامت حركة القومية السوداء في الولايات المتحدة الامريكية بعد ذلك في بداية الستينات رفعت بعض المطالب التي تبع الافضلية في اولا : المعاملة الحسنة في اوطاننا ، والا فثانيا : يقسم الوطن فيما بين البيض والسود والا فثالثا : اعيدونا لافريقيا .

٥٤ - ولد جورج بادمور سنة ١٩٠٣ وتوفي في ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٥٩ وقد تربي في الولايات المتحدة الأمريكية ودرس التاريخ والعلوم السياسية والقانون .

واسمه الحقيقي مالكوم ايفان ميرديث نورس Malcolm Ivan M. Nu.

٥٥ - انظر اهم كتاباته :

Padmore, Pan Africanism or communism... *op. cit.*, especially pp. 7-144.

٥٦ - Wallerstein, Africa : the Politics of Unity ... *op. cit.* ; p. 12

وعن اول واكمل دراسة عن حياة جورج بادمور ونشاطه انظر :

James R. Hooker. Black Revolution : George Padmore's Path from Communism to Pan-Africanism. London : Pall Mall Press, 196.

لزيد من المعلومات عن تجربته في الاتحاد السوفيتي انظر ص ١٠ - ١٦

Padmore, *op. cit.*, p. 379. — ٥٧

Benot, *op. cit.*, pp. 117-9. — ٥٨

٥٩ - عن التطورات في حركة الوحدة الافريقية راجع ديكرين ، مرجع سابق ، ود. عودة ، مرجع سابق .

٦٠ - Wallerstein, Africa : the Politics of Unity ... *op. cit.* — pp. 11-12.

٦١ - ولد في هايتي ودرس الطب في باريس وعمل بالدبلوماسية ومثل جمهورية هايتي في باريس حتى سنة ١٩٦٠ وله مواهب متعددة وكتابات وآراء في الانثروبولوجيا والتاريخ والاجتماع بالاضافة الى تخصصه في الطب وقد توفي سنة ١٩٦٩ .

Decreane, *op. cit.*, pp. 21-2. — ٦٢

٦٣ - عن رأي سنجور في الزنوجة انظر :

L.S. Senghor. "What is Negutud.". in Mutiso & Rohio, *op. cit.*, pp. 83-84 & Irving Leonard Markovity. Leop old Sidar Senghar and the Politics of Negutude. London : Heinemann, 1969. pp. 40-79.

٦٤ - على راس هؤلاء

Countee Cullen, Langston Hughes, Claude Mc Kay.

٦٥ - Wallerstein, Africa : the Politics of Unity ... *op. cit.*, p. 12.

٦٦ - في اول انشائها اشترك في تحريرها كتاب معروفون : ايمانويل

ايمانويل مونييه ، جون بول سارتر ، البيركامو ، اندريه جيد .
انظر : Decreane, *op. cit.*, pp. 35-7.

Jean Price Mars in Pan Af. Reconsidered ...op. cit. p. 19. — ٦٧

"The Atlantic triangle of influence" — ٦٨

انظر :

G. Shepperson. "Notes on Negro American Influences on the Emergence of African Nationalism." Journal of African History, Vol. I No. 2, Cambridge Univ. Press, 1960.

Hooker. *op. cit.* pp. 28-9 — انظر النص في : ٦٩

Anthony Sampson. Common sense about Africa. New York : the Mac millan Company, 1962, p. 73. — ٧٠

انظر : ٧١

Wallerstein. Africa : the Politics of Unity, *op. cit.* p. 7.

٧٢ — كما قال دي بوي فان هذا المؤتمر قد أدخل كلمة الوحدة الإفريقية
"Pan-African" في القواميس لأول مرة .

انظر :

W.E.B. Du Bois. The World and Africa : New York : Viking, 1947, pp. 7-8

Hooker, *op. cit.*, pp. 29-30. — انظر : ٧٣

٧٤ — من المصادر الأساسية عن المؤتمر الأول ما كتبه ولترز — الذي
رأسه — انظر :

Bishop Alexander Walters. My life & Work. New York . Revel, 1971.

عن القرارات انظر ص ٢٥١ — ٢٥٣ .

Hooker, *op. cit.*, pp. 28-38 وعن المؤتمر انظر : ٧٥

Legum. *op. cit.*, p. 24 — ٧٥

٧٦ — عن رأي دي بوي هذا وآرائه الأخرى في المرحلة الأولى من حياته
ونشاطه انظر :

W.E.B. Du Rois. The Souls of Black Folk. Chicago. Mcllurg, 1903, and
Lester *op. cit.*, Vol. I.

Hooker, *op. cit.*, p. 29. — ٧٧

٧٨ — عن النص .. انظر المرجع السابق ص ٢٧ .

٧٩ - لمزيد من المعلومات عن تطور حركة الوحدة الافريقية واطارها التنظيمي انظر :

J. Ayodele Langley. Pan-Africanism and Nationalism in West Africa 1900-1945. Oxford Studies in African Affairs. London : Oxford at the Clarendon Press, 1973.

٨٠ - عن ظروف عقد المؤتمر ورأى دى بوى فيه انظر :

The Crisis, Nov. 1921, Vol. XXIII pp. 5-10 in Lester, Vol. II *op. cit.* pp. 196-9.

٨١ - بليزديان كان افريقيا من المستوعبين فى الثقافة الفرنسية وكان يقول عن نفسه « أنا فرنسى أولا وزنجى بعد ذلك » . وهذا شأن غيره من المستوعبين ثقافيا .

ومن اقواله أيضا : « نحن فرنسيو افريقيا نرغب فى أن نظل فرنسيين لأن فرنسا أعطتنا الحرية وتقبلتنا بدون تحفظ كأبنائها الأوروبيين » .

٨٢ - عن قائمة بأسماء الدول المشتركة وعدد اعضاء كل منها انظر :
Lester, Vol. II, *op. cit.*, p. 190-1

ولمزيد من المعلومات عن بليزديان انظر :

La revue indigène, No. 151 Juillet-Sept. 1921 and No. 167 Nov., Dec. 1922, and G. W. Johnson, in Africa No. 3, 1966.

٨٣ - عن قرارات المؤتمر انظر :

انظر النص فى : Du Bois, The world and Africa. *op. cit.*, pp. 11-12.
The Crisis, April 1919 in Lester, Vol. II, *op. cit.*, pp. 193-6

٨٤ - Logan, *op. cit.*, p. 42.

٨٥ - The Crisis, April 1919, in Lester, *op. cit.*, Vol. II p. 193.

٨٦ - انظر : Decraene, *op. cit.*, p. 25.

٨٧ - انظر مانيفستو المؤتمر الثانى للوحدة الافريقية المنعقد سنة ١٩٢١،

The Crisis, Nov. 1921, Vol. XXIII pp. 5-10 in Lester, Vol. II *op. cit.*, pp. 199-205.

٨٨ - McKay, *op. cit.*, p. 99.

٨٩ - انظر : Lester, Vol. II., *op. cit.*,

٩٠ - عن تحول بادمور وزملائه انظر :

Hooker, *op. cit.*, pp. 32-57.

٩١ - يذكر لوجان زميل دي بوي أن الأخير طلب منه نتيجة انشغاله بأن يعمل سكرتيراً تنفيذياً للمؤتمر المرتقب في تونس . كما ذكر أنه ألح على دي بوي مراراً للدعوة لمؤتمر جديد للوحدة الإفريقية ولكن دون جدوى . انظر Logan. *op. cit.*, p. 45.

٩٢ - Du Bois. Dusk of Dawn, *op. cit.*, pp. 279-280.

٩٣ - عن رأي نكروما انظر. N Krumah, Autobiography, *op. cit.*, P. 41.

وانظر رأي بادمور في :

Padmore, Pan-Africanism or Communism, *op. cit.*, p. 155.

٩٤ - «The International African Friends of Ethiopia-IAFA»

يوضح بلايدن وهو من الرواد الأوائل للوحدة الإفريقية أن كلمة إثيوبيا تعني القارة بأكملها وعليه فإن كلمة إثيوبيين تعني الشعوب الإفريقية أي الجنس العظيم الذي يسكن تلك القارة . وأن هذا المعنى هو ما قصده الإنجيل والكتب القديمة .

انظر خطابه أمام جمعية الاستيطان الأمريكية في مايو سنة ١٨٨٠ :

Edward W. Blyden. «Ethiopia stretching out her hands unto God ; or Africa's Service to the world», in Mutiso and Rohio, *op. cit.*, p. 3.

٩٥ - من الشخصيات الإفريقية الأخرى التي لمعت فيما بعد والتي حضرت المؤتمر بل ونشطت فيه نذكر على سبيل المثال الزعيم اكينتولا الذي عمل رئيساً لوزراء الإقليم الغربي في نيجيريا ، ووالاس جونسون - زعيم الحركة النقابية في سيراليون ، ودكتور روفائيل أرماتوي - شاعر توجو ، وبيتر ابراهامز قصاص وشاعر جنوب إفريقيا الذي عمل مثل بادمور وجيمس على مهاجمة الشيوعية وإدارة ظهره لها . وكذلك ماركو هولولي ممثلاً عن المؤتمر الوطني الإفريقي . أما الدكتور أزيكو الذي أسهم كثيراً في نمو الحركة فلم يستطع الحضور وأرسل نيابة عنه ماجنوس ويليامز .

٩٦ - انظر Padmore, *op. cit.*, pp. 152 — 170 and NKrumah, *op. cit.*, pp. 52-56 See also, Legum, *op. cit.*, pp. 31—32.

٩٧ - Decraene, *op. cit.*, p. 30.

٩٨ - وهو الذي نتج عن تصريح مشترك للرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل بعد اجتماعاتهم في منتصف أغسطس سنة ١٩٤١ وقد أوضح أسس الوضع الدولي فيما بعد الحرب ومن أهم ما تضمنه من بنود : احترام حقوق كافة الشعوب في اختيار شكل الحكومة التي يعيشون في ظلها .

٩٩ - Wallerstein, Africa : the Politics of Indendence, *op. cit.*, p. 103.

١٠٠ - كان رأى نكروما منذ اقامته للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية أن وحدة غرب افريقيا متطلب ضرورى لحركة وحدة افريقية لتحرير القارة بأكملها .

انظر : Nkrumah, Autobiography, *op. cit.*, p. 44.

١٠١ - Decraene, *op. cit.*, p. 33.

١٠٢ - اخذ بهذا الراى الكثيرون وعلى رأسهم كولن ليجوم الذى لم يفرق بينهما Legum. *op. cit.*, p. 31.

١٠٣ - انظر قرارات المؤتمر فى المرجع السابق ص ١٣٥ - ١٣٧ والنص واضح على وجه الخصوص فى الاعلان الخاص بالشعوب المستعمرة الذى تضمنته الفقرة الثالثة من قرارات المؤتمر .

١٠٤ - انظر Decraene, *op. cit.*, p. 34.

١٠٥ - يرى البعض أن حركة الوحدة الافريقية فى شكلها الاولى فى مرحلتها الاولى بدأت فى مصر وذلك فى شكل مجهودات دوس محمد على وان كنا لا نوافق تماما على هذا الراى لعدة أسباب على رأسها أن دوس محمد على مثل رايا شخصيا وليس حركة عامة اى كان رايه ومجهوداته قاصرة عليه . من ناحية أخرى فانه لم يكن مصريا خالصا بل كان من اصل سودانى وكانت آراؤه عنصرية وبالتالي لم تلق صدى فى مصر التى لم تتبن فى الماضى أو فى الحاضر الدعوة العنصرية ومن ثم كانت معارضتها أو على الأقل فتورها تجاه حركة « الزنوجة Negritude » .

والتضامن الافريقى فى رأى مصر قصد به تضامن حوض النيل وهى نظرة تقليدية منذ عهد الفراعنة .

لزيد من المعلومات عن دوس محمد على ، انظر : د. عبد الملك عودة ، سنوات الحسم فى افريقيا ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٩ ص ٢٦٧ - ٢٧٧ .

١٠٦ - اوضح الرئيس جمال عبد الناصر فى كتاب فلسفة الثورة أن دوائر السياسة الخارجية المصرية هى ثلاث دوائر اساسية وهى :

الدائرة العربية والدائرة الافريقية ودائرة الدول الاسلامية وفقا لهذا الترتيب . وقد ذكر : « أننا لن نستطيع بحال من الأحوال - حتى لو أردنا - أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور اليوم فى أعماق افريقيا بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون من الافريقيين . لا نستطيع لسبب هام وبديهي هو أننا فى افريقيا . ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع الينا ، نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله ... » .

انظر جمال عبد الناصر ، فلسفة الثورة ، مصلحة الاستعلامات (د . ت) ص ٥٢ - ٥٣ - ونفس الشئ اكده الرئيس محمد انور السادات فى « ورقة أكتوبر » حيث اوضح أن هناك ثلاث دوائر هى العربية والافريقية وعدم الانحياز .

١٠٧ - تولت مصر الزعامة في تحقيق مؤتمرات التضامن الافريقى -
الاسيوى فمصر هى الدولة الوحيدة فى افريقيا التى يقع جزء منها فى آسيا وهى
بالتالى تمثل حلقة الاتصال بين القارتين اما غانا فى ظل نكروما فقد تجاهلت هذه
الحركة بمعنى انها لم تلق منها التأييد الحقيقى على زعم ان حركة تحرير افريقيا
لا تحتل الا اهتماما هامشيا عند الاسيويين بالنسبة للمشاكل الدولية انظر :

Pan-Africanism Reconsidered, op. cit.

١٠٨ - عن آراء نكروما فى الوحدة الافريقية انظر :

Kwame Nkaumsh. Africa must Unite. London : Heinemann Educa-
Books Ltd., 1963.

Legum op. cit., pp. 38—39

١٠٩ -

Padmore, op. cit., p. 178.

انظر أيضا

١١٠ - فى تحليل للأجناس والاجابة على كثير من التساؤلات المثارة بشأن
الزواج انظر

UNESCO. The Race concept. Results of an Inquiry. Paris : UNESCO,
1951.

قائمة المراجع

اولا - المراجع العربية :

- ايهاب زكى سرور ، تطور الوحدة الافريقية — رسالة دكتوراه ، كلية التجارة ، جامعة القاهرة ١٩٦٦ .
- بطرس بطرس غالى (دكتور) ، منظمة الوحدة الافريقية . القاهرة : مكتبة الانجلو ، ١٩٦٤ .
- _____ ، الحركة الافرو آسيوية . القاهرة : دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٩ .
- _____ ، العلاقات الدولية فى اطار منظمة الوحدة الافريقية . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٤ .
- عبد الملك عوده (دكتور) ، فكرة الوحدة الافريقية . القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٦٦ .

ثانيا - المراجع الاجنبية :

المؤلفات :

- Adekunle, Ajala, Pan Africanism : Evolution, Progress & Prospects. London : André Deutsch Ltd, 1974.
- Bénot, Yves. Idéologies des Indépendances Africaines. Paris : Francois Maspero, 1969.
- Cronon, Edmund David. Black Moses : The Storey of Marcus Garvey & the Universal Negro Improvement Association. Madison : The University of Wisconsin Press, 1955.
- Delany, M.R. Official Report of the Niger Valley Exploring Party. New York, 1861.
- Decraene, Philippe. Le Panafricanisme, Paris : Presses Univrsersti-aires de France, 1970.
- Du Bois, W.E.B. Dusk of Dawn. New York : Harcourt, Brace & Co., 1945 (reprinted by Schocken Books, New York, 1968).

- Du Bois, W.E.B. *The World & Africa*. New York : Viking, 1947.
- ———, *The Sould of Black Folk*. Chicago : Mcllurg, 1903.
- Griffith, Cyril E. *The African Dream : Martin R. Delany & the Emergence of Pan-African Thought*. University Park & London : The Pennsylvania State Univ. Press, 1975.
- Hooker, James, *Black Revolutionary : George Padmore's Path from Communism to Pan Africanism*. London : Pall Mall Press 1967.
- ———, *Henery Sylvester Williams : Implrial Pan-Africanist*. London : Rex Collings, 1975.
- July, R.W. *The Origins of Modern Africain Thought*. London : Faber & Faber, 1968.
- Langley, J. Ayodele. *Pan-Africanism & Nationalism in West Africa 1900 - 1945*. Oxford Studies in African Affairs. London : Oxford at the Clarendon Press, 1973.
- Lester, Julius (ed.). *The Seventh Son : The Thought & Writings of W.E.B. Du Bois., Vol. I & III* New York : Vintage Books, 1971.
- Legum, Colin. *Pan Africanism: A Short Political Guide*. New York: Frederick A. Praeger, 1962.
- Lewiss, William H., *New Forces in Africa*. Washington : Public Affairs Press, Library of Congress, 1962.
- Lunch, Hollis R. *Edward Wilmost Blydeno. 1832-1912 : Pan Negro Patriot*. London: Oxford Univ. Press, 1967.
- Mckay, Claud. *Selected Poems of Mckay*. Twayne, New York, 1959-1961.
- Mutiso, Gideon-Cyrus M., & Robio, S.W., (eds.). *Readings in African Political Thought*. London: Heinemaun, 1975, pp. 3-18.
- Minogue, Martin & Molloy, Judith, (eds.). *African aims & attitudes: Selected Documents*. London: Cambridge Uiv. Press, 1974.
- Nkrumah, Kwame. *Ghana : The Autobiography of Kwame Nkrumah*. Edinburgh & New York: Nelson, 1957.
- ———, *African must Unite*. London. : Heinemenn Educational Books Ltd., 1963.

- Padmore, George. *Pan Africanism or Communism? The Coming Struggle for Africa*. London: Dennis Bobson, 1956.
- Sampson, Anthony. *Common sense about Africa*. New York: the Macmillan Company, 1962.
- Shepperson, G. & Price, T. *Independent Africa*. Edinburgh: The University Press, 1968.
- Walkerstein, Inmanuel. *Africa : The Politics of Independence*. New York: Random House, 1961.
- —————, *Africa : The politics of Unity*. London : Pall. Mall press, 1968.

المقالات والدوريات

- Blyden, Edward W. "Ethiopia stretching out her hands unto God ; or Africa's Service to the world" in Mutiso, Gideon Cyrus M. & Rohiru S. W. (eds.), *Readings in African Political Thought*. London : Heinemann, 1975. pp. 3-9.
- Csis, Feb. 1919, Vol. XVII No 4, New York. NAACP. p, 166,
- Du Bois, W.E.B. "Pan Africa, 1919-1958, All African People's Conference, Accra, News Bulletin, Vol. I No 3., 1958.
- "Festival D'Alger : Negritude et Panafricanisme." *Le Mois en Afrique*, 46, Oct., 1969, pp. 9-13.
- Mars, Jean. Price, in *Pan Africanism, Reconsidered*, published by the American Society for the African culture. Calif., Berkeley : Univ. of Calif. Press. 1969.
- La revue indigene, No. 151 Juillet-Sept., 1921 & No V. Dec., 1922.
- Senghor, L.S. "what is Negritude" in Mutiso, Gideon Cyrus M. & Rohio, S.W. (eds.) *Readings in African Political Thought*. London : Heinemann, 1975. pp. 83-4.
- Shepperson, G. "Notes on Negro American Influences on the Emergence of African Nationalism." *Journal of African History*, Vol. I No 2, Cambridge Univ. Press, 1960.

مدينة عطبرة بالسودان

(دراسة في جغرافية المدن)

الدكتور شريف محمد شريف

استاذ مساعد بجامعة القاهرة فرع الخرطوم

ATBARA TOWN IN THE SUDAN (A STUDY IN URBAN GEOGRAPHY)

Atbara town lies on both right banks of the two rivers Nile and Atbara, at the point of their conjunction. According to occupational classification, it is considered the first industrial town in the Sudan. Its population size puts it in the eighth rank among the largest towns of the country, the population of each exceeds forty thousand inhabitants.

The nucleus of Atbara town was a small village, called El Dakhla, lying on the right bank of the River Nile. It grew progressively till, at the beginning of the present century, when it became a large town with the name Atbara.

According to geographical situation and position, Atbara town became the main centre of the Sudan Railways.

At Atbara, the mode and standard of living is very low. The majority of the population are labourers. This may count for the low standard of living.

Atbara has a young population. Nearly 40 % are under 13 years and 50 % under 18.

A great proportion of Atbara population consists of in-migrants, ; the majority of which are males. The masculinity ratio is 117 males per 100 females. Most of males are in the labour force.

The town is divided into the following districts and sub-districts :

1. *Western Area :*

Hai el Sawdana, Railways area, Hai el Ommal, el Dakhla el Gadida, el Dakhla el Gadida and el Saiyala.

2. *Central Area :*

Madani west, Market area, el Morabaat el Gadima, el Morabaat el Shargi and el Hilla el Godida.

3. *Sauhtiern Area :*

Um Bfoor, el Morada west, el Morada east and el Tilaih.

4. *Eastern Area :*

El Hassa west, el Hassa east, 1st Hassa extension, 2nd Hassa extension, el Gala, el Anadi Madani east, 1st Madani extension and 2nd Madani extension.

5. *Northern Area :*

Central area and Military area. Owing to the rail ways works in the town Atbara is still expanding.

تمهيد :

إن مدينة عطبرة التي اشتهرت بين أهل السودان بأنها « مدينة الحديد والنار » إشارة إلى ما تحويه من « ورش السكك الحديدية » ، تعتبر من أحدث المدن السودانية نشأة وعمرانا ، بل إنها أعظم مركز عمراني وسكاني بالمديرية الشمالية في التقسيم الإداري السابق ، أو بمديرية النيل في التقسيم الحالي (١) .

وعلى أساس التصنيف الوظيفي للمدن تعتبر عطبرة مدينة نقل ومواصلات (٢) من الدرجة الأولى ، حيث إن السكك الحديدية السودانية قد خلقت هذه المدينة خلقاً حينما كانت خطوطها تمتد مع مطلع القرن الحالي في مختلف أنحاء البلاد ، قادمة إلى عطبرة من وادي حلفا في الشمال ، أو متجهة إلى بور سودان وسواكن في الشرق ، أو مارة بهذه المدينة عبر نهر عطبرة متجهة صوب الجنوب تجاه الخرطوم

(١) صدر قرار جمهوري في مايو ١٩٧٤ بالتقسيم الإداري الجديد للسودان (خمس عشرة مديرية) وبمقتضى القرار قسمت المديرية الشمالية إلى مديريتين: إحداهما في الأجزاء الشرقية منها بإسم مديرية النيل وعاصمتها الدامر ، والأخرى في بقية أجزاء المديرية القديمة وقد احتفظت بإسم المديرية الشمالية وعاصمتها دنقلا .

(٢) جمال حمدان (١٩٦٤) - المدينة العربية . ص ص ٥٥-٥٧

عاصمة البلاد . وبذلك أتبع لهذه المدينة بموقعها الجغرافي أن تكون المركز الرئيسى للسكك الحديدية بالسودان ، حيث استقرت بها رئاسة السكك الحديدية وأنشئت معها « ورش » للإصلاحات وللصيانة ، كما أقيمت المخازن والمنشآت الخاصة بالسكك الحديدية . وانجذبت إلى المدينة أعداد كبيرة من العمال والصناع والموظفين حتى أصبحت عطبرة من أكبر المناطق الصناعية والعمالية فى البلاد .

ورغم حداثة هذه المدينة فقد استأثرت بالأهمية السكانية والعمرانية متفوقة فى ذلك على مختلف العواصم الإدارية فى إقليمها . ومن أمثلة هذه العواصم « بربر » ذات الدور التاريخى ، حيث كانت ملتقى^(١) للطرق القوافل المتجهة إلى مصر أو القادمة منها عبر صحراء العظمور ، وكذلك الطرق البرية بين النيل والبحر الأحمر . كذلك فإن « الدامر » رغم إتخاذها عاصمة للمديرية (الشمالية سابقاً والنيل حالياً) ، لأسباب خاصة^(٢) ، لا تزال أقل من مدينة عطبرة سكاناً وعمراناً ، وإن تكن لها أهمية روحية تتمثل فى كونها مركزاً لطائفة المجاذيب حيث دفن بها فقيه الدامر الشيخ محمد المحذوب عام ١٨٢٦م^(٣) .

أما على أساس الحجم الذى يقصد به عدد سكان المدينة ، والذى له أهمية كبيرة فيما يختص بوزن المدينة ، بوصفه مقياساً عاماً ، فإن مدينة عطبرة تحتل غالباً المرتبة الثامنة بين مدن السودان الكبرى التى يزيد عدد سكان كل منها على أربعين ألف نسمة . وهذه المدن الكبرى هى على الترتيب : أم درمان (١٨٥٣٨٠ نسمة) والخرطوم (١٧٣٥٠٠ نسمة) والخرطوم بحرى (٨٠٠١٠ نسمة) وبور سودان (٧٨٩٤٠ نسمة) وكسلا (٦٨١٣٠ نسمة) وود مدنى (٦٣٦٦٠ نسمة) والأبيض (٦٢٥٦٠ نسمة) ثم عطبرة (٤٨٢٥٠ نسمة) والقضارف (٤٥٠٩٠ نسمة)^(٤) .

والجدير بالذكر أن مدينة عطبرة قلما تناولتها الدراسات العلمية كمركز

(١) العياد وسعودى (١٩٦٦) - السودان - ص ١٩٢

(٢) يقال إنها الخلاف الذى دب بين مدير المديرية ومدير السكك الحديدية على أولوية كل منهما

فى البروتوكول (العياد وسعودى فى كتاب السودان ١٩٦٦ - ص ١٩٢) .

(٣) نفس المكان .

(٤) . Population and Housing Survey, 1964/66, General survey of the Urban Areas, Oct. 1968, Table A.1, pp. 41 - 43.

لعمري هام ، ولم تنطرق إليها الأبحاث بالأهمية التي تطرقت بها إلى سواها من المدن الكبرى ولا سيما مدينة الخرطوم بوصفها عاصمة السودان . ولذلك كان جمع المادة العلمية عن مدينة عطبرة تكتنفه صعوبات جمة . وكان لابد من دراسة ميدانية لهذه المدينة في واقعها الطبيعي وكيانها البشري ، إلى جانب ما دون عنها في أشتات التقارير والمدونات المنشورة وغير المنشورة ، ليتمكن في هذه الدراسة الجمع بين المنهج الوصفي من ناحية والمنهج الإحصائي من ناحية أخرى في منهج تطبيقي (١).

الخصائص الطبيعية للمدينة :

(١) الموقع والموضع :

تقع مدينة عطبرة فلكياً عند ملتقى دائرة العرض ٤٢° - ١٧° شمالاً وخط الطول ٥٨° - ٣٣° شرقاً (٢)، وطبيعياً على الضفة اليمنى لنهر عطبرة عند نقطة التقائه بنهر النيل الرئيسي . أما منسوب المدينة فانه نحو ٣٤٥ متراً فوق مستوى سطح البحر (٣). وللموقع الجغرافي لمدينة عطبرة مميزات عديدة منها أنها تقع عند التقاء النيل الرئيسي بآخر رافده تجاه الشمال ، وهذا يجعلها آخر مدينة مصرية في تتابع الجريان النيلي ، فضلاً عن كونها بداية للنطاق الصحراوي الكبير الذي لا رافد فيه النيل . ومن جهة أخرى فان طبيعة الجريان النيلي في إقليمها جعل موقع المدينة أبعد أجزاء الإقليم تجاه الشرق ، الأمر الذي جعل مدينة عطبرة أقرب المراكز العمرانية على النيل الرئيسي إلى بور سودان وسواكن . ولذلك اختيرت بداية للخط الحديدي الواصل إلى بور سودان . حيث المنفذ البحري للسودان إلى العالم الخارجي . ولم تلبث مدينة عطبرة أن أصبحت عقدة مواصلات جيدة تربط إقليمها

(١) اعتمدت في منهج الدراسة على المراجع الآتية : -

أ - كتاب « جغرافية الحضر » للدكتورين محمد السيد غلاب ويسرى الجوهري الاسكندرية

١٩٧١

ب - كتاب « جغرافية المدن » الدكتور جمال حمدان - القاهرة ١٩٧٢

ج - رسالة الدكتوراه غير المنشورة (نسخة إنجليزية) للدكتور السيد البشري بجامعة الخرطوم وموضوعها « مدينة الخرطوم : تحليل اقتصادي واجتماعي » مقدمة إلى جامعة لندن عام ١٩٧٠ .

(2). Sudan Meteorological Dept. Atbra Climatological Normals, 1941 - 1970.

(3). Loc. Cit.

بمختلف أجزاء السودان بالخطوط الحديدية فضلاً عن الطرق البرية والخطوط الجوية ، مما أهلها لأن تكون بحق المركز الرئيسى للسكك الحديدية بالسودان (١). ويبلغ طول الخط الحديدى الذى يصلها بالخرطوم ٣١٠ من الكيلومترات ، والذى يصلها ببورسودان ٤٧٤ كيلومتراً والذى يصلها بوادى حلفا ٦١١ كيلومتراً (١).

وتعتبر مدينة عطبرة أهم المراكز العمرانية فى إقليمها إذ تتوسط الإقليم بينما تقع بينها وبين بربر ٣٦,٨ كيلومتراً ، وبينها وبين الدامر ١٢ كيلومتراً ، وبينها وبين شندى ١٣٦ كيلومتراً (٢) .

ومدينة عطبرة أشبه فى موقعها بمدينة الخرطوم بحرى إن كلا منهما على الضفة اليمنى لأحد روافد النيل ، وتحف بها الضفة اليمنى للنيل الرئيسى شاغلة الركن الشمالى عند ملتقى النهرين .

والجدير بالملاحظة أن مدينة عطبرة نشأت على ضفة النهر مستطيلة الشكل (٣)، طولية الامتداد ، شأنها فى ذلك شأن المدينة الحديثة بالسودان على ضفاف أنهاره ، إذا تبدأ فى أولى مراحلها التطورية مستطيلة على ضفة النهر ثم تصل فى طريق نموها إلى مرحلة الانفجار التطورى الذى يتعد باتجاه النمو إلى الخارج بعيداً عن ضفة النهر . ومدينة عطبرة تشبه فى ذلك مدن أم درمان والخرطوم وودمدنى ووادى حلفا ودنقلة وسنار .

ولئن كانت مدينة عطبرة ينطبق عليها مبدأ استقطاب النيل لمراكز العمران فى المناطق الجافة وشبه الجافة ، فإن طبيعة امتداد السكك الحديدية بالسودان خلقت منها مدينة ذات أهمية عمرانية كبرى .

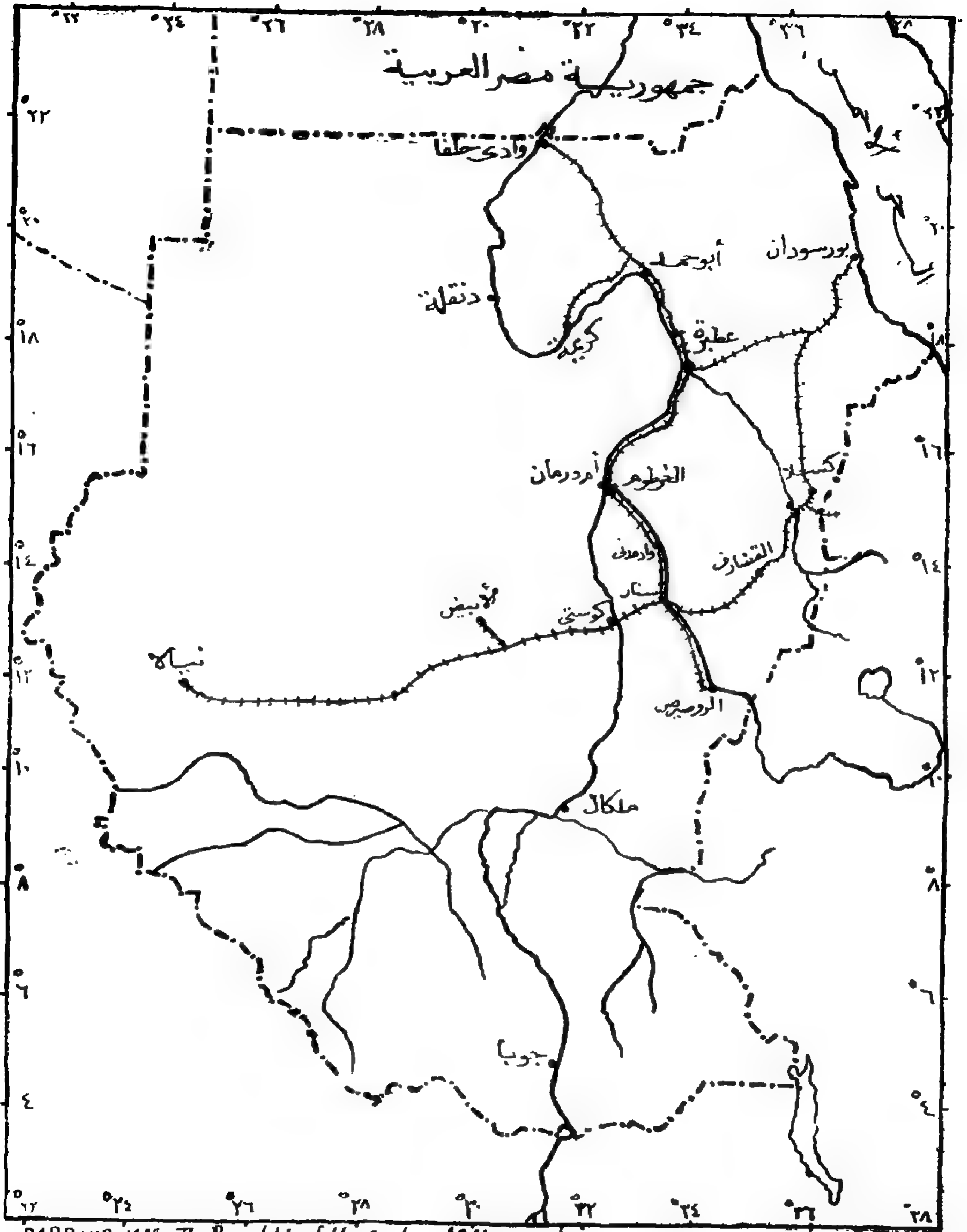
أما من حيث الموضع فإن الأرض فى موضع المدينة تبدو شبه مستوية ، ولكنها ترتفع قليلاً فى أجزائها الشرقية والشمالية . وقد نتج من ذلك ظهور أخوار فى هذه

(١) أنظر الخريطة فى الشكل رقم (١)

(١) March, G.F., "Transport in the Sudan, in Tathill, J.D., "Agriculture in the Sudan", London, 1952, p. 179.

(2). Sudan Almanac, 1970 / 1971., p. 23.

(٣) صلاح مازرى (١٩٦٨) : المدينة السودانية الحديثة ، - مجلة الدراسات السودانية - كلية الآداب بجامعة الخرطوم - العدد الأول (يوليو ١٩٦٨) ص ٤٧ .



شكل رقم (أ)
مدينة عطبرة مركز السكك الحديدية بالسودان

المنطقة كان لها تأثير في اتجاهات العمران بالمدينة . وأظهر تلك الأنوار ثلاثة ذات اتجاه شمالي جنوبي تصرف ما قد يتجمع فيها من مياه المطر إلى نهر عطبرة . وهذه الأنوار يفصل أحدها حتى السكة الحديدية عن بقية الأتحاء الأخرى من المدينة تجاه الشرق ، بينما يتوسط الثاني منطقة المربعات السكنية ، وأما الخور الثالث فإنه يفصل بين قسمي حي الموردة . وهناك أيضاً ثلاثة أنوار أخرى رئيسية تمتد في إتجاه شرقي غربي بحيث تصرف ما قد يتجمع بها من مياه المطر إلى مجرى النيل الرئيسي . وثلاثها تمتد في شمال غربي المدينة متفرقة قرينى الداخلة والسيالة .

(ب) المناخ :

إن الإقليم الممتد بين مدينتي الخرطوم وأسوان في حوض النيل يعتبر بوجه عام من أشد أقاليم العالم حرارة (١) ، ومناخه قارى ، حيث يكون الاختلاف عظيماً بين حرارة الصيف وحرارة الشتاء بل بين حرارة النهار وحرارة الليل . وعلى ذلك يتميز المناخ في مدينة عطبرة بارتفاع درجة الحرارة وخاصة في فصل الصيف (مايو - سبتمبر) ، ويصل متوسط النهاية العظمى للحرارة في السنة من واقع المتوسطات الشهرية نحو ٣٧ر٤ م° . أما في فصل الشتاء (ديسمبر - فبراير) فإن الحرارة تنخفض ، ويصل متوسط النهاية الصغرى للحرارة في السنة من واقع المتوسطات الشهرية نحو ٢٢ر٢ م° .

أما الرياح السائدة على المدينة فهي الشمالية ، وتهب طول العام فيما عدا شهرى يوليه وأغسطس إذ تهب خلالها الرياح الجنوبية الغربية . ويبلغ متوسط سرعة الرياح في السنة نحو ٦ر٤ من الأميال في الساعة (١٠ر٣ كيلو مترات) ، على أن أقصى سرعة لها ٨ أميال (١٢ر٨ كم) في الساعة ، وأقل سرعة لها ٤ أميال (٦ر٤ كم) في الساعة .

هذا ، وتثير الرياح كميات هائلة من الأتربة الناعمة بحيث تتعذر الرؤية ، بل قد تمتنع تماماً في بعض الأحيان .

(١) محمد عوض محمد (١٩٤٨) : نهر النيل - الطبعة الثانية - ص ٢١١

أما المطر فانه قليل نوعاً إذ متوسطه السنوى نحو ٩٨١ من المليمترات . وفيما يلي بيان بعناصر المناخ في مدينة عطبرة (*) وهو متوسطات الأرصاد الجوية في المدة ١٩٤١ - ١٩٧٠ (١) :-

أولا - الحرارة : (بالدرجات المئوية) :

متوسط النهاية العظمى	أعلى نهاية عظمى	أدنى نهاية عظمى (٢)	
٣٠ر٥	٣٩ر٨	٢٠ر٤	يناير
٣٢ر٠	٤١ر٧	٢٠ر٥	فبراير
٣٥ر٩	٤٤ر١	٢٤ر١	مارس
٣٩ر٣	٤٦ر٠	٢٦ر٦	إبريل
٤٢ر١	٤٦ر٨	٣٣ر٧	مايو
٤٣ر٠	٤٦ر٦	٣٥ر٧	يونيه
٤٠ر٤	٤٥ر٦	٣٠ر٥	يوليه
٣٩ر٤	٤٥ر٢	٣٠ر٠	أغسطس
٤١ر٠	٤٥ر٣	٣٤ر٢	سبتمبر
٣٩ر٣	٤٢ر٩	٢٦ر٨	أكتوبر
٣٥ر٠	٣٩ر٧	٢٦ر٣	نوفمبر
٣١ر٤	٣٨ر٣	٢٢ر٤	ديسمبر
٣٧ر٤	٤٦ر٨	٢٠ر٤	السنة

متوسط النهاية الصغرى	أعلى نهاية صغرى (٣)	أدنى نهاية صغرى	
١٤ر٧	٢١ر٠	٦ر٦	يناير
١٥ر٣	٢٣ر٠	٦ر٦	فبراير
١٨ر٤	٢٦ر٨	٩ر٨	مارس

(*) أنظر الأشكال بأرقام (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥)

(1) Sudan Meteorological Dept., Atbara, Climatological Normals, 1941 — 1970.

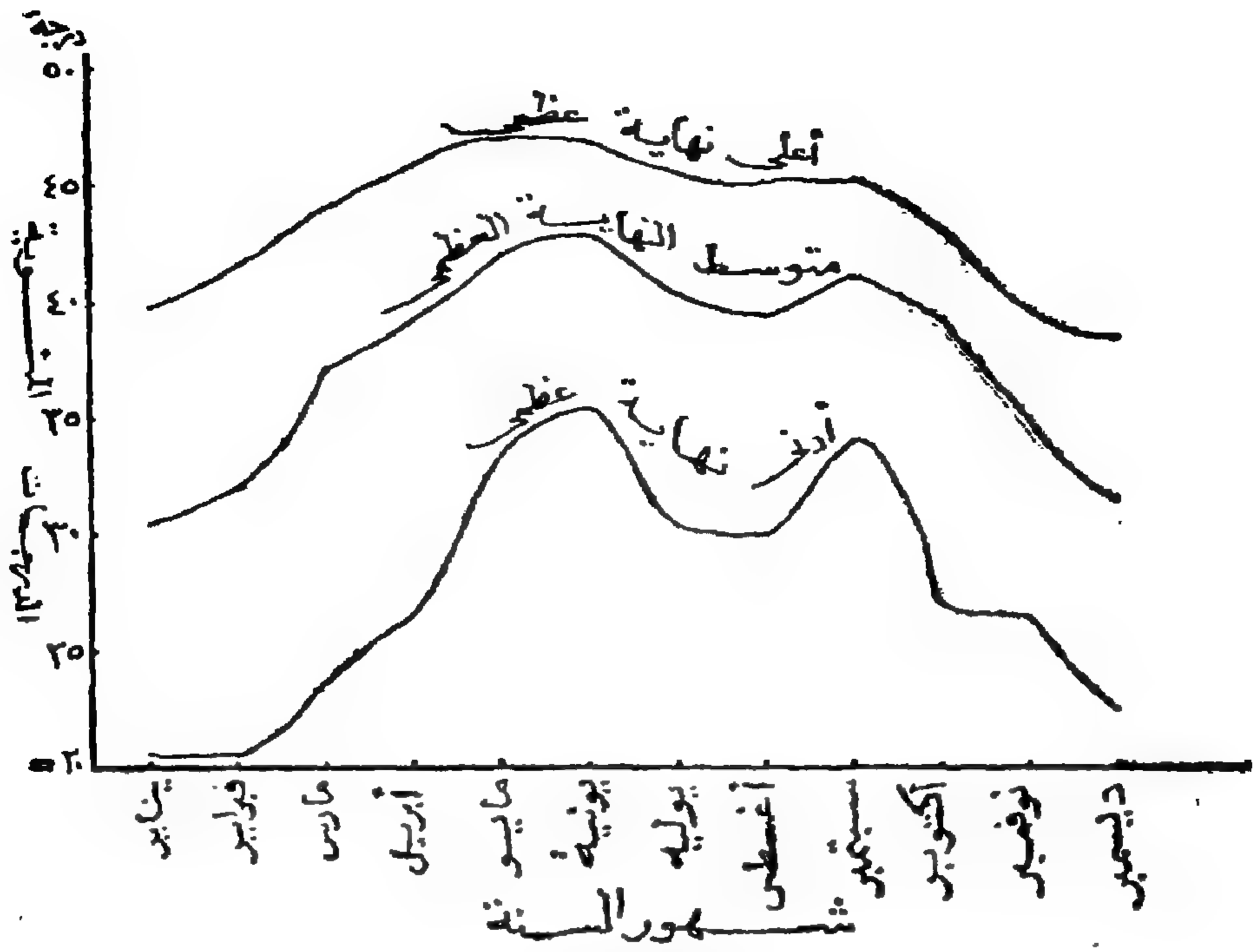
(2) Ibid., Climatological Normals, 1931—1960.

(3) Sudan Met. Dept., ATBARA, Climatological Normals, 1931 — 1960.

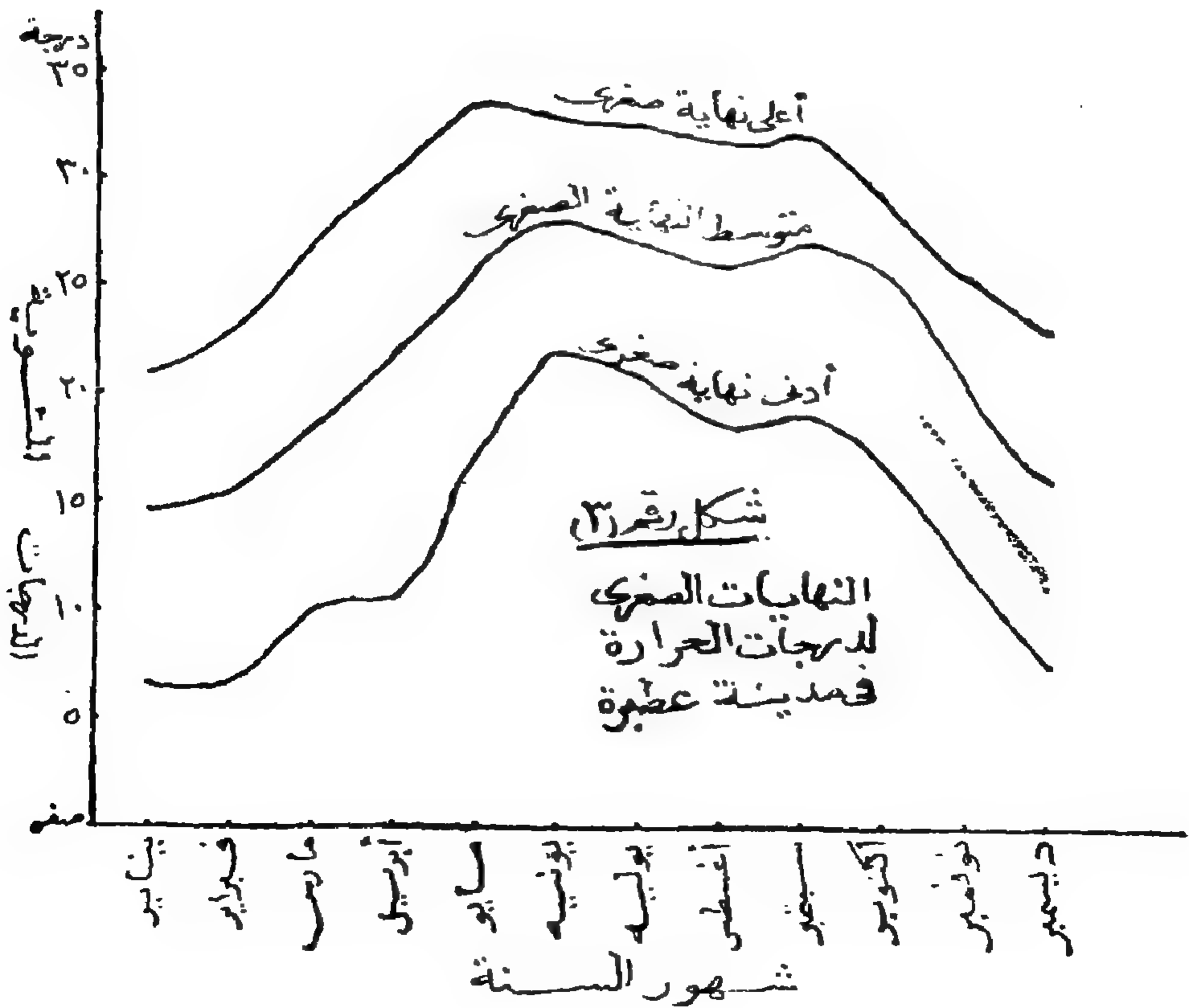
أبريل	٢١ر٩	٣٠ر٦	١٠ر٦
مايو	٢٥ر٨	٣٣ر٤	١٧ر٣
يونيه	٢٨ر٠	٣٣ر٢	٢٢ر٠
يوليه	٢٧ر٢	٣٢ر٥	٢٠ر٩
أغسطس	٢٥ر٨	٣١ر٦	١٧ر٧
سبتمبر	٢٧ر١	٣٢ر٠	١٨ر٩
أكتوبر	٢٥ر٦	٢٩ر٠	١٨ر٠
نوفمبر	٢٠ر٥	٢٥ر٥	١٢ر٠
ديسمبر	١٦ر٠	٢٢ر٧	٧ر٤
السنة	٢٢ر٢	٣٣ر٤	٦ر٦

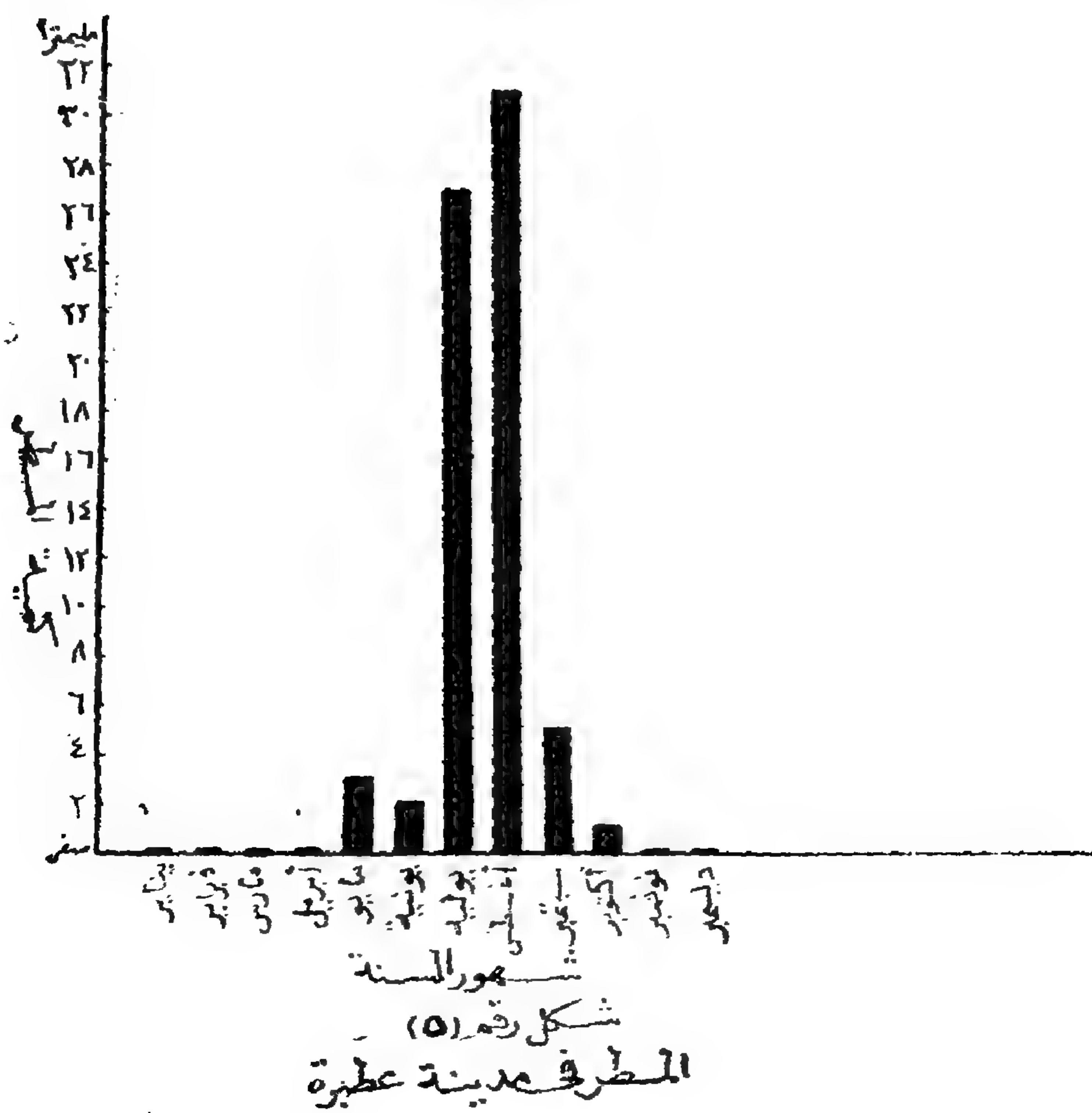
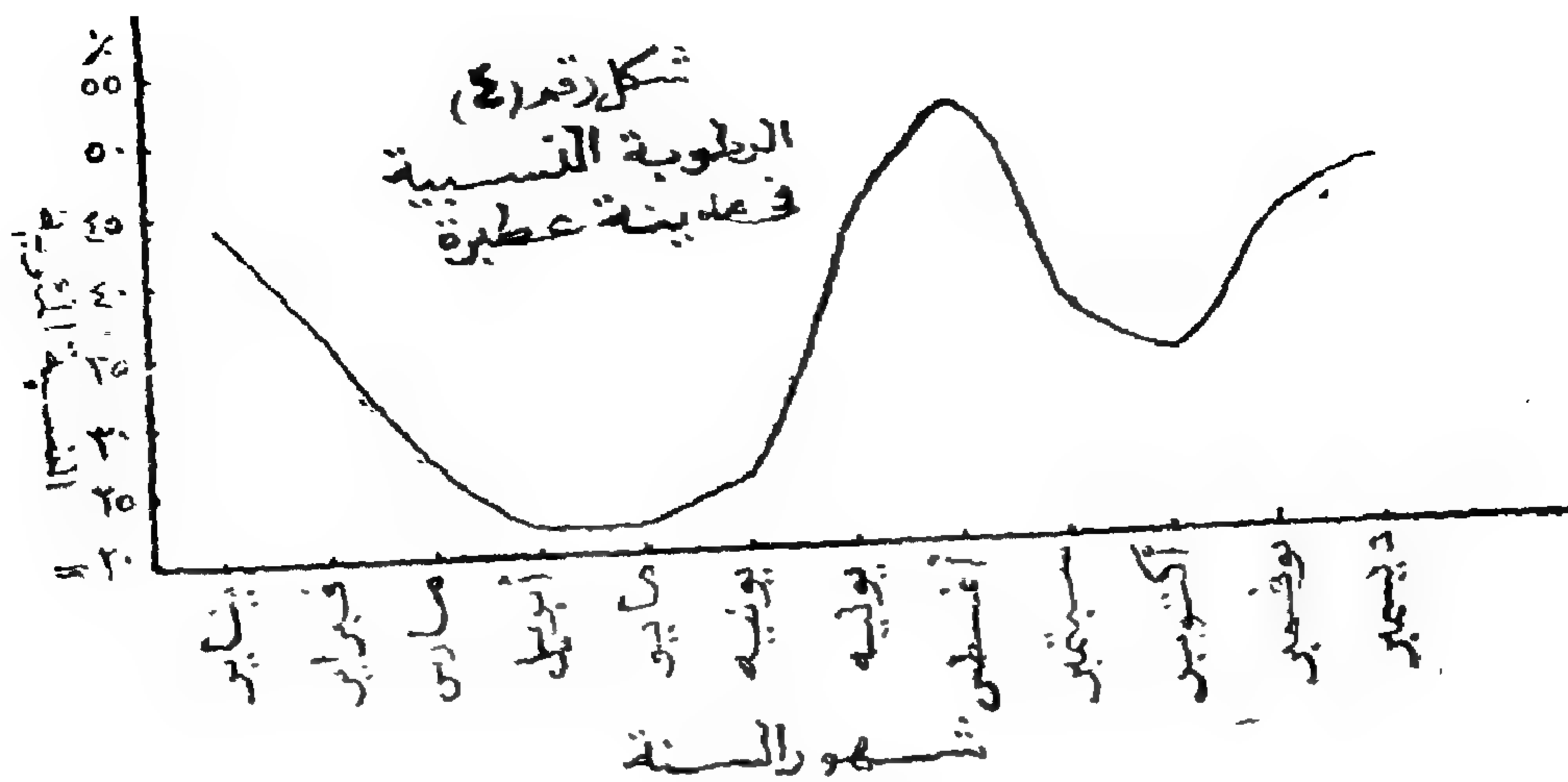
ثانياً — الرياح والرطوبة النسبية :

جهة هبوب الرياح السرعة (ميل / ساعة) الرطوبة النسبية (%)			
يناير	الشمال	٨	٤٤
فبراير	"	٨	٣٦
مارس	"	٨	٢٧
أبريل	"	٧	٢٢
مايو	"	٦	٢٢
يونيه	"	٦	٢٥
يوليه	الجنوب الغربي	٦	٤٣
أغسطس	"	٧	٥١
سبتمبر	الشمال	٤	٣٧
أكتوبر	"	٥	٣٣
نوفمبر	"	٦	٤٢
ديسمبر	"	٦	٤٦
السنة	—	—	٣٦



شكل رقم ٢
النهايات العظمى لدرجات الحرارة في مدينة عطبرة





ثالثاً - الأمطار : (المجموع بالمليمترات) :-

يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيه
أثر	أثر	أثر	أثر	٣	٢
يوليه	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
٢٧	٣١	٥	١	أثر	أثر
٦٩					

(ج) النبات الطبيعي :

من الصورة المناخية للمدينة وإقليمها يتضح أن السمة الغالبة على هذا الإقليم هي الطبيعة الصحراوية وشبه الصحراوية . ومن ثم تنتشر الأحراش بعيداً عن المجارى النهرية ، خلال بقع من الحشائش القصيرة (الاستبس) الفقيرة . ولكن على ضفاف النيل ونهر عطبرة ينمو نخيل الدوم بكثرة وكثافة ، مما جعل له أهمية تجارية سواء من حيث الأخشاب أو السعف أو الألياف أو الثمار ، حتى لقد استخدم الأهالي أخشاب الدوم في تسقيف المنازل وصناعة السواقي ، وذلك لوفرته ورخصها كما استخدموا ألياف الدوم في صناعة الحبال اللازمة للسواقي وغيرها . ولقد ازدهرت تجارة السعف في وقت ما لدرجة أنها كانت تنقل إلى أم درمان بالقوارب والمراكب في أوائل الأربعينيات من القرن الحالى (١) . وأمام التطور العمراني للمدينة أزيل أغلب النباتات الطبيعية ولا سيما في المنطقة البعيدة عن ضفاف النهرين ، أى في النطاق الحالى لمدينة عطبرة .

نشأة المدينة وتطورها العمراني (٥):

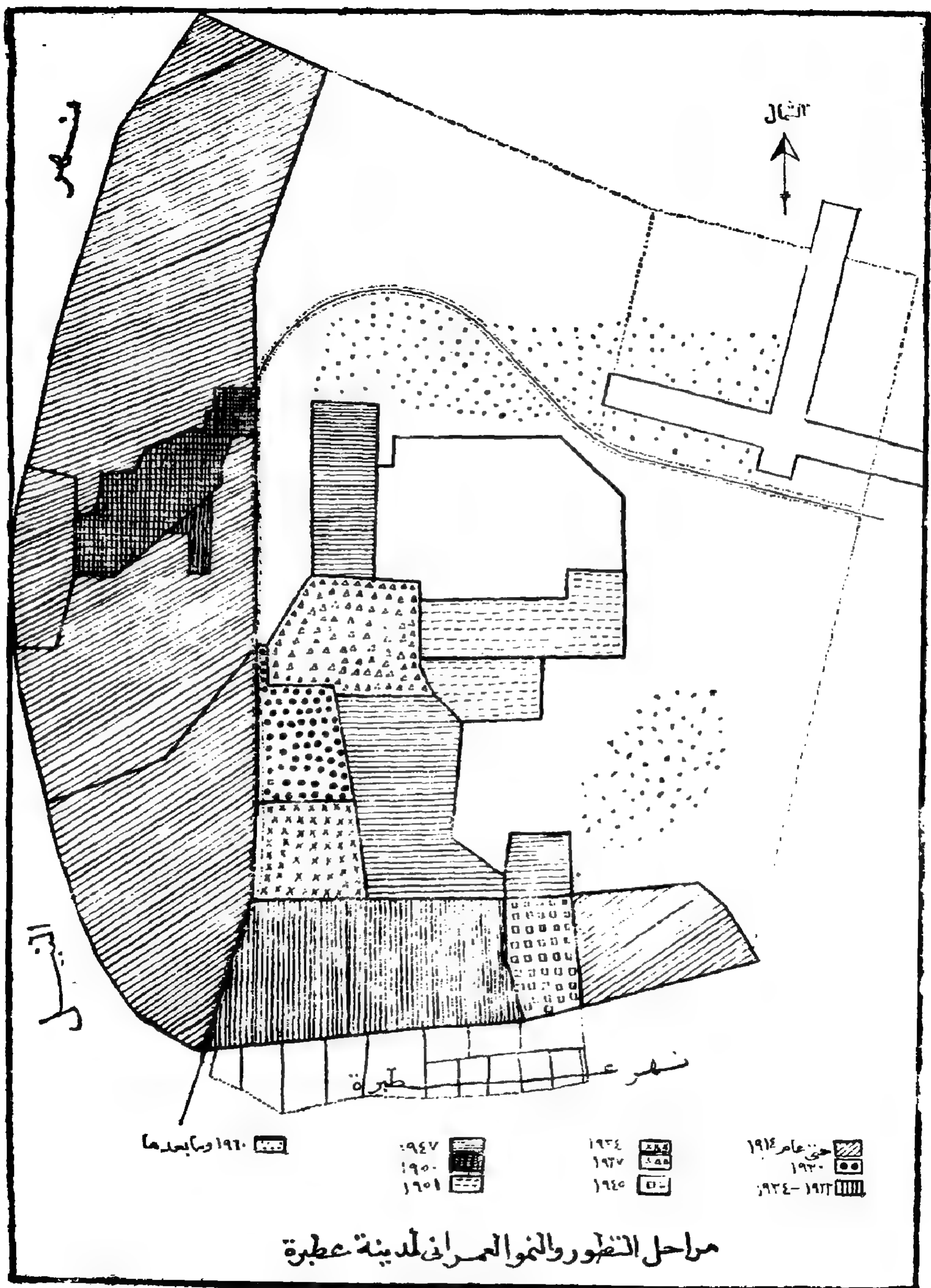
كانت مدينة عطبرة في حقيقة أصلها قرية نكرة على الضفة اليمنى للنيل الرئيسى في منطقة التقائه بنهر عطبرة . تلك هي قرية الداخلة القديمة ، وفي شمالها قرية أخرى أقل أهمية ولا تزال محتفظة بطابعها الريفي وهي قرية السيالة (٢) . وكان العمل الأساسى لغالبية السكان هو الزراعة على ضفتى النيل والعطبرة باستخدام السواقي فى الري .

(٥) أنظر الخريطة بالشكل رقم (٦) .

(١) كتاب محافظ الشمالية برقم N. P./30.B.3 بتاريخ ١٠-٥-١٩٤٢ بشأن نخيل الدوم

وأهميته في التجارة (دار الوثائق المركزية بالخرطوم : ملف رقم N.P. 2/66/656

(٢) عبد الله على حامد (١٩٧٠) : تخطيط المدن في السودان (رسالة ماجستير لم تنشر) ص ٢٣٥



شكل رقم ١٦

وإلى جانب الزراعة احترفت قلة من السكان صناعة القوارب من الأخشاب . أما المناطق البعيدة عن ضفتي النهرين والتي يشغلها اليوم معظم مباني المدينة فقد كانت مليئة بأشجار النخيل .

وباستعراض المراحل التطورية لنمو المدينة يمكن القول أن مدينة عطبرة بدأت نموها من قرية الداخلة كنواة . فلقد وقع الاختيار على هذه القرية لتكون موقعاً حريياً استراتيجياً بعد أن سقطت الحاميات العسكرية في أبو حمد وبربر ابان إعادة الفتح للسودان عام ١٨٩٨ (١) . ولعل السبب في اختيارها لهذا الغرض هو طبيعة موقعها الهام الذي يجعلها قادرة على عمليات الدفاع حيث تحيط بها المياه من الجنوب والغرب ممثلة في نهر عطبرة والنيل الرئيسي . ولما وصل الخط الحديدي القادم من الشمال إلى هذا الموقع برزت أهمية تلك القرية وكان ذلك في اليوم الثالث من يولييه عام ١٨٩٨ (٢) .

وقد استمر هذا الموقع الحربي على أهميته حتى نهاية العام ذاته (١٨٩٨) ، باعتباره النهاية الجنوبية للخط الحديدي ، فضلاً عن اعتباره أيضاً محطاً نهرياً يستقبل البواخر المحملة بالقوات العسكرية في طريقها إلى أم درمان ، حيث وقعت معركة كرري في الثاني من سبتمبر عام ١٨٩٨ (٣) .

وفي العام التالي ١٨٩٩ افتتحت القنطرة الخشبية التي أقيمت على نهر عطبرة ، وبدأت فوقها حركة السكك الحديدية ، تجاه الجنوب ، ثم تمت تقوية القنطرة بتدعيمها وتركيزها عام ١٩١١ لكي تتحمل الحركة الحديثة . وكان الخط الحديدي الذي يربط مدينة عطبرة بميناء بور سودان وسواكن قد اكتمل في أكتوبر عام ١٩٠٥ (٤) .

(١) عبد الله علي حامد (١٩٧٠) ص ٢٣٦

(٢) Morrice, H.A., The Development of Sudan Communications, SNR. Part I, Vol.XXX, 1949, p.1.

(٣) Barbour, K.M. (1964) The Republic of the Sudan, p. 137.

(٤) موريس (١٩٤٩) ١ ص ١ .

ولقد وقع الاختيار على مدينة عطبرة حينذاك (١٩٠٥) (١) لتكون مركزاً لرئاسة السكك الحديدية بالسودان (٢) ، فضلاً عن جعلها مركزاً هاماً لأعمال الإصلاح والصيانة لعربات وقاطرات السكك الحديدية في كافة أنحاء البلاد . وعلى ذلك شيدت مباني الرئاسة ، ومحطة السكة الحديدية . كما شيد مستشفى عطبرة عام ١٩٠٨ . وإلى جانب مباني الرئاسة أقيمت « الورش » ومنازل لموظفي السكك الحديدية . وحتى عام ١٩١٤ لم تتجاوز المدينة في تطورها المنطقة المحصورة بين النيل الرئيسي ومنطقة السكك الحديدية ، مع ملاحظة وجود قرىتي السيالة والداخلة إلى الشمال من هذه المنطقة ثم ازداد عدد « الورش » التي شيدت بقصد صيانة الآلات وقطع الغيار ، فرتب على ذلك انجذاب أعداد كبيرة من العمال سواء من ضواحي المدينة الحديثة أو من مختلف الأنحاء بالمديرية الشمالية (آنذاك) .

وفي عام ١٩٢٧ أنشئت بالمدينة عدة مكاتب فضلاً عن منطقة للمخازن ، والقوى المحركة ، ومصلحة النقل الميكانيكي ، ورئاسة الشرطة ، والكنيسة عدا منازل لكبار الموظفين .

بعد ذلك ظهرت شرقي منطقة السكك الحديدية منطقة أخرى هي السوق الرئيسية ولم يكن مظهرها تجارياً محضاً بل كانت بمثابة منطقة سكنية لبعض الأجانب العاملين بالسكك الحديدية ، ولكنها لم تلبث أن تحولت بعد عام ١٩٣٠ إلى منطقة تجارية بها عدد كبير من المحال التجارية .

وفي الفترة ١٩٢٣ - ١٩٣٤ إتسعت منطقة السكك الحديدية بتشييد عدد من المنازل للعمال الذين أخذت أعدادهم في التزايد خلال تلك الفترة . وفي جنوب منطقة السكك الحديدية نشأت مربعات سكنية هي المعروفة بالأرقام ١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ / ١٤ / ١٥ ، وكان معظم سكانها من قرى المديرية الشمالية (حينذاك) . أما في جنوب المدينة وبالقرب من نهر عطبرة فقد أنشئت منطقة سكنية بدائية تشغلها مجموعة من الأكواخ عرفت باسم « العشش » ، ثم لم تلبث بعد ذلك أن أطلق عليها اسم « الموردة » بسبب وقوعها بالقرب من « موردة » الخشب على نهر عطبرة .

(١) عرف اسم عطبرة في ذلك الوقت لأول مرة ولا سيما حين أنشئت مباني الرئاسة للسكك الحديدية في الفترة ١٩٠٢ / ١٩٠٦ .

(٢) باربر (١٩٦٤) ص ١٣٧ .

وحتى عام ١٩٣٠ كانت مدينة عطبرة بتلك الصورة محدداً من شرقها خور ممتد من أقصى شمال المدينة حتى يبلغ مجرى نهر عطبرة ، فيصرف فيه ما قد يجري به من ماء المطر ، ولكنه يعتبر خطأ دفاعياً عن مدينة عطبرة .

أما بعد عام ١٩٣٠ فقد تطلب إزدياد عدد السكان توسعاً عمرانياً للمدينة فنشأت مربعات سكنية أخرى في المنطقة المعروفة باسم « العيش » . ثم في عام ١٩٣٧ تجاوز إتساع المدينة الخور الشرقي وبدأت منطقة « الفكى مدنى » في الظهور ببعض من المنازل ، ولكن العمران بالمدينة توقف متجمداً على هذه الصورة خلال فترة الحرب العالمية الثانية ، ولم يعاود نشاطه إلا عام ١٩٤٧ ، بعد إنتهاء الحرب ، حينما إتسعت منطقة « الفكى مدنى » وأنشئء حى القلعة شرقى المدينة ، كما ظهرت في الشمال نواة المنطقة الصناعية وازدادت المربعات السكنية لتشغل جزءاً كبيراً من الأرض الحالية بين بعض المربعات القديمة وحى « الفكى مدنى » .

وعند هذا الحد ينبغي إلقاء نظرة على الخريطة (*) التى تصور مدينة عطبرة عام ١٩٣٩ (١) ، وقد قسمت فيها المدينة إلى قطاعات أربعة بقصد الدفاع عن المدينة ضد الغارات الجوية فى الحرب العالمية الثانية . هذه القطاعات الأربعة فى الخريطة هى :

القطاع رقم ١ : ويشمل الجانب الشمالى الغربى من المدينة ، وتظهر فى شماله قرية الداخلة ، وقرية السيالة على طول ضفة النيل الرئيسى ، كما يقع الحى البريطانى فى وسط القطاع . وتبلغ مساحة القطاع نحو ميل مربع واحد ، ويضم نحو ٧٥٠ موظفاً بالسكك الحديدية فيما يجاور الشكنات البريطانية بجنوب الحى البريطانى . وسكان القطاع بياهم كالآتى :

٢٣٧ من البريطانيين و ٤٠ من الأوربيين و ٥١٠ من المصريين و ٢٠٠٠ من السودانيين . (المناطق التى بها أعلى كثافة سكانية مظلة بالخريطة) . أما أهم معالم

(*) أنظر الشكل رقم (٧)

(١) (دار الوثائق المركزية بالخرطوم) File No. N.P. 2/47/504. A.R.P. Scheme Atbara,

(هذه الخريطة أقدم خريطة لمدينة عطبرة)

شكل رقم ١٧

خريطة لمشروع الدفاع عن مدينة عطوة
ضد الغارات الجوية عام ١٩٣٩
(تتم خريطة لمدينة عطوة)

رقم الوثائق المركزية: ١٥٠٤/١٧٠٢٠٠٠٠

٩

إلى بورسعيد

أشـارات اصطلاحية: الشمال

- مارتقطة التوبة
- مركز إسماعيل
- جماعة إسماعيل
- مراكم إسماعيل
- إسماعيل
- إسماعيل

● كنيسة لأمير المؤمنين
● محطة السكك الحديدية
● الأبرار

سنة

المنطقة

منطقة إسماعيل

عطوة

هذا القطاع فتمثل في مكتب تلغراف السكة الحديدية ، ومحطة اللاسلكي ، ومضخات الماء النقي ، وخزان المياه في الثكنات ، ثم ناد رياضي .

القطاع رقم ٢ : ويقع جنوبي القطاع السابق ، وتوجد به أهم « ورش » السكة الحديدية ، وكذلك مخازنها ، فضلا عن محطة لتوليد الكهرباء ومحطة بترين . وتبلغ المساحة نحو ثلاثة أرباع الميل المربع ، أما عدد السكان فنحو ١٦٠٠ نسمة (المناطق ذات الكثافات السكانية العالية مظلة بالخريطة) . وبالقرب من كوبري عطبرة شيدت مبان سكنية لرجال « البوليس » قباية الشكل .

القطاع رقم ٣ : يقع في الجانب الشمالي الشرقي من المدينة . وفي جنوب هذا القطاع مكاتب الرئاسة للسكك الحديدية . وفي غرب السكة الحديدية بهذا القطاع يقع المستشفى الرئيسي ، ومركز البوليس ، وفي جنوب ذلك يقع السوق الرئيسي لعطبرة . كما يظهر المخرج في الخريطة كمبنى منعزل بشمال القطاع . أما مساحة هذا القطاع فنحو ثلاثة أرباع الميل المربع ، وعدد السكان نحو ١٣٠٠٠ نسمة (المناطق ذات الكثافات السكانية العالية مظلة بالخريطة) .

القطاع رقم ٤ : يقع إلى الجنوب من القطاع السابق ، ومساحته نحو ثلاثة أرباع الميل المربع ، ولكنه يضم الغالبية العظمى من سكان المدينة إذ يقدر عددهم بنحو ٢٠٠٠٠ نسمة ، منها عدد كبير من الفلّات في جنوب شرق المدينة يعيشون في أكواخ من القش (قطاطي) . (والمناطق ذات الكثافات السكانية العالية مظلة بالخريطة) .

هكذا كانت الصورة العمرانية لمدينة عطبرة في تلك الفترة ، ويلاحظ أن الهيكل الامتدادى للمدينة على هيئة هلال يرتكز بحافته المحدبة إلى الضفة اليمنى لكل من النيل الرئيسى ونهر عطبرة ، ولعل السبب في ذلك هو الارتباط بالزراعة كحرفة أساسية للسكان على ضفتي النهرين . وبذلك بقيت في وسط المدينة أراض خالية صالحة لقيام المباني ، وهي التي إمتد إليها العمران بعد ذلك .

ولقد كان الحى البريطانى^(١) في ذلك الوقت هو المنطقة الرئيسية للعمران ،

(١) هو الذى سمي بعد ذلك بحى السودنة .

بمعنى أن المدينة بدت حينذاك وكأنها مستعمرة للسكك الحديدية ، وقد تركزت فيها بالفعل مرافق الخدمات جميعها من تعليم وصحة وغيرهما .

وفي عام ١٩٤٥ تم تخطيط منطقة الموردة في جنوب المدينة إلى منطقة سكنية وأزيلت منها الأكواخ .

أما عام ١٩٥٠ فيمكن إعتباره بداية مرحلة جديدة في التطور العمراني للمدينة إذ نشطت حركة العمران ممثلة في إنشاء أحياء سكنية جديدة ، وإعادة تخطيط كثير من الأحياء القديمة لتواكب التطور الحديث للمدينة ، فضلا عن التوسع في مشروعات الإمداد بالمياه والإنارة الكهربائية لمعظم المناطق .

فلقد نقلت منطقة « الأنادي »^(١) من مكانها الواقع شرق السوق الرئيسية إلى مكان بعيد في شرق المدينة ، وتم تخطيط المكان منطقة سكنية جديدة . وفي نفس الوقت (عام ١٩٥٠) أعيد تخطيط قرية الداخلة القديمة (نواة المدينة) المضافة لمنطقة سكنية إلى الشرق منها ، شملت بالداخلة الجديدة .

وفي مطلع عام ١٩٥١ أخذت حركة العمران بالمدينة في الإمتداد تجاه الشرق إذ أنشئت منطقة « الفكى مدني شرق » والحصا (أو الحصايا)^(٢) بقسميها الغربي والشرقي .

وفي عام ١٩٥٤ أعيد تخطيط المربعات السكنية ١٠ و ١١ و ١٢ بشكل يواكب التطور العمراني للمدينة .

وفي عام ١٩٦٠ اقتضت الضرورة إنشاء منطقة سكنية جديدة شرق المدينة سميت منطقة « المزاد » ، وخصصت للمواطنين من ذوى الدخل المحدود .

وفي عام ١٩٦٢ خصصت منطقة أخرى للسكن فيما بين منطقتي القلعة والمزاد ويجرى العمل التنفيذي فيها منذ عام ١٩٧٢-١٩٧٣ . وقد اقتضت الضرورة إزالة بعض المرافق القريبة منها وهي « الأنادي » وأماكن الذبح وغيرهما ، حيث نقلت إلى أقصى شرق المدينة .

(١) جمع « إنداية » وهي مكان تعاطى المسكرات .

(٢) هذا هو الأسم الشائع بين أهالي عطبرة .

وفي عام ١٩٦٨ وزعت أراض سكنية في شمال المدينة بالمنطقة الواقعة جنوبي خط سكة حديد عطبرة - بور سودان ، على الأهالي الذين تأثروا بإعادة تخطيط قرية السيالة ، كما خصصت منطقة المطار في شمال شرق المدينة لسكنى عدد من أهالي قرية السيالة ، وهم الذين لم تستوعبهم المنطقة الأولى . واختيرت للمطار منطقة أخرى تقع خارج الحدود الشمالية الشرقية للمدينة .

هكذا يتضح أن نمو المدينة وتطورها العمراني يزحف من أطرافها ولا سيما في الاتجاهين الشرقي والشمالي الشرقي .

ولكى تكتمل قصة التطور العمراني لمدينة عطبرة تجدر الإشارة إلى فكرة الامتداد الجنوبي للمدينة بحيث يعبر المد العمراني مجرى نهر عطبرة .

إن فكرة الامتداد الجنوبي لمدينة عطبرة قد برزت في ديسمبر عام ١٩٤٨ على أساس أن المناطق السكنية ينبغي ألا تبعد كثيراً عن النيل في هذا الإقليم الصحراوي الذي تقع فيه المدينة . وقد أشار خطاب مفتش عطبرة المؤرخ في ٢٦ - ١١ - ١٩٤٩ إلى أن مشروع الامتداد الجنوبي لمدينة عطبرة «قد درس بدقة من جميع الزوايا (١)» . وأن هذا المشروع يشمل تخطيط سبعة منزل فضلاً عن المرافق العامة وذلك لاحتياج عطبرة إلى الامتداد السكني .

ترددت فكرة الامتداد هذه بين المؤيدين والمعارضين من مدير المديرية الشمالية ومدير الأراضي ومخطط المدن ومفتش مركز عطبرة وسكرتير لجنة تخطيط المدن ، حتى قام بمخطط المدن بوضع خريطة للمشروع عقب زيارته لمنطقة الامتداد في مارس عام ١٩٥٠ . ثم عدلت الخريطة مرتين إحداهما في يونيو من نفس العام والأخرى في عام ١٩٦٧ ، وتم التصديق على الامتداد عام ١٩٦٨ من واقع الخريطة رقم ١٨٩-٦٨ . غير أن اعتراض مجلس ريفي شندى وأهالي قرية المقرن الواقعة في المنطقة تسبب في إلغاء قرار مد مدينة عطبرة بناء على توصية من لجنة تخطيط المدن المركزية التي أوصت بقيام مدينة منفصلة قائمة بذاتها ضمن المنطقة الريفية (٢) .

(١) بكرى أحمد : قسم التخطيط والبحوث بوزارة الإسكان بالخرطوم ، « مذكرة عن عطبرة الجنوبية » بتاريخ ٢٨-١٢-١٩٧٢ - ، ص ٢ .

(٢) مذكرة لجنة تخطيط المدن المركزية برقم ٣-٨-١-٤٨٤ بتاريخ ١٢-٢-١٩٦٩

ثم أثير الموضوع مرة أخرى بخطاب المحافظ رقم م ش / ٦٣ / ١٤ / بتاريخ ١٩٧٢-٢-٩ طالباً إعادة النظر في ضم المنطقة الجنوبية هذه إلى مدينة عطبرة ، نظراً لوجود أزمة إسكان حادة في المدينة .

وبناء على ذلك إتجهت عناية المختصين بتخطيط المدن إلى دراسة هذا المشروع من عامة الوجوه ، لا سيما وأن سلطات تخطيط المدن المركزية كانت قد دعت أحد الخبراء المصريين (١) في تخطيط المدن للاستفادة من خبراته في تخطيط المدن الكبرى بالسودان ، فقام بزيارة مدينة عطبرة عام ١٩٥٨ ، واقترح لتخطيطها أن يزحف التوسع العمراني في الاتجاه الشمالى الشرقى باعتباره أنسب اتجاه للتوسع حيث الأراضي لا تصلح للاستغلال الزراعى . ولم يؤيد فكرة الامتداد الجنوبى لمدينة عطبرة عبر النهر لأنه يكلف الدولة مبالغ طائلة لإمداد ذلك الجزء بمختلف الخدمات (٢) .

ويضاف إلى ذلك أيضاً رغبة هيئة السكك الحديدية في تخصيص مناطق لأعمالها في هذا الامتداد الجنوبى للمدينة ، كما أن وجود مصنع الأسمتنت في تلك المنطقة الجنوبية حالياً يصلح أن يكون نواة لمنطقة صناعية ، ناهيك بقيام مناطق ترفيهية على طول الضفاف لنهرى النيل الرئيسى وعطبرة .

والواقع أن نمو مدينة عطبرة في تطورها العمرانى بالزحف تجاه الشرق والشمال الشرقى جعل قلب المدينة الذى تركز فيه جميع الأعمال التجارية والحكومية وأماكن الترفيه في الطرف الجنوبى الغربى بحيث يؤدى ذلك إلى خلق مشكلات في المواصلات وفي التسويق ، الأمر الذى قد يوحى بفكرة عدم الإمعان في استمرار التوسع في هذين الاتجاهين ، لا سيما وأن الحيران والهضاب في أطراف المدينة تجعل الإمداد بالمياه صعباً بالنسبة إلى المواقع الحالية لضخ الماء .

أما من حيث التذرع بحدة أزمة الإسكان في المدينة وأن حلها يكمن في الامتداد الجنوبى لعطبرة فيمكن القول أن في داخل المدينة مساحات كبيرة خالية من المباني ويمكن استغلالها في الإسكان ، فضلاً عن منطقة واسعة أخرى محجوزة للسكة الحديدية والجيش والمنطقة الصناعية ، ولم يتم تعميرها كلها ، ولا تزال تسمح

(١) هو السيد / عمود رياض .

(٢) عبدالله على حامد (١٩٧٠) « تخطيط المدن بالسودان » ص ٢٦٣

بالاستغلال في هذه الأغراض . ولعل البيان الآتي (١) الخاص بقطع الأراضي المخططة للسكن (سواء المصدق به منها أو تحت التصديق) بمختلف درجاته ، فضلا عن إغفال ٥٠٠ قطعة مخططة كمناطق تعويضات لمناطق إعادة التخطيط ، لعله ينهض دليلا على أن مدينة عطبرة ليست بها أزمة في الأراضي السكنية ، ولا تحتاج إلى توسع جديد بقدر حاجتها إلى التكثيف في التعمير والتركيز في الخدمات داخل إطارها الحالي :-

الدرجة	القطع المصدق بها	القطع تحت التصديق	الحملة	عدد المستحقين	الفائض
الأولى	٤٥	—	٤٥	٢١	٢٤
الثانية	٧٥٠	١٥٠	٩٠٠	٩٦	٨٠٤
الثالثة	١٦١٩ (٢)	١٦٥٩	٣٢٧٨	١٣٠٠ (٣)	١٩٧٨

ومع ذلك فإن المنطقة الواقعة جنوبي نهر عطبرة عند التقائه بالنيل الرئيسي هي الامتداد الطبيعي لمدينة عطبرة في مستقبلها العمراني وذلك لقربها من قلب المدينة وأماكن العمل فضلا عن موقعها الممتاز على ضفتي النهرين .

تخطيط المدينة :

إن التطور العمراني لمدينة عطبرة يقدم صورة واضحة عن تخطيط المدينة ، ذلك أن المراحل الأولى كانت هي المحلات السكنية القديمة على ضفاف كل من النيل ونهر عطبرة متمثلة في قرى الداخلة والسيالة والموردة ، ثم حدث الامتداد التطوري متمشياً أول الأمر مع الضفتين ولا سيما الضفة نهر عطبرة ، ولكنه بعد ذلك أخذ إتجاهات أخرى مبتعدة عن ضفتي النهرين . ومعنى ذلك أن الأحياء القديمة بالمدينة واقعة على ضفتي النيل وعطبرة . ويلاحظ أن الامتدادات السكنية الجديدة المشيدة بعد عام ١٩٦٠ تتجه نحو الشمال الشرقي . ويمكن تصوير ذلك بأن الأحياء القديمة إذا اتخذت شكل قوس تستند حافته المحذبة إلى الضفتين فإن الامتدادات الحديثة للمباني السكنية تأخذ موضع السهم من القوس غير أن تحركها عكسي .

(١) بكري أحمد - مذكرة عن عطبرة الجنوية . ص ٣

(٢) يضاف إلى ذلك ١٩٨٦ قطعة تم توزيعها خلال المدة ١٩٦٩-١٩٧١ ولم يكتمل تعميرها بعد .

(٣) يضاف إلى ذلك ٥٠٠ قطعة خالية محجوزة كمناطق تعويضات .

والملاحظ في مدينة عطبرة بوجه عام اتساع المساحات التي تشغلها المناطق الصناعية والزراعية والعسكرية ، إذ يضاف إلى ما هو قائم بذاته منها بعض أجزاء في مناطق مختلفة بأنحاء المدينة حتى وسط المناطق السكنية ، ولعل ذلك راجع إلى أن عطبرة تمثل مدينة مواصلات صناعية ، وتعتبر أيضاً مركزاً عسكرياً .
وليس من شك في أن تخطيط المدينة يعكس صورة واضحة لأنماط استخدام الأرض مبرزاً التركيب الوظيفي لمدينة عطبرة . ولكي يمكن تتبع تخطيط المدينة بشيء من التفصيل ينبغي عرض صورة موجزة لأقسامها الإدارية وما تضمه من مختلف الأحياء — ، وذلك فيما يلي (١) :

(١) المنطقة الغربية :

وهي تضم ستة أحياء هي : (١) حي السودنة (٢) منطقة السكك الحديدية (٣) حي العمال (٤) الداخلة الجديدة (٥) الداخلة القديمة (٦) السبالة .

(ب) المنطقة الوسطى :

وتضم خمسة أحياء هي : (١) الفكى مدني غرب (٢) منطقة السوق (٣) المربعات السكنية القديمة (٤) المربعات السكنية الشرقية (٥) الحلة الجديدة .

(ج) المنطقة الجنوبية :

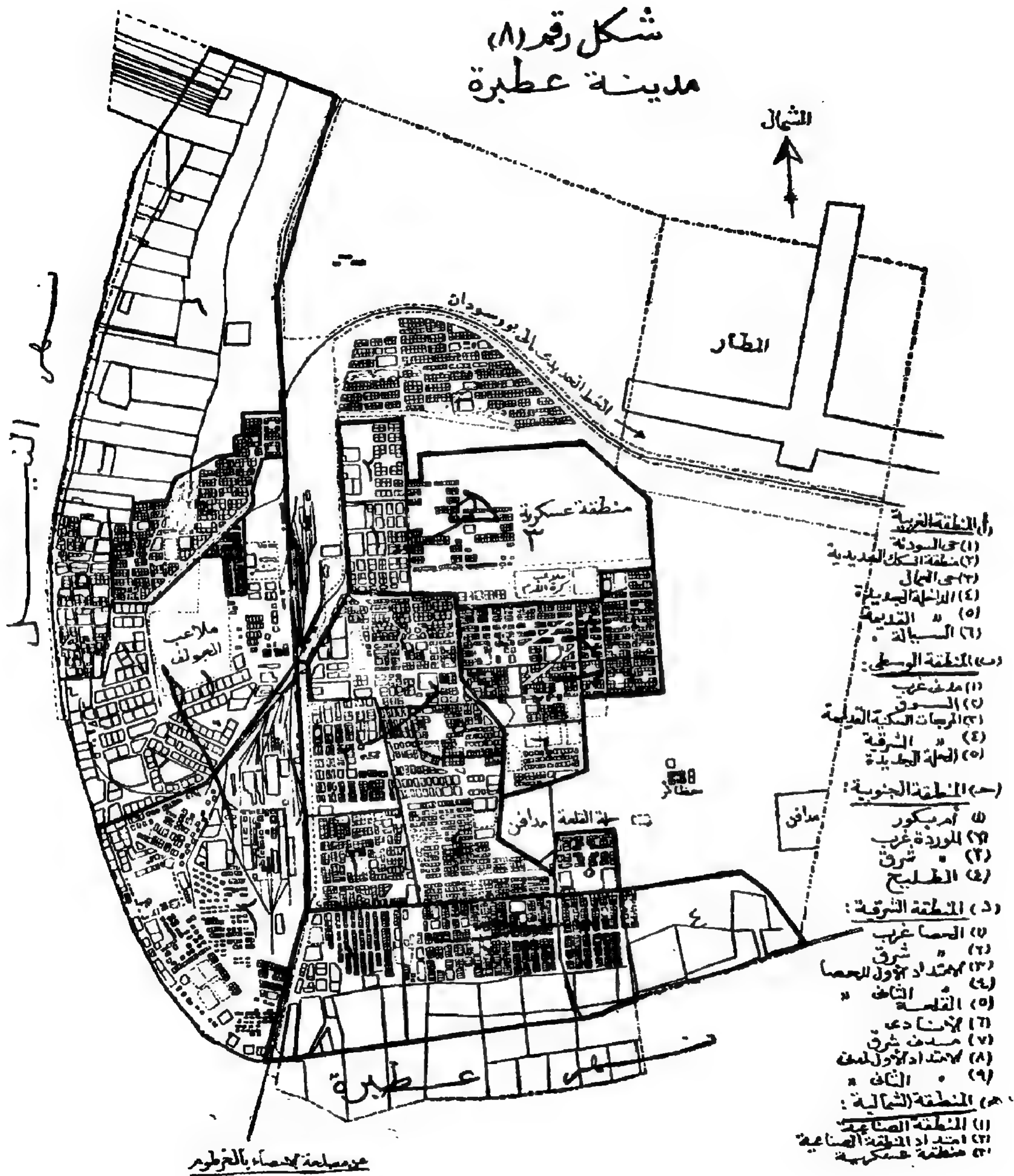
وتضم أربعة أحياء هي : (١) أم بكور (٢) (٢) الموردة غرب (٣) الموردة شرق (٤) الطليح .

(د) المنطقة الشرقية :

وتضم تسعة أحياء هي : (١) الحصا غرب (٢) الحصا شرق (٣) الامتداد الأول للحصا (٤) الامتداد الثاني للحصا (٥) القلعة (٦) الأنادي (٧) الفكى

(١) روعي في ترتيب الأقسام الإدارية والأحياء نفس النظام الذي اتبعته مصلحة الإحصاء .
(٢) هكذا ورد الاسم في مطبوعات الإحصاء ولكنه ورد في « مرشد المديرية الشمالية لعام ١٩٧٣ » ص ٤٠ حي أمبكول، وقد أكد لي أهالي عطبرة صحة الاسم الأخير معطين ذلك بأن أصول السكان في هذا الحي هجرات قادمة من قرية أمبكول التابعة لمروي .

شكل رقم (٨)
مدينة عطبرة



مدنى شرق (٨) الامتداد الأول للفكى مدنى (٩) الامتداد الثانى للفكى مدنى (١١) .

(٥) المنطقة الشمالية :

وتضم منطقتين فرعيتين هما : (١) المنطقة الصناعية^(٢) (٢) المنطقة العسكرية . على أساس هذه الأقسام الإدارية وأحيائها العمرانية ، يمكن تجسيد المناطق الوظيفية بمدينة عطبرة على النحو الآتى :

أولا - منطقة السكك الحديدية :

وهى الظاهرة العمرانية الواضحة التى تتسم بها مدينة عطبرة فتتميز عن سائر مدن السودان ، وذلك لأن عطبرة هى المركز الرئيسى لسكك حديد السودان . والمنطقة تشغل من المدينة مساحة كبيرة تمتد فى محاذاة النيل الرئيسى على مسافة بعيدة منه فى قسمها الشمالى وقرية منه فى قسمها الجنوبى . وتفصل منطقة السكك الحديدية بين جزأى المدينة قديمه وحديثه فلا يصل بين الجزأين سوى « كوبرى » حديث البناء ، شيد فوق الخطوط الحديدية .

ثانياً - المنطقة الصناعية :

يمكن إعتبار منطقة السكك الحديدية فى عطبرة أكبر منطقة صناعية بها ، حيث أما كن إصلاح عربات السكك الحديدية وصيانتها (الورش) وتعتبر من أقدم المناطق الوظيفية بالمدينة . وقد نشأت أول الأمر كنواة صناعية ثم أخذت فى النمو والتطور مع المراحل العمرانية للمدينة . وهى اليوم تشغل مساحة كبيرة غربى الخط الحديدى : عطبرة - بور سودان .

وفضلا عن هذه المنطقة الصناعية الرئيسية المتخصصة فى شئون السكك الحديدية توجد منطقة صناعية أخرى شمالى مدينة عطبرة واقعة بين منطقة السكك الحديدية

(١) تكون الأحياء الثلاثة الأخيرة مع حى الفكى مدنى غرب بالمنطقة الوسطى نطاقا سكنيا كبيرا متصلا يمتد من قلب المدينة حيث الخط الحديدى (عطبرة - بور سودان) إلى أقصى شرقها .

(٢) هما فى الحقيقة منطقتان متصلتان فى اتجاه جنوبى شمالى وتعتبر الجنوبية الأصل والشمالية امتداد .

فى الغرب والمنطقة العسكرية فى الشرق . وقد اتسعت بامتداد تجاه الشمال (١) . وتختص هذه المنطقة بصناعات خفيفة تستخدم منتجاتها فى الحياة اليومية لسكان المدينة ، منها على سبيل المثال بعض أعمال النجارة والبرادة وإصلاح العربات وصناعة بعض قطع الأثاث .

هنالك أيضاً فى شرق المدينة منطقة صناعية صغيرة تزاوّل عملية دبغ الجلود بالطرق البدائية . أما فى أقصى شمال غرب المدينة فيوجد مصنع صغير لإنتاج الألبان .

وأما المنطقة المقترح جعلها إمتداداً جنوبياً لمدينة عطبرة عبر النهر فيقع بها مصنع الأسمت المشهور فى منطقة عطبرة ، وهو الذى يرجى له أن يكون نواة لمنطقة صناعية كبيرة فى هذا الإمتداد الجنوبى . ولئن كان المصنع يتبع إدارياً مجلس رينى الدامر لوقوعه فى قرية العكر فإن معظم عماله يقطن مدينة عطبرة . ولقد كان مصنع الأسمت هذا يدار تحت إسم شركة أسمت بورتلاند السودان ، وفى ٤-٦-١٩٧٠ أمت هذه الشركة (٢) وحملت إسم مؤسسة « ماسبيو » (٣) للأسمت . وقد بدأ إنتاج هذا المصنع عام ١٩٤٩ (٤) . والمحجر الذى يغذى المصنع بالحجر الجبرى يقع منه على بعد نحو ٢٣ كيلو متراً غربى النيل ، وينقل الحجر بالناقلة الهوائية .

ثالثاً - المناطق العسكرية :

تشغل أجزاء متفرقة من المدينة . وأقدمها معسكر بحى السودان يسمى « المعسكر الغربى » ، وهو واقع على ضفة النيل الرئيسى . غير أن هنالك مناطق عسكرية أخرى ذات مساحات كبيرة ، منها المنطقة العسكرية الواقعة شرق المنطقة الصناعية فى أقصى شمال المدينة . وقد كانت هذه المنطقة فى وقت ما تمثل النهاية الشمالية للمدينة

(١) يعرف الأمتداد الشمالى فى مطبوعات الإحصاء باسم المنطقة المركزية بينما المنطقة الأصلية جنوبية أغفل الإحصاء اسمها .

(٢) مرشد المديرية الشمالية (١٩٧٣) ص ٥٦

(٣) عرفت من أهالى عطبرة أن الاسم يتألف من ثلاثة مقاطع يتكون كل منها من الحرفين الأولين لاسم الشهر الذى قامت فيه الثورة بكل من مصر والسودان وليبيا (مايو بالسودان وسبتمبر بليليا ويوليه بمصر) .

(٤) المرجع السابق (مرشد المديرية الشمالية) بنفس الصفحة .

ولكنها في الوقت الحاضر محاطة بالمنطقة الصناعية والمناطق السكنية . وهي في الواقع تعتبر عائقاً أمام الإمتداد العمراني للمدينة في الإتجاه الشمالى الشرقى .

وهناك في أقصى شرقى المدينة منطقة عسكرية أخرى خاصة بالقيادة الشمالية .

رابعاً – المناطق التجارية :

تقع المنطقة الرئيسية للسوق وسط المدينة تقريباً ، ويحدها من الغرب الخط الحديدى : عطبرة – بور سودان فى إتجاه جنوبى شمالى بحيث يفصل بينها وبين منطقة السكك الحديدية . وموقع السوق الرئيسية قريب من أحياء السودنة والسكك الحديدية والمربعات السكنية : القديمة ، والشرقية ، والفكى مدنى غرب . وسوق عطبرة من أكبر الأسواق التجارية بالمديرية الشمالية (حالياً مديرية النيل) إذ يعتمد عليه معظم القرى والمدن الصغيرة فى الحصول على السلع وفى تسويق المنتجات .

وبالسوق عدد كبير من المطاعم والمقاهى^(١) إلى جانب المحال التجارية العديدة ولاسيما فى الجانب الغربى ، وذلك لأن الجانب الشرقى يضم متاجر اللحوم والخضر والأخشاب كما يشتمل أيضاً على محاط الوقود للسيارات .

وفضلاً عن السوق الرئيسية تنتشر بالمدينة أسواق صغيرة بالأحياء السكنية ، منها على سبيل المثال سوق بكل من الموردة والمربعات السكنية والحصا وحي السودنة . كما تنتشر محال التجارة (البقالة) بين المساكن بأعداد لا بأس بها .

خامساً – المناطق الزراعية :

لاتزال الزراعة بمدينة عطبرة حرفة أساسية لطائفة من السكان إعتادت الاعتماد على الإنتاج الزراعى المتمثل فى الخضر وعلف الحيوان .

وتتمتد المناطق الزراعية بطول الضفتين الغربيتين للنيل الرئيسى ونهر عطبرة مطوقة المدينة من غربها وجنوبها حيث ينتشر عدد من المشروعات الزراعية فى أقدم مناطق المدينة عمرانياً ، كما فى قرى الداخلة والسيالة ثم فى الموردة والطليح .

(١) سبب ذلك ارتفاع عدد العمال غير المتزوجين ، واعتماد هؤلاء العمال على المطاعم فى تناول الوجبات الغذائية ، وعلى المقاهى فى قضاء أوقات الفراغ .

ومع أن هذه المناطق الزراعية تسهم في اقتصاديات المدينة بقدر لا بأس به من المواد الغذائية للاتسان والحيوان فمن الممكن الاستفادة منها في الأغراض السكنية وخاصة النواحي الترويحية لاسيما على ضفة نهر عطبرة .

سادساً - المناطق السكنية :

تشغل معظم ما تبقى من المساحات في حدود المدينة الحالية ولا سيما شرقى الخط الحديدى : عطبرة - بور سودان .

ويعتبر حى السودنة غربى السكة الحديدية أجمل وأفخم المناطق السكنية إذ يضم المساكن الخاصة بكبار الموظفين، وجميعها مزود بالحدائق كما يضم الحى عددا من أهم المرافق العامة .

أما بقية أحياء المدينة السكنية فمنها القديم والمجدد وحديث النشأة كما أن من الأحياء الأصلية ما أضيف إليه امتدادات تحمل نفس الاسم كالفكى مدنى والحصا على سبيل المثال . وقد تكون مبانيها حديثة التصميم ولكنها لا تضارع فخامة المساكن بحى السودنة ، إذ يغلب عليها طابع المستوى المنخفض حيث معظم السكان من العمال .

سابعاً - المرافق العامة :

وهذه تشمل النواحي الإدارية والترفيهية كما تشمل الخدمات .

فأما من الناحية الإدارية لمدينة عطبرة فإن مبانيها قليلة لأن المدينة ليست عاصمة إدارية للمديرية ولا لإقليمها الواقعة فيه . ولذلك تقتصر المباني الإدارية على ما هو خاص بمصلحة السكك الحديدية أساساً ، ثم بضع مبان خاصة بالأمن والمواصلات كرئاسة الشرطة وكذلك المجلس البلدى ثم البريد والبرق .

وأما من الناحية الترفيهية فإن مدينة عطبرة تعاني فيها نقصاً كبيراً ، شأنها فى ذلك شأن كافة المدن السودانية ، حيث السمة العامة هى القصور والعجز فى وسائل الترفيه ومناطق السياحة ، لاسيما على ضفاف الأنهار التى تقع عليها مدن مثل عطبرة .

وفي هذه المدينة تتمثل وسائل الترفيه في الحدائق العامة ودور السينما والأندية الرياضية والثقافية والاجتماعية . فأما الحدائق العامة فلا يوجد منها بالمدينة سوى حديقة واحدة هي حديقة البلدية الواقعة شمالي منطقة السوق الرئيسية حيث تتوسط المدينة كلها . وأما دور السينما^(١) فإنها ثلاث ، فقط يختص غرب المدينة منها بوحدة ، ويختص شرقها بالاثنتين الأخريين . وأما الأندية الرياضية فإن حي السودنة يختص بأكبرها على الإطلاق « الاستاد » الرئيسي في المدينة غير أن هنالك بمدينة عطبرة سبعة عشر نادياً رياضياً منها ستة من الدرجة الأولى وأحد عشر من الدرجة الثانية ، ويضاف إلى ذلك كله سبعة إتحادات للرياضة لمزاولة مختلف الأنشطة الرياضية . وكل ذلك موزع على الأحياء المختلفة بالمدينة . وأما الأندية الثقافية والاجتماعية فإنها قليلة ، وأشهرها نادى قوات الشعب المسلحة إلى جانب عدد من مراكز الشباب ،

أما من حيث مرافق الخدمات فإن ذلك يتمثل في التعليم والصحة ووسائل الإعلام والاتصال والنقل والمواصلات وبيوت المال والتجارة فضلاً عن الفنادق وغيرها من مختلف المرافق .

فأما عن التعليم فإن عطبرة بها عدد من مختلف المدارس يبيانه كالتالي^(٢):

عدد	عدد
أ - المدارس الابتدائية : ١٨ للبنين + ١٤ للبنات - ٣٢ مدرسة .	
ب - الثانوى العام : ٩ « + ٦ = ١٥ » .	
ج - « العالى : ٩ « + ٦ = ١٥ » .	
د - مدارس ومعاهد مهنية وفنية : ١ مدرسة مهنية صناعية في مستوى الثانوى	
١ معهد الفنيين العالى .	
هـ - حلقات محو الأمية : ٥ للرجال + ٧ للنساء = ١٢ حلقة .	
و - رياض الأطفال ^(٣) : ١٢ منها إثنان نموذجيتان والباقيات ريفية .	

(١) تقدم دور السينما في عطبرة حقلاً واحدة في اليوم لأن جمهور المشاهدين معظمه عمال لا ينفى لهم السهر ليلاً حتى يمكنهم التوجه إلى أعمالهم في الصباح الباكر .

(٢) راجع مرشد المديرية الشمالية (١٩٧٣) ص ١٣٠-١٤٢ .

(٣) لا يشمل الإحصاء الرياض التي ينشئها الأهالي ويمنعها مجلس الشعب التنفيذي إعانات كما لا يشمل أيضاً الرياض التي تنشئها مصلحة الشباب .

ز - الخلاوى (١) : ١٢ خلوة .

هذه المدارس والمعاهد موزعة على كافة الأحياء السكنية بالمدينة سواء في نطاق مساكنها أو على مقربة منها .

أما المدارس الأجنبية فإن عطبرة وحدها تختص به دون سائر المدن بالمديرية ويتمثل ذلك في مدرستين : إحداهما مدرسة « الكمبوتى » وبها أقسام للتعليم الإبتدائى والثانوى العام والثانوى العالى ، والأخرى المدرسة الإنجيلية الإرسالية السودانية وبها قسم للتعليم الإبتدائى والآخر للثانوى العام المختلط . فضلا عن ذلك فهناك مدرسة الأقباط المصرية بعطبرة وبها أقسام التعليم الإبتدائى والإعدادى والثانوى .

أما من حيث المرافق الصحية فإن بالمدينة مستشفى حكوميا واحدا هو المستشفى الرئيسى الواقع في حي السودنة ، ولكن في شرق المدينة يوجد بعض مراكز صحية ونقاط للإسعاف علاوة على المركز الصحى الخاص بالسكة الحديدية ، وإلى جانب ذلك كله عدد من عيادات الأطباء الخاصة وهى تتركز في المربعات السكنية القديمة ولا سيما جنوب شرق السوق الرئيسية . ومن جهة أخرى فإن عطبرة بها «شفخانة» واحدة خاصة بورش السكة الحديدية ، كما توجد بها ثلاث صيدليات فقط ، فضلا عن أربع مدارس (٢) صحية تختص إحداها بالمساعدين الطبيين وأخرى بالمولدرات (الدايات) وثالثة بالزائرات الصحيات للقرى حيث يقمن بالإشراف على الأمومة والطفولة أما الرابعة فخاصة بالمرضين في المستشفى .

أما عن وسائل الإعلام والثقافة فيتمثل ذلك في مكتب الإعلام الذى يضم قسما للتحرير يقوم بإصدار نشرة إخبارية يومية ، وقسما للإذاعة يقوم بأعداد رسالة أسبوعية عن المديرية ، وقسما للتصوير ، وقسما للسينما المتجولة . كما تتمثل الثقافة في المكتبات الأربع بمدينة عطبرة ثلاث منها تجارية والرابعة مكتبة عامة أنشأها مجلس المدينة الشعبى .

(١) جمع خلوة وهى مكان مخصص لتحفيظ القرآن الكريم وتشبه الكتاب في قرى مصر .

(٢) مرشد المديرية الشمالية (١٩٧٣) ص ١٥١ .

أما عن وسائل الاتصال فالمدينة بها مكاتب البريد والبرق والهاتف والتليفون ،
وأما وسائل النقل والمواصلات فتتمثل في السيارات والدراجات^(١) داخل المدينة
وفي القطارات والطائرات المحلية خارج المدينة . ولقد انتهى العمل في المطار الحديد
بعطبرة بمنطقته المختارة خارج الحدود الشمالية الشرقية للمدينة ، وتم افتتاحه رسمياً
في مارس ١٩٧٣^(٢) ، وهو مهياً لاستقبال الطائرات الكبيرة .

أما بيوت المال والتجارة فتتمثل في ثلاثة من المصارف « البنوك » هي بنك
السودان وبنك الدولة للتجارة الخارجية ، ثم البنك الزراعي .

وأما الفنادق فتشمل ثلاثة قرب السوق الرئيسي ، وهي ذات مستوى منخفض
للغاية . بينما في حي السودنة استراحة السكة الحديدية ذات المستوى الأرفع بكثير ،
بل لا وجه للمقارنة ، وهي تابعة لهيئة السكة الحديدية .

أما دور العبادة فتتمثل في كنيسة واحدة بالمدينة ، ومسجد بكل حي من
أحيائها السكنية .

ويضاف إلى كافة المرافق المذكورة بالمدينة مرفق من نوع آخر ويؤدي وظيفة
مختلفة . وهو يتمثل في مناطق المقابر للدفن الموتي وعددها أربعة : تقع واحدة
منها جنوبي شرق المدينة وكانت في مكان خال ناء غير أن الزحف العمراني
للمدينة أحاطها اليوم بأحياء سكنية . وتقع منطقة أخرى للمقابر في أقصى شرق
المدينة بعيدة عن العمران ، وثالثة شرقي المدرسة الصناعية ، أما منطقة المقابر
الرابعة فلإنها في جنوب المدينة وهي خاصة بالمسيحيين من الأهالي .

من دراسة تخطيط المدينة يمكن ملاحظة الآتي :

١ - نواة المدينة المتمثلة في قرية الداخلة القديمة تقع اليوم في أقصى الطرف
الشمالي الغربي للمدينة مرتكزة على الضفة اليمنى للنيل الرئيسي ، بعد أن اتجه
النمو العمراني نحو الجنوب والشرق بالنسبة لها ، فلم يحط بها أحياء سكنية من

(١) تستخدم الدراجات في مدينة عطبرة بكثرة لا مثيل لها في أي مدينة أخرى بالسودان نظراً لكثرة
عدد العمال .

(٢) مرشد المديرية الشمالية (١٩٧٢) ص ٨٦ .

شمالها ، وكل ما في الأمر أنه عندما اتجهت النية إلى إعادة تخطيطها أضيف إليها من شرقها امتداد سكنى حديث اتجه نحو الشرق حتى الخط الحديدي ، وسمى بالداخلة الحديدية .

أما شمال الداخلات القديمة (نواة المدينة) فلا يزال أراضي زراعية تنتظمها مشروعات للإنتاج الزراعي .

ولعل الإبقاء على الأراضي الزراعية شمال الداخلات القديمة على ضفة النيل الرئيسي له أهميته الاقتصادية البالغة ، لا سيما في حالة تكامل هذه الأراضي مع نظيرتها جنوبى المدينة على الضفة اليمنى لنهر عطبرة ، إذ أن ذلك من شأنه العمل على إمداد المدينة بالمواد الغذائية الزراعية والحيوانية . .

٢ - منطقة السكة الحديدية هي أبرز المعالم العمرانية لمدينة عطبرة ، وتعتبر المنطقة الرئيسية إذ تتركز بها وعلى أطرافها أهم المرافق العامة في المدينة . بل إن التخطيط العمراني للمدينة وثيق الصلة بالسكة الحديدية ولا سيما في المراحل المبكرة من نشأة المدينة وتطورها . فالى جانب هذه المنطقة أنشئ الحى البريطانى (١) ليضم مساكن كبار الموظفين بنظام يكفل الراحة والمتعة والرفاهية ، وقد حظى بأهم المرافق العامة وارتفع فيه مستوى الإمداد بالخدمات .

هذا الحى يتركز إلى الضفة اليمنى للنيل الرئيسى ، ويشغل هو ومنطقة السكة الحديدية معظم الجانب الغربى من المدينة (غربى الخط الحديدي عطبرة - بورسودان). وقد خططت شوارعه بحيث يتعامد معظمها مع ضفة النيل ، ويتجه بعض شوارعه بميل طفيف تجاه الجنوب الشرقى لتقريب المسافة إلى مكاتب السكة الحديدية ومباني الرئاسة : أما المنازل فقد أحاطت بكل منها حديقة كبيرة كما زودت المنازل بالكهرباء والماء منذ إنشائها ، وغرست الأشجار على جوانب الشوارع ، وهى اليوم باسقة متشابكة بحيث توفر الظل وتضفى الجمال .

٣ - السوق الرئيسى يكاد يتوسط المدينة غير أن تخطيطه قديم لا يواكب التطور إذ لم يعمل حساب لاحتياجات الأغراض العمومية الجديدة التى جعلت

(١) هو حى السودة الحال .

السوق الرئيسي بالمقياس الحديث منطقة مركزية للنشاط التجاري والإدارى والترفيهى والحركة فى المدينة . ولقد أنشئ سوق عطبرة على غرار نظائره فى كافة المدن السودانية بحيث يخدم غرضا واحدا هو مجرد حصول الأهالى على حاجاتهم الضرورية من السلع البسيطة . على أن جمهور المترددين على السوق يتدثر فى المشاة وراكبي الحيوانات والدراجات ولذلك كانت شوارع السوق ضيقة لا تسمح بيسر الحركة للعربات لا سيما وأنها فى حاجة إلى مواقف للانتظار .

ومع التطور العمرانى للمدينة ونشاط الحركة التجارية فإن سوق عطبرة ينبغى له أن يتطور أيضاً ، ويعاد تخطيطه على نظام حديث .

٤ - المناطق العسكرية فى مواقعها الحالية أصبحت ملاصقة للمناطق والأحياء السكنية بل بعض المواقع تكاد تكون محاطة بالمساكن التى زحفت بمقتضى المد العمرانى نحو تلك المعسكرات فزاحتها بل وأخذت تنازعها مواقعها . والحق أن المناطق العسكرية ينبغى إعادة النظر فى مواقعها الحالية . ويوضع لها التخطيط الذى يكفل فاعليتها فى القيام بواجباتها الدفاعية . ومن الممكن على سبيل المثال نقل المنطقة العسكرية الواقعة شمالى شرق المدينة ملاصقة للمنطقة الصناعية إلى أقصى الشمال عبر الخط الحديدى : عطبرة - بور سودان ، فى الأرض الحالية الواقعة غربى المطار القديم أو حتى خارج حدود المدينة غربى المطار الحديدى ، ثم استغلال موقعها الحال فى التوسع العمرانى للأحياء السكنية فى الاتجاه الشمالى .

٥ - المناطق السكنية فى الجانب الشرقى من المدينة أى شرق الخط الحديدى عطبرة - بور سودان ذات أحياء كثيرة العدد ومتلاصقة ومساكنها متكافئة على عكس ما هو واقع منها غربى الخط الحديدى باستثناء حى العمال والداخلية الجديدة .

ولقد استوعبت المناطق السكنية معظم المساحات فى الجانب الشرقى ، ومن المنتظر أن تستوعب ما تبقى من المساحات الحالية وكذلك مكان المنطقة العسكرية لو نقلت منه ، وبذلك يمكن تفادى زحف المد السكنى نحو المناطق الزراعية على ضفة النيل الرئيسى أو ضفة نهر عطبرة .

ولقد يرى البعض أن التوسع السكاني قد بلغ مداه وليس في الإمكان الابتعاد به عن الحد الحالى إلا بتنفيذ فكرة الامتداد الجنوبي لمدينة عطبرة ، غير أن الواقع يؤكد أنه لا يزال في داخل حدود المدينة حاليا ما يكفل التوسع العمراني ، وليست الحاجة ملحة في الوقت الحاضر على الأقل لتنفيذ الامتداد الجنوبي ، ولكن المستقبل البعيد قد يتطلب ذلك .

والجدير بالذكر أن كافة المساكن في مدينة عطبرة مزودة بالماء والإضاءة الكهربائية .

٦ - وسائل الترفية في المدينة قاصرة عن الكفاية ، وينبغي إنشاء مزيد من الحدائق العامة ولا سيما في بعض المواضع المطلة على النهرين إلى جانب إنشاء عدد من المنزهات « والكازينوات » ليقضى بعض الراغبين من السكان أوقات فراغهم .

مورفولوجية المدينة :

تبدو مدينة عطبرة في شكلها العام على هيئة أشبه بالدائرة تحتضنها الضفتان اليمينيان لنهرى النيل الرئيسى وعطبرة .

على أن الخط الحديدى (عطبرة - بور سودان) الذى يقطعها من الجنوب إلى الشمال يعتبر فاصلا بين قسمين متميزين هما القسم الغربى الذى يعتبر أقدم أجزاء عطبرة والقسم الشرقى الذى يمثل المدينة الحديثة .

وفي القسم الغربى يمكن التمييز بين منطقتين : إحداهما شمالية تضم القرى (الداخلة والسيالة) والأراضي الزراعية التابعة لها . وأما الأخرى فجنوبية تشمل حى السودنة بتخطيطه الذى يكفل فخامة المساكن ذات الحدائق الخاصة ، وجمال الشوارع ذات الأشجار الضخمة ، فضلا عن تركيز أهم المرافق العامة منذ النشأة نظرا لقيام هيئة السكة الحديدية بمعظم الخدمات في نطاق حدودها ، وكان مدير مصلحة السكك الحديدية حتى عام ١٩٥٥ يمثل سلطة الأراضي والتخطيط والشئون العامة في منطقته (١) .

وإلى الجنوب من حى السودنة تقع منطقة السكك الحديدية .

(١) القوانين الحالية الخاصة بالأراضي والتخطيط خولت المجلس المحلى في المدينة حق الإشراف على كافة الشئون في المدينة بما في ذلك حى السودنة بالتعاون مع مصلحة السكة الحديدية في شئون هذا الحى .

أما القسم الشرقي من المدينة فيضم المناطق التجارية ومعظم الأحياء السكنية فضلا عن منطقة زراعية في جنوبه ممتدة على ضفة نهر عطبرة .

ويلاحظ في هذا القسم أن المناطق السكنية مخططة بشكل رقعة الشطرنج ، مع اتساع الشوارع والميادين .

وجدير بالذكر أن مدينة عطبرة هي المدينة الوحيدة^(١) ذات الشوارع والطرق المرصوفة (مسفلته) في المديرية كلها . والبيان الآتي^(٢) يوضح الطرق العامة المرصوفة بالمدينة وأطوالها والأحياء والمناطق التي تربطها :

الطريق	الطول بالأمتار	الأحياء التي يربطها
شارع الحصا	٢٥٠	الفكي مدني غرب - الحصا شرق الفكي مدني شرق
شارع كسلا	١٩٠٠	المربعات ١٠-١ (ممتد من شارع الدامر الى حلة القلعة)
شارع السلك	٣٤٠٠	يمتد من المنطقة الصناعية حتى مدخل كوبرى عطبرة - الدامر .
«الكمبوني» - الجامع	٥٥٠	يربط السوق « بالكمبوني » والمجلس الشعبي وبنك السودان وهينة الإعلام ، كما يربط المربعات السكنية ١-١٢ شرق السوق الرئيسي .
شارع الجمهورية	١٧٠٠	ممتد من المنطقة الصناعية حتى شارع كسلا شمالا
المركز - ميدان السوق	٨٠٠	يخدم منطقة السوق
الجامع - محطة بترول «شل»	٥٠٠	ممتد من السوق حتى المربع السكني العاشر
السكة الحديدية - نادي الشبيبة	٤٥٠	ينتهي إلى السوق الرئيسي
شوراع منطقة السكة الحديدية	١٢,٠٠٠	تخدم منطقة السكك الحديدية كلها .

(١) مرشد المديرية الشمالية (١٩٧٣) ص ٩٦ .

(٢) مذكرة ضابط المجلس الشعبي بعطبرة (مذكرة خاصة غير مطبوعة) .

هذا ، وليس بمدينة عطبرة سوى قنطرة (كوبرى) واحدة قديمة هي المقامة على نهر عطبرة ، ويرجع تاريخ إنشائها إلى عام ١٨٩٩ . وهناك اتجاه إلى إنشاء قنطرة أخرى (١) على النهر ذاته لتسهيل حركة المواصلات بين عطبرة والدامر .

أما البيان الآتى (٢) فيوضح مختلف وسائل النقل بأهم مدن المديرية الشمالية عام ١٩٧٣ (قبل التقسيم الإدارى الجديد لعام ١٩٧٤) مرتبة من الشمال إلى الجنوب :

عدد سيارات	عدد سيارات	عدد سيارات	عدد السيارات	عدد السيارات
النقل التجارية	النقل للركاب	الأجرة		
(المدينة)	العامة والفاخرة	الخاصة	الحكومية	
(اللوارى)	(البصات والبولمان)	(التاكسيات)		
وادي حلفا	١٨	—	٢	١٤
دنقله	٥٨	٨	١٢	٢٥
مروى	٤٥	١٢	١١	٢٢
بربر	٣٠	١٤	٢٨	٨٧
عطبرة والدامر	١٢١	١٢٤	١٨٢	٣٣٦
شندى	١١٢	٩٦	٨٢	٢٦١

فى هذا البيان شملت الإحصائية عطبرة والدامر معا وبها أكبر عدد من كل نوع من وسائل النقل بالمديرية ، ويرجع ذلك إلى مركز كل منهما بين سائر المدن الأخرى بالمديرية حيث عطبرة عاصمة المواصلات والدامر عاصمة المديرية .

أما المباني فى مدينة عطبرة فمعظمها طابق واحد ، إذ أن المباني ذات الطابقين معدودة ، وتكاد تقتصر على مباني الهيئات الحكومية وشبة الحكومية مثل رئاسة السكة الحديدية وبعض المدارس كالمدرسه المصرية والمدرسه الثانويه العليا الحكومية

(١) هذه القنطرة متعلقة بفكرة الامتداد الجنوبي لمدينة عطبرة .

(٢) مرشد المديرية الشمالية (١٩٧٣) ص ٩٧ .

ومدارس الخدمات الاجتماعية ، وهناك مبنى سكنى واحد من طابقين (يعتبره الأهالى « عمارة ١١ ») .

على أن جميع المساكن مزودة بخدمات الكهرباء والماء . فلقد اكتمل ذلك في العام الماضى (١٩٧٣) ، وكانت نسبة المساكن المزودة بالكهرباء حتى عام ١٩٦٥ (١) نحو ٦٦٪ والمزودة بالماء نحو ٧٧٪ ، وذلك على مستوى المدينة كلها بوجه عام أما على مستوى الأقسام الكبرى (المناطق) وماتضمنه من الأحياء فقد كانت النسب المثوية للمساكن المزودة بالكهرباء والماء على النحو الموضح بالبيان الآتى (٢) :

المنطقة والأحياء	الكهرباء	الماء
المنطقة الغربية :	٥٥	٧٤
حي السودة	١٠٠	١٠٠
منطقة السكة الحديدية	٨٧	١٠٠
حي العمال	١٠٠	١٠٠
الداخلية الجديدة	٥٥	٩٤
الداخلية القديمة	٣٥	٧٠
السيالة	٤	٢
المنطقة الوسطى :	٧٨	٩٩
الفكى مدنى غرب	٩٦	١٠٠
منطقة السوق	٨٩	١٠٠
المربعات القديمة	٨٢	١٠٠
المربعات الشرقية	٦٧	٩٨
الحلة الجديدة	٦٨	١٠٠
المنطقة الجنوبية :	٦٦	٣٧
أم بكور	٦١	٩٥

Population and Housing Survey, 164, 1965, Oct. 1966
pp. 42—47, Tables 20—22.

(١)

(٢) نفس المكان .

الموردة غرب	٧٨	٣٢
الموردة شرق	٦٣	١١
الطليح	—	٩
المنطقة الشرقية :	٦٧	١٠٠
الحصا غرب	٧٥	١٠٠
الحصا شرق	٦٩	١٠٠
الامتداد الأول للحصا	١٠٠	١٠٠
الامتداد الثاني للحصا	٥٦	١٠٠
القلعة	٦٧	١٠٠
الأنادى	١٠٠	١٠٠
الفكى مدنى شرق	٦٧	١٠٠
الامتداد الأول للفكى مدنى	٦٧	١٠٠
الامتداد الثاني للفكى مدنى	٤٥	١٠٠
المنطقة الشمالية :	٤٨	٩٦
المنطقة الصناعية	١٠٠	٥٠
المنطقة العسكرية	٤٤	١٠٠

أما من حيث النسب المئوية للمساكن المزودة بالشرفات (الفراندات) والمطابخ
والحمامات ودورات المياه فإنها حتى عام ١٩٦٥ يوضحها البيان الآتى (١):

المناطق والأحياء	شقة	مطبخ	حمام	دورة مياه
	خاص	مشارك	بدون خاص	مشارك بدون
المنطقة الغربية :	٨١	٧٩	٤٦	١٠
السودنة	١٠٠	١٠٠	١٠٠	—
السكة الحديدية	٨٤	١٠٠	٧٥	٥
العمال	١٠٠	١٠٠	١٠٠	—

(١) لم يكن بد من الاعتماد على التقديرات الواردة فى الجدول رقم ٢٠ من المسح السكاني الخاص
بمدينة عطبرة الصادرة فى أكتوبر ١٩٦٦ حيث إن نتائج الإحصاء لعام ١٩٧٣ لم تظهر بعد .

—	٤٥	٥٥	٤٦	١٨	٣٦	٧٥	٨٨	الداخلة الجديدة
—	٧٠	٣٠	٦٥	—	٣٥	٦٥	٦٠	الداخلة القديمة
١٨	٣٨	٤٤	٨٠	١١	٩	٥٨	٦٩	السيالة
—	٤٢	٥٨	٢٩	١٦	٥٥	٧٧	٧٧	المنطقة الوسطى :
—	—	١٠٠	—	—	١٠٠	٩٣	١٠٠	مدني غرب
—	٢١	٧٩	٢١	١١	٦٨	٦٨	٨٤	السوق
—	٦٣	٣٧	٣١	٢٥	٤٤	٧١	٨٢	المربعات القديمة
—	٤٨	٥٢	٤٧	١٥	٣٨	٨٠	٦٠	المربعات الشرقية
—	٤٨	٥٢	١٦	٢٤	٦٠	٧٢	٧٦	الحلة الجديدة
١٤	٦٧	١٩	٨٢	٥	١٣	٧٤	٦٣	المنطقة الجنوبية :
—	٣٤	٦٦	٦١	٨	٣١	٨٤	٨٢	أم بكور
١	٨٧٨	٤	٩٥	١	٤	٨١	٦١	الموردة غرب
١٢	٨٢	٦	٨١	٩	١٠	٥٤	٥١	الموردة شرق
٤٥	—	٥٥	٤٥	١٨	٣٧	٧٣	٧٣	الطليح
١	٤٢	٥٧	٢٠	٢٦	٥٤	٨٧	٨٧	المنطقة الشرقية :
—	٥٠	٥٠	٥٠	—	٥٠	١٠٠	٦٣	الحصا غرب
—	٧٧	٢٣	٣٨	٢٧	٣٥	٨٨	٨٥	الحصا شرق
—	٢٧	٧٣	١٤	١٤	٧٢	٩٥	٩١	الامتداد الأول للحصا
—	٢٢	٧٨	٣٣	—	٦٧	٩٤	١٠٠	الامتداد الثاني للحصا
—	٥٨	٤٢	٥٠	٢٥	٢٥	٧٥	٨٣	القلعة
—	—	١٠٠	—	—	١٠٠	١٠٠	١٠٠	الأنادي
—	٤٢	٥٨	٧	٣٧	٥٦	٨٦	٨١	مدني شرق
—	٢٥	٧٥	٤	٢٩	٦٧	٨٨	٩٢	الامتداد الأول لمدني

الامتداد الثاني

لدى	٩٠	٧٦	٥٣	٣٨	١٠	٥٥	٤٢	٣
المنطقة الشمالية :	٩٦	٩٢	٨٤	٨	٨	٩٢	٨	—
المنطقة الصناعية	١٠٠	١٠٠	—	—	١٠٠	١٠٠	—	—
المنطقة العسكرية	٩٦	٩٢	٩١	٩	—	٩٢	٨	—
مدينة عطبرة كلها	٧٧	٨٠	٤٣	١٤	٤٣	٥٠	٤٥	٥

أما من حيث النظم الخاصة بدورات المياه في المساكن فقد كانت متنوعة إذ شملت نظام « السيفون » والحفر « البيارات » والدلاء (الجرادل) والنظام المائي كما أن دورات المياه منها الخاصة ومنها العامة « الجماعية » ، وكانت نظم دورات المياه في مدينة عطبرة حتى عام ١٩٦٥ يوضحها البيان الآتي (١) طبقاً للنسب المئوية للعائلات التي تستخدم دورات المياه في مساكنها بمختلف مناطق المدينة (٢) :

المنطقة	السيفونات	الدلاء	الحفر	النظام المائي	النظام الجماعي	نظم أخرى
الغربية	٤٧	١	٣٣	١٢	٣	٤
الوسطى	٥٧	٧	٩	٢٦	١	—
الجنوبية	٢	١٩	٦	٢	٥٧	١٤
الشرقية	٥٠	—	٢٧	٢٢	—	١
الشمالية	—	١٢	—	٢٨	٦٠	—
مدينة عطبرة كلها	٣٧	٧	١٨	١٦	١٧	٥

من هذا البيان يتضح أن «السيفونات» هي النظام الأغلب في دورات المياه إذ تبلغ نسبتها في المدينة كلها نحو ٣٧٪ ويقل استخدام الدلاء (٧٪) إلى أدنى حد . كما أن بالمدينة مناطق تخلو من نظام دورات المياه وترتفع نسبتها إلى ١٤٪ بين عائلات المنطقة الجنوبية. أما اليوم فقد اختفى نظام الدلاء تماماً وعم نظام «السيفونات» .

(١) Population and Housing Survey, 1964/65, Oct. 1966. Table 22, pp. 46—47.

(٢) Population and Housing Survey, 1964, /65, Oct. 1966, Atbara Table 22, pp. 46—47

وهي تعمل بنظام الحفر « اليارات » وتقوم البلدية بكسح الفضلات المتجمعة في الحفرة الكبرى العميقة دوريا بمعدل مرة كل أربع سنوات أو خمس .

أما من حيث مواد البناء المستخدمة في المساكن فإنها في الأغلب مواد محلية لأن عطرة مدينة عمالية ينخفض فيها دخل الأفراد . وتمثل المواد المحلية في الطين واللبن (الطوب النى) والآجر (الطوب المحروق « الأحمر ») ، ويندر استخدام الأحجار « والقش » وينعدم استخدام الأخشاب إلا في الأسقف ، كما أن الأسمنت المسلح « الخرسانة » يستخدم في المباني الحديثة . والبيان الآتى (١) يوضح مختلف مواد البناء المستخدمة بالمدينة في الحوائط والأرضيات والأسقف بالنسبة المئوية :

(١) المواد المستخدمة في الحوائط

المنطقة	قش	طين	لبن	آجر	حجر	خشب	مواد أخرى
الغربية	—	٦١	٣	٣٤	٢	—	—
الوسطى	٦	٥٩	١٣	٢٢	—	—	—
الجنوبية	١	٩٧	—	٢	—	—	—
الشرقية	—	٨٣	٥	١٢	—	—	—
الشمالية	—	٥٦	٨	٣٦	—	—	—
مدينة عطرة كلها	٢	٧٤	٥	١٨	١	—	—

(ب) المواد المستخدمة في الأرضيات

المنطقة	تراب	طوب أحمر	أسمنت	بلاط	مواد أخرى
الغربية	٦٨	٢	١٣	١٧	—
الوسطى	٧٣	٥	٧	١٥	—
الجنوبية	٩٥	١	٣	١	—
الشرقية	٩٠	—	٥	٥	—
الشمالية	٣٢	—	٣٢	٣٦	—
مدينة عطرة كلها	٨٠	٢	٨	١٠	—

(١) نفس المرجع : جدول ١٤ و ١٦ و ١٨ ص ٣٥ - ٣٨ .

(ح) المواد المستخدمة في الأسقف

المنطقة	مواد محلية	خشب	ألواح من الزنك	خرسانة	مواد أخرى
الغربية	٦٢	٥	١٦	١٥	٢
الوسطى	٦٨	٢٧	٣	٢	—
الجنوبية	٩٥	٤	١	—	—
الشرقية	٧٢	٢	١	١	١
الشمالية	٨٤	—	١٢	٤	—
مدينة عطبرة كلها	٧٥	١٤	٥	٥	١

من هذه البيانات يتضح أن الطين هو المادة السائدة في المباني (٧٤٪) ولا سيما في المنطقتين الجنوبية والشرقية. وإن كان الآجر بدأت نسبة استخدامه في الارتفاع ولا سيما في المنطقتين الشمالية والغربية، فهو اليوم أكثر ارتفاعاً في نسبته مع استخدام نظام الأنمنت المسلح «الخرسانة» في المباني الحديثة.

أما أراضي المساكن فقد سادها التراب (٨٠٪) لا سيما في المنطقتين الجنوبية والشمالية غير أن البلاط بدأت نسبته في الارتفاع وينتظر أن يسود كافة الأراضي. وأما الأسقف فقد سادتها المواد المحلية من القش وفروع الأشجار والطين (٨٥٪) ولا سيما في المنطقتين الجنوبية والشمالية، وإلى جانب ذلك نسبة قليلة من الأخشاب (١٤٪) ثم نسبة أقل بكثير من ألواح الزنك و«الخرسانة»، ولكن المنتظر أن تزداد نسبة الخرسانة في استخدامها للأسقف.

تركيب المدينة :

ويشمل ذلك دراسة السكان وخصائصهم الديموغرافية، كما يشمل أيضاً دراسة الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للمدينة.

أما من حيث السكان فقد سبقت الإشارة إلى أن مدينة عطبرة بحجمها السكاني تتبوأ المرتبة الثامنة بين مدن السودان الكبرى التي يزيد عدد سكان كل منها على أربعين ألف نسمة.

وجدير بالذكر أن دراسة السكان في السودان بوجه عام تنقصها الإحصاءات والتعدادات الدقيقة . ولا يزال التعداد الأول لسكان السودان عام ١٩٥٥-١٩٥٦ هو التعداد الرسمي الوحيد . وفيه من النقص والثغرات الشيء الكثير . وأما التعداد الثاني الذي أجرى عام ١٩٧٣ فإن نتائجه لا تزال أولية ولم تنشر بعد بصورة نهائية وبصفة رسمية . وهناك بعض عمليات للمسح السكاني ذات تقديرات لها اعتبارها المقبول وصدرت بها تقارير منشورة . ولذلك فلا مناص في دراسة السكان من الاعتماد على ذلك التعداد الأول رغم قدمه ونقائصه إلى جانب مختلف التقديرات الواردة في تقارير المسح السكاني . والبيان الآتي يوضح أعداد السكان في مدينة عطبرة خلال الفترة ١٩٤٢-١٩٧٤ : (*)

السنة	(١) ١٩٤٢-٥٥	(٢) ١٩٥٦-٦٤	(٣) ١٩٦٥-٧٠	(٤) ١٩٧١-٧٣	(٥) ١٩٧٤-٧٣
عدد نسمة	نسمة	نسمة	نسمة	نسمة	نسمة
١٩,٧٥٧	٣٦,٢٩٨	٤٨,٢٥٠	٥٥,٦٦٣	٦٤,٣٢٦	

ومن البيان يتضح تطور النمو السكاني على النحو الآتي :-

- ١ - في المدة ١٩٤٢-٥٥ / ١٩٥٦ (١٣ سنة) زاد عدد السكان ١٦,٥٤١ نسمة بنسبة نحو ٨٤ %
- ٢ - في المدة ١٩٥٦ / ٥٥ - ١٩٦٥ / ٦٤ (٩ سنوات) زاد عدد السكان ١١,٩٥٢ نسمة بنسبة نحو ٣٣ %
- ٣ - في المدة ١٩٦٥ / ٦٤ - ١٩٧١ / ٧٠ (٦ سنوات) زاد عدد السكان ٧,٤١٣ نسمة بنسبة نحو ١٥,٤ %
- ٤ - في المدة ١٩٧١-٧٠ - ١٩٧٤-٧٣ (٣ سنوات) زاد عدد السكان ٨,٦٦٣ نسمة بنسبة نحو ١٥,٦ %

(*) أنظر الرسم البياني بالشكل رقم (٩) .

(١) Salih, A.El Arifi, 1971, Urbanization and Distribution of Economic Development in the Sudan, Sudan Urban Studies, Africa Urban Notes, p. 127.

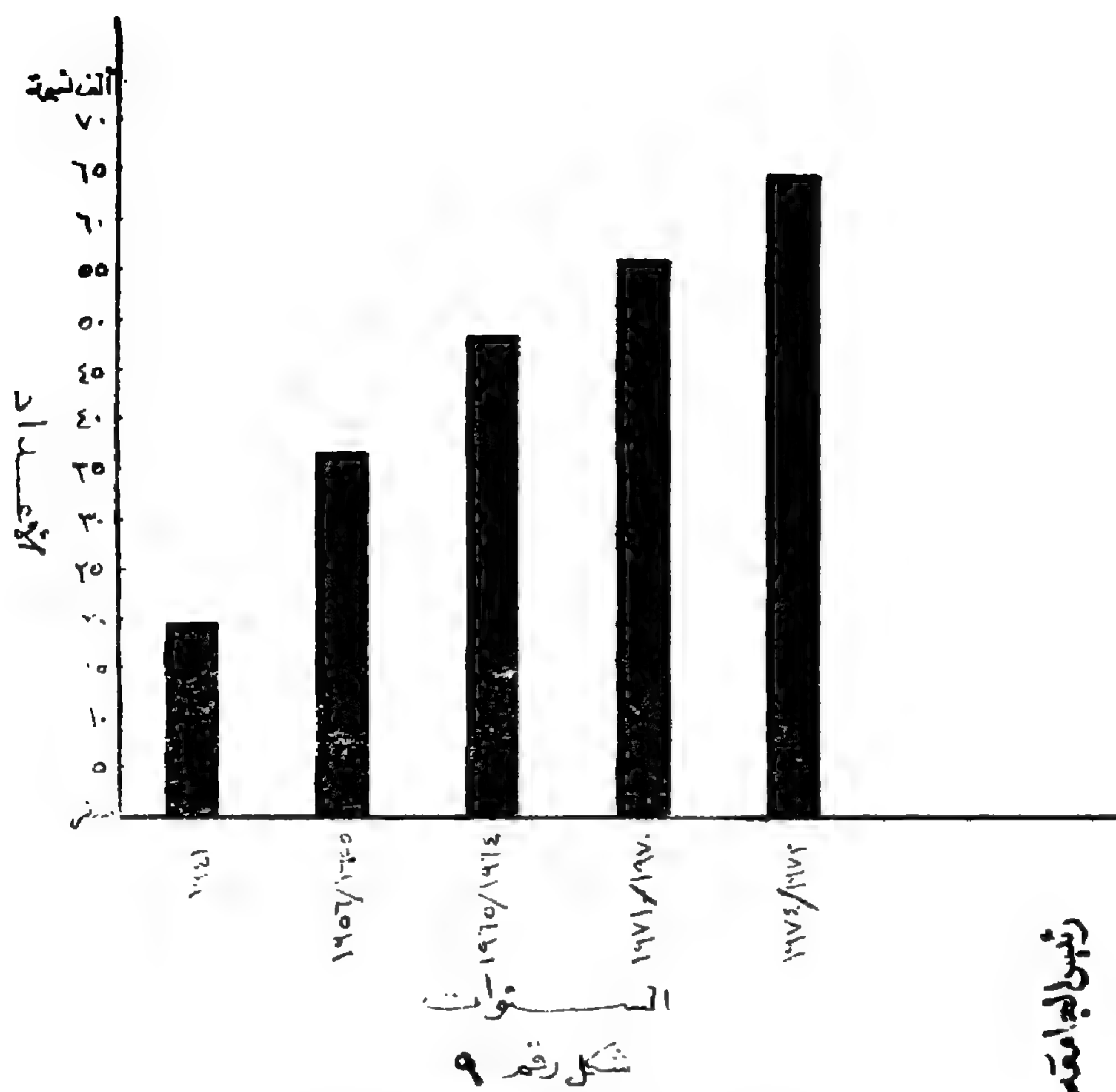
(٢) First Population Census of the Sudan, 1955/56.

(٣) Population and Housing Survey, e 9 64/66, ct. 1968, p. 47.

(٤) Sudan Almanac, 1970/71, p.18.

(٥) النتائج الأولية لتعداد ١٩٧٣ (عن السيد / سراج الدين حسن - مصلحة الإحصاء) .

٥ - في المدة ١٩٤٢-١٩٧٤/٧٣ (٣١ سنة) زاد عدد السكان ٤٤,٥٦٩ نسمة بنسبة نحو ٢٢٥,٦ ٪



شكل رقم ٩
أعداد السكان في مدينة عطبرة خلال المدة ١٩٤٢-١٩٧٤

ولعل في الاختلافات الظاهرة في نسب الزيادة وعدم إتساقها مع طول الفترات الزمنية ما يعكس الاختلافات التقديرية والتعدادية ، غير أن ما يلفت النظر ويسترعى الانتباه أن عدد سكان مدينة عطبرة قد تضاعف مرتين وربع المرة في نحو ثلاثين عاما .

أما كثافة السكان بالمدينة فعلى فرض أن المساحة (١) تبلغ ٢١ من الكيلومترات المربعة

(١) El Sayed El Bushra, 1965, The Urban Geography of North and Central Sudan

A Thesis of Master of Arts, London, p.119.

فإن الكثافة الحسائية على أساس العدد الحالى للسكان (٦٤,٣٢٦ نسمة) تبلغ نحو ٣٠٦٣,١ نسمة فى الكيلومتر المربع . ونظراً لأن نتائج التعداد الأخير (لعام ١٩٧٣) لم تنشر تفاصيله بعد فمن الصعب دراسة الكثافات السكانية بمناطق المدينة دراسة مفصلة ، ولكن من الممكن إتخاذ المسح السكانى لعام ٦٤-١٩٦٥ أساساً لتصوير هذه الكثافات المفصلة فى فترة معينة على سبيل المثال وذلك فيما يلى (١) :-

(١) المنطقة الغربية :

تضم نحو ٢٩ ٪ من جملة سكان المدينة ، نحو ٢٦ ٪ من جملة العائلات ، وبها نحو ٢٥,١ ٪ من مجموع حجرات المدينة .

ويبلغ متوسط عدد أفراد العائلة بهذه المنطقة عامة نحو ٦,٧ من الأفراد ، غير أن من أحياء هذه المنطقة ما يتجاوز متوسط عدد أفراد العائلة به هذا المتوسط العام ، وهى حى العمال (٧,٢) والداخلية القديمة والسيالة (كل منهما ٧,١) . أما الكثافة السكانية للحجرة فإن متوسطها نحو ٢,٨ من الأفراد للحجرة الواحدة غير أن الأحياء ذات الكثافة الأعلى من ذلك فهى بالترتيب : حى العمال (٣,٦) والسيالة (٣,١) والداخلية الجديدة (٢,٩) .

(ب) المنطقة الوسطى :

تضم نحو ٢٤,٥ ٪ من جملة سكان المدينة ، ونحو ٢٣ ٪ من جملة العائلات ، وبها نحو ٢٥,٢ ٪ من مجموع حجرات المدينة .

ويبلغ متوسط عدد أفراد العائلة عامة نحو ٦,٥ من الأفراد ، غير أن المتوسط يزيد عن ذلك فى إثنين من أحياء هذه المنطقة وهما : المربعات الشرقية والحلة الجديدة (كل منهما ٦,٧ من الأفراد) .

وأما الكثافة السكانية للحجرة فإن متوسطها نحو ٢,٤ من الأفراد ، غير أن بعض الأحياء تتجاوز كثافة الحجرة بها هذا المتوسط وهى بالترتيب : الحلة الجديدة (٢,٧) والمربعات الشرقية (٢,٦) والمربعات القديمة (٢,٥) .

(١) Population and Housing Survey, 1964/65, Atbara, Oct. 1966, Table 11, p.32.

(حولت الأعداد الدالة على مجموع السكان والعائلات والحجرات بالتحول إلى نسب مئوية)

(ج) المنطقة الجنوبية :

تضم نحو ٢١ ٪ من مجموع سكان المدينة ، ونحو ٢٥ ٪ من جملة العائلات ، وبها نحو ٢٣.٥ ٪ من جملة حجرات المدينة .

ويبلغ المتوسط العام لعدد أفراد العائلة بهذه المنطقة نحو ٤.٩ من الأفراد ، بينما بعض بعض أحيائها يتجاوز ذلك ، وهى بالترتيب أم بكور (٦.٥) والطيح (٥.٤) .

وتبلغ كثافة السكان بالحجرة فى المتوسط نحو ٢.٢ من الأفراد ، ويزيد هذا المتوسط فى حى أم بكور فقط (٢.٧) .

(د) المنطقة الشرقية :

بها نحو ٢٢.٥ ٪ من جملة سكان المدينة ، ونحو ٢٣ ٪ من جملة العائلات ، وتضم نحو ٢٣.٦ ٪ من مجموع حجرات المدينة .

ويبلغ متوسط عدد أفراد العائلة بهذه المنطقة نحو ٥.٩ من الأفراد ، ولكن الأحياء الزائدة على هذا المتوسط هى بالترتيب : الامتداد الثانى للحصا (٦.٩) وحى القلعة (٦.٦) والحصا غرب (٦.٥) والامتداد الأول للحصا والامتداد الأول لمدنى (كل منهما ٦.٣) ثم مدنى شرق (٦) .

أما كثافة الحجرة الواحدة فمتوسطها نحو ٢.٣ من الأفراد . ولكن الأحياء التى يزيد المتوسط فى كثافة الحجرة بها عن ذلك هى بالترتيب : حى القلعة (٢.٦) ومدنى شرق والامتداد الثانى للحصا (كل منهما ٢.٥) .

(هـ) المنطقة الشمالية :

وهى أقل المناطق جميعها من حيث الكثافة السكانية إذ تضم فقط نحو ٣ ٪ من جملة سكان المدينة ، وكذلك نحو ٣ ٪ من مجموع العائلات ثم نحو ٢.٦ ٪ من جملة الحجرات .

ويبلغ متوسط عدد أفراد العائلة بها عامة نحو ٥.٣ من الأفراد ، غير أن المنطقة الصناعية يزيد المتوسط بها عن ذلك إذ يبلغ نحو ٦.٥ .

أما كثافة الحجرة فيبلغ متوسطها بالمنطقة عامة نحو ٢,٦ من الأفراد ، يزيد في المنطقة الصناعية إلى ٤,٣ من الأفراد ، وهذا أعلى متوسط لكثافة الحجرة في مدينة عطبرة كلها على الإطلاق .

أما بالنسبة لمدينة عطبرة جميعها فإن متوسط عدد أفراد العائلة الواحدة يبلغ نحو ٦ أفراد ومتوسط الكثافة للحجرة عامة نحو ٢.٤ من الأفراد .

من هذا التوزيع السكاني يمكن ملاحظة الآتي :

١ - تختص المنطقة لمنطقة الغربية بأعلى نسبة مئوية من سكان المدينة (٢٩ ٪) وكذلك بأعلى نسبة مئوية من عدد العائلات (٢٦ ٪) . بينما المنطقة الشمالية تختص بأدنى نسبة إذ تضم فقط ٣ ٪ من جملة السكان و ٣ ٪ أيضاً من جملة العائلات (منطقة صناعية وثكنات عسكرية) .

٢ - يختص حي العمال في المنطقة الغربية بأكبر حجم للعائلة إذ يبلغ المتوسط نحو ٧,٢ من الأفراد . كما يختص أيضاً بأكبر كثافة لسكان الحجرة باستثناء المنطقة الصناعية إذ يبلغ متوسط عدد الأفراد في الحجرة الواحدة بحي العمال ٣,٦ من الأفراد .

٣ - الأحياء السكنية التي يتجاوز فيها متوسط عدد أفراد العائلة المتوسط العام لمدينة عطبرة وهو ٦ أفراد تتمثل في الأحياء الآتية وهي مرتبة تنازلياً :-

الداخلية القديمة والسيالة (كل منهما ٧,١) - الداخلية الجديدة والامتداد الثاني للحصا (كل منهما ٦,٩) - السودنة (٦,٨) - المربعات الشرقية والحلة الجديدة . (كل منهما ٦,٧) - القلعة (٦,٦) - أم بكور والحصا غرب والمنطقة الصناعية . (كل منها ٦,٥) - السوق (٦,٤) - الامتداد الأول للحصا والامتداد الأول لمبنى (كل منهما ٦,٣) - مبنى غرب والمربعات القديمة (كل منهما ٦,٢) .

٤ - الأحياء السكنية التي يزيد فيها متوسط كثافة السكان بالحجرة على المتوسط العام (٢,٤) هي بالترتيب التنازلي :

المنطقة الصناعية (٤,٣) - حي العمال (٣,٦) - السيالة (٣,١) - الداخلية الجديدة (٣) - الداخلية القديمة (٢,٩) - الحلة الجديدة وأم بكور (كل منهما ٢,٧)

— المربعات الشرقية والقلعة والسكة الحديدية (كل منها ٦ , ٢) — الامتداد
الثاني للحصا والمربعات القديمة ومدنى شرق (كل منها ٢,٥) .

٥ — يتمثل التركز السكانى عامة بمدينة عطبرة فى (أ) الجانب الشمالى من المنطقة الغربية حيث الداخلة الجديدة والداخلة القديمة والسيالة ثم حى العمال . (ب) المربعات السكنية القديمة والمربعات الشرقية فى المنطقة الوسطى (ج) المنطقتين الجنوبية والشرقية بوجه عام إذ أنها تمثلان التركز السكانى الرئيسى بالمدينة .

أما من حيث القوميات الخاصة بسكان عطبرة فإن بيانها كالتالى (١) : —

٩٧,٢ ٪ من حملة سكان المدينة سودانيون بالميلاد .

٠,٥ ٪ من حملة سكان المدينة سودانيون بالتجنس .

٢,٣ ٪ من حملة سكان المدينة أجانب (منهم نحو ٤٠ ٪) (٢) من العناصر الإفريقية

الغربية ويعادل ذلك نحو ٠,٩ ٪ من حملة سكان عطبرة) .

والبيان الآتى (٣) يلخص التغيرات التى حدثت فى حجم السكان من الأجانب

والسودانيين بالتجنس خلال الفترة ١٩٥٦/٥٥ — ١٩٦٥/٦٤ : —

النسبة المئوية للتغير	الفرق		العدد		القومية
	بالنقص	بالزيادة	١٩٦٥/١٩٦٤	١٩٥٦/١٩٥٥	
٦٢,٨	٤٢٢	—	٢٥٠	٦٧٢	سودانيون بالتجنس
٤٢,٧	٨٢١	—	١١٠٠	١٩٢١	أجانب
٤,٣	—	١٨	٤٤٠	٤٢٢	منهم : عناصر أفريقية غربية
٧٠,٧	٧٤٩	—	٣١٠	١٠٥٩	مصريون
٢٠,٥	٩٠	—	٣٥٠	٤٤٠	عناصر أخرى

(١) Population and Housing Survey, 1964/66. General Survey of the Urban Areas, Oct, 1958 p.. 71

(٢) Population and Housing survey, 1964/65, Athara, Oct. 1966, R10.

(٣) Loc. Cit.,

أما من حيث الجهات التي ولد بها سكان مدينة عطبرة فضلا عن مدينة عطبرة ذاتها كمحل للميلاد فيوضح ذلك البيان الآتي (١) : —

- ٦٢,٤ ٪ من السكان ولدوا بمدينة عطبرة ذاتها
- ٢٨,٨ ٪ من السكان ولدوا بالمديرية الشمالية
- ٢,١ ٪ من السكان ولدوا بمديرية الخرطوم
- ٢,١ ٪ من السكان ولدوا خارج جمهورية السودان
- ٢ ٪ من السكان ولدوا بمديرية كردفان
- ١ ٪ من السكان ولدوا بمديرية كسلا
- ٠,٩ ٪ من السكان ولدوا بمديرية النيل الأزرق
- ٠,٤ ٪ من السكان ولدوا بالمديريات الجنوبية (جنوب السودان)
- ٠,٣ ٪ من السكان ولدوا بمديرية دارفور .

أما الخصائص الديموغرافية للسكان في مدينة عطبرة فيمكن دراستها من الجوانب الآتية على أساس التعداد الأول ١٩٥٦-٥٥ وتقارير المسح السكاني :-

١- فئات السن (٢): (٥)

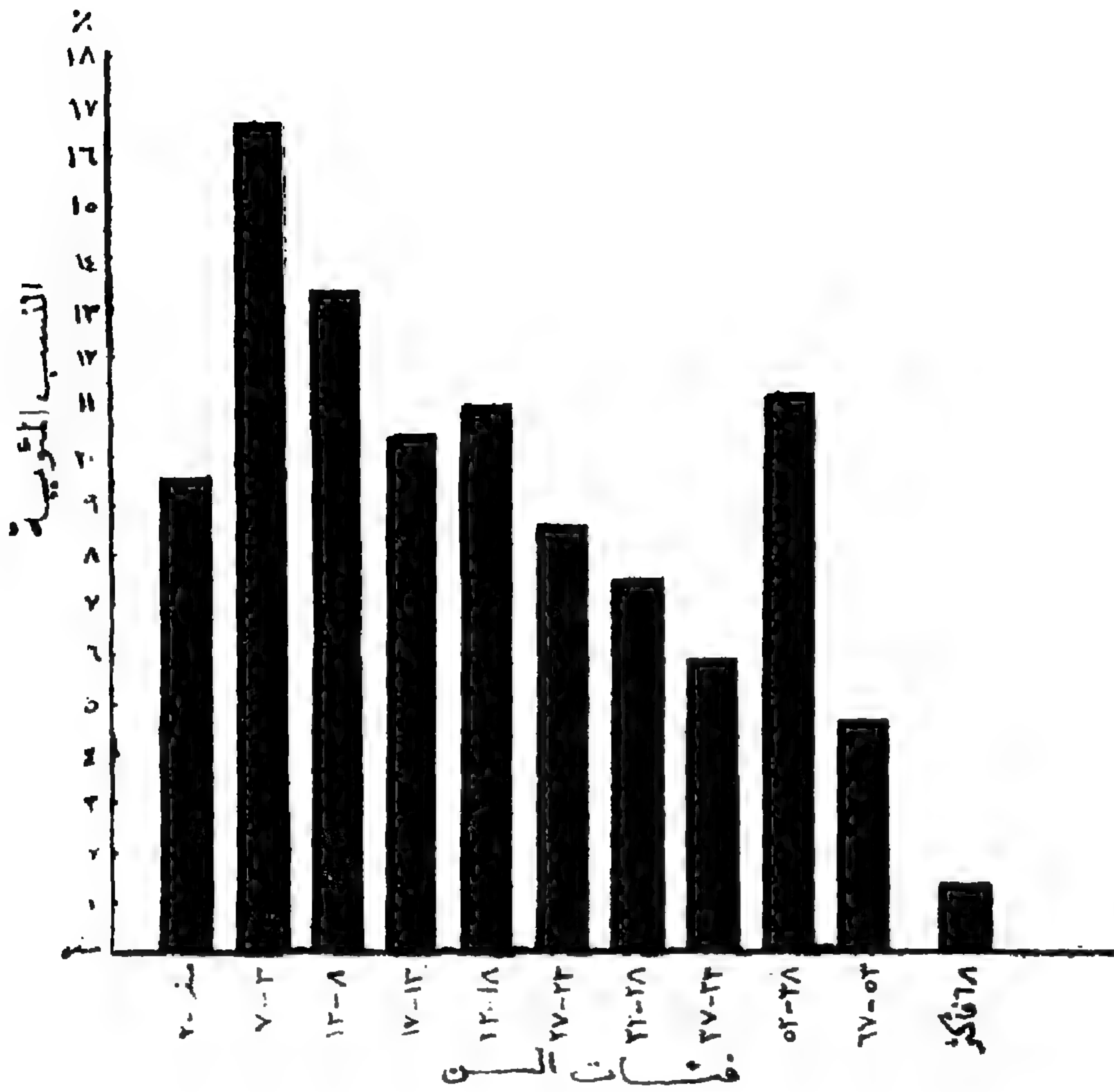
فئات السن	٪	فئات السن	٪
صفر — ٢ سنة	٩ر٦	٣ — ٧ سنة	١٦ر٦
٨ — ١٢ »	١٣ر٣	١٣ — ١٧ »	١٠ر٤
١٨ — ٢٢ »	١١	٢٣ — ٢٧ »	٨ر٦
٢٨ — ٣٢ »	٧ر٥	٣٣ — ٣٧ »	٥ر٨
٣٨ — ٥٢ »	١١ر٢	٥٣ — ٦٧ »	٤ر٧
٦٨ فأكثر	١ر٣		

ومن ذلك يتضح أن ٤٠ ٪ تقريبا من سكان مدينة عطبرة في فئات السن الأقل من ١٣ سنة ، و ٥٠ ٪ أقل من ١٨ سنة ، ومعنى ذلك أن سكان مدينة عطبرة في مرحلة الشباب .

(٥) أنظر الرسم البياني بالشكل رقم (١٠) .

(١) General Survey of the urban Areas, 1968, p. 71.

(٢) General Survey of the Urban Areas, 1964/66, Oct. 1968, p. 70



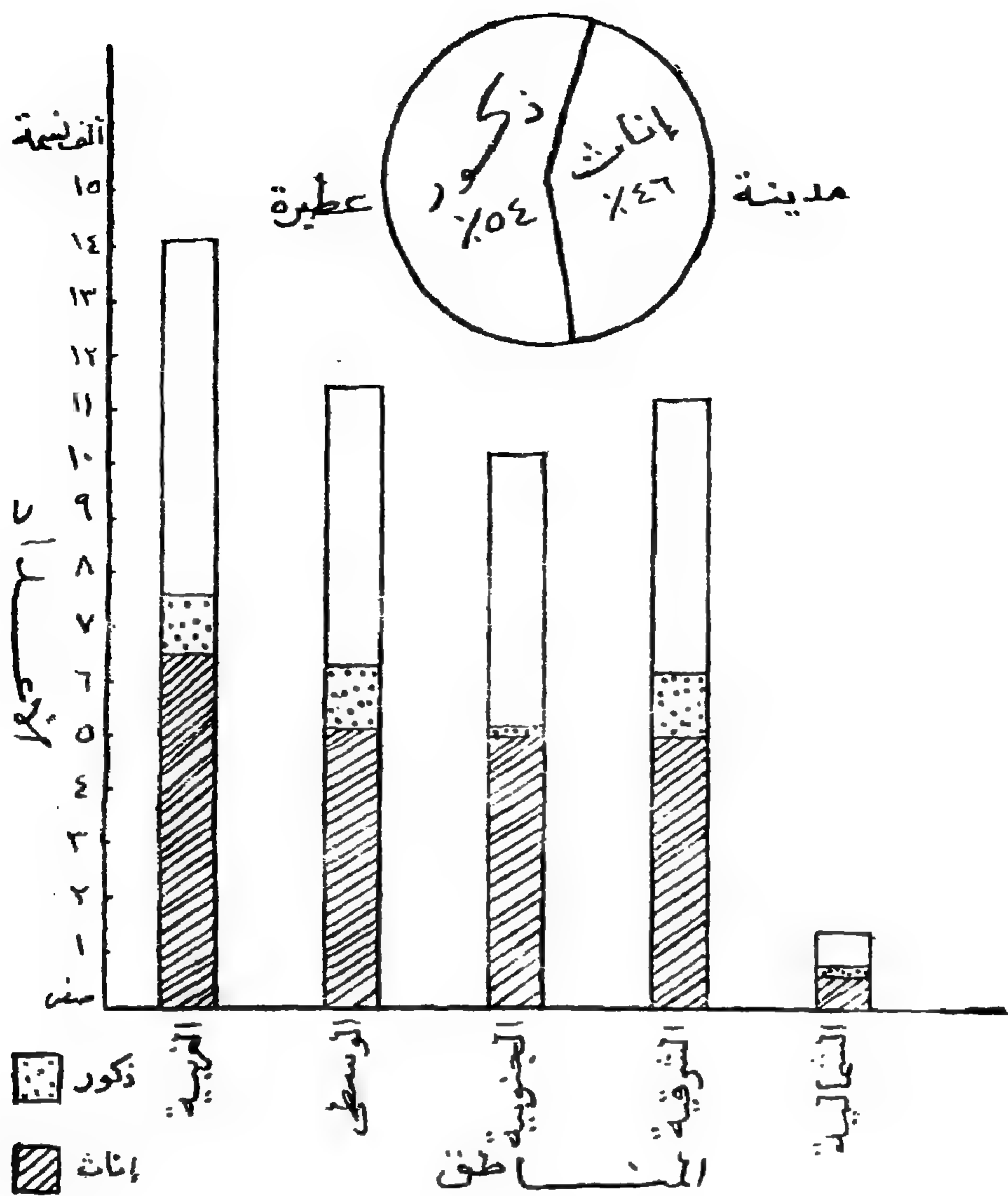
شكل رقم ١٠
فئات السن بين سكان عطبرة

ب- الجنس (ذكور وأناث) : (**)

على أساس المسح السكاني لعام ١٩٦٥/٦٤ والذي قدر فيه عدد سكان عطبرة بمقدار ٤٨.٢٥٠ نسمة ، يلاحظ (كما في التعداد الأول ١٩٥٦/٥٥) زيادة عدد الذكور على عدد الإناث ، والبيان الآتي (١) يوضح ذلك في مدينة عطبرة بكافة مناطقها :-

(**) أنظر الرسم البياني بالشكل رقم (١١) .

(١) Population and Housing Survey, 1964/65, ATBRA, Oct. 1966, Tablelo, p.31.



شكل رقم (١١)
سكان عطيبة من حيث الجنس (ذكور وإناث)

المنطقة	جملة السكان	عدد الذكور	عدد الإناث
الغربية	١٤,١٤٠	٧,٦١٠	٦,٥٣٠
الوسطى	١١,٤٠٠	٦,٣٢٠	٥,٠٨٠
الجنوبية	١٠,١٨٠	٥,١٣٠	٥,٠٥٠
الشرقية	١١,١٥٠	٦,٢١٠	٤,٩٤٠
الشمالية	١,٣٨٠	٧٦٠	٦٢٠
مدينة عطيبة كلها	٤٨,٢٥٠	٢٦,٠٣٠	٢٢,٢٢٠

ومن هذا البيان حسب معدل الذكورة فأتضح أنه ١١٧ بمعنى أن كل مائة من الإناث يقابلها مائة وسبعة عشر من الذكور .

ويبدو أن معدل الذكورة أخذ في الانخفاض حيث كان في التعداد الأول (١٩٥٦/٥٥) نحو ١٢٢ حيث كان مجموع سكان المدينة ٣٦٩٨ر٣٦ نسمة ، منهم ١٩٩٤٨ر١٦ من الذكور و ١٦٣٥٠ر١٦ من الإناث .

ويبدو أن ارتفاع معدل الذكورة راجع إلى ارتفاع نسبة الذكور في المهاجرين إلى المدينة .

جـ- المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية : (١)

١ - المعدل الخام للمواليد	٣٥,٢ في الألف
٢ - " " للوفيات	٨,٥ " "
٣ - الزيادة الطبيعية	٢٦,٧ " "
٤ - معدل وفيات الأطفال	٨٨,٢ " " (من كل ألف مولود)
٥ - معدل التعويض	٢,٣ من الإناث ، بمعنى أن كل أنثى تترك رسالتها إلى ٢,٣ من الإناث بعدها .

د- الهجرات إلى عطبرة :

على أساس المسح السكاني لعام ١٩٦٥-٦٤ بلغ عدد المهاجرين إلى عطبرة ١٨١٤٠ نسمة من كلا الجنسين بالنسبة لمجموع السكان البالغ ٤٨٢٥٠ر٤٨ نسمة وكان عدد الذكور منهم ١٠,٢٠٠ نسمة بنسبة ٥٦ ٪ وعدد الإناث ٧٩٤٠ر٧ نسمة بنسبة ٤٤ ٪ .

وبمقارنة النسبة المئوية للمهاجرين في هذا المسح السكاني بنظيرتها في التعداد الأول لعام ١٩٥٦/٥٥ يتضح الآتي (٢) : -

١ - بلغ عدد المهاجرين في تعداد ١٩٥٦/٥٥ نحو ٢٣,٠١٥ بنسبة ٦٣ ٪ من جملة سكان عطبرة البالغ عددهم في هذا التعداد ٣٦,٢٩٨ نسمة .

General Survey of the Urban Areas, 1964/66, Oct. 68, p. 85.

(١)

Rehfish, F., "Sudan Urban Profiles", International conference, "Sudan in Africa", 1968, PP.

(٢)

- ٢ - بلغ عدد المهاجرين في المسح السكاني المذكور نحو ١٨,١٤٠ نسمة بنسبة ٣٨ ٪ من جملة سكان عطبرة البالغ عددهم في هذا المسح ٤٨,٢٥٠ نسمة .
- ٣ - بلغت الذكورة نسبة مئوية ثابتة في التعداد الأول والمسح هي ٥٦ ٪ .
- أما البيان الآتي (١) فيوضح النسب المئوية لكل من الذكور والإناث بين المهاجرين إلى عطبرة في فئات السن المختلفة على أساس المسح السكاني ١٩٦٥/٦٤ :-

فئات السن	الذكور	الإناث	كلا الجنسين
	٪	٪	٪
صفر - ١٧ سنة	١٧,٢	٢٢,٣	١٩,٥
١٨ - ٣٧ »	٤٩	٥٠,١	٤٩,٥
٣٨ »	٣٣,٧	٢٧,٦	٣١

ويوضح البيان الآتي (٢) النسب المئوية لكلا الجنسين بين المهاجرين في مختلف فئات السن حسب المسح السكاني ١٩٦٦/٦٤ :-

فئات السن	٪	فئات السن	٪
صفر - ٢ سنة	١,٨	٣ - ٧ سنة	٤,٥
٨ - ١٢ »	٧,١	١٣ - ١٧ »	٧,٨
١٨ - ٢٢ »	١٠,٣	٢٣ - ٢٧ »	١٣
٢٨ - ٣٢ »	١١,٩	٣٣ - ٣٧ »	٨,٥
٣٨ - ٥٢ »	٢٠,٦	٥٣ - ٦٧ »	١٠,٨
٦٨ فأكثر	٣,٧		

ومن هذين البيانيين يتضح أن أكبر عدد من المهاجرين إلى عطبرة يقع في سن الشباب (١٨ - ٣٨ سنة) ، إذ هدفهم الأساسي من الهجرة هو العمل في عطبرة .

أما البيان الآتي (٢) فيوضح الجهات التي وفد منها المهاجرون إلى عطبرة وذلك على أساس المسح السكاني ١٩٦٦-٤٤ :-

٧,١	مديرية الخرطوم	٧٣,٤	المديرية الشمالية
٥,١	» كردفان	٦,١	خارج السودان

Ibid, p. 11,

General Survey, 1968, p.72.

(١)

(٢)

٢,٧ النيل الأزرق

٣,٥ مديرية كسلا

١ مديريات الجنوب

١,١ دارفور

وفيما يلي بيان (١) بالنسب المئوية للمهاجرين في الفترة من قبل ١٩٥٥ إلى ما بعد ١٩٦٤ :-

١٩٥٥ وما قبلها	٥٥,٤ %	١٩٥٦-١٩٦٠	١٨,٤ %
١٩٦١	٣,٤ %	١٩٦٢	٦,٤ %
١٩٦٣	٦,٨ %	١٩٦٤ وما بعدها	٩,٦ %

يتضح من البيانات أن أكبر نسبة من المهاجرين إلى عطبرة مصدرها المديرية الشمالية (٧٣,٤ %) حيث الجذب في المديرية الشمالية يشكل عامل طرد قوى ، ويشكل العمل في مدينة عطبرة قوة جذب لهؤلاء المهاجرين . كما يبدو أن أكبر نسبة من المهاجرين وفدت إلى عطبرة عام ١٩٥٥ وما قبله ثم تضاءلت النسب بعد ذلك ربما لأن فرص العمل قد تضاءلت أمام المهاجرين بعد الاستقلال عام ١٩٥٦ حيث أن العمل الرئيسي في عطبرة وهو « ورش » السكك الحديدية قد استوعبت القدر الكافي من العمال بحيث لم يبق أمام الوافدين من المهاجرين سوى ملء الأمكنة التي تخلو وما أقلها ، أما القطاع الخاص فإن مجاله ضيق نوعاً ، وإلى جانب ذلك كله الأعمال المكتبية في المصالح الحكومية على قلتها .

أما من حيث جهات الميلاد لهؤلاء المهاجرين فإن البيان المقارن الآتي (٢) يوضحها حسب التعداد الأول ١٩٥٥-٥٦ والمسح السكاني ٦٤-٦٥ ١٩٦٥ بالنسب المئوية :-

الجهة السنة	المديرية الشمالية	مديرية الخرطوم	مديرية النيل الأزرق	مديرية كسلا	مديرية كردفان	مديرية دارفور	مديريات الجنوب	خارج السودان
١٩٥٦/١٩٥٥	٧٥,٩	٦,٦	٣,٣	٢,٧	٣,٥	٠,٧	٠,٦	٦,٨
١٩٦٥/١٩٦٤	٧٦,٦	٥,٦	٢,٣	٢,٦	٥,٣	٠,٩	١,١	٥,٦

Loc. ci..

Rehfish, (1868) p.7.

(١)

(٢)

ومن هذا البيان يتضح أن الغالبية العظمى للمهاجرين مولود في المديرية الشمالية ثم مديرية الخرطوم بعدد قليل يماثله المهاجرون الوافدون من خارج السودان ، وبعد ذلك نسب صغيرة جداً من مختلف مديريات السودان الأخرى .

النشاط الإقتصادي بالمدينة :

يكاد العمل في الصناعة والخدمات أن يكون أهم مجال للنشاط الإقتصادي بالمدينة ، باعتبار عطبرة المركز الرئيسى للسكك الحديدية بالسودان ، وعقدة للمواصلات . فمجالات النشاط الزراعى والتجارى محدودة ، كما أن المهن الحرة معدودة . والبيان الآتى (١) يوضح مجالات العمل في مدينة عطبرة على أساس جملة سكانها في التعداد الأول لعام ١٩٥٥-١٩٥٦ :-

جملة السكان ٣٦,٢٩٨ نسمة
حجم القوة العاملة ١٠,٥٣٣ نسمة موزعة كالتالى (٥) :-

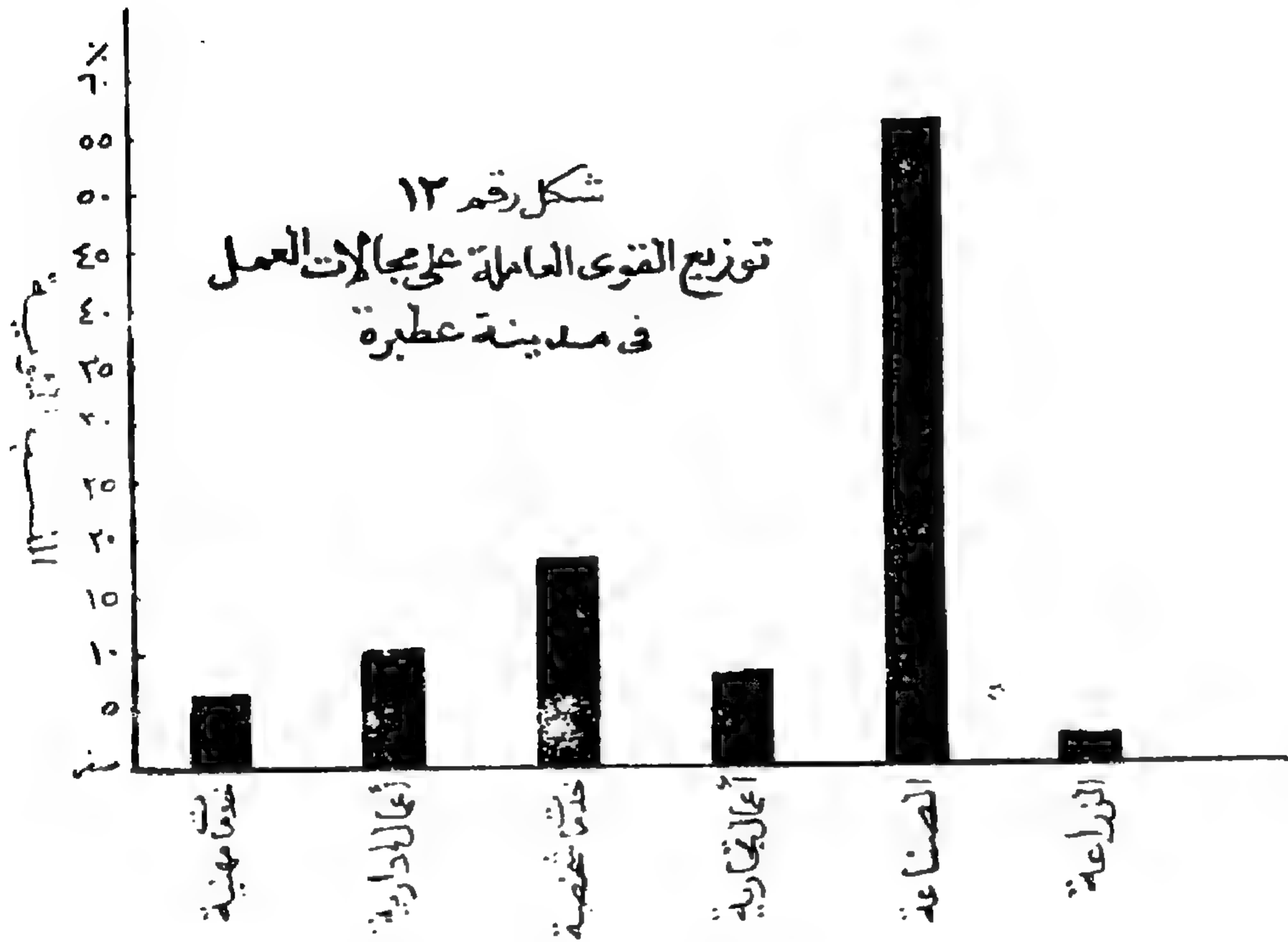
نسمة	%
٧٠٠	خدمات مهنية بنسبة نحو ٦,٦
١,٠٦٧	أعمال إدارية » » ١٠,١
١,٨٧٠	خدمات شخصية » » ١٧,٨
٨٠٥	أعمال تجارية » » ٧,٧
٥,٨٥٩	بالصناعة » » ٥٥,٦
٢٣٢	بالزراعة » » ٢,٢

ومن ذلك تتضح ضآلة النسبة المئوية للمشتغلين بالتجارة والزراعة والمهن الحرة . ولعل ذلك راجع إلى أن مدينة عطبرة ليست مركزاً تجارياً هاماً فلا هي ميناء على البحر مثل بور سودان تنشط بها حركة الصادرات والواردات ، ولا هي في إقليم ذى إنتاج نباتى تجارى أو حيوانى كالأبيض مثلاً ، وإنما هي مجرد مركز للمواصلات الحديدية في إقليم فقير مجذب إلا من شريط ضيق على ضفتى النيل ونهر عطبرة ،

(٥) أنظر الرسم البياني بالشكل رقم (١٢) .

(١) السيد البشرى : رسالة الماجستير ١٩٦٥ ص ١١٦ .

الأمر الذى أدى أيضاً إلى ضيق المجال الزراعى وخاصة بعد إنشاء خزان خشم القربة على نهر عطبرة ، فقد أثر حجز المياه على مساحة الأراضى الزراعية شرقى مدينة عطبرة حيث أدى ذلك إلى انكماش المساحة المزروعة وبالتالي اندفاع بعض الزراع نحو « ورش » السكك الحديدية للعمل بها .



وكان الأهالى فى هذه المنطقة على الضفة اليمنى لنهر عطبرة يزرعون الأرض ويتجرون بالأخشاب الواردة مع مياه نهر عطبرة . ولكنهم اليوم بتأثير خزان خشم القربة يجلبون الأخشاب اللازمة للوقود من قرية « سيدون » الواقعة شرقى المدينة على نهر عطبرة حيث تنمو مجموعة كبيرة من أشجار السنط ، كما يجلبون بعض الأخشاب الأخرى والفحم من منطقتى كسلا والقضارف .

وإن عدم انتظام جريان المياه فى نهر عطبرة بعدم قيام خزان خشم القربة هذا جعل المياه غير ميسورة للمشروعات الزراعية الصغيرة على ضفة النهر ماعدا تلك التى تمكن أصحابها من حفر آبار عميقة على الشاطئ لسحب المياه .

هذه هى حال الزراعة فى الموردة وفى الطلح على نهر عطبرة ، أما فى السبالة

وفي الداخلة القديمة على الضفة اليمنى للنيل الرئيسي فحال الزراعة أفضل نوعاً ويعتمد السكان بمدينة عطبرة على تلك المنطقة وامتدادها شمالاً حتى قرية دار مالى التابعة لمجلس رينى بربر فى الحصول على حاجتهم من المواد الغذائية كالخضروات والألبان ، كما يعتمدون أيضاً على قرى أم الطيور والقاضلاب التابعين لمجلس رينى الزيداب فى الحصول على الألبان .

وجدير بالذكر أن بمدينة عطبرة معمل ألبان تابع لوزارة الإنتاج الحيوانى ولكن انتاجة لايفى باحتياجات جميع السكان فى المدينة .

أما من حيث الحصول على الذرة وهى الغذاء الرئيسى لغالبية السكان فإن ذلك غير موفر بكثرة فى الإنتاج الزراعى من حول المدينة ، بل أن الذرة ترد إلى مدينة عطبرة من منطقة القصارف .

وأما من حيث اللحوم فنظراً لأن مدينة الدامر تعتبر سوقاً رئيسية لتجارة الماشية والضأن والإبل فإن سكان مدينة عطبرة ، وغالبيتهم يفضلون لحوم الضأن فى غذائهم ، يحصلون على حاجتهم من اللحوم مدينة الدامر .

من ذلك يتضح أن النشاط الإقتصادى فى مدينة عطبرة يتمثل أغلبية فى مجالات الصناعة والخدمات . على أن الصناعة إنما تقتصر على العمل فى «ورش» السكك الحديدية أساساً ، وإلى جانبها بعض صناعات خفيفة فى المنطقة الصناعية لإنتاج مصنوعات محلية بسيطة ، فضلاً عن مصنع الأسمت جنوبى عطبرة عبر النهر ، وهو مصنع «ماسيو» .

والجدير بالذكر أن وجود «ورش» السكك الحديدية بمدينة عطبرة يعتبر أهم عائق فى طريق التنمية الصناعية بالمدينة إذ أنه غير مسموح قط بإنشاء مؤسسات صناعية حتى لا تجذب إليها عمال السكك الحديدية ولذلك لا يعمل بالقطاع الخاص فى مجال الصناعة سوى عدد قليل جداً . والبيان الآتى^(١) يوضح عدد العمال فى القطاع الخاص حتى يناير ١٩٧٤ :

(١) مكتب العمل بالمديرية الشمالية (مدينة عطبرة) : ملف رقم ٤٤ / ٥٠ / ح ٣ . إستمارة استخدام

عدد العمال في مصنع «ماسيو» للأسمت ٥٩٧ عاملا

« » « المصانع الأخرى ٤٥٥ »

« » « الورش والمحال الصغيرة التي

يستخدم كل منها أقل من خمسة عمال يقدر بنحو ٢٠٠ عامل

الحملة ١٢٥٢ عاملا

أما القطاع العام فانه يستأثر بمعظم القوة العاملة . وفيما عدا عمال السكك الحديدية يمكن ضرب أمثلة (١) لأعداد العمال في بعض جهات العمل الحكومية لحين نشر نتائج التعداد الأخير لعام ١٩٧٣ :

الإسكان والمرافق العامة ٣٦٩ عاملا (حتى مارس ١٩٧٢) - الأشغال ٤٠٨ عمال (حتى مارس ١٩٧١) - المواصلات السلكية واللاسلكية ٢٧٦ عاملا (حتى مايو ١٩٧٤) - النقل الميكانيكي ٨٣ عاملا (حتى مايو ١٩٧٤) .

ومن المفيد دراسة حجم القوة العاملة في مدينة عطبرة على أساس التعداد ١٩٥٦/٥٥ والمسح السكاني ١٩٦٥ وذلك على النحو الذي يبينه الجدول الآتي (٢) :

تعداد ١٩٥٦-٥٥				المسح السكاني لعام ١٩٦٥			
السكان		القوة العاملة		السكان		القوة العاملة	
الجنس	العدد	العدد	النسبة المئوية	الجنس	العدد	العدد	النسبة المئوية
ذكور	١٩,٩٤٨	١٠,٨٢٦	٥٤,٣	ذكور	٢٦,٠٣٠	١٣,١١٠	٥٠,٤
إناث	١٦,٣٥٠	٧٢٠	٣٦	إناث	٢٢,٢٢٠	٧٢٠	٣,٢
جملة الجنسين	٣٦,٢٩٨	١١,٥٤٦	٣١,٨	جملة الجنسين	٤٨,٢٥٠	١٣,٨٣٠	٢٨,٧

وبمقارنة الزيادة في حجم القوة العاملة بالزيادة في عدد السكان يتضح أن

(١) مكتب العمل بمدينة عطبرة : ملف رقم ٤٤٤ / ٥٠ / ح ٣ - إستمارة إستخدام رقم ٢ / سري .

(٢) المسح السكاني لمدينة عطبرة في المدة ٦٤ / ١٩٦٥ - التقرير الصادر في أكتوبر ١٩٦٦

(نسخة إنجليزية) ص ١٢ - ١٤ .

الأولى نسبتها المئوية أقل منها في الأخرى ، ذلك أن غدد السكان قد زاد بمقدار ١١,٩٥٢ نسمة بنسبة ٣٣٪ بينما ازداد حجم القوة العاملة بمقدار ٢,٢٨٤ نسمة بنسبة ١٩,٨ ٪ ، وكانت الزيادة في الذكور وحدهم بنسبة ٢١,١ ٪ .

وجدير بالذكر أن عدد الذكور في فئة السن ٥٢/١٨ سنة هم الذين يكونون القوة العاملة الرئيسية في المدينة ، ويبلغ عددهم ١٠٨٧٠ في المسح السكاني لعام ١٩٦٥ فتكون نسبتهم إلى مجموع القوة العاملة البالغ ١٣,٨٣٠ نحو ٧٨,٦٪ ومن دراسة القوى العاملة بوجه عام في مدينة عطبرة على أساس المسح السكاني لعام ١٩٦٥ يتضح أن حجم القوى العاملة فعلا هو ١٣,١٦٠ منهم ١٠٧١٠ من المستخدمين (عمالا وموظفين) و ٢٣٨٠ من ذوى المهن الحرة (يعملون لحسابهم) وأما الباقون وعددهم ٧٠ فموزعون بين أعمال أخرى . وعلى كل حال فإن البيان الآتي (١) يوجز صور النشاط الاقتصادي للسكان بالمدينة :

حملة سكان عطبرة	في قوة العمل	تصنيفهم		خارج قوة العمل	تصنيفهم			
		العاملون فعلا	المعطلون موقتا		أعمال منزلية	طلاب	ذوو دخل خاص	آخرون
٤٨,٢٥٠	١٣,٨٣٠	١٣,١٦٠	٦٧٠	٣٤,٤٢٠	١١,٢٩٠	٩,٨٢٠	٣٧٠	١٢,٩٤٠
	(٪٢٨,٧)	(٪٩٥,٢)	(٪٤,٨)	(٪٢١,٣)	(٪٣٢,٨)	(٪٢٨,٥)	(٪١,١)	(٪٣٧,٦)

أما من حيث الدخل الشهري (٢) فمن الطبيعي أن قيمته تختلف من عائلة إلى أخرى تبعاً لاختلاف عدد القائمين بالعمل والمتكسبين للدخل في كل عائلة . وفي المسح السكاني لعام ١٩٦٥ اتضح أن متوسط عدد المتكسبين في كل عائلة هو نحو ١,٦ من الأفراد . وعلى أساس عدد المتكسبين في العائلة جاء التوزيع الآتي للعائلات مقدرا بالنسب المئوية :

(١) المسح السكاني لمدينة عطبرة ٦٤ - ١٩٦٥ - التقرير الصادر في أكتوبر ١٩٦٦ (نسخة إنجليزية) جدول ٨ ص ٢٩ .

(٢) نفس المرجع ص ١٨ و ١٩ .

نحو ٦٤ ٪ من العائلات بكل منها متكسب واحد
و ٢٢ ٪ من العائلات بكل منها اثنان متكسبان
و ٩ ٪ من العائلات بكل منها ثلاثة متكسبون
و ٣ ٪ من العائلات بكل منها أربعة متكسبون
وتبين أيضاً أن متوسط الدخل الشهري للعائلة هو نحو ٣١,٢ من الجنيهات ،
ومتوسط الدخل الشهري للفرد هو نحو ٥,٢ من الجنيهات .

واتضح أن أعلى متوسط للدخل الشهري إنما يوجد في حي السودنة ومنطقة
السوق وحي مدني غرب . وأن أدنى متوسط للدخل الشهري إنما يوجد في المناطق
الجنوبية والشرقية والشمالية .

ومما يجدر ذكره أن في عطبرة بعض دخول للعائلات لم تبذل محاولات لتقييمها(١)
وربطها بالدخل الإجمالي للعائلات ؛ فمثلاً تبين من الدراسة أن نحو ثلث العائلات
بالمدينة لديهم منتجات حيوانية منزلية ، وهذا النوع من الإنتاج شائع بين سكان
عطبرة بدرجة لا بأس بها . كذلك فإن نحو ٤ ٪ من العائلات لديه إنتاج من الخضروات ،
كما أن نحو ٦ ٪ من العائلات لديه دخل من بيع منتجات زراعية .

الحياة الاجتماعية بالمدينة :

تبين من المسح السكاني لعام ١٩٦٥ أن مدينة عطبرة بها نحو ثمانية آلاف عائلة
(٨٠٠٠ عائلة) متوسط عدد الأفراد بكل منها نحو ٦ أفراد . ومن هذه العائلات
نحو ٧٤٨٠ أسرة بنسبة نحو ٩٣ر٥ ٪ ونحو ٥٢٠ مجموعة من الشباب الأعزب
بنسبة نحو ٦ر٥ ٪ .

(١) نفس المرجع ص ١٨ .

والجدول الآتي يوضح الحالة الاجتماعية المتعلقة بالزواج والطلاق والتمل :

الحالة الاجتماعية للسكان		كلا الجنسين		ذكور		إناث	
العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
٣٠,٠١٠	٦٢,٢	١٧,٢٢٠	٦٦,١	١٢,٧٩٠	٥٧,٥		
١٦,٢١٠	٣٣,٦	٨,٤٦٠	٣٢,٥	٧,٧٥٠	٣٤,٩		
٤٥٠	٠,٩	١٠٠	٠,٤	٣٥٠	١,٦		
١,٥٨٠	٣,٣	٢٥٠	١	١,٣٣٠	٦		
٤٨,٢٥٠		٢٦,٠٣٠		٢٢,٢٢٠			
المجموع							

من الجدول يتضح أن المتزوجين تبلغ نسبتهم نحو ثلث عدد السكان في المتوسط سواء في الذكور أو في الإناث أو في الجنسين معاً ، بينما الذين لم يتزوجوا قط تبلغ نسبتهم نحو الثلثين تقريباً ، وتمتد في أدنى فئات السن حتى الثامنة عشرة تقريباً ، ومعظم غير المتزوجين إنما هم في فئات السن تحت البلوغ . كما يبدو أن حالات الطلاق نسبتها ضئيلة للغاية .

أما من حيث مستوى المعيشة في مدينة عطبرة ، فنظراً لأن المدينة عمالية في جوهرها كان مستوى المعيشة منخفضاً بوجه عام . ويتضح ذلك في عدة مظاهر منها ما يأتي :-

أولاً - مظهر غالبية المباني بالمدينة من حيث الحجم ومواد البناء ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك من قبل .

ثانياً - نمط المسكن فهناك مساكن تقطنها عائلات (أسر) ومساكن تقطنها مجموعات من الشباب الأعزب تشترك كل مجموعة في مسكن وتقتسم النفقات فيما بين أفرادها . وقد سبقت الإشارة من قبل إلى أن النمط الأول هو الأغلب إذ تبلغ نسبته نحو ٩٣ر٥ ٪ بينما النمط الآخر نسبته نحو ٦ر٥ ٪ .

ثالثاً - نظام الحيازة للمسكن فقد تبين من المسح السكاني والإسكاني للمدينة عام ١٩٦٥ أن عدد المساكن نحو ٨٠٠٠ منها ٢٩١٠ ملكية خاصة لساكنيها بنسبة

نحو ٤٣٦٪ و ٤٦٥٠ مستأجرة بنسبة نحو ٥٨٪ والباقي وهو ٤٤٠ بنسبة ٥٪ حالات أخرى . ومعنى ذلك أن الساكنين بالإيجار هم الغالبية .

على أن متوسط الإيجار الشهري لمسكن العائلة هو نحو ٣ر٢ من الجنيهات . وتختلف فئات الإيجار باختلاف المناطق والأحياء السكنية . فإن الإيجارات أعلى ما يمكن في المنطقة الوسطى ، وكذلك توجد إيجارات مرتفعة للغاية في بعض جهات بالمناطق الأخرى . غير أن أعلى متوسط للإيجار الشهري إنما هو في المنطقة الوسطى ، وأقل متوسط للإيجار الشهري يظهر في المنطقتين الغربية والجنوبية وكذلك في المنطقة العسكرية .

ولعل تفسير ذلك هو درجة الكثافة السكانية فضلاً عن مميزات الموقع السكني من حيث القرب أو البعد عن أماكن العمل . وتمثل هذه العوامل جميعها في المنطقة الوسطى لما لها من مميزات كثيرة تقل كلما ابتعد السكن نحو أطراف المدينة وتطلب تكاليف انتقال . أما المنطقة الغربية فإن انخفاض متوسط الإيجار الشهري لمساكنها راجع إلى أحد أمرين إما السكن في مبان حكومية بإيجار رمزي كما هي الحال في حي السودنة ، وإما السكن في أحياء فقيرة متطرفة كالداخلة والسيالة ، ومثل ذلك أيضاً نجده في المنطقة الجنوبية وفي المنطقة العسكرية .

رابعاً - التسهيلات المتمثلة في ملكية بعض الأجهزة والأدوات والخدم ، والحدول الآتي (١) يوضح النسب المئوية للعائلات التي تمتلك مختلف الأجهزة والأدوات والخدم موزعة على مختلف المناطق والأحياء :-

المنطقة والحي	راديو	سيارة	دراجة بخارية	تليفون	ثلاجة كهربائية	مبرد دوائى أو جهاز تكييف	ماكينة خياطة	خادم
المنطقة الغربية	٦١	٧	أقل من ١	٩	٩	١	٢٩	٦
السودنة	٨٦	٤٣	—	٦٤	٦٤	١٤	٨٦	٣٦
السكة الحديدية	٨٠	١٣	٢	١٨	١٨	—	٥٦	٧
العمال	٧٥	—	—	—	—	—	٥٠	—

(١) المسح السكاني لمدينة عطبرة ١٩٦٥ - تقرير أكتوبر ١٩٦٦ (نسخة إنجليزية) جدول ٢٣ ص ٤٨-٤٩ .

المنطقة والحى	راديو	سيارة	دراجة بخارية	تليفون	ثلاجة كهربائية	مبرد هوائى أو جهاز تكييف	ماكينه خياطة	خادم
الداخله الحديده	٥٨	—	—	—	—	—	١٠	—
» القذعه	٥٥	٥	—	—	—	—	١٥	١٠
السنباله	٣٣	—	—	—	—	—	٩	٢
المنطقه الوسطى :	٧٠	٦	١	٦	٦٢	١	٣٠	٥
مدنى غرب	٨٩	١٥	٤	١٥	٣٣	—	٤٨	١٩
السوق	٧٤	١٦	—	٣٢	١٦	٥	٥٨	٥
المربعات القذعه	٦١	—	—	—	—	—	١٨	٢
» الشرقيه	٧٥	٣	—	٢	٢	—	٣٢	٢
الحله الحديده	٥٦	٤	—	—	—	—	١٢	—
المنطقه الجنوبيه	٤٥	٢	—	—	١	—	١١	١
أم بكور	٦٢	٣	—	—	٣	—	١٩	٣
المورده غرب	٤٥	١	—	—	—	—	١٠	—
» شرق	٣١	—	—	—	—	—	٧	—
الطلبج	٦٤	١٨	—	—	—	—	٩	—
المنطقه الشرقيه :	٥٨	٢	—	١	—	—	٢٥	١
الحصا غرب	٥٠	١٣	—	١٣	—	—	٢٥	—
» شرق	٦٢	—	—	—	—	—	٢٣	—
الامتداد الاول للحصا	٧٠	—	—	—	—	—	١٧	—
» الثانى للحصا	٥٦	—	—	—	—	—	٢٢	—
انقلعه	٥٠	—	—	—	—	—	٥٠	—
الأنادى	١٠٠	١٠٠	—	—	—	—	—	١٠٠
مدنى شرق	٥٧	٥	—	٢	—	—	٣٤	—
الامتداد الاول لمدنى	٦٣	—	—	—	—	—	٢١	—
» الثانى	٥٢	—	—	—	—	—	١٤	٣
المنطقه الشماليه :	٤٨	—	—	٤	—	—	١٢	—
المنطقه الصناعيه	٥٠	—	—	—	—	—	—	—
» العسكريه	٤٨	—	—	٤	—	—	١٣	—
مدينه عطبره	٥٨	٤	—	٤	١٧	أقل من ١	٢٣	٣

من الجدول يتضح أن النسب المئوية لامتلاك الأجهزة والأدوات والخدم منخفضة بوجه عام ، وأكثر الأجهزة شيوعاً في عطرة أجهزة الراديو (٥٨ ٪) وماكينات الخياطة (٢٣ ٪) بمعنى أن ٥٨ ٪ من العائلات يمتلك أجهزة راديو و ٢٣ ٪ منها تمتلك ماكينات خياطة أما ما عدا ذلك فإن نسبة امتلاكه ضئيلة للغاية فالدرجات البخارية وأجهزة تبريد الهواء أو أجهزة التكييف تقل نسبة من يملكها من العائلات عن ١ ٪ ويرجع ذلك إلى انتشار الدرجات العادية بأعداد ضخمة كما أن أجهزة التبريد والتكييف للهواء لا يملكها إلا ذوو الدخول الكبيرة أو كبار الموظفين . وتتضح ضالة النسب المئوية أيضاً فيمن يمتلكون السيارات والتليفونات والخدم إذاً أن ذلك يتناسب طردياً مع ارتفاع مستوى المعيشة بارتفاع الدخل .

وتختلف مناطق المدينة والأحياء السكنية في نسبة امتلاك هذه الأجهزة والأدوات فأعلى نسبة للسيارات توجد بحي السودنة وكذلك أعلى نسبة للتليفونات والثلاجات الكهربائية وأجهزة التبريد والتكييف للهواء ثم أعلى نسبة للخدم باستثناء « الأنادي » فيما يختص بالسيارات والخدم .

أما من حيث الخدمات المختلفة فإنها مرتبطة بما في المدينة من مرافق عامة ، وقد سبقت الإشارة إلى أن كافة المباني بالمدينة مزودة بالكهرباء والماء والمرافق الصحية .

أما التعليم فقد تبين من المسح السكاني لعام ١٩٦٥ أن الملتحقين بالمدارس في كافة المراحل تبلغ نسبتهم نحو ٣١ ٪ من جملة السكان موزعين كالآتي (١) :-

٢١ ٪ بالمرحلة الأولية و ٨ ٪ بالمرحلة الوسطى و ١ ٪ بالمرحلة الثانوية فضلاً عن ١ ٪ بالتعليم الجامعي .

والإلى جانب ذلك كله نحو ١٧ ٪ من السكان ملتحقون بالحضانة ورياض الأطفال وغيرهما وهم في فئات السن المختلفة ابتداء من ٣ - ٧ ، وأعلى نسبة لهم هي في فئة السن ٨ - ١٢ حيث تبلغ ٧٧ ٪ من جملة عددهم في هذه الفئة من السن ، على أن نسبة المتعلمين بالمدارس أعلى في الذكور منها في الإناث بصفة عامة .

(١) المسح السكاني لمدينة عطرة (١٩٦٥-٦٤) ، جدول ٦ ص ٢٦ (نسخة إنجليزية) .

وأما الصحة فقد سبقت الإشارة إلى مستشفى عطبرة والمراكز الصحية بالمدينة ولكن ينبغي الإشارة هنا إلى عدد الأسرة فيها جميعاً ويبلغ ذلك ٣١٢ سريراً موزعة كالآتي (١) : - ٢٣٤ سريراً عاماً و ٢٦ للأمومة و ٣٦ للسل و ١٦ للأطفال . ولما كان عدد السكان في مدينة عطبرة يقدر بنحو ٤٨٢٥٠ نسمة فإن توزيع الأسرة يكون بمعدل سرير واحد لكل نحو ١٥٥ شخصاً من السكان .

هذا ، وقد سبقت الإشارة إلى النقص الكبير في الوسائل الترفيهية ، الأمر الذي يعاني منه السكان في المدينة ، والذي يسهم في انخفاض مستوى الحياة الاجتماعية ويعكس صورة واضحة لتخلف المجتمع .

إقليم المدينة :

قد يكون من الصعب تحديد إقليم المدينة تحديداً واضحاً نظراً لأن وضع عطبرة كمركز رئيسي للسكك الحديدية بالسودان من شأنه أن يضيف إليها إقليماً كبيراً يمتد إلى جهات بعيدة ويتأثر بوظيفتها الأساسية كعقدة مواصلات حديدية . غير أن الإقليم الصغير الذي يؤثر في المدينة ويتأثر بها مباشرة إنما يمكن تحديده بالمنطقة الممتدة بين بربر شمالاً والدامر جنوباً فضلاً عن النطاق الممتد من نقطة إلتقاء نهر عطبرة بالنيل الرئيسي حتى نقطة إلتقاء الحدود الإدارية لمديرية النيل (حالياً) بنهر عطبرة . على أن منطقة النيل الرئيسي أكثر حيوية وأكبر مجالا إقتصادياً بالنسبة للمدينة مع أنها مدينة مقرن .

إن العمران بوجه عام في مديرية النيل ينحصر في نطاق ضيق من الأراضي الواقعة على ضفتي النيل الرئيسي ، وهذا النطاق العمراني يختلف عرضه من مكان إلى آخر فقد يضيق في بعض المواضع حتى لا يتجاوز عدة أمتار ، وقد يتسع في أماكن أخرى لدرجة أنه قد يبلغ نحو أربعة من الكيلومترات ، ويمتد هذا النطاق العمراني في المديرية بين الحدود المصرية السودانية شمالاً وخاتق سبلوقة جنوباً . أما بقية أجزاء المديرية فلإنها كانت تكون مع المساحة التي تشغلها اليوم المديرية الشمالية منطقة صحراوية خالية من العموان ، ولا سيما في الركن الشمالي الغربي

الذى يطلق عليه مجازاً اسم «الربع الخالى بالسودان» ، ولقد كانت هذه المناطق القاحلة مناطق طرد للسكان ، بحيث يتدفعون مهاجرين إلى مراكز الإستقرار على ضفاف النيل ولا سيما مدينة عطبرة حيث مجال العمل الواسع «ورش» السكك الحديدية وغيرها .

وفى هذا النطاق الجبراني على النيل الرئيسى مجموعة من المدن النيلية المتقاربة تتمثل مع عطبرة فى مدن بربر والدامر وشندى ، وتضم معاً ما يقرب من ٩٠ ٪ من سكان المديرية ، ولئن كانت الدامر العاصمة الإدارية للمديرية وبربر وشندى من أهم المراكز ، فإن عطبرة قد طفت بأهميتها على تلك المدن جميعاً باختيارها عاصمة للسكك الحديدية بالسودان . ومن هنا نجد التأثير الكبير لمدينة عطبرة على الإقليم حتى لقد باتت تمثل المركز الإقليمى الممتاز الذى تذكر فيه الخدمات التعليمية والصحية والإجتماعية وغيرها . فمعظم أبناء الإقليم يتلقون التعليم فى المراحل الأعلى من المرحلة الابتدائية فى مدينة عطبرة ، كما يفيدون من النواحي الصحية والإجتماعية بالمدينة . وفضلاً عن ذلك فإن معظم القرى المحصورة بين بربر والدامر تعتمد على مدينة عطبرة فى تسويق إنتاجها الزراعى ، والحصول على متطلباتها من مختلف السلع ، وذلك باعتبار مدينة عطبرة مركزاً تجارياً فى الإقليم .

وتقوم مدينة عطبرة بخدمة المشروعات الزراعية فى الإقليم بالنطاق الممتد من بربر حتى الزيداب ماراً بالدامر نظراً لمميزات الموقع الهام للمدينة . كما أن مطار عطبرة يعتبر من المطارات الهامة فى الإقليم وتعتمد عليه المدن الكبيرة بهذا النطاق فى النقل الجوى .

ومن جهة أخرى فإن للإقليم تأثيراً واضحاً فى مدينة عطبرة من حيث الكيان البشرى والبناء الإقتصادى والإجتماعى . ذلك أن الإقليم هو الذى أمد المدينة بنسبة كبيرة من سكانها عن طريق الهجرات للعمل فى مختلف المجالات ولا سيما ورش «السكك الحديدية» . كما أن عطبرة تعتمد على الإقليم فى المواد الغذائية ومواد البناء . فالأراضي الزراعية على نهر النيل حيث قرية الداخلة القديمة وقرية السيالة وكذلك الأراضي الزراعية على نهر عطبرة ، تمد المدينة بحاجتها من المواد الغذائية . فضلاً

عن حصول المدينة على مقدار لا بأس به من الألبان الى يتتبعها مصنع يقع في شمال المدينة إلى جانب ما يحصل عليه من ألبان من بعض المناطق الداخلية بالمدينة . أما مواد البناء فتحصل المدينة عليها من بعض مناطق على حدودها الشرقية ، كما تتوفر الأخشاب اللازمة للبناء والوقود من مناطق أداخلة . وهناك مصنع الأسمنت في قرية العكر جنوبي المدينة عبر نهر عطبرة ، وهو يمد المدينة بحاجتها من هذه المادة اللازمة في البناء .

أما إقليم المدينة الممتد على الضفة اليمنى لنهر عطبرة فقد قلت أهميته للمدينة بعد إنشاء خزان خشم القربة على نهر عطبرة ، فلم يعد الأهالي يحصلون على الأخشاب التي كانت تجلبها مياه الفيضان في الماضي ، كما بطلت زراعة البطيخ والشمام وغيرهما من المحاصيل الزراعية لعدم انتظام كمية المياه بالنهر الأمر الذي جعل الماء غير ميسور للمشروعات الزراعية الصغيرة فيما عدا المشروعات التي تمكن أصحابها من حفر آبار عميقة على ضفة النهر لسحب المياه . ومما زاد المشكلة تعقيداً أن مصلحة الغابات قامت بحجز مساحات من غابات الدوم بالإقليم رغبة في وقف الزحف الصحراوي وصيانة التربة ، وبذلك حرمت الأهالي من أخشاب الدوم وسعفه . وبذلك يعيش سكان هذا الإقليم في ضنك شديد ، وقد تحلى بعضهم عن الزراعة متحولاً إلى العمل في مجالات النشاط بالمدينة .

المراجع

اولا - العربية :

- ١- الصياد (الدكتور محمد محمود) وسعودى (الدكتور محمد عبد الغنى) : السودان : دراسة فى الوضع الطبيعى والكيان البشرى والبناء الإقتصادى - القاهرة ١٩٦٦.
- ٢- بكرى أحمد : «عطبرة الجنوبية» (مذكرة غير منشورة) - قسم التخطيط والبحوث بعطبرة ١٩٧٢ .
- ٣- حمدان (الدكتور جمال) : «جغرافية المدن» - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٧٢ .
- ٤- حمدان (الدكتور جمال) : «المدينة العربية» - معهد الدراسات العربية - القاهرة ١٩٦٤ .
- ٥- صلاح مازرى : «المدينة السودانية الحديثة» - مجلة الدراسات السودانية - شعبة أبحاث السودان - كلية الآداب بجامعة الخرطوم - العدد الأول : يوليه ١٩٦٨ .
- ٦- عبد الله على حامد : «تخطيط المدن فى السودان - دراسة فى الجغرافيا التطبيقية» ١٩٧٠ (رسالة ماجستير لم تنشر) .
- ٧- عوض (الدكتور محمد عوض محمد) : «نهر النيل» الطبعة الثانية : القاهرة ١٩٤٨ .
- ٨- غلاب (الدكتور محمد السيد) والجوهري (الدكتور يسرى) : «جغرافية الحضرة الإسكندرية» ١٩٧١ .

٩- لجنة تخطيط المدن المركزية بالسودان : مذكرة برقم ٣-٨-١٩٦٩ .

١٠- مرشد المديرية الشمالية : أصدرته إدارة المديرية الشمالية بالدامر في أبريل ١٩٧٣ .

١١- مصطفى اليمنى : مذكرة خاصة عن مدينة عطبرة (غير منشورة) - المجلس الشعبي بعطبرة .

١٢- مكتب العمل بعطبرة : ملف رقم م ع ع ٥٠/ح/٣ (استمارة استخدام ٨-ب : عمال القطاع الخاص حتى يناير ١٩٧٤ واستمارة استخدام ٢-سرى : عمال القطاع العام حتى مايو ١٩٧٤ .

ثانيا - الأجنبية :

١ - كتب ومقالات ورسائل جامعية :

1. Barbour, K.M., "The Republic of the sudan : A Regional Geography, London, 1964.
2. El Sayed El Bushra Mohmed, "The Urban Geography of North and Veutral Suden," Unpublihed Thesis of M.A., London, 1965.
3. ———, "The Khartouni Conurbation : An Economic and Social Analysis, Unpublished Thesis of ph. D., London,
4. March, G.F., "Transport in the Sudan," in Tothill, J.D., "Agriculture in the Sudan, London, 1952.
5. Morrice, H.A., "The Development of Sudan Communication," Sudan Notes and Records (SNR) part I, Vol. XXX, 1949.
6. Rehfish, F., Sudan Urban Profiles", Intrenational Conference Sudan in Africa", Khartoum, February 1968.
7. Salih A. El Arifi, "Urbanization and Distribution of Economic Derelopment in the Sudan," African Urban Notes, Vol. VI, 1971, No.2, African Studies Center, Michigan State University, Sudan Urban Studies.

ب- مطبوعات حكومة السودان :

1. Sudan Almanac, 1970/1971.
2. Sudan Meteorological Department, Climatological Normals, ATBARA, 1931-1960 and 1941-1970.
3. The Republic of the Sudari, Department of Statistics, :
 - (a) Population and Haousing Survey, 1964/65, ATBARA, Oct. 1966.
 - (b) Population and Housing survey, 1964/66, Narthern Province, Urban Areas, July 1968.
 - (c) Population and Housing Survey, 1964/66, General Survey of the Urban Areas, oct. 1968.

ج- ملفات بدار الوثائق المركزية بالخرطوم :

1. File No. N.p. 2/47/504, A.R.P. Scheme ATBARA.
(خريطة لمشروع الدفاع عن مدينة عطبرة ضد الغارات الجوية
عام ١٩٣٩)
2. File No. N.P. 2/66/656, Letter No. N.P./30. B.3. Concerning the Concerning the Dom Palm.

ظاهرة الانقلابات العسكرية

في إفريقيا

بين النظرية والتطبيق

للدكتورة سلوى محمد لبيب

الانقلاب العسكرى هو سيطرة جماعة من القوات المسلحة على الحكم فى الدولة بالقوة (١). وهى ظاهرة معروفة سواء فى العالم القديم أو الحديث ، وقد سادت هذه الظاهرة فى كثير من الدول النامية مما دفع المحللين السياسيين إلى محاولة تفسيرها بنظريات ومبررات مختلفة ، وقد ركز البعض منهم فى كثير من الأحيان على دراسة ميكانيكية الانقلاب فى الدول النامية ، أو على وضع الحكومات قبل حدوث الانقلاب ، وتجاهلوا المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية المترابطة فى تلك الدول ، مما أدى إلى ظهور مجموعة مفككة من النظريات يصعب تعميمها على الدول النامية عموما وعلى القارة الإفريقية على وجه الخصوص ، خاصة وأن ظروف الدول التى قامت فيها الانقلابات فى أفريقيا تختلف عن مثيلاتها فى أمريكا اللاتينية أو الشرق الأوسط .

وقد كانت الموجة السائدة بين الكتاب السياسيين البريطانيين والفرنسيين حتى نهاية الستينات هى عدم اعتبار الانقلابات العسكرية فى القارة الإفريقية ظاهرة

(١) يجب التفرقة بين الانقلاب العسكرى وبين التمرد فى الجيش (Mutiny) فالتمرد هو حدوث تدمير مصحوب باستخدام العنف داخل القوات المسلحة لسبب أو لعدة أسباب معينة يرجع معظمها إلى المطالبة بتحسين الحالة المادية أو الأدبية لتلك القوات . ومثل التمرد ما حدث فى شرق إفريقيا فى عام ١٩٦٤ وعادة يكون القضاء على العصيان سريع عن طريق قعة بالقوة عن طريق مجموعات أخرى فى الجيش أو الاستعانة بقوى خارجية كما حدث عندما لجأ نيريرى إلى بريطانيا بعد حدوث تمرد فى تنجانيقا عام ١٩٦٤ ، ويتبع القمع عادة استجابة لمطالب القوات المسلحة ، ولا يكون من أغراض التمرد الاستيلاء على الحكم أو مشاركة السلطات المدنية فى النفوذ السياسى داخل الدولة .

سياسية تستحق وضع نظريات لمحاولة تفسيرها ، أو وضع قواعد خاصة بها ، وأن هذه الموجات المتفرقة من الانقلابات العسكرية ما هي إلا حركات مؤقتة لا يجب أن تقارن بما يحدث في أمريكا اللاتينية (١) واستندوا في ذلك على أن الدول الإفريقية حديثة الاستقلال لا زالت جيوشها ضعيفة تمنعها التقاليد العسكرية الموروثة من الدول الأوروبية من التدخل في الشؤون السياسية (٢) ، وأن فكرة السيادة المدنية لا تمثل مشكلة بالنسبة لتلك الدول (٣) ، وقد انعكست هذه الآراء على الدساتير الإفريقية التي تضمنت مواد خاصة تتعلق بتحديد اختصاصات كل السلطات المدنية ، حيث أن السيادة المدنية هي المفهوم السائد للحكم في هذه الدول بدليل ما ورد في معظم الدساتير الإفريقية من تأكيد وتحديد للسلطات المدنية ، كذلك تبعية القوات المسلحة للقيادة السياسية ممثلاً في حق رئيس الدولة في تعيين قائد الجيش .

وفي نهاية الستينات بدأ هذا الاتجاه يتغير وبدأ التفكير في أن أفريقيا كلها معرضة للانقلابات العسكرية ، وذلك بعد حدوث ٢٧ انقلاب عسكري في ١٣ دولة إفريقية ، ومحاولات انقلابات فاشلة في ٩ دول أخرى ، وبقيت ٧ دول بدون انقلابات وأصبح من الصعب الاستمرار في الجزم بأن الانقلابات ظاهرة مؤقتة ، كما لعبت القوات المسلحة دورها كوحدة سياسية متميزة داخل المجتمعات الإفريقية وليس مجرد تنظيم انتقالي ، أو أداة تحكم بين قوتين مدنيتين متنازعتين ، وأصبحت الانقلابات العسكرية تمثل ظاهرة سياسية واجتماعية .

تعددت المحاولات لشرح هذه الظاهرة ، ووضع نظريات تفسرها وتنبأ بها وتضع قواعد يمكن تطبيقها بالنسبة للقارة الإفريقية ، لكن كان يطغى على هذه النظريات بعض التفسيرات التي نتجت من تحليل الانقلابات في الدول النامية الأخرى ، خاصة تلك التفسيرات التي تقوم على أساس المفاهيم الأوروبية التي تنظر

(١) Gutteridge, W. «Military Institutions and power in the new States» 1965, New York. P. 144.

(٢) Joanowitz, U. «The Military in the Political development of new nations» 1954, Chicago, University of Chicago Press, P. 13.

(٣) Coleman, J. and Price, B. «The role of the Military in Sub-Sahara Africa» 1962, Princeton University Press, P. 398.

إلى العسكريين على أنهم طبقة مستقلة لا يمكن أن تتدخل في الشؤون السياسية في الدولة وأن تدخلهم في هذه الشؤون على أي وجه يعتبر تصرفاً مؤقتاً (١) ، ولو حاولنا تحليل معنى اشتراك العسكريين في السياسة لوجدنا أنفسنا أمام اتجاهين :

الاتجاه الأول : هو اعتبار الاشتراك في سياسة الدولة هو الاشتراك في الأحزاب والتنظيمات السياسية الرسمية الأخرى ، وهذا اعتبار ظاهري لا يعنى شيء بالنسبة لتركيب الدول الإفريقية التي تتميز بنظم سياسية مختلفة عن النظم الأوروبية تماماً .

الاتجاه الثاني : هو التفسير الخاص بالاشتراك في أجهزة القوى والنفوذ ، سواء على المستوى الرسمي أو الاجتماعي ، وفي هذه الحالة من المستحيل أن نتصور حياد العسكريين الإفريقيين ، لأن السياسة بهذا المعنى يكون لها صلة وثيقة بالمكانة الاجتماعية والنواحي الاقتصادية ، وهنا يكون للعسكريين اهتمام واضح بالانتاج وتوزيع مصادر الثروة في مجتمعهم . وفي حالة عدم كفاية الموارد المتاحة لاحتياجات المجتمع نجد أن المشاركة السلبية من جانب العسكريين تتطور لتصبح مشاركة إيجابية عنيفة ، وتعجز النصوص الدستورية والبرلمانات عن مواجهة هذا التدخل العسكري . وليس هذا قاصراً على إفريقيا بل من المعروف أنه حدث في دول متقدمة مثل فرنسا ، فما بالنا بالبرلمانات والدساتير الإفريقية التي تعجز عن مواجهة قوى أضعف بكثير من قوة العسكريين ، وفي الدول الإفريقية تركز القوى السياسية للدولة في أضيق نطاق مما يصعب معه إبعاد أي قطاع من قطاعات المجتمع عن المشاركة الفعلية في النواحي السياسية خاصة وأنها تتعلق بالناحية الاقتصادية مباشرة .

وقد أثبتت الأحداث في توجو وغانا أنه في حالة الانقلابات العسكرية لا يكفي أن يستحوذ العسكريون على مناصب السلطة السياسية فقط ، وإنما لا بد من السيطرة على مصادر الانتاج أيضاً ، وإلا اضطروا إلى الاعتماد على الفئة التي تسيطر

(١) Bell, M.J., «The Military in the new States of Africa» 1968, The Hague, Mouton P. 272.

على الانتاج والتوزيع في الدولة (١) ، وبالتالي ضعف سيطرتهم ، واجتمالات قيام فئات أخرى منهم لمحاولة ازاحتهم من الحكم .

ومن هنا نجد أنه من الصعب الاعتماد على التفسيرات الأوربية التي تحاول اقضاء العسكريين عن مجريات الأمور داخل الدولة الإفريقية والتي تحاول شرح كل انقلاب على حدة ، كوضع خاص وليس كظاهرة عامة .

وقد تعددت الاتجاهات الخاصة بشرح الانقلابات العسكرية في الدول الإفريقية بحيث جمعت بين النظريات التي تعتمد على التحليل التقليدي وبين النظريات التي تقوم على التحليل الرياضي . وسوف نحاول أن نعرض هنا لبعض هذه التفسيرات لنرى مدى صحتها وامكانية اخضاع ظاهرة الانقلابات للتحليل العلمي وللقياس الموضوعي .

١ - نظرية التطور المؤقت في المجتمعات النامية أو الـ Temporal Thecry

مؤدى هذا التفسير أن معظم الدول حديثة الاستقلال معرضة للانقلابات وأنه متى حصلت الدولة على استقلالها ، وتسلمت السلطة فيها إدارة مدنية ، فإن هذا يعتبر مرحلة انتقالية تنتهى بحدوث الانقلاب العسكرى (٢) ، لأن المدنيين عادة يفشلون في إرضاء حاجات المجتمع مما يدفع العسكريين للتدخل المباشر . وقد حدد بعض الكتاب فترة الانتقال من الحكم المدني إلى العسكرى بنحو سنوات (٣) وفي الواقع أن في هذه الفكرة شيء من الصحة فيما عدا الخمس سنوات هذه ، وذلك لأنه حتى عام ١٩٦٩ كانت الخمس دول التي شهدت انقلابات قد مر على استقلالها ٦ سنوات ، وفي حالات أخرى مرت أكثر من ١٠ سنوات (٤) قبل حدوث أى انقلاب . فصراع القوى في مرحلة الانتقال أو التطور من القديم إلى

(١) - Bretton, H.L., «Power and Politics in Africa», New York, State University, P. .

(٢) - Zolberg, R. «Military intervention in the new States of Tropical Africa : Elements of comparative Analysis» 1968 New York PP. 74-79.

(٣) - Scott, R. «The politics of new States» 1971, New York P. 39.

(٤) في ٢٢ دولة .

الجديد يخلق نوعاً من الفراغ السياسى والإقتصادى التى لا تستطيع الوسائل السياسية التقليدية - وهى فى أفريقيا الحكومات البرلمانية التى تلت فترة الاستعمار - على مواجهته . وعدم القدرة هذه من جانب السياسيين تخلق حالة من عدم التوازن تشجع العسكريين على التدخل المبدئى لحفظ حقوقهم ثم يتسع نطاق هذا التدخل وينتهى بالانقلاب العسكرى .

وتفسر النظرية أسباب فشل المدنيين فى الإدارة والسيطرة وبالتالي تدخل العسكريين بأنه غالباً ما يكون هناك تفاوت وخلاف بين البيروقراطيين وصانعى القرار فى الدول النامية يؤدى إلى سوء الإدارة وتدخل الجهاز الحكومى ، مما يغرى قادة القوات المسلحة ، وهم من ذوى الخبرات الفنية والإدارية ، على التدخل (١) .

وفى العديد من الحالات وجدت القوات المسلحة نفسها قادرة على أن تلعب دوراً على قدم المساواة مع السلطات العليا فى الدولة ، إن لم يكن أكثر كفاءة ، وخاصة أن تركيب الدول الإفريقية بعد استقلالها كان تركيباً ضعيفاً لا تناسق فيه بين السلطة التشريعية والتنفيذية . كذلك فإن المدنيين من الساسة اتجهوا إلى تحقيق مصالح قبلية وشخصية زادت من عجزهم عن مواجهة المشاكل التى أورثها لهم الاستعمار ، وفشلوا فى تكوين قاعدة جماهيرية تساندهم وتؤيد سياستهم إلا فى حالات استثنائية مثل زامبيا وتنزانيا والسنغال حيث تمكنت السلطة المدنية فى هذه الدول من خلق قاعدة شعبية قللت من احتمالات تدخل العسكريين فى الشؤون السياسية المدنية . أما فى الدول الأخرى فقد تدخل العسكريون ، ولعل هذا ليس بمستغرب فى الدول الإفريقية حيث كانت شعبية العسكريين وتنظيمهم من العوامل التى تلعب دوراً خطيراً فى تكوين المجتمعات الإفريقية ، إلى أن أدى الاستعمار إلى تفكيك هذه الروح ، وحول كافة القوات المسلحة إلى قوات ذات وظائف بوليسية بحته انتهى دورها فى الدفاع عن كيان الدولة خارجياً وداخلياً (٢) .

(١) Mazrul, A. «The Militarization of Chanirma» 1973, Addis Ababa- Ethiopia P. 3

Ibid.

(٢)

والتفسير السابق ، إن احتوى على كثير من المنطق ، يعطى انطبعا بأن العسكريين في الدول الإفريقية يكونون وحدة مترابطة ومتجانسة ، وإن كان الواقع غير ذلك ، فإن النزاعات والتفكك الذي يسود التكوين القومى ينعكس على القوات العسكرية ، ويبدو هذا واضحا في حالة كينيا ، فهناك صراع في داخل القوات المسلحة بين الـ Kamba الذي اعتمد عليهم الانجليز وبين الـ Kikuya أو الـ Luo الأكثر تقدما من الناحية السياسية . وفي نيجيريا كان الشعب ينظر نظرة استعلاء إلى المتطوعين في الجيش وبذلك كان معظم الجيش من الـ Tiu الأقل تقدما من القبائل الأخرى مثل الـ Ibo الذين مثلوا الطبقة القليلة لكن المتقدمة داخل الجيش النيجيرى خاصة وأنهم استفادوا من البعثات التبشيرية بعكس الـ Hausa الذين يدينون بالاسلام . فكانت النتيجة أن ثلاثة من أربعة من الجيش النيجيرى كانوا من الإقليم الشرقى مما جعل الحكومة الفيدرالية بعد حصول نيجيريا على استقلالها تحاول أن تركز على الأقاليم الأخرى لتحديث توازن داخل الجيش ، مما أدى إلى حدوث اضطرابات حيث تأثرت ترقيات الضباط القدامى بدخول مجموعة جديدة من الضباط الجدد . وعلى هذا كان الجيش يعكس إلى حد كبير المنازعات التي تحدث في داخل الدولة نفسها .

ومثال آخر للانقسام داخل الجيش ما حدث في سيراليون فقد اعترض قائد الجيش مع بعض الوحدات على انتخاب Siaka Stevens كرئيس للوزراء ، ودافع عن بقاء رئيس الوزراء السابق Sir Albert Marges ، ولكن مجموعة أخرى من الجيش قبضت على القائد ، وكونت مجلس إصلاح خاص بها بدلا من الحكومة المدنية^(١) ، ولكن بعد ذلك بسنة قامت حركة أخرى من الجيش وقبضت على هذا المجلس وأعادت Stevens إلى رئاسة الوزارة ، بينما حاولت مجموعة أخرى قتله فهوجمت بجزء آخر من الجيش في عام ١٩٧١ .

وينطوى التفسير السابق أيضا على الاعتقاد بأن هناك وعى من نوع خاص يسود بين معظم قادة حركات الانقلاب في أفريقيا ، وهذا يتنافى الواقع لأن الظروف

التي كانت تحدث فيها معظم الانقلابات كانت لا تشجع إطلاقاً أي ترتيب منظم بأسس مدروسة على القيام به . فحركات الانقلابات في أفريقيا حركات دموية مملوءة بالمخاطر ، وعلى سبيل المثال ما حدث في أثيوبيا عام ١٩٦٠ ، وفي غانا عام ١٩٦٧ وفي السودان عام ١٩٧١ وفي مراكش عام ١٩٧٢ . وعادة يكون (١) - القائمون على هذا الانقلاب قد تجمعوا بمحض الصدفة بسبب مصلحة مشتركة تجمع بين فئات متناقضة تماماً لا يجمعها إلا هذه المصلحة المشتركة الطارئة . وعادة ما يظهر هذا الاختلاف الشديد بعد أسابيع أو حتى شهور من قيام الانقلاب . ومثال على ذلك ما حدث في غانا عام ١٩٦٦ حيث أن العامل المشترك الطارئ الذي وحد بين الضباط في القيادة كان التخوف من الحرس الخاص الذي كونه نكروما لنفسه (٢) وكان مدرباً في الصين والاتحاد السوفيتي ، وسادت الاشاعات في الجيش الغاني بأن القوات المسلحة سوف تفكك بأن ترسل إلى المناطق الجنوبية في أفريقيا لتحرير روديسيا وغيرها . وفي نيجيريا في عام ١٩٦٦ قامت سلسلة من الحركات كان الدافع المباشر لها الخوف من سيطرة القادة الشماليين على الجيش وعلى الحياة المدنية أيضاً . وبعد ذلك قامت حركة من الشماليين ضد Ibo لنفس الأسباب . أما في أوغندا وسيراليون عام ١٩٧١ فقد كان الدافع المباشر هو الخوف من حركة الاعتقالات الواسعة التي تمت ضد ضباط متهمين بالفساد والثراء غير المشروع .

ونظرية التطور في المجتمعات النامية تبدو منطقية للوهلة الأولى إلا أنها مضللة حيث يغلب فيها التعميم بحيث يمكن ارجاع معظم الظواهر السياسية لها، مثل ظاهرة الحزب الواحد ، وفشل الأنظمة البرلمانية ، والثورات المضادة . وتحت نطاق هذا التفسير يمكن ادراج كثير من العوامل التي لا يمكن انكار أن لها تأثير ودخل كبير في إمكانية حدوث الانقلاب ، والبعض الآخر يمكن استبعاده خاصة إذا طبق على أفريقيا .

Bretton, H.L., «Power and Politics in Africa» P. 178.

(١)

(٢) تكون هذا الحرس الخاص من ٥٠ ضابطاً وحوالي ألف عسكري .

اتجه بعض الكتاب عند تفسيرهم لظاهرة الانقلابات العسكرية في أفريقيا إلى وضع الخلفية الاستعمارية كعامل فعال وسبب رئيسي في هذه الظاهرة ، وأكد هؤلاء المحللين أن - العسكريين في أفريقيا ليسوا مؤهلين بحكم حدائهم إلى تحمل التضحية التي تفرضها عليهم التقاليد الإنجليزية ، أو الفرنسية ، والتي تقضي بعدم التدخل في الشؤون السياسية من جانب العسكريين . ولكن بعد الاستقلال - وانتقال السلطة إلى الأفريقيين ، وجد العسكريون أن الفرصة سانحة لتحسين أحوالهم سواء من الناحية الاقتصادية أو من ناحية الأوضاع الاجتماعية . خاصة وأن الأنظمة التي تلت الاستقلال كانت ضعيفة بحكم تكوينها ولن تؤدي إلى تحقيق مطالبهم . كذلك لا يملك المدنيون القوة والخبرة لترويض والسيطرة على العسكريين ، خاصة وأن هؤلاء المدنيين يعتمدون على العسكريين للحفاظ على الوضع القائم في كثير من الأحيان . وعندما يلجأ المدنيون إلى العسكريين لخدمة أغراضهم السياسية ينتهي الأمر بسيطرة العسكريين على السلطة ، كما حدث في نيجيريا بعد استعانة السلطات الفيدرالية بالجيش ، وانتهى الأمر باستيلائه على السلطة السياسية في الدولة .

واتجه المحللون السياسيون إلى التفرقة بين النظم السياسية الموروثة من فرنسا والنظم الموروثة من بريطانيا ، من حيث قابلية كل منهما لحدوث الانقلابات - العسكرية . فهم يرون أن الاستعمار البريطاني يهيء بناء الدولة أسرع من النظام الفرنسي (١) . كما أن التقاليد العسكرية نفسها تؤثر على مدى تدخل العسكريين في الحياة السياسية . فالفرنسيون يستمرون في دفع المرتبات والمهايا الكاملة للقوات العسكرية حتى بعد الاستقلال ، كما أنهم يفرضون نظام التجنيد الإجباري . أما الإنجليز فيعتمدون على نظام التطوع وتنتهي صلة التجنيد بالجيش بنهاية مدة خدمته ، وهذا يؤدي إلى أن الدول التي كانت خاضعة لفرنسا تكون أكثر قابلية لحدوث الاضطرابات التي تؤدي إلى الانقلابات العسكرية للثر الذي يتركه نظام التجنيد في داخل المجتمعات الإفريقية .

(١) Rivkin, A. «Nation building in Africa» 1969. New Brunswick, P. 223.

وقد أثبتت التطبيقات العملية خطأ هذا الفرض في نهاية سنة ١٩٦٩ نجد أن ٥ دول من ١٤ دولة كانت خاضعة لبريطانيا قد قامت بها انقلابات ناجحة بالمقارنة بـ ٦ دول من ١٥ دولة كانت خاضعة لفرنسا وقامت بها انقلابات ناجحة أيضا . أى أنه من الصعب الربط بطريقة مطلقة بين الميراث الاستعماري وقابلية الدولة للتعرض للانقلاب العسكري(١).

ولكن في الوقت نفسه يجب عدم اغفال هذا العامل كلية فمن الملاحظ أنه خلال الحكم الاستعماري كانت القوات العسكرية ، سواء كان البوليس أو الجيش قليلة(٢) العدد بالنسبة للمساحات التي تسيطر عليها وتقوم بحكمها ، وأنه في حالة قيام أى اضطراب كانت جماعة مسلحة صغيرة تكفى لإنهاء هذا الاضطراب ، لكن بعد نهاية الاستعمار ، وانتقال قيادة القوات إلى العناصر الوطنية ، وانشاء قوات جديدة نجد أن تكاليف الأمن بدأت ترتفع بشدة ، وذلك لعدة أسباب : مثل الاضطرابات الداخلية ، كما حدث في كينيا ونيجيريا . أو لأنه بعد خلو المناصب الكبيرة من الأجانب توقع الإفريقيون الذين ملأوا هذه المناصب الحصول على مرتبات مساوية للمرتبات السابقة مما يمثل ضغطا اقتصاديا كبيرا للدول الحديثة الاستقلال ، وقد حدث هذا في الكونغو عام ١٩٦٠ (٣) . هذا إلى أنه بعد الاستقلال واجهت هذه الدول مسؤولية تحمل أعباء مالية كبيرة يصاحبها ضعف في الرقابة على النواحي المالية لضعف الاشراف الفني للموروث عن النظم الاستعمارية ، فتنشر الرشاوى والفساد وتفشل معظم المشروعات الاقتصادية ، مما يدفع الجيش إلى التدخل أولا للحفاظ على حقوقه ، وثانيا لمحاربة هذا الفساد . وتكون هذه أولى الخطوات نحو الانقلابات العسكرية .

وكحل لهذا حاولت بعض الدول تأجيل عملية الأفرقة في داخل الجيش ولكنها فشلت في تحقيق ذلك ، بل كاد يؤدي إلى حدوث تدمير في داخل جيوشها ،

(١) Lee, J.M. «African armies and civil order» 1969. New Yirk. P. 73.

(٢) Bretton «Power and Politics in Africa» P. 224.

(٣) لتفاصيل أكثر عن تركيب الجيوش في أفريقيا أنظر : عبد الملك عودة : سنوات الحزم أفريقيا ١٩٦٦ .

كما حدث في تانزانيا عندما أعلن نيريري أن أفرقه الجيش لن تتم إلا في عام ١٩٧١ ، ولكن اضطر إلى الرجوع عن رأيه بعد ثورة الجيش في عام ١٩٦٤ ، والجدول التالي يبين نسبة الأفريقيين في الجيوش الأفريقية عند الاستقلال (١) .

الدولة	تاريخ الاستقلال	عدد الجيش عند الاستقلال تقريبا	أوروبيون أو آسيويون	عدد الضباط الأفريقيين	النسبة المئوية
غانا	٥٧	٧,٠٠٠ آلاف	١٨٤	٢٧	١٢,٨ %
نيجيريا	٦٠	٨,٠٠٠ آلاف	٣٢٠	٥٧	١٥,١ %
سيراليون	٦١	١,٠٠٠ آلاف	٥٠	٩	١٥,٢ %
تنجانيقا	٦١	٢,٠٠٠ آلاف	٥٨	٦	٩,٤ %
أوغندا	٦٢	١,٠٠٠ آلاف	٥٠	١٤	٢١,٩ %
كينيا	٦٣	٦,٥٠٠ آلاف	٨٥	٨٠	٤٨,٥ %
مالاوى	٦٤	٠,٧٥٠ آلاف	٩	٤٠	٨,٤ %
زامبيا	٦٤	٢,٢٠٠ آلاف	١٣٤	١	٠,٧ %

وهناك عامل موروث من الاستعمار ، وله أثر في تدخل العسكريين في الشؤون السياسية في معظم الدول الأفريقية ، فنجد أن المدنيين كانوا يقودون حركة الكفاح ضد الاستعمار ، وورثوا السلطة السياسية فيما بعد ، في حين أن الجيش ، بحكم تكوينه ، كان يقود الحركة ضد الوطنيين ويخضع مباشرة للسلطة الاستعمارية ، وهنا نشأ نوع من العداء بين الوطنيين التقليديين المدنيين وبين العسكريين . وقد ظهر ذلك بوضوح في حالة المستعمرات الفرنسية حيث تشبع العسكريون الإفريقيون بالتقاليد الفرنسية لأنهم مثلوا جزءاً من الجيش الفرنسي العامل ، مما أثر على شعورهم نحو التراكيبات الإفريقية الجديدة بعد الاستقلال . وفي الفترة التالية للاستقلال كانت فرنسا تساعد بقواتها على بقاء النظم المدنية ، كما حدث في السنغال في عام ١٩٦٢ عندما حاول محمد ضيا Mohamedu Dia رئيس الوزراء أحداث الانقلاب ضد الرئيس سنجور ، وكذلك الحال في جابون حيث كان لوجود الفرنسيين أثر

(١) Maitl and Jones, J.F. «Politics in British Africa» 1973, London. (١)
P. 112.

كبير على استمرار وجود الرئيس Miba وأيضاً بالنسبة للرئيس هو فيه بوانيه في ساحل العاج . فطالما كان هناك وجود فرنسي كان من الصعب حدوث انقلابات عسكرية . لكن بعد خروج الفرنسيين بدأ النفوذ واضحاً بين المدنيين والعسكريين .

ومن العوامل الهامة أيضاً الربط بين قوات المخابرات أو الأمن الداخلي وبين الجيوش (١). ففي معظم الدول التي كانت خاضعة لفرنسا نجد أن المخابرات العسكرية ، أو قوات الأمن تتبع الرؤساء مباشرة ، وتعتمد على الفرنسيين في أدائها حتى بعد الاستقلال كما هو الحال في السنغال وساحل العاج . وفي معظم الحالات نجد أنه بعد استقلال الدول الأفريقية وانتقال السلطة العسكرية إلى الحكام الأفريقيين اهتم هؤلاء الحكام بزيادة قوات الأمن ، فحدثت زيادة كبيرة في الإنفاق ، مما أدى إلى اختلال الميزانية . وإلى حدوث تدمير بين العسكريين ، كان هو الطريق إلى الانقلاب . فائناء وجود النظم الإستعمارية لم تكن هناك حاجة كبيرة إلى قوات الأمن الخاصة أو المخابرات التي تمثل عبئاً كبيراً على الميزانية ، ولكن بعد الإستقلال أصبح الرؤساء يحتاجون إلى هذه القوات . وقد اتبعت غانا ونيجيريا مسيلين مختلفين ففي نيجيريا نجد أن الحكومة النيجيرية زادت من ميزانية الجيش بمبلغ مليون جنيه استرليني ، في حين كانت ميزانية الأمن الخاصة بالوزارة والرئيس لا تتعدى ١٢٥ ألف جنيه ، ورغم ذلك فقد كانت القوات المسلحة هي التي قامت بالانقلاب ضد الحكومة في ١٤ فبراير ١٩٦٦ .

وعلى هذا رأى بعض المعلقين أن الزيادة في مصاريف الجيش كان يجب أن تنفق على الأمن . أما في حالة غانا فنجد العكس ، فقد كون الرئيس نكروما قوات أمن ضخمة خاصة به ، وإلى جانب ذلك تضاعفت نفقات الجيش بين عام ١٩٥٨ أو ١٩٦٤ ومع ذلك قام الجيش بالانقلاب .

وميزانية الجيوش في كل من كينيا ونيجيريا وغانا تشير إلى أن الزيادة الكبيرة في أعداد العسكريين كانت عادة بسبب المحافظة على الأمن الداخلي الخاص بالنظام

Hatch, J. «Africa emergent» 1974, London P. 152.

(١)

القائم ، ماعد كينيا التي كان لها وضع خاص داخلي وخارجي . ومن الصعب تحديد أوجه النفقات العسكرية لدواعي السرية . وقد تقيّد هذه النفقات على أنها نفقات خاصة بالدفاع ثم تتحول إلى مصاريف خاصة بأمن شخص أو أشخاص كما كان الحال في غانا .

وفصل قوات الأمن أو المخابرات عن الجيش وجعلها جهاز مستقل ، قد يفقد القوات المسلحة بعض قواتها . ويقلل من احتمالات تدخلها في الشؤون السياسية في الدولة . حيث لا تصبح أداة رقابة على المدنيين ، وقد أتبعّت غنيا وتانزانيا ومالاوي ومالي وفولتا العليا وتوجو والصومال هذا النظام . ولكن هذا لم يمنع من قيام الانقلابات العسكرية ، وإن كان قد قلل من احتمالات حدوثها .

ويبدو أن الطريقة الوحيدة لمنع حدوث انقلاب أو أبعاد هذا الاحتمال ، هو العمل على حل الجيش وإرساله إلى الحدود . وإن كان ثمن هذا غالياً ، والمثال على ذلك ما حدث في غينيا عام ١٩٧٠ ، حيث تمكنت القوات الأجنبية من التدخل لفرض الأوضاع التي تريدها بدون مقاومة تذكر^(١) .

نقطة أخيرة بالنسبة للميراث الاستعماري ، فمن المعروف أن التكوينات القبلية في الجيوش الأفريقية ميراث عن الاستعمار فنجد أن القبائل الآتية تمثلت في الجيوش الأفريقية كالاتي :

في كينيا نجد الـ Kamba وفي نيجيريا الـ Tiv وفي زائيرى Ba-Ngwalia والـ Balwba ، وفي غانا الـ Ewe والـ Gie ونيجيريا كانت من الـ Ibo والـ yoroba .

وكان الاختيار يقع على حسب مصلحة القوى الاستعمارية فكانت تفضل اختيار الأغلبية من العناصر الأقل تقدماً ، وأما الضباط فهم العناصر الأكثر تقدماً وهكذا . ولكن هذا الإنقسام القبلي في رأي لم يكن سبباً في حدوث الانقلابات ،

Gutteridge, W.F. «The Political role of African Armed forces — (١)
The impact of foreign Military assistance» African Affairs, vol. 66 April 1968,
P. 93.

ولنما الاهتمام بالتقسيمات القبلية عادة يظهر إلى السطح بعد حدوث الانقلاب الفعلي ، كوسيلة للحصول على التأييد والحماية من الحركات المضادة . أى أن الانقلاب الناجح يؤدي إلى ظهور الحلفاء القبلية ، ولا تؤدي للخلافات القبلية إلى حدوث الانقلاب .

٣ - نظرية العدوى Contagion theory :

يرى أصحاب هذا الرأي أن حدوث انقلاب في دولة أو في منطقة يشجع باقي الدول المجاورة على القيام بالانقلاب . ويعتمد أصحاب هذا الرأي على أن الانقلابات تحدث عادة على شكل موجات (١) : وهناك موجتين من الانقلابات العسكرية الأولى بدأت في ديسمبر ١٩٦٢ واستمرت شهراً ، والثانية في نوفمبر ١٩٦٥ واستمرت حتى فبراير ١٩٦٦ ، والموجة الأولى كانت بين الضباط التابعين لفرنسا ، والذين شعروا بأنهم يشاركون فعلاً في حكم البلاد. خاصة وأنه بعد خروج الفرنسيين سرحوا أعداداً كبيرة من الجنود ، ورفضت الدول الإفريقية الحديثة الاستقلال ضم هؤلاء القوات إلى جيوشها ، كما حدث في توجو ، إذ كان حجم الجيش سوف يتضاعف ٤ مرات . وقد حدث الانقلاب الأول في توجو ، وجاء بحكومة مدنية ، ثم تلاه إنقلاب آخر أعطى الجيش السلطة المطلقة ٤ سنوات .

أما في الموجة الثانية فإن ضباط كلا من داهومي وفولتا العليا وأفريقيا الوسطى كانوا يخدمون جنبا إلى جنب في الهند الصينية ، مما ساعد على حدوث عملية العدوى (٢) . وليس معنى ذلك حدوث تدبير مسبق من هؤلاء الضباط ، وإنما هو تشابه في الظروف وفي الخلفية الاجتماعية .

(١) Bell, M.J. «The Military in the New states of Africa» 1968. The Hague, P. 12.

Gutteridge, W.F. «The political role of African Armed forces — The impact of forgien.

(٢) Zolberg, A. «Military Role and Political Development in Tropical Africa» 1969. The Hague P. 86.

ومما يكمل هذه النظرية فكرة الربط الجغرافى ، فى أفريقيا جنوب الصحراء هناك منطقتين معرضتين للانقلابات العسكرية . والمنطقة الأولى هى المنطقة الغربية ، وهى مكونة من توجو وداهومى وغانا ونيجيريا وفولتا العليا ومالى ، ومنطقة متوسطة أو حزام متوسط فى أفريقيا الوسطى والسودان وزائيرى وبورندى والكنغو وأخيراً أوغندا ، وانضمت أيضاً فولتا والصومال وسيراليون . وقد تعرضت المنطقتين السابقتين لموجات متوالية من الانقلابات والخريطة التالية توضح هذا .



الانقلابات العسكرية في إفريقيا

وفي الواقع هذه النظرية لها جانب من الصحة ولكنها لا تشرح كل شيء ، ولا تكفي لتفسير حدوث الانقلابات العسكرية ، وكذلك لا تشير إلى التنبؤ بحدوث موجة جديدة من الانقلابات أو متى ستبدأ هذه الموجة .

٤ - نظرية التفسير الاحصائي :

الاتجاه الغالب الآن هو محاولة التحليل الاحصائي ، والخروج بنظريات تشرح الظاهرة في الماضي ، وتساعد على التنبؤ بحدوثها في المستقبل عن طريق استخدامها الأرقام . وقد تزعم هذا الاتجاه المحللين الأمريكيين ، وهم يحاولون الربط بين المجتمع والسياسة والقوات المسلحة . ويتم ذلك عن طريق التركيز على مطالب اجتماعية معينة . ومدى قدرة السلطات في الحكومة المدنية على تحقيق هذه المطالب ، وفي حالة فشل المدنيين يحدث التدخل من جانب العسكريين .

وتقاس قدرة الحكومة في الاستجابة إلى هذه المطالب بتقدير عدة بنود منها مستوى التقدم الاقتصادي . والقدرة على جمع المعلومات ، وتقدم التعليم ، وزيادة معدلات النمو وغيرها . وعادة يلاحظ أن زيادة الطلب في الدول النامية لا تتناسب مع قدرة الحكومات على الاستجابة لها لقصور القدرة الاقتصادية في داخل المجتمع ، وتكون هذه هي البداية لتدخل العسكريين .

وقد ثبت من الاحصاءات أن هناك تناسب بين حدوث اضطرابات من المدنيين وبين حدوث التدخل العسكري (١) .

والصعوبات التي تواجه النظرية الاحصائية تتمثل في نوعية القياسات ، وامكانية اخضاعها للاحصاء . وأول صعوبة تواجه الدارس هي تعريف التدخل العسكري . وقد حاول Putnam (٢) التغلب على هذه الصعوبة ، فقسم أنواع التدخل إلى خمسة أقسام ، وأعطى كل منها درجة معينة . ففي حالة الدول التي لا يلعب فيها العسكريون أي دور سوى الدفاع الخارجي تعطى درجة صفر ،

(١) Dourse, R.E. «The Military and Political development 1969» Cambridge, P. 219.

(٢) Putnam, R. D. a Toward explaining Military intervention in Latin American Politices» world politics XIX, october 1967. P. 88.

وفي حالة الدول التي يتدخل فيها العسكريون تدخلا معقولا في الشؤون المدنية تعطى درجة واحدة أما الدول التي يتم فيها التوافق بين العسكريين والمدنيين بحيث توزع بينهم الاختصاصات في الشؤون السياسية فقد أعطاهما درجتين والدول التي للعسكريين فيها النفوذ الأكبر ثلاث درجات . ومن الواضح أن هذا الترتيب يخضع لكثير من الجدل والنقاش الذي يكاد يفقده معناه . وفي حالة قياس النمو الاجتماعي يلجأ إلى تقييم مدى انتشار وسائل الإعلام ومدى انتشار التعليم . فاذا ازدادت نسبة النمو الاجتماعي قلت احتمالات التدخل العسكري ، والعكس صحيح . أما في قياس النمو الاقتصادي فيحسب على أساس دخل الفرد ، وكلما زاد دخل الفرد قلت فرص التدخل العسكري . ولكن هذه العوامل ليست كل شيء فهناك قياس مدى النمو السياسي . وقد دارت حول امكانية قياس هذا العامل مناقشات طويلة ، فهو يقاس عن طريق الأحزاب وأهميتها وصحة الانتخابات ، ومدى مشاركة الشعب فيها . وكلها عوامل من الصعب إخضاعها للقياس الفعلي .

وقد قدم الاحصائيون فروضا لا يستهان بها . وإن لم يتوصلوا بعد إلى إيجاد نظرية متكاملة تعلل الانقلابات . والخطورة في النظرية الاحصائية هي اعطاء صحة لنظرية قد تكون قائمة على فروض غير صحيحة بالنسبة لصعوبة وعدم توافر وعدم صحة الاحصائيات في الدول النامية .

النظرية الإحصائية وتطبيقها على الدول الإفريقية

في حالة تطبيق النظرية الإحصائية على افريقيا ثم أخذ ٣١ دولة أفريقية كعينه . وأخذت مجموعة مختلفة من المتغيرات الاجتماعية الاقتصادية إلى جانب التركيب العسكري للقوات المسلحة في تلك الدول . وتم تكوين إحصائيات مقارنة تربط بين هذه العوامل وبين الانقلابات العسكرية . وقد تم في البداية تكوين جدول يشير إلى قابلية تلك المجموعة من الدول الإفريقية إلى حدوث الانقلابات . فليس من الضروري في حالة حدوث اضطرابات مرة واحدة أن يتوالى حدوث الانقلابات ، وكذلك لا يعني وجود حكومة دستورية مستقرة إن تلك الدولة محصنة ضد الانقلابات وقد تم في ذلك الجدول حصر الانقلابات الناجحة إلى جانب الفاشلة

والمؤتمرات التي تسبق الانقلاب وقد تم وضع ١٠ درجات للانقلاب الناجح ،
وثلاثة للانقلاب الذي فشل . ونقطة واحدة للمؤامرة . والجدول التالي يوضح ذلك (١)

الدرجة	عدد سنوات الاستقلال	المعيار القياسي للنشاط الانقلابي	توالي حدوث الانقلابات			الدولة
			مؤتمرات	انقلابات فاشلة	انقلابات	
٣,٢٥	٨	٢٥	٢	١	٢	بورندي
٠,١٠	١٠	صفر	صفر	—	—	الكاميرون
١,٣٠	١٠	١٢	٢	—	١	أفريقيا الوسطى
٠,١٠	١٠	صفر	—	—	—	تشاد
٤,٢٠	١٠	٤١	—	٣	٣	الكونغو برازافيل
٣,٨٠	١٠	٣٧	—	٤	٢	الكونغو كينشاسا
٥,١٠	١٠	٥٠	—	—	٥	داهومي
٠,٨٠	١٠	٧	١	٢	—	أثيوبيا
٠,٤٠	١٠	٣	—	١	—	جابون
٠,٢٠	٥	صفر	—	—	—	جامبيا
١,٥٠	١٠	١٤	١	١	١	غانا
٠,٣٠	١٠	٢	٢	—	—	غينيا
٠,٢٠	١٠	١	١	—	—	ساحل العاج
٠,٥٧	٧	٣	—	١	—	كينيا
٠,٣٠	١٠	٢	—	—	—	ليبيريا
٠,١٠	١٠	صفر	—	—	—	مالاجاش
٠,١٧	١٦	صفر	—	—	—	مالاوي
٠,١٠	١٠	١٠	—	—	١	مالي
٠,٤٠	١٠	—	—	١	—	موريتانيا
٠,٢٠	١٠	١	١	—	—	النيجر
٠,٣٠	١٠	٤٢	٢	—	٤	نيجيريا
٠,١٣	٨	صفر	—	—	—	رواندا

Wells, A., «The coup d'etat in theory and practice : Independent (١)

black Africa in the 1969's A.J.S. vol. 79 P. 871.

تابع الجدول السابق

الدولة	توالى حدوث الانقلابات			عدد سنوات الاستقلال	معدل الانقلابات
	إنقلابات	إنقلابات فاشلة	مؤامرات		
السنگال	—	١	—	١٠	٠.٤٠
سيراليون	٢	—	١	٩	٢.٤٤
الصومال	١	١	—	١٠	١.٤٠
السودان	٢	صفر	٢	٩	٢.٣٠
تازانيا	—	١	٢	٩	٠.٦٧
توجو	٢	٢	—	١٠	٠.٧٠
أوغندا	—	١	٣	٨	٠.٨٨
فولتا العليا	١	—	—	١٠	١.١٠
زامبيا	—	—	٢	٦	٠.٥٠

(لم يتضمن الجدول بتشوانا أو غينيا الأستوائية أو لسيوتو أو سوازي لأنه ليس لها قوات مسلحة بالمعنى المفهوم) .

بعد ذلك نلجأ إلى تحليل المتغيرات الإقتصادية والإجتماعية التي تشير إلى المتطلبات في الدولة النامية . وعدم القدرة على تحقيقها يؤدي إلى اضطرابات مدنية وبالتالي إلى إنقلابات عسكرية كما أشرنا من قبل .

هذه المتغيرات كانت في حالة الدول الأفريقية السابقة الإشارة إليها هي : (١)

١ - حجم السكان : كلما زاد السكان كلما قلت قدرة الدولة ومواردها على سداد الاحتياجات الإقتصادية للسكان . مما يسهل وجود تدمير وبالتالي حدوث الانقلابات وقد تم قياس عدد السكان على حسب إحصائيات الأمم المتحدة عام ١٩٦٨ .

(١) المرجع السابق ص ٨٧٩ .

- ٢ - معدل الزيادة في السكان : فكلما زاد هذا المعدل زادت بالتالى احتمالات حدوث الانقلابات . وقد أخذت الأرقام من احصاءات الأمم المتحدة عام ١٩٦٧ .
- ٣ - التحول إلى الحياة في المدن^(١) . وقد تم قياس هذا على أساس المدن التى يزيد عدد السكان فيها عن ١٠ آلاف نسمة في عام ١٩٧٠ .
- ٤ - المركزية في الدولة : وقد ثبت أن الدولة التى تتمركز فيها السلطات السياسية يمكن بسهولة السيطرة عليها . وقياس هذا العامل عن طريق معرفة عدد المدن الكبرى وتتركز السكان والأداة الحكومية .
- ٥ - نسبة الأمية في الدولة : فكلما زادت هذه النسبة كان حدوث الانقلاب أسهل مما لو كانت معدلات التعليم عالية . حيث أن المعارضة تكون ضعيفة ويكون التأييد أكبر للحركات العسكرية .
- ٦ - السيطرة على وسائل الإعلام : أول عمل ناجح للانقلاب هو السيطرة على وسائل الإعلام . فكلما زادت تلك الوسائل : كلما زادت فاعلية الحركة ، ويقاس ذلك لعدد أجهزة الراديو في الدولة .
- ٧ - المستوى الإقتصادي : كلما ارتفع المستوى الإقتصادي قلت احتمالات الانقلابات العسكرية . وكلما انخفض تضاعفت احتمالات الانقلاب وعلى هذا فإن الدول الأفريقية تمثل أنسب مكان للانقلابات العسكرية .
- ٨ - النمو الإقتصادي : كلما زادت معدلات النمو الإقتصادي : كلما دل هذا على نجاح الحكومة المدنية ، وقلت احتمالات وقوع الانقلابات .

المتغيرات العسكرية : -

بما أن القوات المسلحة هى التى تقود عادة حركة الانقلابات في داخل الدول النامية ، فقد أكد المحللون السياسيون أهمية تركيب تلك القوات بالنسبة لقدرتها وقابليتها على القيام بالانقلاب : وأكدوا أن تلك القوات تقوم بالانقلابات إذا شعرت بتهديد لمكانتها كمؤسسة من مؤسسات الدولة^(٢) .

(١) Urbanization

(٢) Miller, N., «Military Coup in Uganda» 1970. American University's Field staff. East Africa Series, vol. 10, No. 3 P. 16.

أو أن تؤدي الإنقسامات التي سببها الخلافات القبلية التي حدوث الانقلاب ، كما حدث في شرق أفريقيا ، كما أن الجيوش الأفريقية عادة يكون لها من الأمكانيات الفنية والمكافة الإجتماعية مايفوق المجموعات الأخرى داخل المجتمعات الإفريقية .

وعلى ذلك تم اختيار مجموعة من المتغيرات خاصة بتكوين القوات المسلحة الإفريقية ، وبقياس هذه المتغيرات ومقارنتها بالمتغيرات الإجتماعية والإقتصادية السابقة ، أمكن التوصل إلى نتيجة بالنسبة لامكانية حدوث الانقلاب وهذه المتغيرات تلخص فيما يلي : -

نسبة عدد العاملين في القوات المسلحة إلى عدد السكان : حيث تؤثر هذه النسبة في عملية التوازن في القوى بين المدنيين والعسكريين . وتقاس هذه النسبة بحساب النسبة المئوية لعدد العاملين في الجيش . (١)

حجم الجيش : مع أن الاعتراضات كانت كثيرة حول أهمية هذا العامل ، إلا أنه ممكن وضعه كعامل مؤثر . بالرغم من أن الانقلاب الذي حدث في توجو عام ١٩٦٣ كان مكونا من ٢٥٠ عسكري فقط إلا أن زيادة حجم الجيش قد تكون أحد العوامل التي تساعد على التمهيد لحدوث الانقلاب .

عدد قوة البوليس : كلما زاد عدد قوات البوليس أو كانت تتبع الجيش ، كلما زاد احتمال الانقلاب . ولكن إذ زاد البوليس ولم يكن تحت سيطرة الجيش قلت الاحتمالات .

ميزانية الدفاع : تعكس ميزانية الدفاع مدى أهمية القوات المسلحة ، ومدى نفوذها في داخل الدولة .

نسبة نفقات الدفاع إلى الإقتصاد القومي : وهي تبين أولوية المصاريف العسكرية على الأمور المدنية .

ويضيف أصحاب الطريقة الإحصائية أن هناك عامل آخر وهو العلاقة مع قوة خارجية . فهذه العلاقة قد تؤثر على إمكان حدوث الانقلاب إذا كان للقوة الخارجية مصالح معينة داخل الدولة . والسلطات المدنية لا تستجيب لها . أو قد تقف هذه

Booth, R. «The Armed forces of African States» Adelphi papers, (١)
No. 67, May. P. 27.

القوة الخارجية في وجه الانقلاب إذا كان لها مصالح من بقاء السلطة المدنية ، كما كان الحال في ليبيا وأثيوبيا بالنسبة للولايات المتحدة . وبالنسبة لفرنسا في السنغال هذه القوة الخارجية قد تفرض نفوذها بعدة طرق ، سواء عن طريق الاختبارات أو عن طريق الأمداد بالأسلحة . وقرار التسليح هذا قرار سياسي سواء بالنسبة للدولة التي تقوم بالمساعدة بالأسلحة أو بالنسبة للدولة الأفريقية التي تطلب تلك المساعدة فمن المعروف أن التكالب على أفريقيا الذي حدث في القرن الماضي أصبح يعيد نفسه ولكن بصورة أخرى . . فمثلا إسرائيل أقوى مثل لمحاولة تحقيق مكاسب وفتح أسواق لها في الدول الإفريقية عن طريق المساعدات العسكرية وكذلك الصين في محاولة للتفوق على الاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا التي تحاول تعويض الصعوبات الاقتصادية التي تواجهها في الكومينكون عن طريق بيع الأسلحة لأفريقيا ، وكندا التي تحاول تصدر المركز القيادي بين دول الكومنولث ، وإيطاليا أيضا اشتركت في هذا المضمار أخيراً سواء مع جمهورية جنوب أفريقيا أو زامبيا ، وأيضا بلغاريا والباينا ، الجزائر . هذا بالطبع إلى جانب كلا من إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة . وكل دولة من هؤلاء تسعى لتحقيق مصالحها الخاصة بغض النظر عن مفاهيم الحرب الباردة . وتختلف دوافع الدول الأفريقية في قبول التعامل مع دولة معينة ويعتمد هذا على مدى استجابة تلك الدولة لشروط الدول الأفريقية ، وعلى مدى درجة عدم الانحياز التي تحاول الدول الأفريقية تأكيدها ، وهي تختلف بين دولة إلى دولة . والمساعدات الخارجية يكون لها أثر في تصرفات القوات المسلحة من الناحية السياسية وإن كان يصعب التنبؤ باتجاه ومدى هذا الأثر إذا كانت مصلحة القوة الخارجية مصلحة مباشرة في قيام أو عدم قيام الانقلاب العسكري . وان كان لهذا العامل أهمية في محاولة تفسير أسباب حدوث الانقلابات العسكرية إلا أنه من الصعب قياسه من الناحية الإحصائية ، فعادة ماتكون تلك المساعدات سرية ويصعب معرفة مقدارها ، وبأي وجه تمت الاستعانة بها .

بعد حساب كل هذه العوامل ووضع أرقام إحصائية لها توصل أصحاب الطريقة الإحصائية إلى أن العوامل الاقتصادية والاجتماعية معاً تمثل ١٦٪ من أسباب حدوث الانقلابات العسكرية وتدخل العسكريين في الشؤون المدنية . وأن وسائل الإعلام

وعدد السكان تمثل أقل العوامل أهمية بالنسبة للدول الأفريقية من حيث تأثيرها على حدوث أو عدم حدوث إنتقالات عسكرية ، أى أن الطريقة الإحصائية ربطت بين العوامل الإقتصادية والإجتماعية وبين أثر تلك العوامل على العسكريين بحيث يمكن وضع نسبة لحدوث الانقلاب .

ختام :

بعد أن أستعرضنا للاتجاهات المختلفة فى شرح وتفسير ظاهرة الانقلابات العسكرية يمكن أن نصل إلى الاستنتاجات الآتية : -

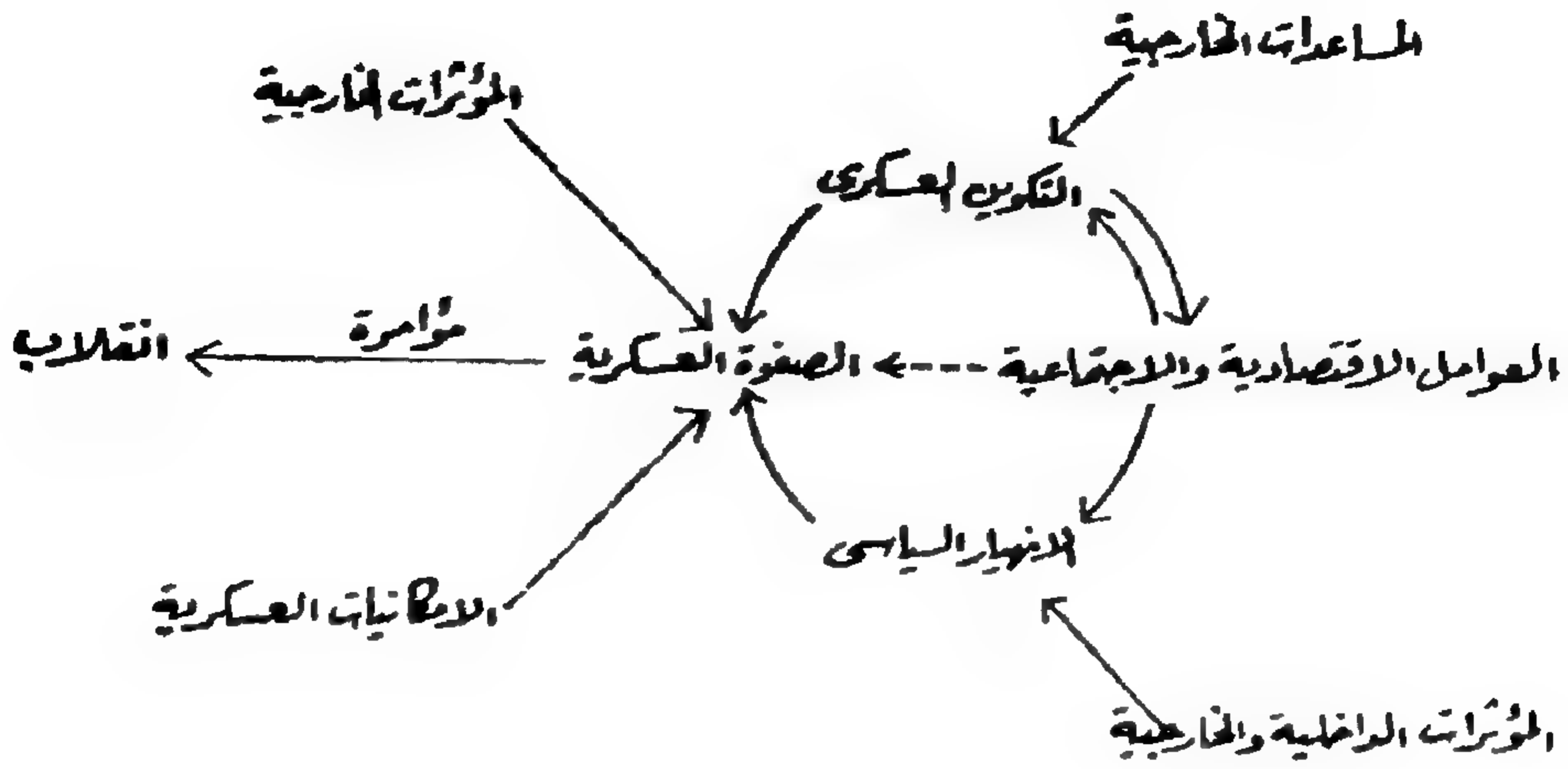
١ - أن تدخل العسكريين فى الأمور السياسية فى الدول الأفريقية يمثل ظاهرة جديدة بالبحث والدراسة وليس مجرد مظهر مؤقت أو طارئ .

٢ - أن الانقلابات العسكرية تحدث عادة لأن مجموعة من العسكريين تقرر القيام بهذا الانقلاب وقد يكون هذا رد فعل لأزمة طويلة أو قصيرة المدى تمر بها الأوضاع فى الدولة التى يحدث فيها الانقلاب . وهذه الأزمة غالباً ماتكون إقتصادية .

٣ - قد يكون الانقلاب مدبر بدقة ودراسة وإن كان فى أغلب الأحيان ما يكون نتيجة لطموح شخص أو أشخاص معينين وليس نتيجة لتدبير محكم .

٤ - هناك متغيرات عديدة إقتصادية وإجتماعية تؤثر تأثيراً مباشراً فى حدوث ظاهرة التدخل العسكرى . وعلى أساس التحليل الإحصائى والمتغيرات النظرية نجد أن العسكريين يمثلون فى مجموعهم طبقة إجتماعية مميزة سواء من ناحية التقدم التكنولوجى أو المستوى الإقتصادى والإجتماعى أو حتى من حيث مستوى التعليم . هذا الوضع المميز يدفع مجموعة العسكريين إلى التدخل فى الشؤون المدنية فى حالة إحساسهم بفشل المدنيين فى تسير دقة الأمور . ويكون ذلك أول الخطوات نحو الانقلابات العسكرية . ولكن هؤلاء العسكريين لا يعيشون فى فراغ وإنما يتأثرون بالعوامل الإقتصادية والإجتماعية المحيطة بهم ، ويتأثرون أيضاً بنوع التدريب الذين خضعوا له وأيضاً بالمساعدات الخارجية من الدولة المعنية . خاصة وأن الجيوش الأفريقية بامكانياتها المختلفة مرتبطة بالقوى الخارجية . كما أن طريقة تكوين الجيش

نفسه تؤثر على قابليته لأحداث الانقلاب والرسم التالى يوضح تشابك واتجاهات تلك العوامل وأثرها فى حدوث الانقلابات .



هـ - بقيت نقطة أخيرة وهى اتجاه العسكريين بعد نجاح الانقلابات .

وقد أعطى الدارسون قليل من الأهمية لدراسة تلك النقطة . وإن كان الملاحظ فى حالة الدول النامية على وجه العموم أن مبادئ العسكريين بعد توليهم للحكم هى مبادئ وأفكار الطبقة المتوسطة خاصة من الضباط الشبان الذين يمثلوا الغالبية . كما أن العسكريين عادة يميلون إلى المناداة ومحاولة تطبيق مبادئ الديمقراطية الاشتراكية . وفى أفريقيا نجد أن هذا المبدأ يسود إلى الحد الذى تسمح فيه الظروف الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بالدول الأفريقية . كما أن الانقلابات العسكرية عادة لا تقابل بأى مقاومة بل على العكس تقابل بترحاب كوسيلة لتحقيق الاحتياجات التى فشلت السلطات المدنية فى تحقيقها حتى ولو فشلت هذه التوقعات كما هو الغالب فى معظم حركات الانقلاب فى داخل القارة . بعد الانقلاب نجد أن تحقيق الأمان الفعلى والمصلحة المهنية والعسكرية تسبق مصلحة المجموع التى تأتى فى المرتبة الثانية . ولو تفاضينا عن هذه الحقيقة نكون قد بعدنا عن الاتجاه الصحيح . ومن الملاحظ فى أفريقيا أن الانقلابات العسكرية لا تقوم على أساس أيديولوجى وإنما بمجرد نجاح الانقلاب نجد أن الحركة العسكرية مهما كان اتجاهها تهتم بالعسكريين وبتزويدهم بمخصصاتهم . ففى غانا مثلاً نجد أن ميزانية القوات المسلحة زادت بعد انقلاب عام

١٩٦٦ - ٤٠,٤ ٪ بالمقارنة ١٠,٨ بالنسبة لوزارة العمل مع الحاجة الماسة لحل مشاكل البطالة في غانة .

أما مدى نجاح العسكريين أو فشلهم في تحقيق المبادئ التي تعلن عند نجاح الانقلاب فهو أمر يعتمد على الأحوال الداخلية في الدولة نفسها . وعادة ما يجد العسكريون صعوبة شديدة في مواجهة المشاكل المختلفة . وفي كثير من الأحيان تتفاقم تلك المشاكل مما يؤدي إلى قيام إنقلاب مضاد . كما أن العسكريين عادة ما يستمروا في الاستحواذ على تقاليد السلطة السياسية في الدولة بالرغم من إعلانهم عن رغبتهم في إعادة الحياة المدنية إلى الدولة بعد فترة انتقال .

قرية العشى

دراسة أنثروبولوجية ميدانية

للدكتورة سعاد شعبان

Ashi Village

An Anthropological Study

Dr. Soad Shaaban

This field-work study aimed to give a clear idea about the social life of upper Egyptian community.

The study concerned with patterns of culture, behaviour, and prevailing values.

Kinship structure consists mainly of nine clans to which all village families belongs, and their chiefs keep order and social control.

From the economic aspect Ashi people practise agriculture that depends mainly on animals and primitive machinaery and tools, and also some other tasks needed. Due to lack of agricultural lands, some people emmigrate to other regions seaking for prosperity to enjoy life.

The importance of this research is to indicate the social values and inherited traditions that people still practise in spite of its conflict with the change attitudes that aimed to improve the rural life.

The study also showed that the people in this rural community are ready to accept the elements of material changes, like new technology. On the contrary they still reject any immaterial change, such as birth control, women discrimination (education, employment and their role in social life) and vengeance.

Considering the necessity of social change, all rural community will be able to get rid of the development obstacles and adapt the new life conditions gradually.

يهدف هذا البحث الميداني إلى التعرف على نماذج السلوك والتصرفات الاجتماعية وأنماط الثقافة القروية كما تمارس في قرية مصرية تتوسط محافظات الوجه القبلي وهي محافظة قنا ولذلك فهو يصور طبيعة الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد السائدة بين قطاع عريض من الشعب المصري هو سكان الصعيد الذين بسبب الظروف الطبيعية والبيئية التي يعيشون فيها يتميزون بثقافة مغايرة لما يوجد بين سكان الوجه البحري رغم ما بين كلا الثقافتين من أوجه التشابه .

ويتكون مجتمع قرية العشي التي يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف نسمة من تسع بدئات رئيسية تتفرع منها عائلات القرية التي تتوزع مكانيا على النجوع المتناثرة . ونظراً لقيام المجتمع على النظام الأبوي وشيوع مبدأ العصبية والانتماء القرابي ، يتمتع رؤساء البدئات وكبار السن في العائلات بسلطة قوية على الأهالي ، تمكنهم من القيام بدور أساسي في استقرار النظام والضبط الاجتماعي في المجتمع ، ومراعاة عدم الخروج عما ألفته الجماعة وارتضته معياراً للسلوك المثالي التقليدي لأعضائها .

ورغم اعتماد الحياة الإقتصادية أساساً على الزراعة المستديمة بالرى من مياه النيل ، إلا أن الأهالي هناك يمارسون بجانب الزراعة تربية الحيوانات للاستفادة من لحومها كغذاء وأيضاً للمعاونة في الأعمال الزراعية المختلفة . بالإضافة إلى قيام بعض الحرف والصناعات البسيطة اللازمة لمتطلبات الحياة في مجتمع قروي . وبسبب ضيق المساحات القابلة للزراعة وزيادة معدل السكان يفضل البعض ابتغاء حياة أرغد الهجرة من القرية إلى مدن أخرى للعمل كأجراء وبخاصة في مجال التشييد والبناء ، لما اشتهر به سكان الصعيد من قدرة على التحمل والجلد في تلك الأعمال البدنية الشاقة - ويترتب على تلك الهجرة غير المنظمة أيضاً عدة مشكلات لكل من القرية والمدينة على السواء .

وتتضح أهمية هذا البحث في إبراز القيم والتقاليد الموروثة التي يحترمها الأهالي في تلك المجتمعات القروية ويحرصون على التمسك بها . رغم تعارضها مع الأفكار

التحررية التي تحملها تيارات التغير التي بدأت تحتاج تلك المجتمعات لرفع مستوى معيشتها ورفاهية سكانها .

وقد تبين من الدراسة أن عناصر التغير المادية كاستخدام الكهرباء ومبتكرات التكنولوجيا الحديثة تلقى قبولا عاماً على العكس تماماً من عناصر التغير غير المادية كفكرة تحديد النسل أو اشتغال المرأة أو التخلي عن الأخذ بالثأر . ولكن إذا كان التغير الاجتماعي ضرورة حتمية فيفضل الدراسات الميدانية المركزة ستمكن هذه المجتمعات من التخلص تدريجياً من معوقات التنمية ، وتعيد تكيف نفسها مع الأوضاع الجديدة .

الموقع الجغرافي :

تقع قرية العشي في محافظة قنا وتتبع مركز الأقصر من الناحية الادارية ، وهي تبعد عن الأقصر بحوالى ١٢ كيلو متراً شمالاً .

ويحدها من الشمال زمام قرية خزام .

ومن الجنوب زمام قرية الصعايدة .

والغرب مجرى نهر النيل .

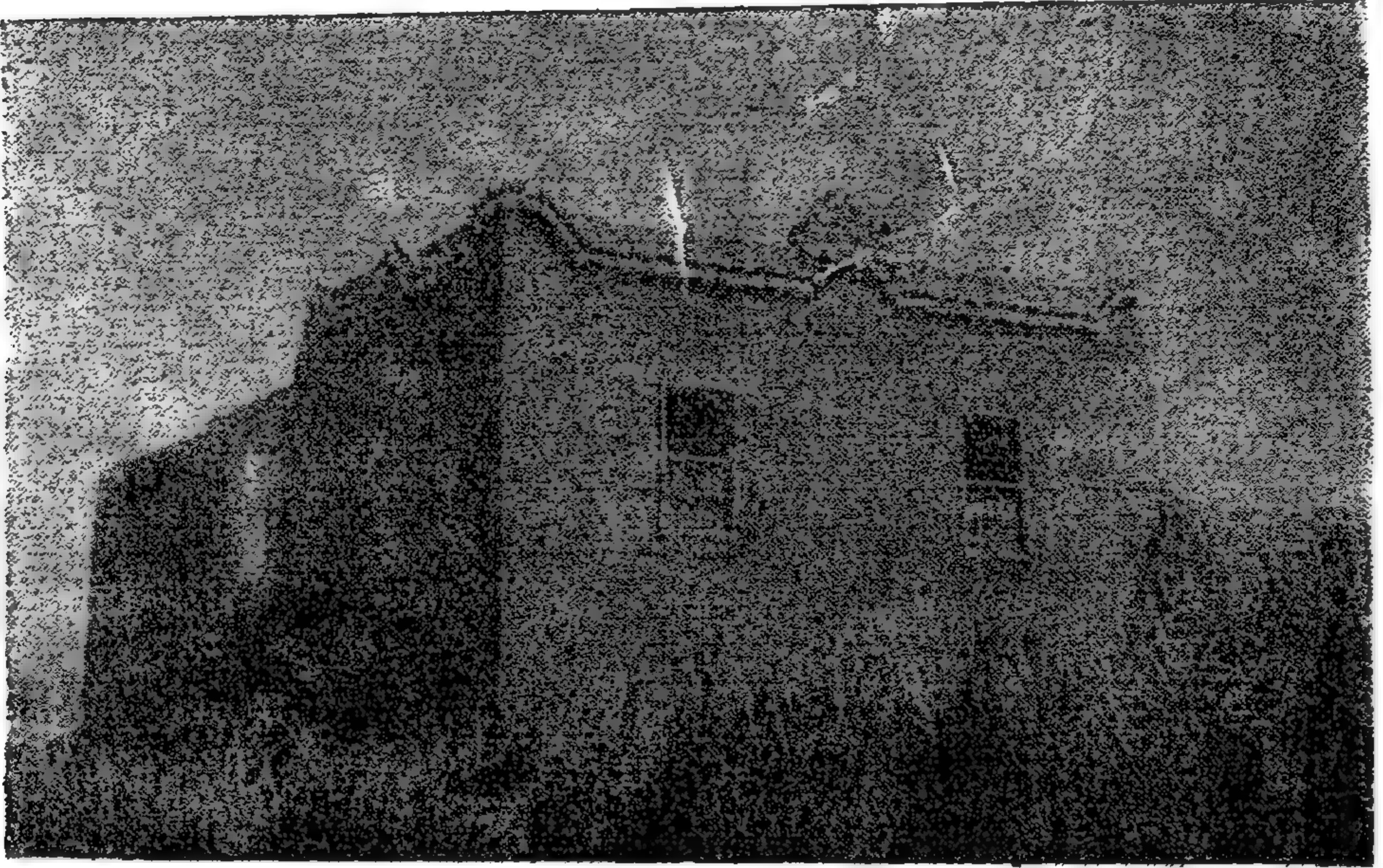
ويبلغ زمامها حوالى ألفى فدان .

تتميز قرية العشي بشكلها المستطيل ويتوسطها مبنى الوحدة المجمع وتقع أراضيها الزراعية على خط واحد تقريباً ، ومساكنها على خط آخر حيث توجد منازل القرية بين الأراضي الزراعية ونهر النيل .

أما عن تاريخها فلا يعرف أحد تاريخ انشائها بالضبط ولكن الأهالي ينسبون تسميتها إلى اسم الشيخ محمد العشي الذي يقال أنه من الصحابة الذين هاجروا إلى مصر ثم استقر في مكانها الحالي وتوفي بها ولدا سميت (بقرية العشي) ، ويعتقد الأهالي أن القرية لم تكن موجودة قبل قدوم الشيخ محمد العشي الذي يعتبرونه مؤسس أقدم البدنات بالقرية وإليه يرجع الفضل في انشاء القرية ككل .

ومعظم الأهالى سمر البشرة طوال القامة إلى حد ما ، عيونهم عسليه اللون وملاحظهم دقيقة التقاطيع يعتزون بانتسابهم للقبائل الوافدة من الجزيرة العربية . ويتحدث أهالى القرية العربية التى تغلب عليها اللهجة الصعيدية .

أما عن الجانب الحضارى للقرية (مسكن ، ملابس ، غذاء ، أدوات عمل وإنتاج) . فنجد أن معظم المساكن مبنى بالطوب اللبن ومسقوف بأعواد النخيل والجريد وخنوع الأشجار والبوص المجدول بالحبال والمغطى بطبقة من الطين ، ويلحق بها حظائر الماشية والحيوانات .



صورة خلفية لأحد منازل القرية (يلاحظ الاهتمام بالزخرفة)

ومنازل القرية متجاورة ومتلاصقة ، والشوارع ضيقة جداً وملتوية ولا يوجد أسماء للشوارع ولا أرقام للمنازل . ومع ذلك يسهل الاستدلال على أى شخص بمجرد السؤال عنه .

وتتجمع كل (بدنة) (١١) فى مربع سكنى ولا يبنى أفرادها بيوتاً خاصة بهم

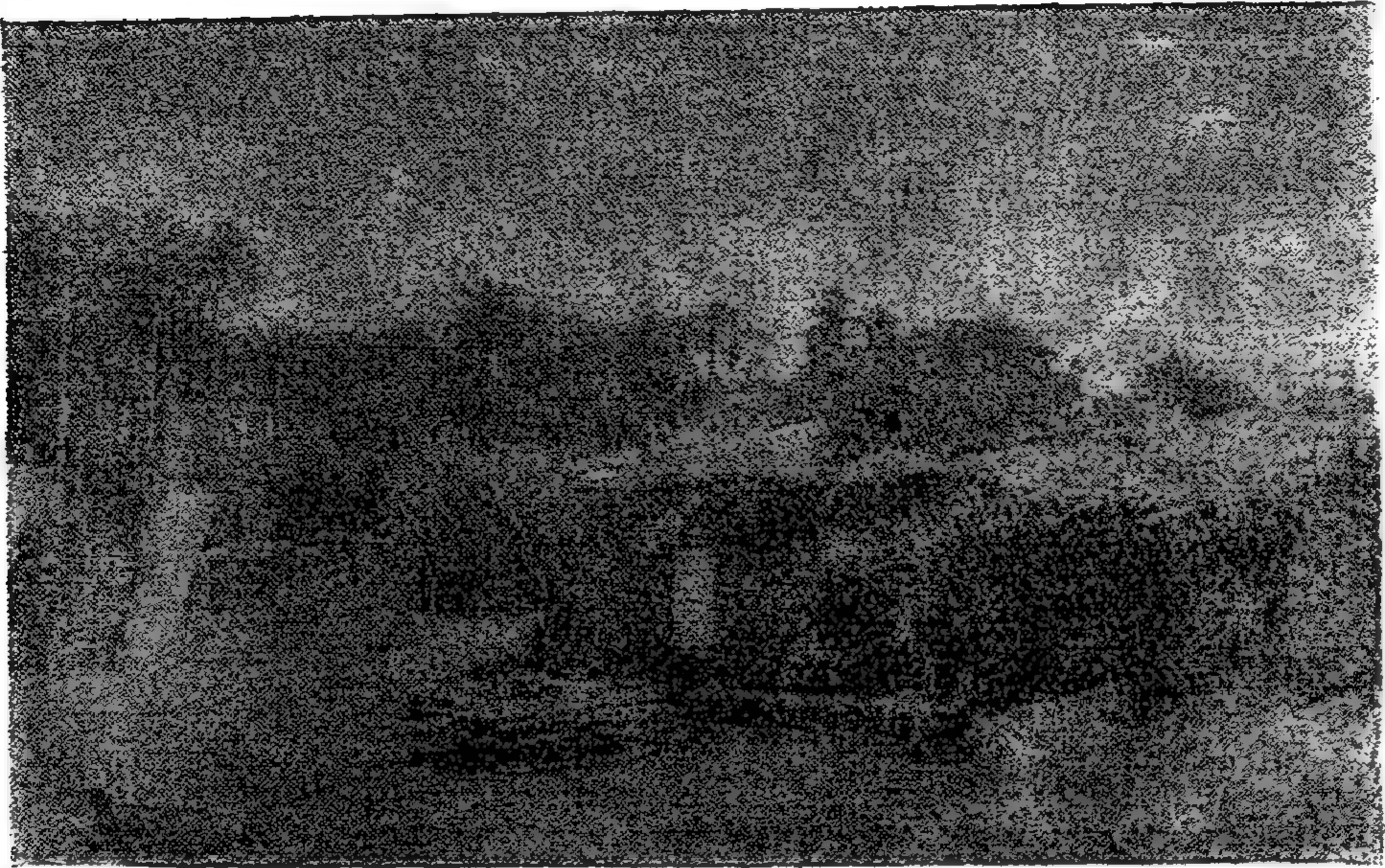
(١) البدنة : تمثل الجماعات القرابية بالقرية وفروعها هى العائلات التى تنقسم بدورها الى بيوت تتجاوز حسب درجة القرابة وقد يشمل البيت الواحد عدة أسر مكونة من أب وأم واولاد .

خارج هذا المربع إلا في حالة ضيق المساحة أو لصعوبة الحصول على قطعة أرض سواء بالميراث أو الشراء .

والشكل الشائع في بناء المنزل ينقسم إلى قسمين : -

الأول : خاص بالإعاشة وغالباً ما يكون الطابق العلوى .

الثانى : خاص باستقبال الضيوف والغرباء وغالباً ما يكون الطابق الأرضى .



ملحقات المنزل وأماكن مبيت الماشية

ويعتبر الطابق العلوى قسم خاص بالأسرة لا يدخله الغرباء مهما كانت الظروف وهو عبارة عن صالة واسعة نصف مسقوفة تحيطها الغرف من جميع الجهات ، إلا من جهة السلم الموصل إلى السطح الموجود به القرن وأدوات عمل الخبز وحجرات نوم جميعها فى الدور العلوى ، وغالباً ما تجهز بسرير ذو أربعة أعمدة وناموسية ، ودولاب وبراى تخصيص مكان للطهى وحفظ الأواني وكل ما يلزم الإعاشة بحيث لا توجد ضرورة تدعو النساء للنزول إلى الدور الأرضى ، اللهم إلا عند نظافته وجلب المياه فى غير أوقات الزيارة أو الضيافة ، والحجرات واسعة وجيدة الإضاءة والتهوية .

أما الطابق الأرضي فيتألف من (مندره) ، وهي حجرة واسعة نسيياً وتكون في مدخل الباب الخارجي الذي نادراً ما يغلق نهائياً وهي حجرة جيدة الإضاءة والتهوية . يوجد في معظمها شباك من الحجم الكبير ، كما يفرش بها الحصير والأكلمة ومزودة بالأرائك الخشبية المفروشة بالمساند والمراتب القطنية ويعتني بنظافتها والعمل على بقائها جاهزة ومعدة دائماً لاستقبال الضيوف ويوجد بعد المدخل والمندرة حوش داخلي فسيح به غرفة مخزن وأخرى لتربية الطيور ، كما يجهز الدور الأرضي (بملود) (١) .

ويوجد بالحوش الداخلي السلم الثابت المبنى من الطين أو الطوب الأحمر والأسمنت وله باب لحجب رؤية أهل الدار ، وتحت أنحساء السلم ، الذي يراعى في بنائه أن يكون على شكل زاوية قائمة ، يبنى المرحاض البلدي . وهو عبارة عن فتحة سفليه تؤدي إلى خزان يفرغ مرتين أو أكثر سنوياً ويزود بإناء صغير للاغتسال غالباً ما يكون إبريقاً من الفخار . ويراعى أن يكون المرحاض في الجهة القبيلة للمنزل حتى لا تفسد رائحة الخزان هواء المنزل .

وقد توجد طلمبة المياه في بعض البيوت . وأما البعض الآخر فيحصل على المياه من الصهاريج التي عملت بالقرية حديثاً .

ومعظم المنازل مرتفعة الأسقف ذات فتحات كبيرة كافية للتهوية والإضاءة . وأرضية المنازل بطاقيها إما من الطين المخلوط بالطين أو من الطوب الأحمر باستثناء الموسرين من الأهالي فتكون مكسوة بطبقة من الأسمنت أو البلاط ومفروشة بالحصير أو بالأكلمة . كما تطل معظم المنازل من الداخل بالجير وإن تيسر تطل من الخارج أيضاً وتضاء بالكهرباء خاصة بعد اتمام السد العالي واستكمال شبكة الكهرباء في ٣١-٧-١٩٧٣ م .

أما عن الملابس : (أ) فلابس النساء تتكون من برده أو خلالية أو جبة وهي عبارة عن سترة من القماش الأسود تلبسها السيدة فوق ملابسها وهي فضفاضة

(١) الملود : عبارة عن حوض مستطيل على امتداد الخائط يرتفع إلى حوالى ٧٥ سم بعرض ٥٠ سم تقريباً وبعمق ٣٠ سم ومبنى من الطين وأحياناً من الأسمنت لتأكل فيه الدواب .

واسعة بحيث تغطي الجسم كله من قمة الرأس حتى أطراف القلمين . والقنائع هي عبارة عن قطعة من القماش الأسود تلبس من أعلى الرأس وتندلى حتى تلبس الأرض ، وهي التي يلبس فوقها الجبة ، ويكونان معا الملابس الظاهرة التي يراها بها كل من يقابلها . وتلبس النساء أيضا ثوبا تحت البردة أو الجبة يحدد لونه حسب المناسبة التي يلبس من أجلها . ويلبس في القدم المداس أو الكندرة وأحيانا حذاء بدون كعب ورباط .

تلك هي ملابس الغالبية من النساء ولا تختلف ملابس زوجات أو بنات الموسرين عن غيرهن إلا في النوع والحمامات .

ويغطي النساء رؤوسهن بمجردة أو تربيعة وهي منديل غالبا ما يكون من الستان الأسود ويغطي بالطرحة .

كما يتحلين بلبس الحلى المصنوعة من الذهب والفضة وأحيانا من النحاس والعاج وتكون على شكل أساور أو خواتم أو عقود وغيرها ، كما يلبسن الخلخال من الفضة .

(ب) ملابس الرجال : تتكون من سروال أبيض اللون ينتهى تحت الركبة ويلبس فوقه قميص ذو أكمام واسعة وقصيرة وفوقه الصدرى ثم جلباب أبيض أو سمنى ذو أكمام واسعة تزيد في الإتساع كلما وصلت إلى أطراف اليد وكذلك الجلباب كلما اتجه إلى أسفل ، لكى يمكنه من السير . أما الرأس فتغطي بطاقيه من الصوف أو القطن بيضاء اللون ويلف عليها (عمامة) .

ويحرص كل فرد على أن يكون لديه جلبابا من الصوف أو الثيل أو الجبردين للمناسبات .

(ج) أما الأطفال فيلبسون جلباباً ذا طوق من قماش الزفير وسروالا وقيصا وطاقية من صوف الغنم أو القطن المزركش ، ولا يلبسون العمامة إلا إذا بلغوا سن الرشد .

ولا بد لكل رجل أن يحمل عصاه التي يطلق عليها اسم (الشومة) .

وعند الزواج يلبس العريس (لاسة) وهى عبارة عن قطعة من الحرير المحلى بنقوش إسلامية وتوضع على الكتف فوق الجلباب الصوف وقت الزفاف .

ويتحلى الرجال بنحواتم من الفضة والذهب .

أما المولى فيشتري لهم (الجهاز) وهو الكفن ، عبارة عن قماش أبيض اللون يحاك على شكل كيس مستطيل يغطى الجسد كله من الرأس إلى القدم ، ويعمل (للرجال) طاقية بيضاء ويلف رأسه بعمامة كما لو كان على قيد الحياة ويحضر الموسرون طربوشاً أحمر وعمامة بيضاء ليدفن بهما .

أما النساء فيشتري هن قماش أبيض يبطن بقماش أخضر اللون وتربط رأسها بطرحة خضراء لتدفن بها .

الغذاء :

تعتبر وجبة العشاء هى الوجبة الرئيسية ، حيث يقدم فيها اللحوم أو الطيور والحضر .

أما الإفطار فيتكون عادة من اللبن والجبن والعسل ونوع من الخبز يطلق عليه (العيش الشمسى) يلعب دوراً هاماً فى جميع المأكولات وهو سميك الحجم يخمر فى أشعة الشمس ، بعد أن يقطع قطعاً مستديرة الشكل على مقارص طينية ويوضع فى الفرن إلى أن يحمر لونه ، ويقومون فى العادة بعملية الخبز هذه كل أربعة أيام . كما يوجد نوع آخر يطلق عليه الرقاق ، ويستعمل فى عمل (الفتة) . ولديهم أيضاً المطبق أو الفطير المشلتت ويعرف من أنواع الخبز ما يسمى (الفايش أو الشريك) ويؤكل مع السوائل كاللبن أو الشاى .

ومن الأكلات المشهورة (العصيدة) التى تعمل من الدقيق واللبن والسكر . ولا يشتري أهالى القرية أى نوع من أنواع الخبز كما أنه لا يوجد بالقرية من يبيع الخبز أو مشتقاته السابقة .

أما عن أدوات عمل الخبز فهى : الماجور يستخدم لعجن الدقيق به والمقارص ويوضع الخبز عليها قبل أن يدخل الفرن ، المطرحة وتصنع من الخشب على شكل

قرص دائرى رقيق السمك له يد طولها متر تقريباً تستخدم فى إخراج وادخال الخبز من وإلى الفرن . ويعتبر الفرن من أبرز تلك المستلزمات وله شكل خاص حيث يبنى من الطين وله فتحتان جانبيتان . الأولى علوية والثانية سفلية جانبية . وقاعدة الفرن مستديرة الشكل مصنوعة من طمي النيل المخلوط بروت الحمير المحروق وهى التى يسوى عليها الخبز ويوقد تحته للغرض نفسه ، ووجود الفرن بالمنزل يعد أمراً لازماً للأسرة .

ومن أنواع الغذاء التى تقدم : العدس ، البامية ، الملوخية الأرز ، الفول ، ومشتقاته ، اللحوم والطيور وغالباً مايتناول الطعام على الطبلية ولا يستعمل الأهالى من أدوات الطعام غير المعلقة إذا مادعت طبيعة الطعام إليها .

ولا يختلف الطعام العادى اليومى عن ذلك الذى يعمل فى المناسبات كالعزائم والأفراح والمآتم .

أما عن آنية الطهى : فمازال يستخدم عدد كبير من الأهالى الآنية الفخارية كالبرام ، وهو عبارة عن وعاء من الفخار المحروق ، والطاجن والمقلاية التى تستخدم كالأطباق كما يوجد المغرفة الخشب وليس معنى ذلك أن أستخدم آنية نحاسية أو الومنيوم أو صينى أو صاج غير موجود ولكن ذلك هو الشائع . ومن الشائع أيضاً أن يطهى الأهالى طعامهم على الكانون . هذا وقد تفتنى بعض الأسر وابور جاز لنفس الغرض .

أما بالنسبة للأواني التى تستخدم للمياه فنها : الزير ، وهو الوسيلة المفضلة والمضمونة للشرب من ماء النيل بعد ترسيبها به ، رغم وجود المياه الصالحة للشرب بعد تنفيذ مشروع تنقية مياه الشرب سنة ١٩٥٦ م . كما تستخدم القلل .

ومن المشروبات الشائعة بالقرية الشاى ولايد من تقدمه للجميع .

الجانب الإقتصادى السائد بالقرية :

(أ) الزراعة :

تعتمد الزراعة أساساً على مياه النيل ويبلغ زمام القرية حوالى ألفى فدان مقسمة إلى ٢٤ حوضاً تمر بينها ترعة الكلاية وعلى جانبيها — بعد بناء السد العالى — ترعة الكرنك الشرقية والغربية وترعة ساحل العشى كما توجد ترعتا الصغيرة والروضة وترعة الأقصر ومضافا إليها مصرف على حدود زمام قرية خزام .

ولما كان رى الحياض هو السائد قبل خمس سنوات كانت أهم المحاصيل الزراعية هى العدس والحمص والقمح والشعير والذرة الرفيعة والذرة الصفراء (العويجة) . كما لم يكن هناك نظام للدورة الزراعية .

ولكن بعد أن تحول نظام الرى إلى رى دائم — بعد بناء السد العالى — وتوفر المياه طوال العام أصبحت تزرع الأرض ثلاثة مواسم :

(أ) شتوى ويزرع فيه القمح والعدس والحمص والحلبة والبرسيم والفول والباذنجان والخضروات .

(ب) صيفى ويزرع فيه الذرة الشامى والذرة العويجة والسسم واللوبيا .

(ج) نيلى ويزرع فيه الذرة النيل الذى يستخدم فى طعام الدواجن والمواشى .

وأصبح المحصول النقدى الرئيسى حالياً هو قصب السكر حيث تزرع ثلث الأرض الزراعية به .

ويفرق الأهالى بين نوعين من الأراضى الزراعية :

الأول : أرض صفراء، تلك التى يقولون عنها أنها تصلح لزراعة الحمص والعدس. وهذه لا تحتاج إلى أسمدة كثيرة .

الثانى : وهو الأرض السوداء التى يوجد فيها محصول قصب السكر الذى يحتاج إلى أسمدة أكثر من غيره . ويفضل الأهالى عادة النوع الأول على الثانى رغم حاجتهم إلى زراعة قصب السكر باعتباره المحصول النقدى الأول .

كما يزرع من أنواع الخضر النقدية أيضاً الباذنجان .

أما الملكية الزراعية فموزعة على كل الأهالي ولا يوجد أى شكل لتركيزها في أيدي قلة محدودة منهم .

هذا وتسمى الأرض الزراعية باسم البدنة وليس باسم الأفراد الحاليين .
فالأربعة والعشرون حوضاً المقسمة إليها أراضي القرية تحمل أسماء العائلات الكبيرة .

والملكية عموماً مفتتة وتتراوح بين خمسة قراريط وخمسة وثلاثون فدانا للعائلة وذلك بسبب الميراث .

أما أدوات العمل المستخدمة في الزراعة ، فما زالت الآلات التقليدية البدائية كالمحراث والنورج الزحافة والنأس ، هذه الآلات التي يحرص على اقتنائها المشتغلون بالزراعة تعتبر الرئيسية والمفضلة لديهم جميعاً ، كما تروى الأرض بالساقية وماكينات الري وكليهما يستخدم في رفع المياه من الترغ إلى الحقول .
هذا وتقدم الجمعية التعاونية الزراعية المبيدات الحشرية للقضاء على الآفات والفئران التي تهدد محصول القصب ، والأسمدة وكافة الخدمات الزراعية .

أما عن طريقة الزراعة الشائعة فتمر بمراحل متتالية فبعد تنظيف الأرض من المحاصيل تترك فترة معرضة للشمس ثم تروى وتترك لتجف حتى تستحراث (١) فتحراث ويبذر الحب بها بعد تسميدها بالسماد البلدي ، ثم تعرض للشمس مرة أخرى ثم تسوى بالزحافة وتقسم بعد ذلك إلى بيوت وخطوط ثم تروى ويتابع المحصول بالري والرعاية والتسميد حتى ينمو وينضج .

وبالنسبة لقصب السكر فيبدأ موسم في أواخر ديسمبر وينتهي في آخر إبريل ويتم تصديره إلى شركات صناعة السكر في كل من نجع حمادى وأرمنت وقوص ودشنا . وذلك عن طريق مندوبين لتلك الشركات بالجمعية التعاونية الزراعية .

(١) تستحراث أى تصبح درجة الرطوبة بها ملائمة للحراث لاهى بالحاقة جدا او بالينة فيصب حراثها .

أما عن العمالة فتعتبر الأيدي العاملة مناسبة إن لم تكن تزيد عن حاجة العمل الزراعى فى غير مواسم الحصاد ، حيث توجد هجرة من القرية إلى المدن وخاصة القاهرة والإسكندرية ، حيث تعمل تلك الأيدي مع مقاولى البناء (كفعله) أو كعمال تراحيل بالسكة الحديد أو كعمال مؤقتين فى مصانع السكر .

ورغم هذا فإنهم لا يقطعون صلتهم بالقرية ، فهم يشاركون فى المناسبات العامة كالأعياد والأحتفالات بالمولد النبوى ومولد الشيخ العشى ، إلى جانب تقديم المساعدات المالية لنويعهم وكانت تلك الهجرة واضحة وقت أن كان رى الحياض هو السائد ، لأن العمل الزراعى كان يستمر أربعة أشهر فقط فى العام . هذا ولا يفكر المهاجرون بهدف التعليم فى العودة إلى القرية رغم محافظتهم على الود والاتصال بالاهل وتتبع أخبار القرية . كما أن القرية تستقبل هجرات خارجية من القرى المجاورة فى مواسم الحصاد خاصة فى موسم كسر القصب ، كعمال تراحيل يقيمون عند رؤوس الأحواض ولا يقل عدد الرحيلة عن خمسين فرداً .

أما عن تربية الماشية :

فيحرص الأهالى على إقتناء الجمل الذى يقدم خدمات كثيرة فى الحمل والجر وكذلك يربون الأبقار للجر ، بينما يقتنى الجاموس بهدف الحصول على الألبان والنسل . كما يقتنون الدواب حيث تعتبر وسيلة من وسائل المواصلات بالنسبة للأهالى وخاصة الرجال وهناك أيضاً الماعز والأغنام .

(ب) الحرف والمهن الموجودة :

هناك أعداد من سكان القرية متخصصة فى مهن وحرف غير الزراعة التى يشتغل بها غالبية الأهالى ومن أهم هذه الحرف والمهن :

(أ) النجار : ومهنته متوارثة ويفرق الأهالى بين نوعين منها :

الأول : نجار دق وهو الذى يعمل الأبواب والشبابيك والأرائك .

الثانى : النجار العادى أو البلدى الذى يصنع الساقية والمحراث والنورج والفأس وغيرها من أدوات العمل الزراعى .

هذا ويتناول النجار أجرة إما نقداً وذلك يكون في الأغلب عند صناعة شيء جديد - ، وإما عينا عند صيانته .

٢ - السرايرى : هو الذى يقوم بعمل الأسرة من الجريد .

(ب) الترزى البلدى : وهو يزاول المهنة في المنزل مقابل أجر نقدي .

(ج) السقا : ومهنته وراثية ويضاف إلى عمله رش المنزل والشوارع المحيطة في المناسبات .

(د) السمكرى : ومهنته وراثية أيضاً وتعتبر مهنة حديثة العهد بالقرية ويحصل السمكرى على أجره نقداً نظير إصلاح وابور الجاز ، الكلوب ، وعمل الفوانيس ولبات الجاز وأعمال الصفيح .

(هـ) الفحار (الحانوقى) : ومهنته وراثية ، كذلك يقتصر عمل الفحار على حفر القبر - ثم دفن جثث الموتى . بينما يقوم أهل المتوفى بغسله وتجهيزه . ويحصل الفحار على أجره عينا ، كأن يأخذ عدس وحمص في موسم الحصاد ، كما يأخذ جلد ورأس الذبيحة التي تنحر في المآتم .

(و) الحلاق والداية : ومهنتهما تختص بها عائلات معينة ، والحلاق يخلق للرجال والأطفال مرة كل أسبوعين على مدار العام نظير أجر عيني من المحاصيل الزراعية ، أو نقداً إذا كان الشخص مغرباً ، كما أنه هو الذى يقوم بختان الأولاد وتزيين الشباب عند الزواج وله دوراً في علاج بعض الجروح والأسنان .

أما الداية فتختص بشئون النساء من حيث الإشراف على الولادة ، ومتابعة السيدة الوالدة ومولودها ، كما أنها هي التي تقوم بختان الفتيات وتقوم بعملية إعداد العروس ليلة زفافها وابداء النصائح لها .

(ز) الدلال : وهو دلال المساحة الذى يقوم بعملية قياس الأراضي الزراعية وتحديد الملكية ، ويستخدم في ذلك (القصبة) ويستعان به في فض المنازعات الخاصة بالأراضي الزراعية ويؤخذ برأيه كحجة قانونية وهو يستخرج خريطة رسمية من المساحة لتساعده في أعماله ، وهو شخص متطوع لهذه العملية بدون أجر .

(ح) المداحون : وهم الذين ينشدون المواويل ويستخدمون في عملهم الآلات الموسيقية كالرق والشخايل والمزمار والربابة .

(ط) مهنة صناعة الجريد وزعف النخيل : حيث تعمل الأقفاص والمقاطف والقفف والأسرة .

(ى) مهنة صناعة الطوب : وهى عمل قوالب الطوب واعدادها .

(ك) البناء : وهو المختص بأعمال البناء .

(ل) مهنة صيد السمك : وهى مهنة وراثية ولكنها فى طريقها إلى الانقراض لقلة كمية الأسماك بعد السد العالى . ويتحول العاملون بها إلى عمل المعدية حيث ينقلون أهالى القرية فى قوارب النيل .

(م) القزاز : وهى مهنة وراثية يقوم فيها القزاز بنسج أكياس مصنوعة من صوف الغنم كما يقوم بعمل الشيلان ، ويأخذ أجره على كل رطل ينسجه وهو يستعمل النول ولكنها مهنة فى طريقها إلى الزوال نظراً لأن الإنتاج فردى ولا يكفى لسد حاجة الأهالى .

(ج) تقسيم العمل وتوزيعه :

لا تشارك النساء فى أية أعمال خارج المنازل ولكن يقمن بتربية ورعاية الأطفال والقيام بأعمال نظافة المنزل وطهى الطعام وعمل الخبز وحلب الماشية وتربية الدواجن ، كما يقمن بغزل وبر الجمال وصوف الأغنام الذى يأخذه القزاز لى يصنع منه أكياس تسمى بالتلاليس ويعبأ فيها المحصول كما يصنع منه الشيلان التى يغطى بها المحصول كما يقمن بصنع المراوح والهوايات من جريد النخيل المكسو بخيوط وقماش مزركش والتى لا يخلو منزل منها كما يختص بعضهم بعمل الأفران من الطين . روث الحمير والجمال .

أما الرجال فيعملون بصفة رئيسية فى الزراعة أو التجارة كالبقالة أو تجارة الخضروات والمحاصيل كالعدس والفول والبصل ، والمهن السابقة كالنجار والحلاق والبناء والقزاز . . . الخ .

أما الأولاد الذين يقل سنهم عن السادسة فلا عمل لهم إلا اللعب واللهو .

أما بعد هذه السن وفي أوقات فراغهم من الدراسة قد يساعدون آباءهم في جنى المحاصيل وزراعتها . أما كبار السن فينحصر عملهم في فض المنازعات والتشاور فيما بهم القرية وتسيير دفة الأمور بها ، وبعض الأعمال الخفيفة في الحقول كالحراسة أو الإشراف على عمل ما واسداء النصائح للصغار .

(د) تنظيم الإنتاج والتبادل :

تعتبر المحاصيل الزراعية سمة مميزة للقرية حيث لا يوجد أى منتجات غيرها . ويتداول الأهالى فيما بينهم المحاصيل التى يحتاجها كل منهم كما يتمتعون بخدمات المهن السابقة نظير تلك المحاصيل ؛ هذا وتتجر النساء فى الصوف والبيض والدواجن والجن والزبدة .

الجانب السياسى :

يلغ تعداد العشى حوالى ثمانية آلاف نسمة ويتكون مجتمعها من بدئات وعائلات غالبيتهم من المسلمين .

والقرية فى عمومها تتكون من عدة نجوع (١) تحمل اسم البدنة التى تعيش فيه فيوجد : نجع الناصرية فى الجنوب الغربى ، نجع أحمد عوض ويوجد بين نجع الناصرية ونجع عبد القادر ، يوجد فى الجزء الغربى ، ونجع يوسف فى شمال القرية ، ونجع الدار وهو عبارة عن خمسة بيوت فى الحد الفاصل بين قريتى الصعايدة والعشى .

وتمثل البدنة الجماعات القرابية فتقسم البدنة إلى عائلات تنقسم بالتالى إلى بيوت مكونة من أسر تتركب من أب وأم وأولاد .

وأبرز البدئات الموجودة حالياً هى :

١ — بدنة القواسم .

٢ — بدنة العويضات .

(١) النجوع جمع نجع وهو جزء من القرية يمكن تسميته (بالناحية) وتتميز نجوع العشى بأن كل منها تتركز فيه عائلة .

- ٣ - بدنة عجاج .
- ٤ - بدنة عبد الهادي .
- ٥ - بدنة حمص (الحمامة) .
- ٦ - بدنة الحساب .
- ٧ - بدنة العرائط .
- ٨ - بدنة الخطبة (مصدرها خطيب وهو مقرئ قرآن) .
- ٩ - بدنة الناصرية .



منظر لنجع من نجوع القرية - ويظهر فيها محصول القمح بعد عملية الدراس

وأقدم تلك البدنات : القواسم والعويضات وعجاج (١)
وكل بدنة تقيم ديوانا (٢) عاما أو أكثر حسب حجمها ، وتقام فيه شعائر المواسم

(١) بنى هذا الاستخلاص على آراء كبار السن بالقرية من مختلف النجوع والنواحي .
(٢) الديوان عبارة عن مبنى من دور واحد واسع نسبيا له مدخل واسع ومزود بعدد كاف من الشبايك والمصاطب والأرائك ويسقف بافلاق النخيل عادة أو الخشب إن تيسر ويبيض بالجير وبه حجرات جانبية ويعتني بنظافته افراد البدنه الذين يساهمون معا في إقامته وتجهيزه .

والأعياد والأفراح والعزاء وقد يترتب على عدم وجوده ، تفكك البدنة وتشتت كلمتها ولذا يفضل أن يتوسط الديوان بيوت البدنة .

وبجانب تلك الدواوين الخاصة بالبدنات والعائلات يوجد ديوان عام للقرية يجاور ضريح الشيخ العشى ساهمت في إقامته وتجهيزه كل البدنات وتناقش فيه الأمور المتعلقة بالقرية ككل كذلك تحديد موعد الاحتفال بالمولد النبوي ومولد الشيخ العشى والإجراءات اللازمة لهاتين المناسبتين .

كما يعد الاعتقاد في أثر الأولياء والمشايخ عاملاً آخر يساهم في تماسك وضبط السلوك الفردي داخل مجتمع القرية ، حيث توزع المسؤوليات والتكاليف وتحديد دور كل بدنة خلال أيام الاحتفال بالمولد التي يتخللها إقامة الولائم وتقديم الأضحيات فمشاركة كل البدنات ، بل والقرى المجاورة في تلك المناسبة وتناول الأطعمة معاً يقوى الشعور بالتلاحم ويذيب الكراهية والخلافات ، كما أن تلك المناسبة تخفف من القيود التي تفرض على تحركات النساء أغلب أيام السنة حيث يسمح لهن بالزيارة ومشاهدة المولد في غير أوقات الزحام أو من فوق أسطح المنازل والنوافذ .

هذا ويلاحظ أن كبار السن لهم الكلمة والرأى .

بالنسبة للسلطة :

أولاً : الشكل التقليدي القديم ويتمثل في جوار البدنات وتماسك كل منها فيما بينها في مواجهة الأخرى ووجود الدواوين كشكل مادي ملموس يمارس فيه الحوار لحفظ ذلك التوازن وحقوق الجوار بالإضافة إلى إعتقادهم في أسرار وكرامات المشايخ والأولياء وخاصة الشيخ العشى الذي يلجأون إلى معاونته وقت الأزمات والكوارث . والسلطة التقليدية في شكلها الرسمي تتمثل في :

شخص العمدة والمشايخ أو بشكل غير رسمي كبار السن ورؤساء البدنات وتقدير عامل القرابة .

فالعمدة كان يمثل أعلى سلطة في القرية يعاونه مشايخ البلد أو النواحي والحفراء ومشايخهم ، وكان مسئولاً عن حفظ الأمن والنظام ، إما بالطريق الودى أو الرسمي كما يقوم بفض المنازعات والخلافات الشخصية أو العائلية بين سكان وبدنات القرية .

وكان شيخ القرية أو شيخ الحصة أو الناحية يستمد مكانته من العمدة ويعتبر ممثلاً لحصته فيتحدث بالنيابة عنهم أمام السلطات الرسمية ويبحث المشاكل التي يحولها إليه العمدة ويجرى المعاينات والتحقيقات المبدئية ويعتبر مسئولاً عن المحاضر والاختبارات الرسمية وعن التبليغ فور حدوث ما يعكر صفو الأمن .

وقد عزز العمدة ومشايخه بعدد من الخفراء وهم ينفذون أوامر العمدة بقوة السلاح وذلك لمن يعصى التعليمات وليس للخفراء حق الاعتراض أو مجرد ابداء الرأي فيما يقومون بتنفيذه من أوامر .

ورغم كل ما للعمدة ومشايخه من سلطة فإن السلطة غير الرسمية والتقليدية الممثلة في كبار السن ورؤساء البدنات لها دور كبير في تفسير دقة الأمور بالقرية وفض المنازعات وديا دون علم السلطة الرسمية في كثير من الأحيان كما أن الأفراد يقبلون حكمها عن طيب خاطر .

ثانياً : أخذ شكل السلطة حديثاً بعد ١٩٦٠ م في إنشاء وحدات محلية صغيرة بالقرية يدير شئونها مجلس قروي له رئيس وكذا وحدة أساسية للاتحاد الاشتراكي العربي . فضلاً عن إنشاء الجمعية التعاونية الزراعية بالإضافة إلى الإبقاء على وظيفة العمدة .

ولكن سلطة العمدة قد انكمشت بعد التنظيمات الجديدة وتوزيع السلطة على الهيئات السابق سردها عما كان عليه من قبل رغم عدم المساس بأجهزته التقليدية كوجود مشايخ البلد وشيخ الخفراء والتليفون ، وأصبح العمدة حالياً مسئولاً في المقام الأول عن الأمن واستتبابه ومنع الجرائم وفض المنازعات بالطريق الودي أو الرسمي . كما فقد جانباً هاماً من مكانته الاجتماعية وأصبح يعتبر وسيلة من وسائل تنفيذ رغبات مجلس القرية أو الاتحاد الاشتراكي .

ولكن الشكل الحديث فتح الفرصة أمام كل البدنات للمشاركة في السلطة الرسمية بدلاً من تركها في فرد أو عائلة أو بدنة واحدة :

ورغم هذا كله فإن أهل قرية العشي لا يعاؤون إلا بالشكل الفعلي غير المباشر للسلطة قديمها وحديثها ، والذي تلعب فيه القرابة دوراً رئيسياً ويمتد أثر القرابة في المحافظة على الأمن حيث تحرص كل بدنة على احترام حقوق الآخرين واحترام الجوار ، وبهذا تكونت شخصية البدنة وحفظ لكبار السن كيانهم واحترامهم في حسم الأمور وتربية الصغار وتوجيه الشباب وبذلك يوجد الضبط الاجتماعي الرسمي ممثلاً في العمدة والمشايخ وكذلك الضبط غير الرسمي ممثلاً في رؤساء البدنات وكبار السن ويعمل كلاهما على حفظ وتوكيد النظام في المجتمع .

يضاف إلى ذلك تأثير الأولياء ودلال المساحة في فض المنازعات . .

فإذا كان الخلاف أو النزاع بين فردين أو بيتين في عائلة واحدة فيكفي أن يتدخل لتصفيته كبار السن في البدنة وإن تعذر فلا يلجأون إلى الجهات الرسمية ولكن يستدعي رؤساء البدنات القريبة منها وإذا كان الخلاف بين البدنات وبعضها فتدخل بدنات أخرى ممن تربطهم بها أواصر القرابة والمصاهرة لفض النزاع ، وإن كان الأمر مستعصياً فتتدب بدنات من القرى المجاورة وفي حالة اليأس يترك الأمر للثأر لفضه ولا يفكر أحد على أي مستوى في اللجوء إلى السلطات الرسمية .

والدليل على ذلك - كما يقول الأهالي - أن كل جرائم القتل التي تصل إلى السلطات الرسمية والتي يتم الحكم فيها بالبراءة يكون أهل القتل موقنين بتلك البراءة لا يهتمون أحداً رغم معرفتهم بالشخص القاتل الذي يترك أمره للعرف السائد في الأخذ بالثأر وأكثر من ذلك فإن حكم عليه بالسجن فإن أهل القتل ينتظرونه حتى يخرج ليأخذوا بالثأر منه .

ويفضل الأهالي مجالس الصلح العرفية ويقبلون أحكامها عن طيب خاطر .

ويمر مجلس الصلح العرفي بالمراحل التالية في حالة النزاع بين البدنات :

أولاً : يجتمع كبار السن في البدنات بالقرية في دواوينهم مساءً لبحث المشكلة وتحديد حجمها وحصر المتطلبات .

ثانياً : يستدعي العمدة ومشايخ الحمص لتقدير الموقف وإبداء الرأي وحصر النزاع ، وقد تستغرق تلك الاجتماعات شهراً متصلاً .

ثالثاً : بعد تحديد المشكلة والاتفاق على الخطوط العريضة كلها لحلها يعرض الأمر على الأطراف المتنازعة .

وفي حالة قبول العرض يأتي دور أفراد هذا الصلح والذي يشهده معظم بدنات القرية في ديوان عام القرية وبعد إقراره وقراءة الفاتحة تقوم البدنة المستضيفة بنحر الذبائح ويشترك الجميع في تناول الطعام كدليل على الصفاء وتوديع الضغائن .

هذا وليس للمرأة في العشى أى دور وسط هذا الشكل السياسى بالقرية ، فإزال الرجل ينظر إليها على أنها قطعة من الأثاث يحرم عليها الخروج من المنزل بعد سن العاشرة إلا في حالات الضرورة القصوى وبمصاحبة أحد أقاربها من الرجال ، كما أنه ليس لها حق في اختيار شريك حياتها أو مجرد إبداء الرأى فيه .

وهكذا تعيش قرية العش بتقاليدها العتيقة رغم ماتتعرض له من تيارات التغير الحديثة كدخول الكهرباء والمياه الصالحة للشرب وزيادة الإقبال على التعليم ووجود الجمعية التعاونية الزراعية والسلطة الرسمية إذ أن تلك التيارات ينبغي أن تقف طويلاً أمام تلك التقاليد لتستعين بها بوصفها مواطن للسلطة الفعلية غير المباشرة والممثلة في كبار السن ورؤساء البدنات واستغلال تأثير المشايخ والأولياء وعامل القرابة في أداء مهامها .

الجانب الإجتماعى :

القرابة والمصاهرة :

إن القرابة لا تؤثر على الجانب السياسى كما ذكرنا فحسب ولكن يمتد أثرها أيضاً إلى الجانب الاجتماعى ، فالعلاقات الإجتماعية بين الأفراد والأسر والبدنات يحكمها عامل القرابة حيث يطبق مبدأ « أنا وأخويا على ابن عمى ، وأنا وابن عمى على الغريب » وكذا نجد أن احترام الصغير للكبير أمراً ضرورياً والتزام الكبير برعاية الصغير وإرشاده أمراً حتمياً ، كما أن القرابة تفرض على الفرد حقوقاً وواجبات تجاه من يرتبط معه بصله القرابة طبقاً للمبدأ السابق ، ففي فض المنازعات التى تحدث بين أسرتين يتدخل كبار السن فى العائلتين وان كان بين عائلتين يتدخل كبار السن فى البدنة وان كان بين البدنة وغيرها يتدخل فى فض النزاع البدنات التى

نمت لكل منها بصلة القرابة ، هذا وينعكس أثر القرابة في بناء المنازل حيث يفضل كل فرد أن يكون بجوار عائلته وبدنته وذلك حتى يكون التعاون سهلاً ويسيراً بينه وبين أقاربه خاصة وأن أراضيهم الزراعية متجاورة .

كما أن للقرابة أثراً اجتماعياً ظاهراً حيث يفضل الزواج من داخل البدنة والدليل على ذلك أن القرية تعرف الزواج بطريقة التسمية – التي يتم فيها تزويج فلان بفلانة منذ التسمية بعد الولادة – ولا تتم تلك الطريقة إلا بين الأقارب ، كأن يسمى ابن العم لابنة عمه أو ابنة خاله وهكذا . . .

مركز المرأة والرجل :

المرأة ليس لها أى دور سياسى كما سبق أن ذكرنا كما أنها ليس لها حق إبداء رأى فيما يفرضه ويراه الرجل ، فالسيادة والكلمة والرأى ، للرجل دونها .

ويظهر هذا واضحاً منذ الولادة حيث لا يحتفل بولادة البنت أو بناتها كما أنها تحجز بالمنزل من سن العاشرة وتراقب تصرفاتها مراقبة شديدة بعد ذلك حتى تزوج .

كذلك بعد الوفاة لا يعمل لها مأتم إلا إذا كانت أمّاً لأولاد كبار السن ولا يستمر أكثر من سبعة أيام – ان عمل – بينما الرجل مهما كان عمره فيعمل له المأتم الذى قد يستمر خمسة عشر يوماً ، ولا تدفن المرأة في مقابر زوجها إلا في حالة ما إذا كانت أما لأولاده الكبار وفيما غير ذلك فتدفن في مقابر والدها .

وعلى حد قول بعض الأهالى (لولا الدين للاقى المرأة معاملة نظيراتها قبل الإسلام) .

ورغم ذلك فإن لوجود المرأة أثر في حياة القرية ومظهرها الحضارى فلا يبنى الدور العلوى من المنزل إلا من أجل (الحريم) كما أنها هى الوسيلة التى توثق البدنات والعائلات والأسر بعضها ببعض بالزواج والمصاهرة هذا بالإضافة إلى أثرها الفعال في تنشئة الأطفال والقيام بالواجبات المنزلية .

دورة حياة الفرد من « الميلاد حتى الوفاة » .

تقوم الداية بأجراء عملية الولادة ومن عاداتهم إعطاء الوالدة بعضاً من السكر والبيض المقل بالزيت والثوم لتسهيل الولادة ، والشائع عندهم أيضاً أن لا تلد السيدة وهي مستلقية على ظهرها ولكنها تجلس على « ماجورين » ويسندها أهلها وأقرباؤها من النساء اللاتي مررن بنفس التجربة . وبعد ماتم الولادة تربط الداية المشيمة « الخلاص » بخيط ثم تقطعه بسكين ساخن لتكوى العروق وتدفن المشيمة بجوار حائط الحجرة أو ترمى في النيل ، وأحياناً تحفر لها حفرة كبيرة تحت الماجور الذي تمت عليه الولادة وتدفن فيها . وتسمى هذه الحفرة « البورة » وهناك اعتقاد برش البسلة (١).

هذا وتتناول الوالدة الطافية (٢) لمدة ثلاثة أيام ، ثم تتناول وجبات مطهورة من الخضر والطيور .

ويراعى عدم غسل ملابس المولود بل وضعها في وعاء به ماء وترك منقوعه به حتى الصباح بجوار رأسه وفي الصباح تغسل ولا يرمى ماء الغسيل إلا بجوار حائط حتى لا يتخطاها أحد خوفاً على المولود من الموت وتستحم الأم هي والمولود في اليوم السابع .

ويعمل في اليوم السابع « السبوع » وهو الاحتفال بمرور سبعة أيام على ولادته حيث يوضع في غربال ومعه فول سوداني وحلويات وملح ، وفي هذا اليوم يتجمع الأهل والجيران والأحباب وتأقي الداية وتقوم بفتح عيني المولود في ضوء الشمس « حتى لا يخشى النظر إليها عندما يكبر » ثم تدق له الهاون ثم تقول له بصوت عال « اسمع كلام أمك وكلام أبوك وكلام عمك وخالك ، وتكون حنين علينا وسؤالك يكون حلو ، وأن قالوا لك مشرق يبق مشرق أو مغرب يبق مغرب » .

ثم يقوم الأهل والحاضرون بتقديم النقوط وتناول الحلوى وشرب الطافية . وفي العادة تذهب الزوجة في حالة الولادة الأولى إلى منزل أهلها لتضع مولودها

(١) البسلة : عبارة عن تركيبة من سبعة أشياء هي : كون أسود وشعير وحناء وفول وعدس وملح وقطعة خبز . وترش فوق الحفرة التي تحفر لدفن المشيمة أو الخلاص ويظن ان البسلة حصنا ضد المشاهرة .
(٢) الطافية : هي مشروب الحلبة مضافا إليها سنن وسكر .

الأول بين أهلها وتحت رعايتهم وعلى الزوج أن يرسل إليها كل ما تحتاجه من نقود وطعام .

ومن العادات التي تتبع في الولادة أيضاً أن يوضع تحت فراش الوالدة سكين ومراة ومكحلة ولقمة عيش ، ظناً أن ذلك يمنع الأصابة بالمشاهرة^(١) وفي اليوم الثالث للولادة تقوم الأم برش قليلاً من لبن ثديها على وجه المولود وتمسحه به ، ويرضع لمدة عام ونصف أو عامين كاملين ثم يفطم ليأكل مما تأكله الأسرة . وتجري عملية الختان للبنين والبنات ، حيث يتم الختان بالنسبة للبنت من سن ٤ - ٦ والولد من ٦ إلى ١٠ سنوات ، ويتم ختان البنت سراً وتقوم به الداية ، بينما يجري الحلاق عملية الختان للولد ويكون في احتفال كبير يشبه الاحتفال بالزواج ويدعى إليه الأهل والأقارب والأصدقاء ويكسى الولد بقميص أبيض مزر كش . ويقام الاحتفال بعد صلاة الظهر حيث يزف الولد بالمزمار البلدي والربابة أو الأرغول وتطلق الأعيمة النارية ويقام الذكر ويتلى القرآن ويكون ذلك قبل إجراء الختان وفي اليوم التالي يقوم الحلاق بعملية الختان حيث يجلس الطفل على ماجور ويلبس سوار فضه على صدره ظناً منهم أن الفضة تبعد عنه الإنزعاج والعين الشريرة والحسد .

وبعد أن يشفى الولد من الختان يدخل مرحلة الفتيان حيث يذهب إلى كتاب القرية ليحفظ القرآن وفي تلك الفترة يتعلم الطاعة ويتعود على تلقى النصيح والأرشاد من خارج أسرته ويذهب البنين والبنات إلى الكتاب إلا أن البنت تحجب بالمنزل بعد سن التاسعة أو العاشرة لمساعدة والدتها في أعمال المنزل وجلب المياه ، كما تتعلم الطهي وعمل الخبز وشئون المنزل حتى تزوج ، أما الولد فيستمر في تلقى العلم والدرس في المدرسة الابتدائية ثم الإعدادية ثم الثانوية .

(١) المشاهرة : تعرف بأنها رد الفعل العكسي الذي يحدث للسيدة الحديثة الولادة عندما يدخل عليها أى شخص يكون حالها راسه أو معه باذنجان أولحم أو آت لتوه من السوق أو تخطى قضبان السكة الحديد أثناء مجيئة والمشاهرة تتمثل في عدم الانجاب بعد ذلك أو جفاف اللبن من ثديها أو إصابة طفلها بالضعف والهزال المضطرد حتى يموت أو تصاب هي بالضعف وعدم القدرة على القيام بالاعباء المنزلية .

ويقضى البنين والبنات أوقات فراغهم فى اللعب واللهو والاستمتاع بفترة الصبا وخاصة بعد أن أضيئت القرية بالكهرباء .

وتأتى بعد ذلك مرحلة الزواج ، حيث يتزوج الفتى من سن ١٦ - ٢٠ والبنت من سن ١١ إلى ١٦ سنة .

وعندما مايفكر الشاب فى الزواج فانه يراىض عند مورد المياه والصهاريج فى انتظار فتيات القرية وهن يملأن جرارهن وعندما تعجبه إحداهن يخبر والده برغبته فى الزواج منها ، فيذهب والده إلى والد الفتاة ويطلبها منه . وفى أحيان أخرى يتم الزواج بعد الخطوبة عن طريق التسمية .

وبعد موافقة الطرفين على إتمام الزواج ، يشتري العريس ثوب وفول سودانى ويرسلها مع والدته لأهل العروس ثم يتفق على تحديد ميعاد لقراءة الفاتحة . ويحضر العريس لهذه المناسبة قمح وسكر وشاى وأقشة وحلوى وهذا يسمى « النيشان » ويقوم أهل العروس بتقديم العشاء بعد قراءة الفاتحة ويזור أهل العروس منزل العريس بعد الخطوبة بثلاثة أيام ومعهم ذبيحة كاملة النضج لىأكل العريس وأحبائه من طهى العروسة ثم يتفق على المهر .

هذا ويזור العريس أهل عروسه ومعها الهدايا ولكنه لا يرى عروسه ولا يجلس معها .

وعلى أهل العروس شراء الأثاث الذى يتكون عادة من سرير وصندوق لحفظ الملابس ووسادة ولحاف وبعض الأواني النحاسية .

وتقوم العروس بتجهيز ملابس الفرحة التى تكون من الحرير والستان . . .

وقبل الفرحة بيوم تقوم العروس بزيارة ضريح الشيخ العشى ليلا مع أقاربها وتأخذ معها خبز وكعك وتعطى خادم المسجد بعض النقود كما يعطيها خادم المسجد أو النقيب قليلا من الرمل وشريط من كسرة الضريح تبركا وحرزا لها ضد المجهول . وتلبس العروس يوم الفرحة فستانا أبيض اللون وتحتة قميص زاه ، كما تلبس

طرحه بيضاء وتاج . وأما الحللى فهي عبارة عن عقد وحلق من الذهب وأساور
وخلخال من الفضة .

ويرسل أهل العروس يوم الزفاف الحبز والفايش^(١) إلى منزل العريس وفى منزل
العريس يحضر الحلاق لتزيينه ثم يركب بعد ذلك حصاناً مزينا وتركب العروس
خلفه ويسير موكب العرس من جهة اليمين حول القرية . حتى يصل إلى منزل الزوج
ويقوم أهلها بانزالها وإدخالها إلى المنزل ، ولكن قبل دخولها تعطىها أم العريس إناء
مملوءاً بالماء حيث تأخذ منه بعض الماء وتفاجئ العريس ببخ المياه عليه ، كما يكون
هو أيضاً مستعداً لبخها .

وفى صباح اليوم التالى يحضر أهلها الهدايا ويقدمان النقوط ثم يتناولون الغذاء
ويستمر إرسال العشاء للعروسين من جانب أهل العروس لمدة سبعة أو عشرة أيام .
وبعد الزواج يدخل الشاب مرحلة الرجولة حيث يسعى لكسب قوته وقوت
أولاده ، ثم يصبح أباً فجداً وهكذا تلور الحياة .

الوفاة :

عندما يتوفى شخص فى القرية يعلن ذلك فى القرى المجاورة وذلك بإرسال
أخباريين إليها ، كما يذهب الحفارون إلى المقبرة لتجهيزها ، بينما يقوم أهل الميت
بغسل الجثة وتكفينها والصلاة عليها ، ثم تحمل فى الحسانية « النعش » إلى المقابر
ولما كانت المقابر فى طريق الشيخ الأقربى : فعند الاقتراب منه يقف ركب المشيعين
لقراءة الفاتحة والدعاء للميت ، ويطلب من كبار السن والعجزة غير القادرين
على مواصلة الطريق حتى المقابر ، العودة ويشكر لهم سعيهم .

وإذا كان الفقيد شاباً أو زوجاً ، فقد تحلق الزوجة أو الأم شعرها وتلبس
ملابس الحداد السوداء ربما بقية حياتها على فقيدتها ، ولكن النساء لا يذهبن إلى
المقابر مع الرجال . ثم يعود الرجال بعد ذلك ليجلسوا فى ديوان البدنة لاستقبال
المعزين .

(١) الفايش نوع من الكحك .

ويستمر العزاء في الديوان لمدة خمسة أيام وأحياناً لمدة خمسة عشرة يوماً ،
وفي هذه الفترة يقدم الأقارب وأهل النجع الطعام لمنزل المتوفى .

وفي اليوم الخامس تعمل الصدقة التي توزع على الفقراء والقراء الذين يتجمعون
عند قبر المتوفى لقراءة القرآن على روحه ثم يذبح خروف إذا كان الفقيد رجلاً ،
ونعجة إذا كانت امرأة ويوزع على الفقراء والسائلين ، ويذهب الفقهاء والحاضرون
لإحضار ملابس المتوفى وما كان خاصاً به ويتلى القرآن الكريم لصرف روحه ،
ويأخذ الحفار « الحانوتى » جلد وأمعاء الذبيحة ويدفن الرجل في مقابر أهله من
أبيه ، بينما المرأة في مقابر أهلها من أبيها إلا إذا كانت أما لأولاد كبار فتدفن في
مقابر زوجها .

وبعد الوفاة لا يجوز للأرملة أن تزوج وإذا حدث اعتبر هذا أمراً مشيناً
بالعرض وخرقاً للعادة : بينما يسمح للرجل أن يتزوج بعد وفاة زوجته .

الجانب التعليمى :

ينقسم إلى التعليم غير الرسمى والتعليم الرسمى . والتعليم غير الرسمى يرتبط
بالكتاب ، حيث يوجد في العشى ثلاثة كتائب لتحفيظ القرآن وهي تعمل فترتين ،
صباحية ومساءية . وينتظم الطفل في الكتاب منذ أن يقوى على السير والنطق وتكون
لديه القدرة على التحدث والفهم . ويقوم بتحفيظهم القرآن ومبادئ الدين معلم
يسمى « سيدنا » (٢) ويتعلم الطفل إلى جانب ذلك القراءة والكتابة ويستخدم في
ذلك لوحاً من الصفيح وقلماً من البوص والحبر الأسود ويظل الطفل في الكتاب
حتى يبلغ سن السادسة فيلزم بالانتظام بالتعليم الابتدائى الرسمى .

ومن مظاهر التعليم الرسمى بالقرية وجود مدرستين ابتدائيتين مدرسة الوحدة
المجتمعة والمدرسة الأزهرية والالتحاق بأيهما الزامياً عند بلوغ الطفل سن السادسة ، وقد
أنشئت مدرسة الوحدة عام ١٩٢٦ م .

(١) سيدنا : يكون شخصاً راشداً متديناً صالحاً حافظاً للقرآن الكريم حسن السير والسمة وغالباً ما يكون
له مورد رزق غير تلك المهنة .

ومن الملاحظ أن عدد الفتيات يقل في السنة السادسة عنه في السنة الأولى حيث وجد أن عددهم في السنة الأولى ٢٣ طفلة في حين أنه وصل في السنة السادسة إلى ٦ فتيات فقط ، وذلك يتماشى مع تقاليد القرية الخاصة بحجب الفتاة عند بلوغ التاسعة من عمرها .



مجموعة من تلامذ المدرسة الابتدائية بالوحدة المجمع



معلم القرية (سيدنا) لتحفيظ القرآن . ويرى جوله فريق البحث ورئيس مجلس القرية

وأما المدرسة الأزهرية فقد أنشئت سنة ١٩٥٤ وتبع وزارة شئون الأزهر ويتركز التعليم فيها على علوم الدين إلى جانب المواد العلمية .

ومن ناحية الإقبال على التعليم المدرسي فيلاحظ أن نظام الإلزام المطلق هو الذي يجبر الأهالي على إرسال أولادهم إلى المدرسة وذلك لأنه تتخذ اجراءات قانونية ضد ولى الأمر المخالف كالغرامة .

ومن يكمل تعليمه الاعدادى والثانوى منهم ، نادراً ما يفكر فى العودة إلى القرية للاقامة بها .

الناحية الصحية :

للعلاج فى القرية طرق كثيرة منها الشعبي التقليدى والحديث ويستخدم فى معظمها أعشاب ونباتات . كما تستخدم أدوات محلية ويستعينون بالأولياء فى الحالات المتعسرة .

وفيما يلى بعض أنواع العلاج فى حالات معينة :

فمثلاً فيما يصيب الأطفال من أمراض يتم العلاج على النحو التالى :

لعلاج الاسهال : يسف الطفل مسحوق الترمس وقشر الرمان ، كما يسحق القرض وينخل ثم يخلط بماء الفول المدمس ويعطى للطفل ليشرّب منه قبل الإفطار ، أو قد يغلى ويشرب بدون إضافة سكر إليه ويعطى له فنجان قبل الإفطار وقبل النوم .

أما فى حالة الإصابة بالكحة فيغلى ورق الجواقة ويشرب . كما تغلى بنور نبات السيسبان وتشرب قبل الإفطار .

وإذا ما كانت الإصابة ارتفاعاً فى درجة الحرارة نتيجة الإصابة بالبرد فيدهن صدره بزيت الطعام ثم يلف جيداً بقطعة من القماش ثم تعجن الحناء مع الملح والبصل ويدلك به باقى جسم الطفل جيداً ويستخدم كذلك الخل فى التدليك .

أما إذا كان الطفل هزيل الجسم كثير البكاء والصم اخ بدون سبب فانه يعالج بحفر ثلاث حفرات فى مدخل الباب ويوضع فيها الماء وتقوم الأم بتخطيها سبعة

مرات وهي تحمل مولودها المريض ثم تدهن جسمه بتلك المياه ، ظنا أن السبب في هذا المرض أن الأم تكون دائما متضايقه وهي ترضعه ولذا تتخطى تلك الحفرة الثلاث لتمدن المضايقة فهدأ ويزول سبب بكاء الطفل وينمو ويشفى من الهزال .

وإذا كانت الإصابة هي تأخر الطفل في المقدرة على السير فتربط رجله من عند مفصل القدم بزحف النخيل الأخضر ، ثم يضعوا الحلوى والتمسك في حجرة ويذهبوا به إلى ضريح الشيخ العشى أثناء أداء صلاة الجمعة انتظارا لخروج أول المصلين من المسجد فيطلبوا منه فك الأربطة من رجله وأخذ ما يحجره من حلويات ويوزعها على الحاضرين وبعد ذلك يزورون ضريح الشيخ العشى وينذرون له نذرا إن تمكن من السير وشفى من ضعفه .

أما التطبيب الشعبي بالنسبة لأمراض النساء فيتخذ الأساليب والممارسات الآتية :
إذا كانت المرأة تشكو من آلام تصاحب الدورة الشهرية فتتصح بشرب الدميسة (١) . أما إذا كانت الشكوى من آلام الحمل والوضع فتشوى بصلة وتوضع على الفرج . ولتسهيل عملية الولادة يوضع الثوم مع الزيت على النار ويسوى مع البيض ويؤكل ، كما تشرب القرقة والجوزيل .

أما إذا كانت الإصابة هي الزيف فيغلى لها قشر الرمان المحمص وتشرب ثلاث مرات في اليوم .

أما إذا كانت السيدة عاقراً لا تنجب فيحضر لها معدن الذهب ويشترط عدم استعماله من قبل وتحضره سيدة كبيرة السن ثم تضعه في اناء به ماء .

ويعمل لها عملية (الطق) (٢) ثم تزور الجبل وتعود من طريق مخالف لذلك الذي ذهبت منه ويكون ذلك في الصباح الباكر ، كما تزور المقابر أحيانا وهو ما يعرف بعملية (الشق) ، ثم يحضر لها قالب طوب محروق حديثا ويطلب منها أن تستحم عليه حيث ينزل الماء فوقه . وأحيانا تنصح بأن تبلع عصفورا صغيرا حديث

(١) الدميسة هي خلطة تشتري من العطار .

(٢) الطق : هي أن تدخل على سيدة كبيرة السن بعد أن تشرط أحد أرجلها (أرجل السيدة العاقر) وذلك قبل أن يهل هلال الشهر العربي .

الفقس لا يوجد به أى ريش ، أو قد يقتل ثعبان ويطلب منها أن تخطوه سبعة مرات جيئة وذهابا ، كما قد يشار عليها بزيارة قبر مهجور أو زيارة السوق والمجازر أو تعدية نهر النيل .

أما إذا كانت الإصابة هى المشاهرة فتلبس المرأة ما يعرف « بالمشهرة » وهى عبارة عن خيط أبيض يعقد سبعة عقد ويوضع به بنحور ويسمى « عقاد » وتلبسه فى صدرها كما تلبس طفلها مشهرة كذلك فى يده اليسرى ، وتجمع بلبس كل حليها وما تمتلكه من ذهب وفضه وخاصة دبوس الأنف كما تستعين السيدة المصابة بالمشاهرة بالسلة السابق وصفها عند الولادة . وهم يعتقدون أن السلة حصناً ضد المشاهرة . ولكن إذا أصيبت السيدة بأحد مظاهر المشاهرة كجفاف لبن الثدي مثلاً فعليها أن تقوم بعمل « كباس » ويتم بأخذ بعض حبوب القمح من جيرانها وتعطيها لأحد جيرانها بالتالى التى تقوم بدورها بطهيه على النار فى صباح اليوم التالى ويدلك به صدر المصابة ثم يغسل بعدها بالماء فينزل اللبن عقب ذلك .

كما تحرص النساء عند الولادة أن لا تمسها سيدة قامت بعملية الولادة حديثاً ظناً أنها إذا مسكتها وهى تلد تعطيها ما لديها من أوجاع حيث يقولون « فلانه لما مسكت فلانه وهى تلد أدبت لها الرجوع بتاعها » أى تخلصت من آلامها وخلعتها على غيرها .

أما إذا كانت الظاهرة المرضية عند السيدة أن يتوفى أولادها فيظن السبب فى ذلك أن الزوج متزوج من جنية تقوم بنحق أولاد زوجته الآدمية وتسمى الجنية فى هذه الحالة « مرافقة » وللتخلص من ذلك تذهب الزوجة الآدمية إلى أحد المشايخ الذى يعمل لها حجاباً معيناً ويصف لها بنحوراً لمدة سبعة أيام وغالباً ما يكون كمن إسود وكسيرة ثم يبخر الطفل (بالطوالين) (١) .

ومن الأشياء المعروفة لعلاج الجروح والدمامل للجميع سواء الذكور أو الإناث

(١) الطوالين : عبارة عن آيات من القرآن الكريم تكتب فى قصاصات من الورق ويقوم بعملها شيخ متخصص .

أو الأطفال والكبار ، هي وضع ملوخية ناشفة في الجرح أو وضع عجينة مضافا إليها سكر على الجرح أو الدمل لإمتصاص الصديد .

بينما الصداع يعمل له عجينة من طحين الترمس مضافاً إليها القرنفل ثم يعجن بالماء ويعمل منه لبةخة تربط على الجبهة .

وأحيانا يوثق بخيط من الصوف المأخوذ من نعجة بكر ويربط على الجبهة ثم يضغط على الرباط بمفتاح خشبي يفتح الباب من الشمال إلى اليمين وليس العكس كما يشرب ينسون وكرأويه وحلفابر وإذا اشتد الصداع فتربط الرأس بمنديل ثم يوضع فوقه خل ولبةخة مكونة من حناء وملح وليمون .

أما إذا كانت الإصابة ضربة شمس فتعالج بتكسير بصلة وعجنها في حناء وملح وتوضع على جلد الرأس لمص ذلك الإرتفاع في درجة الحرارة ويقوم بعمل هذه العملية الرجل لزميله والمرأة للمرأة .

أما إذا كان المرض هو القيء فيغلى له لبان ذكر ويشرب قبل الأكل . ولكن المغص يشرب له حلفابر وينسون وكرأوية وحرجل أو نحويجة تشتري من العطار .

وإذا كانت الإصابة دوسنتاريا (تعنية) فتعمل له قهوة مضافا إليها ليمون .

أما إذا كان المرض يصيب العين كأن يحمر لونها أو تلتهب فيوثق (بجزاره) . وهي حجر أزرق اللون في حجم النمرة ثم تذاب في الماء ويقطر منها في العين وأحيانا يقطر من لبن الثدى في العين في حالة الإلتهاب . أما إذا كانت العين محتقنة فتكسر بيضة طازجة مضافا إليها كمون أبيض وعليها قليل من الماء وترج وتستعمل كقطرة للعين يقطر منها ثلاث مرات يوميا . أما إذا كانت إصابة العين هي الإنتفاخ والورم فيعمل لها كمادات شاي أو يذاب الإسبرين في قليل من اللبن ويقطر منه في العين .

وإذا كان المرض في الأذن فتعمل له عصيدة من الدقيق والبيض ويلف حول الأذن لمص الألم وإذا كانت إصابة الأذن هي وجود اللود — وهذا غالبا ما يصاب به الأطفال — فتعالج عن طريق (اللوادة) وهي سيدة متخصصة في علاج هذا

النوع من المرض حيث تقوم بتنظيف الأذن من اللود وذلك بعد قراءة دعوات وتعاويز معينة يخرج على أثر الإنتهاء منها اللود وتشقى الأذن .

أما إذا كان بالأذن إلتهاب فيستخدم زيت الطعام بوضعه بداخلها لإزالة تلك الإلتهابات .

وإذا ما أصيب الشخص بالزكام إستعمل الليمون ، وقد تغلى الحلبة مع الملح وينصح بأن يشرب منها عدة مرات وتذبح له دجاجة سمراء « غطيس » أى لا يوجد بها ريشة واحدة ليست سوداء ثم يأكل لحمها ويحتسى حساءها .

وإذا كان المرض هو الرطوبة أو الإصابة بالروماتيزم فيدفن الجسم فى الرمال الساخنة وبعدها يأخذ حمام ساخن ويأكل طيوراً أما إذا كان الروماتيزم فى عضو معين من الجسم كالأيدي أو الأرجل أو الظهر فيكوى الجزء المصاب بالنار بواسطة مسمار ليشقى وقد يعالج الروماتيزم (بالحمصة) حيث يعمل جرح فى العضو المصاب ثم توضع الحمصة فيه ويستبدل كل يوم لمدة سبعة أيام وهى تقوم بدورها فى إمتصاص الماء وبعد ذلك يزول الألم – وأحياناً يستخدم (الوشم) لعلاج الروماتيزم الموضعى . أما إذا أصيب الفرد بالدوخان فيغلى له كسبرة ليشربها ويتناول معها طعاماً دسماً كالطيور والحضروات المطهية للشفاء منه .

وإذا كان المرض بالأسنان فيستعمل القرنفل ويسمى (مسمار الريحة) وإذا أصيب الشخص بالصفراء يقطع العرق الأسود الموجود تحت اللسان ويسحب .

أما أمراض الحساسية فيعجن لها الحناء مضافاً إليها ليمون ومياه وتذلك به الأماكن المصابة لكى تشفى .

ولآلام القلب يشرب لها مشروب النعناع أو القرفة أو شراب الحلفار وأما فى حالة لدغ العقرب فيستدعى الحاوى الذى يقرأ الفاتحة أربعين مرة بدون ذكر لفظ (ولا الضالين) وفى هذه الحالة يتجمع السم فى مكان اللدغ ثم يشرط مكانه ويحضر سكر وماء ساخن ويدلك مكان اللدغ ثم يصفى الدم (بالمحجام) وهو قطعة من الحديد على شكل قمع يستخدم فى تلك الحالات .

أما إذا كانت الإصابة نفسية أو عقلية كالتجبل فلا يوجد لها علاج عقارى أو نباتى فيكون الذهاب إلى الأولياء وإتباع طقوس معينة هو العلاج كأن يذهب أهل المريض به إلى شيخ معروف بكراماته فى علاج تلك الحالات أو يزورون ماري جرجس بالقرب من الأقصر ويلبس المريض جلباباً أبيضاً ويمكث فى زيارة ضريح الولى أسبوعاً على الأقل .

أما المرض المستعصى والذي تفشل معه جميع المحاولات يظن أن الشيطان هو السبب فينقل المريض إلى الشيخ الذى يطلب إحضار زيت كافور طيار وزبدته بقرى ثم يخلطها ويدهن به جسم المريض مرة كل يوم بعد أن يعمل له أحجية معينة يلبسها المريض .

ولكن لا يستعان بالمشايخ فى تلك الأمراض فحسب بل فى حالات الأمراض الخطيرة كالإصابة بالحمى التى فشل فيها العلاج بالعقارات والنباتات حيث يقوم الشيخ بكتابة آية الكرسي على ظهر المريض ويعزم عليه بقراءة القرآن الكريم ويعمل له الأحجية اللازمة ثم يعطى المريض ثلاث ورقات صغيرة مكتوب عليها آيات قرآنية ويطلبه بعمل البخور بالكسبرة الذى يسمى (تفاحة الجن) ، ويبخر منه ثلاث مرات يومياً وفى كل مرة يلتقى باحدى تلك الأوراق الثلاثة فى نار البخور وتسمى تلك الأوراق (فوايد) .

كما يدخل دور المشايخ والأولياء فى التوافق الزوجى حيث يعمل الشيخ أحجية معينة ويبخر كلا من الزوج والزوجة المتنافرين بالبخور ليقرب ويوفق بينهما . وفى حالة المرض بالوساوس يحضر الشيخ ترمس مطحون ويعجنه بالرشاد وهو نوع من النشادر ويضعه على رأس المريض ثم يربطها بقماش أبيض مكتوب عليه آيات من القرآن لطرد الشيطان الحناس الذى يوسوس فى صدور الناس أملاً فى الشفاء .

كانت هذه هى طرق العلاج الشعبى المنتشر فى قرية العشى وكان لا بد من استخدام مثل هذه الطرق طالما أنهم لا يعرفون طرق العلاج الطبية الحديثة ، ولكن منذ إنشاء الوحدة المحيطة بالقرية وانتشار الوعى الطبى تعرضت تلك الأفكار الشعبية فى العلاج لتغيرات كثيرة خاصة وأن الوحدة تشتمل على وحدة صحية كاملة بها ثلاثة

أطباء مدرّبين ومتخصّصين منهم طبيب الأسنان وعدد ٢ مساعدة مولدة ، ١ زائرة صحية ، ومراقب وملاحظ صحيّين إلى جانب العمال والطباخ وسائق سيارة الإسعاف فضلاً عن أن المبنى معد ، بالأدوات الطبية الحديثة .

وقد لوحظ إقبال الأهالي على الوحدة في حالات كثيرة منها الولادة ولدغات العقرب وعلاج الأسنان وغيرها مما يعاني منه أهل القرية .

كما يوجد بالوحدة أيضاً مكان لرعاية الأمومة والطفولة حيث تتابع الحوامل بواسطة الزائرة الصحية منذ البداية وتعطى العقاقير والأدوية اللازمة ، كما تقوم المولدة ومساعدتها بمباشرة الولادة ومتابعة صحة الأم والمولود حيث تقوم بتطعيم الأطفال ضد الشلل والدرن والجدرى كما يوجد أيضاً مركز لتنظيم الأسرة .

الناحية الدينية :

يقال أن القرية لم يكن لها وجود قبل مجئ الشيخ محمد العشي مؤسسها وعلى هذا فلم تمر القرية بمراحل دينية تاريخية فالدين الغالب هو الإسلام وملكىة الأراضي الزراعية كلها للمسلمين ولا يوجد بها ديانات أخرى باستثناء أسرة واحدة تعتق المسيحية وأتت نازحة إلى القرية ويعمل معظم أفرادها ببعض الحرف .

والناحية الدينية هامة جداً في حياة أهالي العشي فالقرآن هو الحكم الذى يلجأون إليه عند فض أى نزاع أو إنشاء أى علاقة إجتماعية حتى بين شخصين ومن هذه المظاهر مثلاً أن الارتباط والإتفاق على عهد ما يكفى فيه قراءة الفاتحة .

وبالقرية عدد كاف من المساجد والزوايا . وأهل القرية يهتدون بمشايخ وأولياء القرية ويتقربون من سيرتهم ويتمسكون برضايتهم . كما أنهم يقيمون لهم إحتفالات سنوية تخليداً لذكرى مولدهم وأبرز تلك الإحتفالات هى المولد النبوى الشريف والإحتفال بمولد الشيخ العشي حيث يستمر الإحتفال بالمولد النبوى الشريف شهراً كاملاً . وتحتفل به كل بدنة في ديوانها الخاص وتنحرف الذبائح في اليوم السابع كما يقرأ القرآن وتقام حلقات الذكر كما تزين القرية بالأعلام وزعف النخيل ويقدم الطعام لكل سائل ومحروم .

كما يعتبر الإحتفال بالمولد النبوى مناسبة لتقديم الهدايا ، وأيضاً من المناسبات التى يتم فيها الزواج أو تصفية الخلافات أو المنازعات بين العائلات أو البدنات . وأقرب الإحتفالات إليهم ذلك هو الخاص بمولد الشيخ العشى الذى يعد حدثاً اجتماعياً يحتفل به كل عام ، ويستمر خمسة أيام تبدأ من ٨/١٥ فى الغالب ويدعى للاشتراك فيه إلى جانب كل بدنات وأفراد القرية ، القرى المجاورة . للمشاركة فى إحياء تلك الذكرى كما يشترك جميع الأهالى فى شراء الذبيحة الكبيرة التى تنحر بجوار ضريح الشيخ العشى إلى جانب الذبيحة التى تذبحها كل بدنة لنفسها .

ويطلق على آخر أيام الإحتفال يوم (الفكه) وهو الذى يحتفل فيه (بالدوره) وهى عبارة عن حمل كسوة الأضرحة وأولها كسوة الشيخ محمد العشى على الجمال وتسمى (بالتواييت) وبإتمام الدورة والدوران حول القرية تنتهى كافة المراسم الخاصة بالإحتفال بمولد الشيخ العشى .

هذا ويحافظ أهالى القرية على ممارسة الشعائر الدينية والتمسك بأركان الإسلام الخمسة كما أنهم يحثون أولادهم على حفظ القرآن والتمسك بأهداب الدين ومعرفة السيرة النبوية الشريفة بارسالهم إلى الكتاتيب منذ الصغر .

خاتمة

حقائق البحث ونتائجه

تقع قرية العش بمحافظة قنا وتبعد ١٢ كيلو مترا عن مدينة الأقصر ورغم ذلك فليس لها أية صلة أو علاقة بالآثار الفرعونية ، حيث وجد فريق البحث أن الأهالي لا يذهبون إلى الأقصر للعمل في الآثار ، وحتى البعثات الأثرية لا تعرف شيئا عنها ، إلا أن معظم احتياجاتها تأتي إليها من الأقصر حيث لا يوجد بها سوق أو مخبز فيما عدا بعض المحلات التجارية الصغيرة التي تشبه الأكشاك ، ولا يصل إليها القطار وترتبط القرية بالأقصر والقرى المجاورة بخط أتوبيس وبعض سيارات الأجرة والطريق المؤدى إلى الأقصر ترابي وغير ممهد وملتوى .

والغريب عن القرية يشترى حاجاته يوميا من الأقصر أو أسبوعيا من القرى المجاورة لها مثل قرية خزام وغيرها من القرى التي يقام بها سوق مرة كل أسبوع . أما الهجرة إلى المدن للعمل في أعمال البناء أو الحفر فهي سائدة بالقرية وغالبا ما يترك المهاجر زوجته وأولاده ويرسل إليهم ما يستطيع أدخاره من نقود لاعاشتهم ولكن رغم إغراءات المدينة فلا يقطع العامل صلته بالقرية ولا ينسى أهله وذويه . أما الهجرة بسبب التعليم فنادرة لأنه نادرا ما يكمل أحدهم تعليمه العالي . ونظام السكن حيث يقطن بالحى بدنة واحدة له مزايا كثيرة هي الحفاظ على روابط وأواصر القرابة وهذا يدعو إلى التعاون والمجاملة ولكنه ربما يشجع على التعصب أكثر من اللازم .

أما من حيث الأواني المستخدمة في الطهي والشرب فما هو ملحوظ أن الجميع يستخدم الأواني الفخارية التقليدية التي كان يستعملها أيضاً قدماء المصريين ولكن استخدامها فعلا مفيد لأنها تعطي الطعام طعما أشهى مما تكسبه أى آنية أخرى ، إلى جانب أنها أرخص بكثير من الأواني الحديثة .

ويعمارس أغلب الأهالى الزراعة مستعملين الآلات الفرعونية القديمة وتوجد بعض الحرف الأخرى إلى جانب ذلك . بالنسبة للمحاصيل الزراعية فقد دخل القرية أيضاً محصول جديد إلى جانب محاصيلها التقليدية هو محصول القصب ، وقد غير من مفاهيم القرية حيث يتطلب مجهودات كبيرة وعمالا كثيرة وقد شجع على الهجرة الداخلية في مواسم معينة مما يساعد على إدخال عناصر حضارية جديدة ويتبادل الأهالى المحاصيل الزراعية فيما بينهم كما يتمتعون بخدمات الحرف الأخرى نظيرها .

ومما لوحظ أن المرأة ليس لها أى دور واضح فى المجتمع ، رغم مالها من أثر غير مباشر فى حياة القرية ومظهرها الحضارى فلا يسمح لها أن تقوم بأى عمل خارج المنزل ، حتى حرية الرأى فى المنزل أيضاً قد حرمت منها ، ولذلك فإنها تمارس كل العادات والتقاليد والمعتقدات القديمة ولم تتأثر بالتيارات الحديثة فى مجتمعها ، رغم قيام برامج التنمية الإجتماعية بمهامها خير قيام . بالقرية وحدة صحية ووحده إجتماعية بالإضافة إلى المجلس القروى وما يقوم به من خدمات ولكن إذا أردنا تغيير أفكار المرأة من حيث المعتقدات الراسخة فيجب أولاً إقناع الرجل ، وهو بدوره يستطيع أن يخرجها من هذا الحيز الضيق الذى تعيش فيه . فعلى الرجل فى هذا المجتمع القروى يقوم وينفذ كل شئ .

ولكن بالنسبة للرجل فهناك أيضاً عادة يجب أن تزول تلك وهى عادة الأخذ بالتأثر التى لم تمنحها التطورات الحديثة ، ولم تستطع السلطات الحكومية أن تغير منها شيئاً ، وربما يتظاهر بأنه تنازل عن حقه وترك الأمر للمسؤولين ولكنه فى قرارة نفسه لن يفعل ذلك ، بل يتربص لكى يأخذ بثأره بعد عشرات السنين وهذه مشكله أزيله بالنسبة للوجه القبلى جميعه .

أما من ناحية التربية الدينية ، فالمجتمع يهتم بها اهتماماً كبيراً مما يجعل الشباب يحافظ على حفظ القرآن وإتباع التعاليم الدينية فالجميع يخشون الله ويعملون حساباً لكل صغيره وكبيره ، فهم متدينون للغاية ، وهذه صمة رئيسية فى القرية التى يشتهر أهلها عامة بالكرم وحب الغير والتعاون والمجاملة وإحترام آراء كبار السن .

ومما أحدث تغييراً واضحاً بالقرية إدخال الكهرباء حديثاً مما ساعد الرجال على السهر خارج المنزل في اللواوين أوفى الوحدة المجمع للتشاور ، أو للصالح أو للتسلية ، وقضاء وقت لطيف معا ، وكذلك الأولاد وذلك لأن الجو لا يشجع على القيام بأى نشاط أثناء النهار .

أما بالنسبة لإدخال مياه الشرب النقية في القرية فلم يلق اقبالا كبيرا لأن الجميع مازال يفضل شرب مياه النيل وربما يرجع ذلك الى العادات الفرعونية التي تقدر النيل ومياهه .

وهكذا تعيش قرية العشي بتقاليدها العريقة ومعتقداتها العتيقة ، رغم متغيرات العصر المتاحة لها حيث أنها حديثة العهد بها ، ولذلك نتوقع أن تحدث تأثيرات كبيرة ملموسة في شتى نواحي الحياة وجوانبها ولكن على المدى البعيد حيث يتطلب ذلك جهدا ووقتا كبيرين .

علاقات دولتي مالي وسنغاي بمصر

في عصر سلاطين المماليك

(١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

للدكتور محمد محمد امين

جامعة القاهرة

**MALI and SONGHAY RELATION'S WITH EGYPT
IN MAMLOUK'S PERIOD
(1250—1517)**

By

Dr. MOHAMED M. AMIN

Cairo University

In the middle ages, two Empires were arised in west Africa, Mali and Songhay. About the eleventh century, Islam spread in west Africa, Since that time, Pilgrimage to mecca has played an important role in the relations with Egypt.

- Egypt was a main road for Tahrurs to Mecca, Tahrurs prefared go to Mecca by Egypt, for trade and Studies.
- Many account pilgrimages made by rulers of Mali and Songhay, Mansa Musa and Askia Mohammad Visited Cairo.
- Some Tahrurs lived in Cairo for Study in Al-Azhar, and Egyptians lived in west Africa for the trade.
- There were relations between Jalal ad din as Suyuti and Askia Mohamad.

شهدت العصور الوسطى قيام عدة امبراطوريات قومية ، أقامها الوطنيون الأفريقيون فيما هو معروف بالسودان الغربي ، وأشهر هذه الإمبراطوريات مالي وسنغاي ، وكان عمادها زمن إزدهارها وقوتها الدين الإسلامي عقيدة ، واللغة

العربية أداة الإدارة والثقافة والتجارة ، فعن طريق الإسلام والعلوم العربية الإسلامية سارت هذه المنطقة في طريق الحضارة والتقدم ، فسرعان ما شكل الإسلام عادات السكان وطور أحوالهم ، « فبالإسلام يبدأ العصر التاريخي لأفريقيا السوداء » (١) .

والواقع أن العصور الوسطى تمثل العصر الذهبي لتاريخ غرب أفريقيا القوي ، حيث برزت الخصائص المميزة للحضارة الأفريقية الوطنية ، وقامت حكومات ونظم إدارية أمدتها الإسلام بالمعارف المختلفة من آداب وعلوم وفنون ، كما أمدتها بوسائل المعرفة من علماء ومدارس وجامعات ، حتى فاقت حضارة هذه البلاد حضارة معظم بلاد أوروبا المعاصرة لها . ولا عجب فقد إرتبطت الحضارة الأفريقية في السودان الغربي بأرقى الحضارات الإنسانية في ذلك الوقت ، وهي الحضارة العربية الإسلامية (٢) .

والمؤسس الحقيقي لدولة مالي هو سندياتا أو ماري جاطة — Sundiata Mari Jata (١٢٣٠—١٢٥٥) ، فيرجع الفضل إليه في تحويل دولة الماندنغو (٣) الصغيرة في إقليم كانجابا إلى امبراطورية واسعة . ونقل عاصمة ملكه من جارب في كانجابا إلى مدينة جديدة أنشأها على رافد للنيجر ، وهي مدينة نياني Niani (٤) ، ثم نقلت العاصمة بعد ذلك إلى كل من ماني كورا ، ثم كانجابا ، وقد عرفت كل من هذه المدن باسم مالي ، أو مل ، أو ملي ، أو مليت ، أو مليل ، وذلك أثناء إتخاذها كعاصمة للبلاد ، كما أصبح نفس الإسم علما على دولة الماندنغو (٥) .

(١) Gouilly, A. : L'Islam dans L'Afrique Occidentale Francaise, p. 50.

(٢) عن عوامل انتشار الاسلام في غرب أفريقيا أنظر نعيم قداح : حضارة الاسلام وحضارة أوروبا في أفريقيا الغربية ص ٨٥ وما بعدها .

(٣) انتشرت قبائل الماندنغو فيما بين نهر النيجر والمحيط الأطلنطي ، Gouilly : op. cit. p. 54 ، وعن تسميات هذه القبائل وتفسير كلمة ماندنغو أنظر د. إبراهيم على طرخان : دولة مالي الإسلامية ص ٢٧ وما بعدها ،

Trimingham, J.S. : A History of Islam in west Africa, p. 60.

(٤) تقع على نهر سانكاراني قرب اتصاله بنهر النيجر —

Fage, J.D. : An Atlas of African History p. 18.

كما عرفت باسم « ينغ » — محمود كمت : تاريخ الفتاش ص ٥٦ .

(٥) Monteil, ch. : Les Empires du Mali, p. 71., Bovill, E.W. : The Golden

Trade of the Moors, p. 87., Levtzion, N. : The Early States of the Western Sudan to 1500, in History of West Africa, Vol. I., ed. J.F.A. Ajayi, p. 125.

ودولة الماندنجو هي التي عرفت عند العامة في مصر ، في العصور الوسطى باسم « بلاد التكرور » ، فيقول العمري « ويغلب على سلطان مالي ، عند أهل مصر سلطان التكرور ، ولو سمع هذا أنف منه ، لأن التكرور إقليم من أقاليم مملكته ، والأحب إليه أن يقال صاحب مالي ، لأنه الإقليم الأكبر ، والتكرور مدينة من مدنها » (١) ، ويقول القلقشندي « مالي المعروفة عند العامة ببلاد التكرور » (٢) .

بلغت إمبراطورية مالي الإسلامية أقصى إتساعها . وأوج إزدهارها في عهد السلطان موسى (٣) (٧١٢-٧٣٨ هـ - ١٣١٢-١٣٣٧ م) ، فامتدت من بلاد التكرور غربا على المحيط الأطلنطي إلى منطقة دندى ومناجم النحاس في تكده - مركز القوافل - شرقاً . ومن مناجم الملح في تغازة في الصحراء شمالا إلى فولتا جالون ومناجم الذهب في ونقارة جنوباً ، وحاذت حدودها الجنوبية منطقة الغابات الإستوائية . وشملت مناطق من الدول المعروفة اليوم باسم جمهورية مالي في الوسط ، وجنوب جمهورية موريتانيا الإسلامية في الشمال ، والسنغال وغينيا في الغرب ، وشمال ساحل العاج وفولتا في الجنوب ، وجمهورية النيجر في الشرق (٤) .

(١) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار (مخطوط) ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٤ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٢ ، وكلمة تكرور وتكرارة أو تكرانة (عند العامة) تستعمل في المشرق للدلالة على جميع سكان السودان الأوسط والغربي (وسط وغرب أفريقيا) أنظر :

Bovill : op. cit. p. 84, Trimingham, J.S. : Islam in west Africa, p. 13.

وعن تطور استخدام كلمة التكرور أنظر :

Umar AL—Nagar : Takrur, The History of the name, Journal of African History (J.A.H.) X,3 (1969), pp. 365—374.

وانظر أيضاً محمد بلو : اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ص ص ٢٧ - ٢٩ .

(٣) يضاف إلى اسمه كنية « منسا Mansa » بمعنى السلطان عند الماندنجو-القلقشندي :

مصدر سابق ج ٥ ص ٢٩٣ ، كما نسب إلى أمه نانا كنك ، Nana Kango ، وضيفت هذه التسمية بصور مختلفة مثل كنكن Kankan ، أو كونكور Kounkour ، أو جونجو Gongo ، أو كونجو Kongo ، أو منسا كنكن موسى Mansa Kankan Musa أنظر :

Bovill : op. cit. p. 86, Monteil : op. cit. p. 18.

(٤) انظر الخريطة رقم (١) ، نعيم قداح : أفريقيا الغربية في ظل الاسلام ص ٤٤ .

أما شعب السنغاي فقد عاش في المنطقة الوسطى من حوض النيجر ، ونجح في تأسيس دولة منذ القرون الأولى للميلاد إستمرت إلى نهاية القرن ١٠ هـ - ١٦ م (١) ، ويذكر السعدي أن ملكهم زاكسي Za-Kossoi أسلم في حوالى سنة ٤٠٠ هـ - ١٠٠٩ م ، ولذا يطلق عليه في لغتهم « مسلم دم » أى أسلم طوعاً بلا إكراه (٢) ، وهو الذى نقل عاصمة سنغاي من كوكيا (٣) إلى جاو (٤) .

خضعت سنغاي لسيطرة دولة مالى الإسلامية في عهد منسا على (٦٥٣-٦٦٩ هـ - ١٢٥٥-١٢٧٠ م) ، إلا أن جاو العاصمة إمتنعت على جيوش مالى ، وأخذ منسا على رهائن من سنغاي ليضمن خضوعها وإستسلامها (٥) .

لم تثبت سنغاي على الطاعة ، إذ هربت الرهائن بعد وفاة منسا على ، ولكن سيكرة أو ساكورة Sakoura الذى إغتصب عرش مالى (٦٨٤-٧٠٠ هـ - ١٢٨٥-١٣٠٠ م) أعاد إخضاع سنغاي ، بل واستولى على عاصمتها جاو أيضاً (٦) وللمرة الثانية تخلصت سنغاي من سيطرة مالى ، فاضطر سقمنجة Sagaman قائد منسا موسى إعادة فتح جاو سنة ٧٢٥ هـ - ١٣٢٥ (٧) ، كما إستولت قوات مالى على تنبكت عام ٧٣٧ هـ - ١٣٣٦ م (٨) .

(١) السعدي : تاريخ السودان ص ص ٢ ، ٤ ،

Levtzion : op. cit. p. 137.

(٢) السعدي : مصدر سابق ص ٣ .

(٣) تقع في جزيرة بنتيا في النيجر على بعد ستين ميلا جنوب جاو ، د. عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية السودانية ص ١٢٢

(٤) نفس المرجع ص ١٣٤ .

(٥) السعدي : مصدر سابق ص ٧ ، القلقشندي : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٩٤ ، ابن خلدون : المعبر ج ٥ ص ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ ،

Rouch, J. : Les Songhay, p. 8.

(٦) Rouch, : op. cit. p. 8, Levtzion, op. cit. p. 137.

(٧) السعدي : مصدر سابق ص ٧ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج ٦ ص ٢٠٠ .

(٨) السعدي : مصدر سابق ص ٢٢ .

استتب نفوذ مالي في سنغاي طوال عهد منسا موسى حتى أن السعدي يعتبره « أول من ملك سنغاي من سلاطين مالي » (١) .

بدأت سنغاي تشق عصا الطاعة على سلاطين مالي ، بعد وفاة منسا موسى ٧٣٨ هـ - ١٣٣٧ م ، حتى تحررت نهائياً من سيطرة مالي ، وبدأت في بناء قوتها العسكرية ، حتى أن سن محمد داغ - السلطان العاشر في سلسلة ملوك أسرة سن - استطاع في حوالى سنة ٨٢٣ هـ - ١٤٢٠ م أن يخرب معظم بلاد مالي ، وبخاصة عاصمتها ، وأن يأسر الكثير من عبيدها (٢) .

وفي أقل من ثلاثين عاما استطاع سن علي (٨٦٩-٨٩٨ هـ - ١٤٦٤-١٤٩٢ م) تحويل سنغاي من دولة صغيرة إلى إمبراطورية كبيرة ، كان هو أول إمبراطور لها ، ورغم ذلك فانه لم يتخذ عاصمة ثابتة لدولته ، أو أقام دولة موحدة بالمعنى المفهوم ، إذ أقام دولته بحمد السيف ، وأراد أن يحتفظ بها ضد من يعاديه أو يعيب سياسته بهذا السيف أيضاً ، دون النظر إلى رأى الجماعة ، أو إشراك العلماء والفقهاء في شئون هذه الدولة (٣) .

وفي ظروف غامضة توفي سن علي سنة ٨٩٨ هـ - ١٤٩٢ م ، وخلفه على العرش أحد كبار قادته ، وهو محمد بن أبو بكر الطورى ، وقيل السلنكى ، وبذلك بدأ عهد جديد لأسرة جديدة . قدر لها أن تقود هذه الدولة ، وأن تعيد للبلاد وجهها الإسلامى ، ويلقب سلاطينها بلقب « أسكيا » (٤) .

(١) السعدي : مصدر سابق ص ٧ .

(٢) محمود كمت : مصدر سابق ص ص ٤٢ ، ٤٣ ،

Panikkar, K.M. : The Serpent and the Crescent, A History of the negro Empires of western Africa, p. 62.

(٣) د. نيقولا زيادة : صفحات مغربية ص ٣٢ ،

Trimingham : A History ...p. 94.

(٤) السعدي : مصدر سابق ص ٧٢ ، محمود كمت : مصدر سابق ص ٤٤ ، ويذكر السعدي أنه لما بلغ خبر انتصار محمد الطورى وتوليه العرش إلى بنات سن على قلن « أسكيا » ومن تعنى في كلامهم « لا يكون إياه » فلما سمع الطورى ذلك أمر ألا يلقب إلا به ، فقالوا أسكيا محمد - تاريخ السودان ص ٧٢ .

حكم الأسكيون سنغاي حوال قرن من الزمان (٨٩٩-٩٩٩ هـ - ١٤٩٣ -
١٥٩١ م) ازدهرت في عهدهم الدولة ازدهاراً كبيراً (١) ، ويرجع الفضل في ذلك
إلى الأسكيا محمد الكبير الذي حكم سنغاي نحو من ٣٥ عاماً ، وبلغت الدولة في
عهده أقصى قوتها التي لم تزد عليها بعده ، وأصبحت أكبر إمبراطورية في غرب
أفريقيا على الإطلاق سواء في المساحة أو السكان أو التنظيم (٢) فقد رأى أسكيا محمد
أنه لم يستحق الملك بوراثة أو حسب ، وإنما بالثورة ، وعليه أن يثبت جدارته
بالأعمال لكي ينقاد الناس له ، وهذا ما يفسر عبارة محمود كعت « أن الأسكيا محمد
يصلح حتى لحكم دولة بني العباس ، وكل دولة أخرى غيرها » (٣) .

أمدت فتوحات أسكيا محمد دولة سنغاي بثروة هائلة ، إذ امتدت دولة سنغاي
من صحراء النيجر وبحيرة اير شرقاً ، إلى حوض السنغال غرباً ، ومن سيجو على
النيجر جنوباً إلى الصحراء الجزائرية شمالاً ، وكانت مدينة جاو عاصمة هذه
الإمبراطورية الواسعة (٤) ، وكان لهذه الدولة من الموارد ما يفيض عن حاجة
السكان ، وبخاصة المنتجات الزراعية ، والثروة المعدنية من الذهب ، فضلاً عن
العبيد (٥) .

ومع بداية القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي ، وقعت أحداث
بين السعديين في مراکش وسلاطين سنغاي ، جعلت السعديين ينظرون إلى حكام
سنغاي بعين الريبة ، وبخاصة بعد أن اتخذ الأسكيا محمد لقب « أمير المؤمنين » (٦) ،
فقد كانت هذه الصفة مصدر إزعاج للسعديين الذين كانوا يعتبرونها حقاً لهم دون

(١) للدراسة التفصيلية عن ازدهار سنغاي أنظر : محمد أنور توفيق أبو علم : دول سنغاي الإسلامية -
تطورها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري ١٤٩٣ - ١٥٩١ م - رسالة ماجستير بجامعة القاهرة . معهد
الدراسات الأفريقية ١٩٧٧) .

(٢) د. عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ص ٤٠ .

(٣) تاريخ الفتاش ص ٢٢ .

(٤) انظر الخريطة رقم (٢)

(٥)

Bovill : op. cit. p. 173.

(٦) أنظر ما يلي ص ٢٨٩

غيرهم في المنطقة ، واعتبروا آل أسكيا منافسين لهم في الزعامة الروحية ، ومما أثار السعديين أيضاً إستيلاء الأسكيين على مناجم الملح في تقازة (١) .

وانتهى الأمر بان إنتهز المنصور الذهبي ضعف سنغاي لتفشي الإضطرابات بها ، وأرسل حملته المشهورة بقيادة جودر إلى سنغاي في المحرم ٨٩٩ هـ - ١٥٩١ م ، ولم يصمد شعب السنغاي أمام الأسلحة النارية الحديثة ، فاسدل الستار على دولة إسلامية كانت ملء السمع والبصر في حوض النيجر الأوسط (٢) .

ويتضح من هذا العرض السريع لإمبراطوريتي مالي وسنغاي أن الفترة فيما بين القرنين الرابع عشر م والسادس عشر م تمثل عصر إزدهار كبير في غرب أفريقيا ، أو فيما عرف في العصور الوسطى باسم « السودان الغربي » وان تعددت واختلفت مراكز إشعاعه الحضاري ، ويقابل هذه الفترة الزمنية في مصر قمة إزدهار عصر سلاطين المماليك حتى سقوط الدولة على يد العثمانيين في أوائل القرن ١٠ هـ - ١٦ م (٣) .

فمع بداية القرن ٨ هـ - ١٤ م أصبحت دولة المماليك في مصر والشام أقوى وأغنى قوة إسلامية على مسرح العصور الوسطى ، وساعد على بلوغ الدولة المملوكية تلك المكانة من الإزدهار السياسي والإقتصادي ، ما كانت تتمتع به من مركز جغرافي ممتاز جعلها قلب العالم الإسلامي ، والقوة المسيطرة على طرق التجارة بين الشرق والغرب (٤) ، فضلاً عن كونها مقر الخلافة العباسية ، وحامية الحرمين الشريفين ، والأماكن المقدسة في بيت المقدس (٥) .

(١) د. نيقولا زيادة : مرجع سابق ص ٥٤ ، وللدراسة التفصيلية أنظر : الشيخ الأمين محمد عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وسنغاي رسالة ماجستير بجامعة القاهرة بالخرطوم ١٩٧٦ م .

(٢) الناصري : الاستقصا ج ٥ ص ١٢١ ، وللدراسة التفصيلية أنظر : عبد الكريم كريمة : عصر المولى أحمد المنصور الذهبي (رسالة غير منشورة بكلية الآداب جامعة عين شمس) .

(٣) د. سعيد عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ص ٢٢٥ وما بعدها .

(٤) د. نعيم زكي فهمي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ص ١٢٦ .

(٥) د. سعيد عاشور : المرجع السابق ص ص ٧٢ ، ٣٤٢ ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ١٥٥ .

ومن الطبيعي أن يقوم بين مصر بثقلها الإسلامى والحضارى وموقعها الجغرافى ، وبين الدول الإسلامية وشعوبها فى غرب أفريقيا علاقات قوية ومتنوعة فى شتى المجالات ، إذ كان لانتشار الإسلام فى غرب أفريقيا فى العصور الوسطى أثر بارز فى تعميق الصلات بين مصر وشعوب هذه المنطقة ، وبخاصة أن مصر تقع على طريق « الحج » بين دول غرب أفريقيا والأماكن المقدسة الإسلامية فى مكة والمدينة .

وكان لازدهار الثقافة والحضارة الإسلامية فى مصر فى ذلك العصر أثر كبير فى تفضيل شعوب غرب أفريقيا طريق مصر كطريق للحج ، فقد كانت زيارة مصر بالنسبة للكثير منهم جزءاً أساسياً من تلك الزيارة المقدسة للحج ، وتبع ذلك تعميق العلاقات والصلات السياسية والثقافية والاقتصادية بين مصر وشعوب غرب أفريقيا ، والواقع أن « الحج » ظل يمثل أقوى الروابط التى ربطت شعوب غرب أفريقيا بالعالم الإسلامى (١) .

سلك سكان غرب أفريقيا - فى طريقهم إلى الحج - طرق القوافل التجارية المعروفة (٢) ، والتى تنقسم إلى قسمين : أما إلى الشمال عبر الصحراء إلى ساحل البحر المتوسط ثم الاتجاه شرقاً إلى القاهرة ، وأما الاتجاه من تنبكت شرقاً إلى جاو ثم أغاديس ثم غات ، ومنها إلى القاهرة حيث ينتهى بهم الطريق عند صحراء الأهرام (٣) .

وكان فى إمكان الحجاج مصاحبة القوافل عبر الطريق الأول ، إلا أنه كان أكثر تكلفة ، ولا يسلكه الحجاج الفقراء إلا إذا كانوا بصحبة حجاج أغنياء ، أو بصحبة كبار التجار ، أما طريق غات فكان أكثر استخداماً ، فهو أكثر أمناً ،

(١) Trimingham : Islam in...p. 88., The Influence of Islam upon Africa, p.p. 63, 117.

(٢) أنظر الخريطة رقم (٢) .

(٣) ابن خلدون : مصدر سابق ج ٥ ص ٤٣٤ ،

Froelich, J.C. : Essai sur les causes et methodes de l'Islamisation de l'Afrique de l'ouest, in Islam in Tropical Africa, ed. I.M. Lewis, p. 164.

فهو أكثر أمناً ، فضلاً عن أن الحاج يستطيع الحصول على مصاريف سفره على طول محطات الطريق ، اذ كان معظم الحجاج يحملون معهم بعض ما يتاجرون به أثناء طريقهم إلى الأماكن المقدسة (١) .

أما أولئك الذين كانوا يسافرون للحج سيراً على الأقدام من أهالي غرب أفريقيا ، فكانوا يسلكون الطريق الشرقي عبر أراضي السودان وادي النيل ثم عبر البحر الأحمر إلى الأماكن المقدسة ، ولكنه كان طريقاً محفوفاً بالأخطار حتى بعد سقوط مملكتي المقررة وعلوة المسيحيين وانتشار الإسلام في هذه الجهات (٢) .

ويعتبر سلطان مالي منسا علي (١٢٥٥ / ١٢٧٠) أول من زار مصر في عهد سلاطين الممالك ، وذلك في طريقه إلى الحج عام ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (٣) .

كما أدى فريضة الحج من حكام مالي سيكرة أو ساكورة الذي اغتصب عرش مالي (٤) وذلك في عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م في عهد سلطنة الناصر محمد الثانية (١٢٩٨ - ١٣٠٨) . وتعتبر رحلة سيكرة إلى الأراضي المقدسة أول رحلة لحكام مالي تصلنا بعض تفاصيلها ، فقد اتخذ موكب حجه طريق القوافل الشرقي عبر النيجر إلى تبستي ثم إلى واحات مصر : ومنها إلى القاهرة (٥) .

أما أشهر مواكب حج سلاطين مالي عبر الأراضي المصرية . وذات الأثر الهام في مجال العلاقات بين مصر وغرب أفريقيا في العصور الوسطى : فكان موكب

Trimingham : Islam in...p. 85.

(١)

(٢) نعيم قداح : أفريقيا الغربية في ظل الإسلام ص ٧٠ ، وعن سقوط ملكة علوة أنظر : د. محمد محمد أمير : العبدلاب وسقوط ملكة علوة - مجلة الدراسات الأفريقية - العدد الثاني ١٩٧٣ ص ٢١٧-١٩١ .

(٣) الفلقشندي : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٩٣ ، المقریزی : يذهب المسبوك ص ١١٠ .

Monteil : op. cit. p. 75.

(٤) أنظر ما سبق ص ٢٧٦ .

(٥) الفلقشندي : مصدر سابق ص ٥ ص ٢٩٤ ، المقریزی : مصدر سابق ص ١١١ ،

Monteil : op. cit. p. 77, le Chatelier, A. : l'Islam dans l'Afrique Occidentale, p. 81.

حج السلطان موسى ، إذا كان مجيء منسا موسى إلى مصر استهلالاً بارعاً لعلاقات قوية بين البلدين ، شملت كافة المجالات الحيوية من ثقافة وتجارة وفكر وعلوم وفنون ، وأصبح دخول مصر بالنسبة للحجاج غرب أفريقيا لايعنى فقط مجرد المرور في طريقهم إلى مكة ، بل أصبح دخول مصر في نظر أولئك الحجاج اتصالاً عميقاً بحضارة عربية اسلامية متطورة وتراث عربي اسلامي عميق الجذور (١).

كان مرور منسا موسى بمصر في طريقه إلى الحجاز ، وفي طريق عودته إلى بلاده أشبه بالأسطورة ، ولذا أفاضت المصادر العربية ، ومعظم الأوربية في وصف ركبته وإقامته بمصر .

ورغم أن الحج فريضة إسلامية واجبة على كل مسلم قادر ، إلا أن صاحب تاريخ الفتاش يضيف إلى ذلك سبباً لحج منسا موسى فيقول : « أن ملكي كنك موسى هو الذي قتل أمه نانا كنك خطأ ، وأسف لذلك وندم وخاف عقوبة ذلك ، وتصدق بمال جسيم وعزم على صوم الدهر ، وسأل بعض علماء زمانه عما يفعل في الاستغفار لهذا الذنب العظيم ، فقال له أرى أن تفرع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتهرب إليه وتدخل في حرمة وتستشفع به ، وسيشفعه الله فيك » (٢) .

خرج منسا موسى من عاصمته « مالي » على النيجر سنة ٧٢٤ هـ / ١٣٢٤ م في طريقه إلى الحج ، فسلك طريق القوافل الغربي الذي يبدأ من منحني النيجر إلى المغرب عن طريق سجلماسة (٣) .

خرج السلطان موسى من بلاده يركب جواداً ، ومعه ستون ألف جندي (٤) ،

(١) د. سر الحتم على : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٦٩) ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) محمود كمت : مصدر سابق ص ٢٢ .

(٣) خرج السلطان موسى من عاصمته مالي على النيجر إلى ولاته ، ثم إلى توات ، أما الطريق الذي سلكه من توات إلى القاهرة فغير محقق ويحتمل أنه كان طريق ورقلان ثم إلى ساحل سرت ومنه شرقاً إلى مصر - Bovill : op Cit. P.P. 87 , 88 .

(٤) يذكر محمود كمت أن حملة السلاح الذين خرجوا مع السلطان موسى « ثمانية آلاف » تاريخ الفتاش ص ٢٤ .

وبصحبته خمسمائة عبد ، بيد كل عبد قضيباً من ذهب ، زنة الواحد خمسمائة مثقال (١)، ويقال إن قدم معه أربعة عشر ألف جارية « برسم خدمته خاصة » (٢)، وكان منسا موسى « قد أعد لنفقته من بلاده ، فيما يقال ، مائة حمل من التبر ، في كل حمل ثلاثة قنا طير » (٣) ، وفي رواية أخرى « ثمانين حملاً من التبر » (٤) .

ورغم ما يبدو في هذه الروايات من المبالغة في الأرقام ، فإنها تدل على فخامة موكب منسا موسى. وعلى مظهر الثراء الذي ظهر به أمام المصريين والعالم أجمع ، ولا عجب في ذلك فقلولة مالى تتحكم في مناجم الذهب ، وهى « أرض التبر » ، وملكها هو « ملك الذهب » (٥).

أما بالنسبة لما صحب موكبه من جنود وجواري ، فأنى أرجح أن عدداً كبيراً من رجال مالى ونسائها انتهزوا فرصة خروج ملكهم إلى الحج لتأدية الفريضة معه وفي ركابه .

وصل منسا موسى إلى القاهرة في رجب ٧٢٤ هـ / يوليو ١٣٢٤ م حيث استقبل بما يليق به من احترام وتقدير ، فأوفد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعض كبار أمرائه لاستقباله . وعين المهندار أبا العباس أحمد بن الخاقاني ليكون مرافقاً له أثناء إقامته بالقاهرة (٦) .

(١) السعدى : مصدر سابق ص ٧ ، والمثقال يساوى وزن ٧٢١ حبة من الشعير أو ما يعادل $\frac{1}{8}$ أوقية من الذهب - القلقشندي : مصدر سابق ج ٣ ص ٤٣٦ .

(٢) المقرئى : الذهب المسبوك ص ١١٢ ، ١١٣ ، ويذكر القلقشندي « إنه كان يحمل آتة اثنا عشر ألف وصيفة لا بسات اقبة اندياج » صبح الأعشى ج ٥ ص ٥٩٦ .

(٣) القلقشندي : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٩٦ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٥ ص ص ١٥٤ و ١٥٥ ترجمة رقم ٤٩٠٤ .

(٤) ابن خلدون : مصدر سابق ج ٦ ص ٢٠٠ و ٢٠١ .

(٥) محمود كمت : مصدر سابق ص ٤١ .

(٦) كانت وظيفة المهندار تلقى الرسل والوفود الواردين إلى السلطان ، وكان عليه انزالهم بدور الضيافة أنظر القلقشندي : مصدر سابق ج ٤ ص ٢٢ و ج ٥ ص ٤٥٩ ، وعن المراسم الخاصة بالاستقبال أنظر : منى إبراهيم عبد الرحمن : السفارات الأجنبية في مصر على عصر سلاطين المماليك (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٧٥) ص ١٣٧ وما بعدها .

وعند وصول منسا موسى إلى القاهرة قدم هدايا قيمة للسلطان الناصر محمد بن قلاوون عبارة عن « حمل من التبر »^(١) ، قدر ابن حجر قيمته بنحو « خمسة آلاف مثقال »^(٢) ، كما قدره غيره بنحو « خمسين ألف دينار »^(٣) ، كما أن منسا موسى لم يترك بمصر « أميراً ولا رب وظيفة سلطانية إلا بعث إليه بالذهب »^(٤) .

حضر منسا موسى مجلس السلطان الناصر محمد فأعفاه السلطان من تقليد تقبيل الأرض بين يدي السلطان « وقربه ، وأكرمه ، وسأله عن سبب مجيئه ، فقال « أردت الحج » ، فرسم للوزير أن يجهزه بكل ما يحتاج إليه »^(٥) ، وأمر السلطان بانزال ضيفه بقصر عند القرافة الكبرى ، وأقطعه هذا القصر^(٦) ، كما بعث الناصر محمد إلى ضيفه بالخلع الكاملة له ولأصحابه ، وخيلا مسرجة ملجمة ، وكانت خلعة منسا موسى « طرد وحش بقصب كثير ، بسنجاب مقدس . مطرز بزركش على مفرج اسكندري ، وكلوته زركشي ، وكلاليب ذهب ، وشاش بحريير ، ورقم خليفتي ، ومنطقة ذهب مرصعة ، وسيف محلي ، ومنديل مذهب خز ، وفرسين مسرجين ملجمين بمراكب بغل محلاه ، وأعلام ، وأجرى عليه الانزال والاقامات الواقعة مدة مقامه »^(٧) .

ولما آن وقت الرحيل إلى الأراضى الحجازية سار ركب منسا موسى ركبا وحده في ساقه ركب الحاج المصري^(٨) ، بعد أن زود الناصر محمد ضيفه بما يلزمه من

(١) ابن فضل الله العمري : مصدر سابق ج ٢ ورقة ٥٠٥ .

(٢) الدرر الكامنة ج ٥ ص ١٥٤ و ١٥٥ ترجمة رقم ٤٩٠٤ .

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبوة حوادث سنة ٧٢٤ هـ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج ٥ ص ٤٣٤

(٤) ابن فضل الله العمري : مصدر سابق ج ٢ ورقة ٥٠٤ ، ابن حجر : مصدر سابق ج ٥ ص

١٥٥ .

(٥) المقرئزي : الذهب المسبوك ص ١١٢ ، السلوك ج ٢ ق ١ ص ٢٥٥ .

(٦) ابن خلدون : مصدر سابق ج ٥ ص ٤٣٤ .

(٧) ابن فضل الله العمري : مصدر سابق ج ٢ ورقة ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، التلخيص : مصدر سابق

ج ٥ ص ٢٩٥ .

(٨) يقصد بركب الحاج الركب السلطاني الذي تصحبه الكسوة الشريفة للحرمين ، أنظر الجزيري :

درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ص ١٨٨ ، وعن تنظيم ركب المحمل أنظر

عل بن حسين السليمان : الملاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ص ٧٧ وما بعدها .

المهجن والأزواد له ولأصحابه ، كما أعد ما يلزم من العليق لدوابه ، على طول الطريق إلى الأراضى المقدسة ، كما أوصى الناصر محمد أمير ركب الحاج المصرى ، الذى صلب منسا موسى ، وهو الأمير سيف الدين أيتمش باكرام منسا موسى واحترامه والقيام بجميع ما يحتاجه (١).

وفى الحجاز أدى منسا موسى فريضة الحج ، وزار المدينة ، وأفاض على الحجيج وأهل الحرمين بالاحسان ، وطاب له المقام بالحجاز . فبقى هناك نحو ثلاثة أشهر بعد انتهاء موسم الحج (٢) .

أنفق منسا موسى كل ما كان معه من أموال فى سفرته هذه ، حتى أنه عندما عاد إلى مصر احتاج إلى القرض ، فاستدان على ذمته من تجار مصر « بما لهم عليه فيه من المكاسب الكثيرة ، بحيث يحصل لأحدهم فى كل ثلثمائة دينار سبعمائة دينار ربحاً » (٣) ، كما اضطر منسا موسى بسبب حاجته إلى المال إلى بيع القصر الذى أقطعه له الناصر محمد فاشتراه أحد كبار التجار وهو سراج الدين بن الكويك ، كما أقرضه ابن الكويك خمسين ألف دينار ، وأقرض أمراءه ما احتاجوا إليه ، كما « جدد له السلطان الكرامة وأوسع له فى الحباء » (٤) وأنعم عليه « بنحوول وجمال » (٥).

وليس من شك فى أن خروج منسا موسى إلى الحج فى هذا الموكب كانت له آثار هامة على العلاقات الخارجية للدولة مالى بعامه ، وعلى العلاقات بين مصر ومالى بخاصة فى شتى المجالات (٦) .

(١) المقرئزى : الذهب المسبوك ص ١١٣ .

(٢) المقرئزى : الذهب المسبوك ص ١١٣ ، ابن خلدون : المصدر السابق ج ٥ ص ٤٢٤ ، ابن حجر مصدر سابق ج ٥ ص ١٥٥ .

(٣) القلقشندى : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٩٦ ، المقرئزى : الذهب المسبوك ص ١١٣ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج ٥ ص ٤٣٤ .

(٤) ابن خلدون : نفس المصدر والصفحة .

(٥) المقرئزى : الذهب المسبوك ص ١١٣ .

(٦) أنظر مايل .

ومن حكام مالى الذين زاروا القاهرة فى طريقهم إلى الحج السلطان سليمان (١٣٤١ - ١٣٦٠) الذى خرج للحج فى عام ٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م على رأس حجاج غرب أفريقيا ، فيذكر المقرئزى فى حوادث هذه السنة « وقدم التكرور ومعهم رقيق كثير ، وفيهم ملكهم ، فسأل ملكهم الاعفاء من الدخول على السلطان فاعفى ، وسار بقومه إلى الحج » (١) .

وتؤكد عبارة المقرئزى ما سبق أن ذكرناه من أن سكان غرب أفريقيا كانوا ينتهزون فرصة خروج ملوكهم للحج للسفر فى ركابهم لتأدية الفريضة ، وأن موكب السلطان موسى لم يقتصر على الجنود والعبيد ، بل ضم أساساً من خرج من أهل البلاد لتأدية الفريضة (٢) .

وما أن زالت دولة مالى ، وازدهرت دولة سنغاي الإسلامية حتى شهدت القاهرة فى سنة ٩٠٢ هـ - ١٤٩٦ م موكب حج الأسكيا محمد الكبير سلطان إمبراطورية سنغاي . فقد قرر أسكيا محمد بعد أن إطمأن إلى جهوده فى تنظيم دولته أن يسافر إلى المشرق لتأدية فريضة الحج ، والإطلاع على أحوال ممالك المشرق وطرق تسيرها . وحتى ترتفع مكانته بين أبناء شعبه بتأدية فريضة الحج (٣) .

حرص أسكيا محمد على أن يصحب معه فى طريقه إلى الأراضى المقدسة جمعاً كبيراً من العلماء والأعيان ، ليظهر أمام العامة بمظهر الملك الصالح القوى ، فسار فى موكب ضخم ، وفى كل بلد يمر به كان يستأذن فى الدخول من أميرها ثم ينفق بسخاء ، حتى يقال أنه أنفق فى حجه ثلاثمائة ألف قطعة من الذهب ، أى عشرة أضعاف من أنفقه منسا موسى ، فقد أنفق أسكيا محمد مائة ألف قطعة ذهبية لتكاليف سفره مع حاشيته ، وأنفق مثلها كصدقات لفقراء مكة والمدينة ، كما اشترى قطعة أرض ومبنى بمكة يأوى إليه حجاج السودان الغربى ، أما المائة الباقية فقد أنفقها فى شراء حاجات وهدايا من أسواق مكة والقاهرة (٤) .

(١) المقرئزى : السلوك ج ٢ ق ٣ ص ٨٥٥ .

(٢) أنظر ما سبق ص ٢٨٤ .

(٣) محمود كمت : مصدر سابق ص ١١ ، ١٢ .

(٤) السعدى : مصدر سابق ص ٨٣ . د. عبد القادر زبادية : مرجع سابق ص ٣٧ .

لم تجتذب قافلة حج أسكيا محمد الكبير إهتمام حكام مصر ، كما حظى موكب منسا موسى من قبل ، ولعل ذلك راجع للاضطرابات التي كانت سائدة في مصر في ذلك الوقت (١) .

كانت هذه أشهر مواكب حجاج غرب أفريقيا في عصر سلاطين المماليك (٢) ، والتي كانت حجر الزاوية في العلاقات بين مصر وغرب أفريقيا في العصور الوسطى .

أما في مجال العلاقات السياسية بين مصر وغرب أفريقيا في العصور الوسطى ، فليس في المصادر والمراجع المتداولة ما يشير إلى أن العلاقات السياسية بين المنطقتين كانت تستوجب نوعا من الإلتزامات ، ويبدو أن العلاقات كانت تسير حرة غير مقيدة بشرط (٣) .

وكان لإحياء الخلافة العباسية في القاهرة على يد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس سنة ٦٥٩ هـ - ١٢٦١ م (٤) أثر كبير في توطيد العلاقات السياسية بين مصر والدول الإسلامية في غرب أفريقيا ، إذ حرص حكام السودان الغربي على أن يحيطوا

(١) سادت مصر بعد وفاة السلطان قايتباي سنة ٩٠١ هـ - ١٤٩٦ فترة من الفوضى وعدم الاستقرار حتى أنه ولي عرش مصر في أقل من خمس سنوات خمسة من السلاطين ، مكث أحدهم على العرش ثلاثة أيام - ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٣٢٤ وما بعدها ، د. سعيد عاشور : العصر المماليكي ص ١٧٦ ، وللدراسة التفصيلية أنظر د. عبد العظيم حامد خطاب : قانصوة الغوري ونهاية الدولة المملوكية (رسالة دكتوراه غير منشورة بآداب عين شمس ١٩٧٣) ص ١٤ وما بعدها .

(٢) شهدت القاهرة مواكب حجاج التكرور عاما بعد عام ، وفي كتب الحوليات المعاصرة اشارات لهذه المواكب وكثرة عددها دون تحديد فتذكر مثلا « حجاج لا يحصى عددهم إلا الذي فطرهم » : أنظر ما جاء عن حجاج التكرور في حوادث سنوات ٧٨٥ هـ ، ٧٩٠ هـ ، ٨٤٢ هـ ، ٨٤٧ هـ ، ٨٤٩ هـ ، ٨٥٠ هـ ، ٩١٩ هـ في ابن الصيرفي نزهة النفوس والأبدان ، المقرئزي : السلوك ، السخاوي : التبر المسبوك ، ابن حجر : انباء الغمر ، ابن اياس : بدائع الزهور .

(٣) سر الختم عثمان : مرجع سابق ص ٩٩ ، وينفرد ابن أيك بالقول «أن السلطان موسى ألزم أن يخطب في بلاده باسم مولانا السلطان (الناصر محمد) وكذلك السكة ، وهذا ما عهد لصاحب مصر عند مولانا السلطان - ابن أيك» ؛ كنز الدرر وجامع الغرر ج ٩ بعنوان الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر - تحقيق هانس روبرت رويمر ص ٣١٧ .

(٤) عن احياء الخلافة العباسية بالقاهرة والنتائج التي ترقبت على ذلك بالنسبة لمصر والعالم الاسلامي أنظر د. سعيد عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ص ص ٣٤٢-٣٤٧ .

سلطانهم بسياج من الشرعية لتدعيم ملكهم في نظر رعاياهم ، ومن هنا فان كثيراً من سلاطينهم كانوا يطلبون من الخليفة العباسي بالقاهرة تقليداً بتفويضهم الحكم في بلادهم ، وعادة كان الخليفة العباسي بالقاهرة يمنح هذه التقليد .

ويزداد حرص حكام غرب أفريقيا على الحصول على تقليد الخليفة العباسي في حالة قيام أسرة جديدة في الحكم ، ومثال ذلك ما ترويه المصادر عن أسكيا محمد الكبير الذي خرج إلى الحج لإكساب حكمه الشرعية (١) ، ولا يستبعد أن يكون من أغراض خروجه للحج مقابلة الخليفة العباسي بالقاهرة والحصول منه على تقليد بالسلطنة في بلاده ، ولا سيما وأنه تولى الحكم بثورة على الحاكم السابق (٢) .

وتحرص المصادر السودانية على أن تؤكد حصول أسكيا محمد على تقليد ومبايعة بالخلافة الإسلامية بارض التكرور (٣) ، ولكنها تنسب هذا التقليد إلى الشريف الحسني مولاى العباس أمير مكة ، ويذكر محمود كمت - وهو من مرافقي أسكيا محمد - قصة هذا التقليد بقوله : « وأما الشريف الحسني مولاى العباس فكان مع أمير المؤمنين وخليفة المسلمين أسكى الحاج محمد جالسا بحذاء الكعبة يتحدathan ، فقال له الشريف مولاى العباس : يا هذا أنت الحادى عشر من الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك جئتنا ملكا والملك والخلافة لا يتفقان ، فقال له كيف ذلك يا سيدى ؟ فقال له مولاى العباس لا سيبل إلى ذلك إلا أن تخرج عما أنت فيه ، فاذعن له أسكى طوعاً ، وطرده جميع الوزراء عنه ، وجمع جميع آلات السلطنة وأموالها وجعل ذلك كله بيد العباس وقعد عازلاً لنفسه ، ودخل مولاى العباس في الخلوة ثلاثة أيام ، ثم خرج يوم الجمعة ، ونادى أسكى الحاج محمد وأجلسه بمسجد البلدة الشريفة مكة ، وجعل على رأسه قلنسوة خضراء وعمامة بيضاء ، وأعطاه سيفاً ، وأشهد الجماعة الحاضرين أنه خليفة بارض التكرور ، وأن كل من خالفه في تلك الأرض فقد خالف الله تعالى ورسوله » (٤) .

(١) أنظر ماسبق ص ٢٧٧ ، ٢٨٧ .

(٢) محمد أنور أبو علم : مرجع سابق ص ٤٠ وما بعدها .

(٣) محمود كمت : مصدر سابق ص ١٥ ، ١٦ .

(٤) محمود كمت : مصدر سابق ص ١٢ ، وقد أورد السعدى ملخصاً لهذه القصة التي وردت

بتاريخ الفتاش أنظر تاريخ السودان ص ٧٣ .

ثم يعود محمود كعت ويربط بين هذا التقليد وبين إعراف العالم المصرى جلال الدين السيوطى بأن أسكيا محمد أحد الخلفاء فيقول : « ثم تهباً أسكى الحاج محمد للرجوع ، فلما وصل مصر وجد هناك الشيخ عبد الرحمن السيوطى ، فسأله أسكى عن الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سيأتون بعده ، فقال الشيخ هم اثنا عشر ، خمسة منهم بالمدينة ، وإثنان بمصر ، وواحد بالشام ، وإثنان بالعراق وقد مضى هؤلاء كلهم وبقي إثنان بأرض التكرور أنت أحدهما » (١) .

أما المراجع الحديثة فتذكر أن من لقيه الأسكيا محمد في مكة هو الخليفة العباسى (٢) ومنها ما تذكر صراحة أن لقاء أسكيا محمد بالخليفة العباسى كان بالقاهرة « ولما عاد الملك من الحج قابل الخليفة العباسى فى القاهرة وطلب إليه أن يسافر معه ليتولى حكم السودان ، ولكن الخليفة أقره على السودان بلقب خليفة ، وقد قدم له محمد الحاج كثيراً من الهدايا » (٣) .

ومهما يكن من أمر هذه الروايات ، فإنها تدل دلالة صريحة على حرص حكام الدول الإسلامية فى غرب أفريقيا على الحصول على تقليد بالحكم فى بلادهم من الخليفة العباسى ، ومن المعروف أن صاحب الحق فى منح مثل هذا التقليد هو الخليفة العباسى بالقاهرة وليس أمير مكة ، وأن ما ورد فى المصادر السودانية قد يرجع إلى الخلط فى الروايات .

والواقع أن تقليد أسكيا محمد بالخلافة أمر مستبعد ، فأمر مكة — طبقاً لروايتى محمود كعت والسعدى — لا يملك هذا الأمر ، كما أنه من المستبعد أن الخليفة العباسى بالقاهرة يقلد شخصاً آخر بالخلافة حتى ولو كان بالسودان الغربى ، ولا يخرج الأمر على أن يكون إعراف الخليفة العباسى بالقاهرة بولاية أسكيا محمد لحكم السنغاي ، ويؤكد هذا رأى ما ذكره محمود كعت نفسه — فى مناسبة أخرى — على لسان أسكيا محمد لابنه إسماعيل ، أن شريف مكة الذى هو أميرها قال له : « أنت أميرى

(١) محمود كعت : نفس المصدر ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) د. عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣٩ .

(٣) نعيم قداح : أفريقيا الغربية ص ٧١ .

ونائبى وخليفتى فى إقليمك » ، فرد عليه أسكيا محمد بقوله : « وأنت أمير المؤمنين وأنا خليفته وأمره ونائبه » (١) ، فكلمة خليفة هنا بمعنى نائب .

وتتمثل العلاقات السياسية أيضاً فى المراسلات المتبادلة بين سلاطين الممالك وحكام دولتى مالى وسنغاي . من ذلك الخطاب الذى أرسله منسا موسى إلى الناصر محمد بن قلاون بمهد فيه لمحبيته إلى مصر فى طريقه إلى الحج ، وراعى فيه تقاييد معيناً ، فيذكر العمرى أن السلطان موسى كان فى خطابه هذا « يمسك فيه ناموساً لنفسه » (٢) .

ونظراً لكثرة العلاقات وتوثقها ، وجد فى دواوين سلطنة الممالك صيغ ثابتة لمخاطبة ملوك السودان الغربى ، وهذه الصيغ معدة فى ديوان الإنشاء لتصدر بها المكاتبات الرسمية . ومن هذه الصيغ : « أدام الله نصر المقر العالى السلطان الجليل الكبير ، العالم العادل ، المجاهد المؤيد الأوحد . عز الإسلام ، شرف ملوك الأنام ، ناصر الغزاة والمجاهدين . زعيم جيوش الموحدين . جمال الملوك والسلاطين ، سيف الخلافة ، ظهير الإمامة . عضد أمير المؤمنين . الملك فلان » (٣) .

كما وجدت صيغة مختلفة فى كتاب تثقيف التعريف ، وهى : « أعز الله تعالى جانب الجنب الكريم العالى الملك الجليل ، العالم العادل ، المجاهد المؤيد ، المشاعر المرابط ، العابد الخاشع ، الناسك الأوحد ، زخر الإسلام والمسلمين ، نصرة الغزاة والمجاهدين ، عون جيوش الموحدين ، ركن الأمة ، عماد الملة ، جمال الملوك والسلاطين ، ولى أمير المؤمنين » (٤) .

وجاء فى بعض الرسائل دعاء لملك التكرور منه « ووطن وفور السعادة داره ، وشد عرى ملكه بالتأييد الذى لا ينقصم عراه ، ولا زال تمهيدته ممنوحاً بالبسط

(١) محمود كمت : مصدر سابق ص ٨٦ .

(٢) ابن فضل الله العمرى : مصدر سابق ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٧ ، القلقشندي : مصدر سابق

ج ٨ ص ٩ .

(٣) ابن فضل الله العمرى : التعريف ص ٢٨ ، القلقشندي : مصدر سابق ج ٨ ص ٩-١١ .

(٤) الحجى : تثقيف التعريف (مخطوط بمكتبة كتابخانه آستان قدس - مشهدايران - رقم ١٩٣

ورقة ١٢ .

والإقتدار ، وسيفه مقروناً بالعزة والإنتصار ، وعزمه منوطاً بالسداد والإبتدار ، وعدله يبلغ أرباب الحقوق من حصونها في أيديهم ، نهاية الأمل وغاية الأوطار » (١).

كما كانت هناك الهدايا المتبادلة بين حكام السودان الغربي وسلاطين المماليك (٢) ، مثال ذلك عندما وصل السلطان موسى إلى القاهرة في طريق عودته من الحج إلى بلاده بعث إلى السلطان الناصر محمد « من هدية الحجاز تبركاً » (٣) ، و « جاملة بالجميل والألطف » (٤) ، فاجابه السلطان الناصر محمد بالخلع له ولمن بقي معه من أصحابه ، فضلاً عن « التحف والألطف من البر الإسكندري والأمتعة الفاخرة » (٥) .

وكان لمواكب الحج القادمة من السودان الغربي عبر الأراضي المصرية أثر كبير في الأوضاع الإقتصادية في كل من مصر والسودان الغربي ، فضلاً عن آثارها في العلاقات الإقتصادية بين البلدين .

إعتاد حجاج السودان الغربي أن يقضوا فترة في القاهرة ، إنتظاراً لموعد رحيل ركب الحجاج المصري ، لا تقل عن ثلاثة أشهر (٦) ، وقد يبقى بعض هؤلاء الحجاج فترات أطول إذا ما مكثوا لتلقى العلم في الأزهر أو في إحدى مدارس القاهرة ،

(١) من مجموعة رسائل بال مكتبة الأهلية بباريس تحت عنوان :

Recueils des Correspondance au xves entre les Sultans Mamluk et les Couvraus Contemporair, B.N. No. 440. p. 69.

(٢) أنظر ما سبق ص ٢٨٥ عن الهدايا والخلع التي قدمها السلطان الناصر محمد إلى السلطان موسى عندما وصل إلى القاهرة في طريقة إلى الحج .

(٣) القلقشندي : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٩٩ .

(٤) ابن جبر : الدرر الكامنة ج ٥ ص ١٥٥ ترجمة موسى بن أبي بكر سالم التكروري رقم ٤٩٠٤ .

(٥) القلقشندي : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٩٦ ، د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى الإسلامية ص ٨٥ .

(٦) مثال ذلك أن السلطان موسى وصل إلى مصر في شهر جادى الأول ٧٢٤ هـ ودخل القاهرة في ١٦ رجب ، ثم رحل مع موكب الركب المصرى إلى الحجاز في ١٨ شوال من نفس العام - المقرئى : السلوك ج ٢ ق ١ ص ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، وعن مواعيد خروج ركب الحاج المصرى وعودته أنظر على بن حسين السليمانى : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ص ٦٤ وما بعدها .

وفي خلال هذه الفترة يتعرف حجاج السودان الغربي على المنتجات المصرية ، والسلع المعروضة بأسواق القاهرة ، كما أنهم قد يبيعون في أسواق القاهرة بعض السلع التي حملوها معهم ، أي أن هذه الفترة كانت فرصة للتعرف على السلع المختلفة ، وللتبادل التجاري في نطاق محدود .

وتجلت هذه الظاهرة على نطاق واسع أثناء موكب حج السلطان موسى ، فكان لضخامة الركب ، ولكثرة الأموال التي حملها السلطان موسى وأتباعه أثر كبير في نشاط حركة البيع والشراء في أسواق القاهرة ، وفي ذلك يقول ابن أبيك : « إن ملك التكرور وأصحابه إشتروا من القاهرة ومصر من سائر الأصناف ، وظنوا أن ما لهم لا ينفذ ، فلما إستغرقوا في المشتري ووجدوا أن أصناف هذه الديار لا لها حد يحد ، وكل يوم ينظروا شيئاً أحسن من شيء ، نفذ ما كان معهم ، وإحتاجوا للقرض » (١) ، فكان الحاج المصاحب لركب السلطان موسى يدفع الواحد منهم بسهولة خمسة دنانير ثمناً لثوب لا يساوي أكثر من دينار واحد (٢) .

جذبت المنسوجات المصرية الجميلة ، والجواري الحسان ، والغلمان الترك (٣) أنظار السلطان موسى وصحبه فاقبلوا على الشراء حتى إنخفض سعر الذهب في القاهرة بسبب إغراقها بذهب السودان ، ولكثرة الذهب في أيدي الناس (٤) ، ولم يستعد الذهب سعره الأول إلا وقت قدوم ابن فضل الله العمري إلى القاهرة ، بعد إثنتي عشرة سنة من زيارة منسا موسى للقاهرة (٥) .

(١) ابن أبيك : كنز الدرر ج ٩ بعنوان الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ص ٣١٦ .

(٢) د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى ص ٨٤ ،

Bovill : op. cit. p. 88.

(٣) من هؤلاء الغلمان الترك كان يقف خلف سلطان مالى - إذا جلس بقصره - نحو ثلاثين مملوكاً من الترك وغيرهم « ممن يبتاع له من مصر » ابن فضل الله العمري : مسالك الأبيصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٨ ، القلقشندي : مصدر سابق ج ٥ ص ٣٠٠ ، ابن بطوطة : تحفة النظار ج ٤ ص ٤١٥ .

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٥ ص ١٥٥ ترجمة رقم ٤٩٠٤ ، ويذكر المقرئ أن الدينار الذهب نقص سعره ستة دراهم - السلوك ج ٢ ق ١ ص ٢٥٥ ، الذهب المسبوك ص ١١٣ .

Bovill : op. cit. p. 88.

(٥)

وإذا كان اغراق الأسواق المصرية بذهب السودان الغربي أدى إلى انخفاض سعر الذهب في مصر ، فقد لعب المصريون دوراً مشابهاً بالنسبة لأسواق السودان الغربي ، وذلك فيما يتعلق بالودع الذي كانت تجلبه القوافل المصرية من الهند وشرق أفريقيا ، وتنقله إلى السودان الغربي ، فقد كان الودع يتعرض سعره الارتفاع والانخفاض تبعاً لورود القوافل المصرية (١) ، ومن المعروف أن الودع كان يستخدم كنوع من العملة في السودان الغربي (٢) .

وكنتيجة مباشرة لمواكب حجاج السودان الغربي عبر الأراضي المصرية ، أصبحت مختلف السلع المعروضة في أسواق القاهرة معروفة تماماً ، بل ومطابقة أيضاً في السودان الغربي ، مما أدى إلى ازدهار عمليات التبادل التجاري بين مصر من ناحية وبين دولتي مالي وسنغاي من ناحية أخرى .

ونظراً لضخامة التبادل التجاري بين مصر والسودان الغربي ، لم يكن لسكان مدينة تكدة (٣) - المركز الرئيسي لتجارة القوافل مع مصر - من عمل سوى التجارة مع مصر ، فيسافرون إليها في كل عام لـحلب أزهي الشياح وغيرها من مختلف المنسوجات المصرية . والتي يتباهى باقتنائها عظماء القوم (٤) ، كما حماوا إلى مصر النحاس المستخرج من مناجم تكدة (٥) .

وليس أدل على ازدهار التجارة بين مصر والسودان الغربي مما تذكره المراجع من أن قافلة قامت من مدينة مالي العاصمة . وتوجهت نحو مصر عن طريق تكده ،

(١) Delofosse, M. : Haut-Senegal — Niger, Vol. 2, l'Histoire, p. 264.

(٢) كان سكان السودان الغربي يتعاملون بالذهب دون سك ، فيذكر البكري أن « دنائيرهم تسمى الصلح لأنها ذهب محض غير مختومة » : المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ص ١٨١ .

وانظر أيضاً : L'leon L'Africain : Description de l'Afrique, Vol. I.p. 165

(٣) تقع بين جاو واير على طريق الحج عبر الصحراء أنظر :

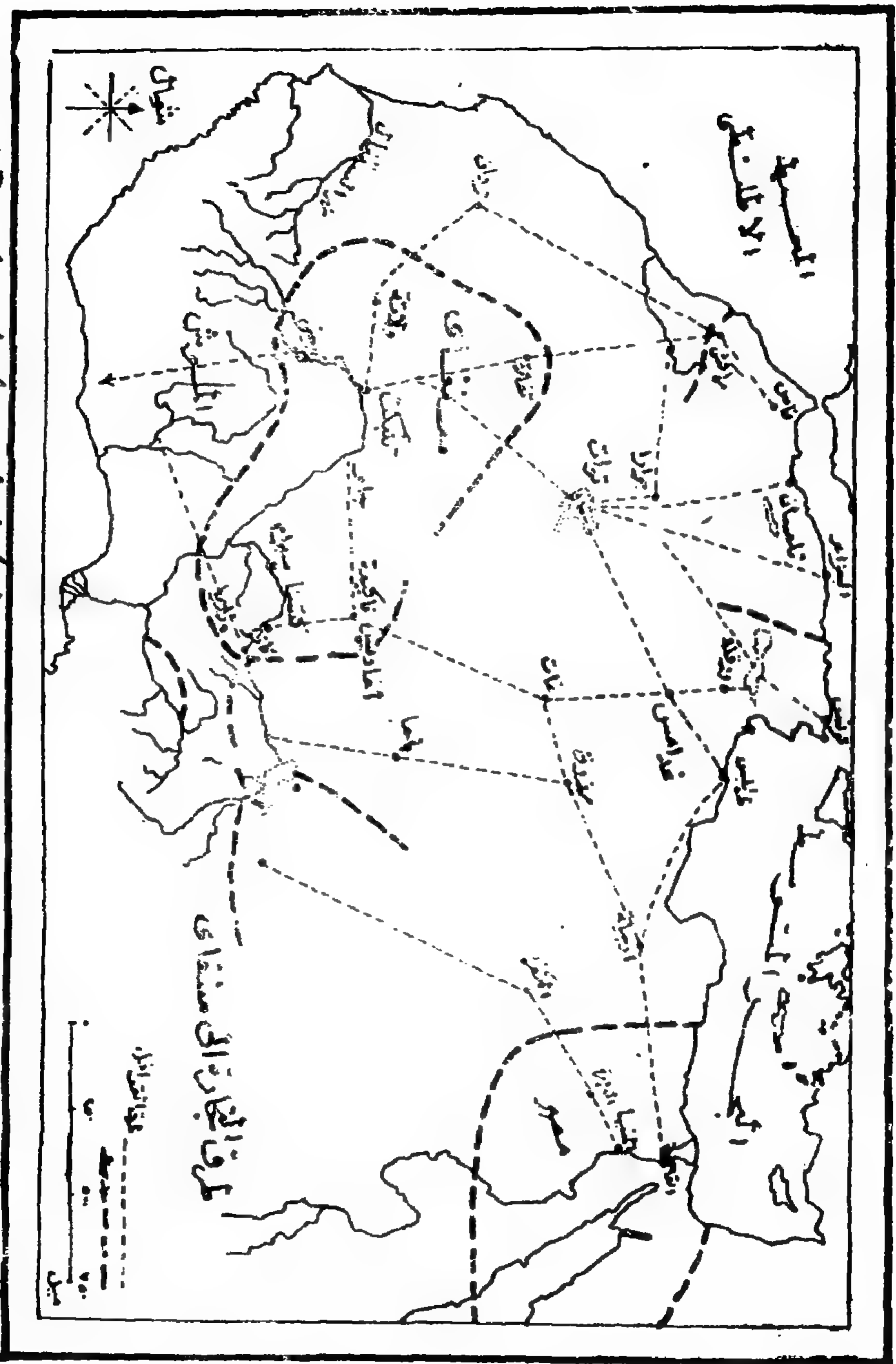
Bovill : op. cit. p. 98

(٤) ابن بطوطة : مصدر سابق ج ٤ ص ٤٣٩ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج ٦ ص ٢٠١ .

(٥) ابن بطوطة : نفس المصدر ج ٤ ص ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ابن فضل الله العمري : ممالك

الأبصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٧ ،

Bovill : op. cit. p. 94, Les Memoires de l'Afrique, ed Robert Laffont, p.214.



العدد ١ : Page, J. D.: An Atlas of African History, P. 17, Map. 13.

بلغ عددها ١٢ ألف جمل (١) ، ورغم المبالغة الظاهرة في هذا الرقم فانه يدل على ضخامة التجارة المتبادلة بين مصر ومالى .

وكانت المنسوجات والكتب هي أهم ما حملة التجار المصريون إلى مالى وسنغاي في العصور الوسطى ، وكانوا يعودون عادة بمنتجات السودان الغربى ، وعلى رأسها الذهب (٢) ، وريش النعام ، وبيض النعام ، والتوابل والعنبر (٣) .

ونتج عن زيادة المعاملات بين مصر والسودان الغربى أن أصبحت « الدراهم التكرورية » معروفة بمصر ، بل ومن أهم العملات المتداولة في مصر نظراً لثبات قيمتها في السوق ، وجودة عيارها ، وليس أدل على ذلك من أن السلطان برسباي عندما أراد اصلاح أحوال العملة في مصر سنة ٨٨٢٦ / ١٤٢٣ م « رسم السلطان ألا يتعامل إلا بالدراهم المصكوكة بالديار المصرية والشامية ، وتبطل ما سوى ذلك خلا الدراهم التكرورية » (٤) .

وتبعاً لازهار التبادل التجارى بين مصر والسودان الغربى فقد وجدت جاليات مصرية بمدن مالى وسنغاي ، سواء كانوا من التجار ، أو من الفقهاء والعلماء .

فمن المصريين الذين سافروا إلى مالى وكيل ابن الكويك الذى سافر صحبة منسا موسى ليستوفى حقوق موكله (٥) ، ولكنه توفى في الطريق ، فاضطر سراج الدين بن الكويك أن يسافر بنفسه إلى بلاط مالى ، وصحب معه ابنه فخر الدين أبو جعفر ، وفي تنبكت توفى سراج الدين ، ودفن هناك ، وقد زار ابن بطوطة قبره هناك سنة

Bovill : op. cit. p. 94.

(١)

(٢) القلقشندي : مصدر سابق ج ٣ ص ٤٦١ ،

Lombard, M. : l'Or Musulman du viie au xie Seicle, Annales (E.S.C.) 11(1947) p. 148 .

(٣) د . عبد القادر زبادية : مرجع سابق صفحات ١٨١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،

٢٢٦ .

(٤) ابن الصيرفى : نزهة النفوس ج ٣ ص ٢٤ ،

Darrag, A. : L'Egypte sous Le Regne De Barsbay, p. 100, Garcin, J.C. : Un Centre Musulman de la Haute—Egypte Medievale, Qus, p. 428.

(٥) أنظر ما سبق ص .

٥٧٥٤ / ١٣٥٣م^(١) ، فتابع الابن رحلة أبيه حتى وصل إلى مالى العاصمة ، واستوفى دين أبيه ، ثم عاد إلى مصر^(٢) .

كما لجأ بعض التجار المصريين إلى إرسال وكلائهم إلى السودان الغربي لمباشرة أعمالهم التجارية ، ومن هؤلاء التاجر المصرى الشهير محمد بن مسلم بن أحمد البالىسى^(٣) الذى كان يرسل وكلاءه إلى بلاد التكرور « ويعودون له بالأرباح الكثيرة المفرطة »^(٤) .

وازدادت أعداد التجار المصريين بالسودان الغربى ، كما ازدادت أيضاً ثروتهم ، وليس أدل على ذلك من أنه عندما أراد سلطان مالى مارى جاطة الثانى (١٣٦٠ - ١٣٧٤) أن يبيع حجر الذهب الموجود فى خزائنه ، ويزن عشرين قنطاراً ، عرضه على « تجار مصر المترددين إلى بلده ، وابتاعوه منه بأخمس ثمن »^(٥) .

وكانت كثرة عدد الأجانب ، وبخاصة المصريين فى دولة سنغاي دافعا للأسكيا محمد سلطان سنغاي (١٤٩٣ - ١٥٢٨) لتعيين وزير يختص بشئون الأجانب ، وهو الذى أطلق عليه اسم « كورى فارما »^(٦) .

وفى مجال العلاقات الثقافية يمكن القول أنها كانت أقوى العلاقات بين مصر والسودان الغربى منذ أقدم العصور ، ومن الطبيعى أن تزداد هذه العلاقات منذ العصر الإسلامى ، فقد كانت مصر من المنابع التى جاء منها الإسلام إلى غرب أفريقيا ، وما أن ازداد انتشار الإسلام فى غرب أفريقيا ، وما تبعه

(١) ابن بطوطة : مصدر سابق ج ٤ ص ص ٤٣١ ، ٤٣٢ ، السعدى : مصدر سابق ص ٨ .

(٢) السعدى : نفس المصدر ص ٨ ، د . إبراهيم على طرخان : دولة مالى ص ٨٦ .

(٣) توفى سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٥ ص ٢٦ ترجمة رقم ٤٥٧٥ ، أنباء الغر ج ١ ص ٩٩ ترجمة رقم ٩٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١١ ص ١٣٢ .

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٥ ص ٢٦ .

(٥) ابن خلدون : مصدر سابق ج ٦ ص ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، القلقشنلى : مصدر سابق ج ٥

ص ٢٩٧ .

(٦) د . عبد القادر زبادية : مرجع سابق ص ٥٩ .

من انتشار اللغة العربية أيضاً حتى ازدادت العلاقات الثقافية بين مصر ودول السودان الغربي (١) .

وكان لموقع مصر في قلب العالم الإسلامي ، وعلى طريق الحج بين السودان الغربي والأماكن المقدسة أثر كبير في توافد الكثيرين من أبناء السودان الغربي على مصر للدراسة في مدارسها وفي الجامع الأزهر ، سواء وهم في طريقهم إلى الحج أو في طريق عودتهم إلى بلادهم ، حتى احتاجت هذه الوفود إلى مكان ثابت ينزلون فيه خلال رحلتهم ، ومن أجل ذلك ، ومنذ أواخر العصر الأيوبي ، بنوا مدرسة في فسطاط مصر ، عرفت باسم مدرسة ابن رشيق ، لتدريس المذهب المالكي ، فضلاً عن استخدامها نزلاً للوافدين (٢) ، إذ قامت طائفة من حجاج « الكانم من طوائف التكرور » (٣) بدفع مبلغ من المال للقاضي علم الدين بن رشيق لبناء مدرسة للمالكية عرفت باسم مدرسة ابن رشيق ، كانت منزلاً لحجاج التكرور عند مرورهم بمصر ، و « صار لها في بلاد التكرور سمعة عظيمة ، وكانوا يبعثوا إليها في غالب السنين المال » (٤) .

ومع استعادة الأزهر لمكانته منذ بداية عصر سلاطين المماليك (٥) ، لم يلبث

(١) عن انتشار اللغة العربية في غرب أفريقيا أنظر : د . إبراهيم على طرخان : الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي - مجلة جامعة أم درمان الإسلامية - المجلد الثاني ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ص ١ - ٨٨ .

(٢) أتملتشندى : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٨١ .

(٣) إذا كانت طوائف الكانم هي التي أسست المدرسة ، فليس من المستبعد أن ينزل بها حجاج التكرور من سكان السودان الغربي بصفة عامة ، وهو ما يتضح من استخدام ابن دقان والمقريري للفظ التكرور دون الكانم فيما بعد في كلامهما عن مدرسة ابن رشيق .

(٤) المقريري : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٥ ، ابن دقان : الانتصار ق ٤ ص ٩٦ .

(٥) منذ بداية العصر الأيوبي منعت صلاة الجمعة في الأزهر ، ولكن لم تبطل صفة الجامعة ، وظل الحال على ذلك حتى أعاد الظاهر بيبرس خطبة الجمعة إلى الأزهر سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م مما ساعد على إزدهاره في العصر المملوكي - المقريري : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٥٥٦ ، د . عبد الرحمن زكي : الأزهر وما حوله من الآثار ص ٢٦ ، ٢٧ .

أن أصبح أكبر جامعة اسلامية في مصر وفي العالم الإسلامي ، وتبوأ مركز الزعامة الفكرية والثقافية ، وأن غلبت الصفة الدينية على برامج وحلقاته (١) .

اجتذب الأزهر الطلاب والعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، ومن بينهم طلاب وعلماء السودان الغربي الذين عرفوا بالتكرور . والذين اختصوا بإحد أروقة الأزهر (٢) .

ومن أمثلة العلماء الذين وفدوا على مصر من سكان السودان الغربي أحمد بن عمر بن محمد أقيت - جد العالم السوداني أحمد بابا التنبكتي - ، وكان « نحويًا لغويًا عروضيًا محملاً بارعاً حافظاً » ، فقد رحل إلى المشرق ، ولقى العالم المصري عبد الرحمن السيوطي ، وعندما عاد إلى تنبكت تصدر للتدريس حتى وفاته سنة ١٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م (٣) .

ومن التكاثر الذين نبغوا في العلم في مصر صبيح بن عبد الله التكروري الكلوناتي ، والذي اشتغل بتدريس الحديث بالقاهرة ودمشق حتى وفاته سنة ١٣٣٠ م (٤) .

ومن صلحاء التكرور الذين عاشوا بمصر ، وكان للمصريين فيهم اعتقاد الشيخ رشيد الأسود التكروري الذي اتخذ من جامع راشده مكانا للخلوة والانقطاع والعبادة ، والذي توفي بالقاهرة سنة ١٣٩٣ م (٥) .

(١) د . سعيد عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ١٦١ ، د . عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) كان بالأزهر لطلاب وعلماء السودان الغربي رواق التبرنية - نسبة إلى برنو - ولم يقتصر على أبناء برنو بل إتسع ليشمل أبناء منطقة شاسعة من السودان الغربي ، كما كان هناك رواق التكاثر أيضاً - سليمان رصد : كنز الجواهر في تاريخ الأزهر ص ١٠٥ ، محمد عبد المنعم خفاجي الأزهر في ألف عام ص ٧٢ .

(٣) أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج - ترجمة أحمد بن عمر بن محمد أقيت .

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٠٤ ترجمة رقم ١٩٧٥ .

(٥) المقرئ : السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٨٢١ ، المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٨٢ .

وأوردت كتب التراجم ، وبخاصة كتب طبقات المالكية^(١) تراجم العديد من رجالات السودان الغربي الذين رحلوا إلى مصر سواء لتلقى العلم أو للتدريس بها ، وكذلك تراجم بعض فقهاء وقضاة المالكية المصريين الذين رحلوا إلى السودان الغربي^(٢) .

ومن التكاثر من خدم بالجيش المملوكي ، ووصل إلى الرتب العالية ، ومن هؤلاء عنبر التكروري الذي رقاها قايتباي سنة ٩٠١ هـ / ١٤٩٥ م إلى نائب مقدم الممالك ، ثم رقي بعد ذلك إلى مقدم الممالك^(٣) .

وكما كانت بالسودان الغربي جالية مصرية أغلبها من التجار ، فقد كان بمصر جالية من التكاثر أغلبها من طلاب العلم والعلماء ، وذلك منذ العصر الفاطمي ، ومن أشهر منهم في مصر الشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله التكروري ، أحد العلماء « وكان يعتقد فيه الخير » ، وهو الذي تنسب إليه منية بولاق والتي عرفت باسم « بولاق التكروري »^(٤) .

واهتم سلاطين الممالك بجالية التكاثر في مصر ، والذين كانوا في الغالب طلاب علم ومعظمهم من الفقراء ، ومن مظاهر هذا الاهتمام ما يذكره المقرئ من أن بركة خان بن الظاهر بيبرس « عمل للتكاثر والفقراء خوان حضره كثير من أهل الخير »^(٥) .

واصطحب طلاب العلم من التكاثر نساءهم وأطفالهم إلى مصر ، مما أدى إلى ازدياد أعداد جالية التكاثر ، ويؤكد هذا القول ما ترويه بعض المصادر

(١) كان المذهب المالكي هو المذهب السائد في السودان الغربي .

(٢) أنظر على سبيل المثال ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، أحمد بابا : نبيل الابتهاج ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٣٢١ .

(٤) المقرئ : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٢٦ ، وتعرف حالياً بإسم بولاق الدكرور ،

أنظر : محمد رمزي : القاموس الجغرافي ج ٢ ص ٣ ، ٩ ، ١٠ .

(٥) المقرئ : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٦٤٩ ، ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ج ٧ ص ١١٥ .

من أنه في سنة ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م « كان بالقرافة الكبرى والصغرى من التكرور السودان نحو الثلاثة آلاف بين رجال ونساء وصغار » (١) .

وازاء كثرة أعداد التكرارة بمصر عمد بعض سلاطين الممالك إلى تعيين أحد الموظفين ممن لهم المام بلغة التكرور في بعض دواوين الحكومة ، وكان هذا الموظف يشغل منصباً كبيراً (٢) ، كما يذكر ابن خلدون أنه كان للتكرارة ترجمان بمصر هو الحاج يونس التكرورى (٣) .

وكانت زيارة منسا موسى للقاهرة فرصة طيبة لتوثيق العلاقات الثقافية بين مصر والسودان الغربى ، فقد حرص منسا موسى على شراء « عدة كتب من فقه المالكية » ليوفر لأهل مملكة طرفا من الثقافة المصرية (٤) ، كما اصطحب معه في طريق عودته إلى بلاده عدداً كبيراً من العلماء ولاسيما من مصر والمغرب والأندلس (٥) .

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الكتب من أهم ما يستورده سكان السودان الغربى من مصر ، وبخاصة في عهد الأسىكيين حيث نشأت حرفة الوراقين تقليداً لما كان موجوداً في المغرب ومصر (٦) .

واشتهرت بالسودان الغربى مدن تنبكت ، ومالى ، وجنى ، وجاو كراكر للثقافة الإسلامية ، وقد عاش العلماء المصريون في هذه المراكز ، ومن العلماء المصريين الذين لقيهم ابن بطوطة في رحلته لدولة مالى الفقيه شمس الدين النقويثى المصرى ، فضلا عن الطبيب المصرى الذى عالج ابن بطوطة (٧) .

(١) ابن الصيرفى : نزهة النفوس ج ٣ ص ١٨٩ .

(٢) سر الختم عثمان : مرجع سابق ص ١١٩ .

(٣) ابن خلدون : مصدر سابق ج ٦ ص ٢٠١ .

(٤) المقرئى : الذهب المسبوك ص ١١٣ .

(٥) د . إبراهيم على طرخان : دولة مالى ص ٥١ .

(٦) Leon L 'AFricain : op. cit. Vol. I.p. 148.

(٧) ابن بطوطة : مصدر سابق ج ٤ ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٢٣ .

ومن أمثلة العلماء المصريين الذين رحلوا إلى السودان الغربي علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصارى الأندلسى ثم المصرى الذى رحل إلى بلاد التكرور « وأقرأ أهلها القرآن فحصل له مال » ، ثم عاد إلى مصر حوالى سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣ م (١) .

ومن العلماء المصريين من رحل إلى السودان الغربي واستقر هناك مثل قاضى القضاة المالكية بمصر محمد بن يوسف الأندلسى الذى رحل إلى بلاد التكرور بعد سنة ٩٠٩هـ / ١٥٠٣ م ، وظل بالسودان الغربى حتى وفاته سنة ٩٢٠هـ / ١٥١٤ م (٢) . وكان ببلاد التكرور ذرية للشيخ محمد الشربيني شيخ طائفة الفقراء الصوفية بالشرقية من أعمال مصر (٣) .

ومن علماء مصر المشهورين ، والذين كانت لهم مكانة كبيرة في السودان الغربى جلال الدين السيوطى ، والذى يذكر في ترجمة الذاتية أنه سافر إلى بلاد التكرور (٤) ، وكان لمؤلفاته شهرة كبيرة في بلاد السودان الغربى (٥) ، ويقال أن السيوطى زار مدينة كاتسينا من مدن الهوسا ، ودرس بها فترة من الزمن ثم عاد إلى مصر سنة ٨٧٦هـ / ١٤٧١ م (٦) .

وكان السيوطى صديقاً للأسكيا محمد الكبير سلطان سنغاي ، فقد قابله بالقاهرة خلال عودته من الحج ، واجتمع به ، وناقشه في بعض الأمور ، وتنبأ السيوطى له بعظم ملكه ، ويقال أن أسكيا محمد كان لا يقبل على إبرام أى عمل هام من أعمال مملكته إلا بعد الاتصال بالسيوطى ومشاورته (٧) .

(١) ابن حجر . أنباء الفهر ج ٢ ص ٢١٦ ترجمة رقم ٢٦ .

(٢) الغزى : الكواكب السائرة ج ١ ص ٧٣ .

(٣) توفى سنة ٩٢٧هـ / ١٥٢١ م - نفس المصدر ج ١ ص ٩٢ .

(٤) السوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٨ .

(٥) الغزى : المصدر السابق ج ١ ص ٢٢٨ .

(٦) د . إبراهيم على طرخان : الإسلام واللغة العربية ص ٤١ .

(٧) محمود كمت : مصدر سابق ص ١٢ - ١٦ ، وأنظر أيضاً :

ولم يقتصر الأمر على رحيل علماء مصر إلى السودان الغربي ، أورشيل علماء السودان الغربي إلى مصر ، فقد تبادل الجانبان الرسائل حول المسائل الفقهية التي تحتاج إلى دراسة من أحد الجانبين ، ومثال ذلك الرسالة التي أرسلها الشيخ شمس الدين محمد اللمتوني من السودان الغربي إلى العالم المصري عبد الرحمن السيوطي سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٣ م ، والتي احتوت على مشكلات فقهية مختلفة ، وقد أجاب عنها السيوطي في رسالة سماها « فتح المطلب المبرور » وبرد الكبد المحرور في الجواب عن الأسئلة الواردة من التكرور » (١) .

واستمرارا لتبادل الرسائل بين علماء السودان الغربي وعلماء مصر في عصر سلاطين المماليك نجد أن العالم السوداني أحمد بابا التنبكي (٢) يكتب إلى علماء مصر يطلب الفتوى في بعض المسائل الفقهية التي اشكلت عليه فيقول في رسالته : « فبينوا لنا أيديكم الله تعالى ، ما عندكم في ذلك من منقول ومعقول أدام الله تعالى معاليكم وأسعد مساعيكم . . » (٣) .

(١) د . حسين محمد ربيع : منهج السيوطي في كتابة التاريخ (بحث مقدم إلى ندوة السيوطي بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية - تحت الطبع) ، وانظر نص رسالة السيوطي في كتاب السيوطي : الحاوي في الفتاوى - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - ص ١ ص ٤٥١-٤٥٥ ، وللسيوطي رسالة ثانية موجهة إلى ملوك التكرور ينصحهم ويردهم إلى حكم الله ، وهي مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤١٦ مجاميع .

(٢) توفي سنة ١٠٣٦ هـ - ١٦٢٦ م عن ثلاثة وسبعين عاما . الناصري : الإستقصا ج ٥ ص ١٣١ .

(٣) أحمد بابا : مسائل إلى علماء مصر (مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس) ، الشيخ الأمين محمد عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين ماو وسنغاي (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة بالخرطوم ١٩٧٦) ص ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

مصادر البحث

أولاً : المخطوطات :

- ١ - ابن حبيب (الحسن بن عمر ت ٧٧٩ هـ - ١٣٧٧ م) :
تذكرة النبوة في أيام المنصور وبنيه .
مخطوط بخط المؤلف بالمتحف البريطاني رقم Add. Rich 7335 يقوم على نشره وتحقيقه د. محمد محمد أمين صدر منه الجزء الأول (٦٧٨ - ٧٠٨ هـ)
- القاهرة ١٩٧٦ .
- ٢ - ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ - ١٣٤٨ م :)
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار .
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة .
- ٣ - المحبى (تقي الدين عبد الرحمن بن المقر المحبى ت ٧٨٦ هـ - ١٣٨٤ م) :
تثقيف التعريف .
مخطوط بمكتبة كتابخانه أستان قدس (مشهد - إيران) رقم ١٩٣ .
يقوم على نشرها وتحقيقها عبد الرحمن أمين صادق كرسالة للدرجة الماجستير
بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر .
- ٤ - مجموعة رسائل بالمكتبة الأهلية بباريس :

Recueils des Correspondance, aux Xv es entre les Sultans Mamluk et les
Couvraus Contemporair, B.N. No 440.

ثانياً : مصادر مطبوعة :

- ٥ - ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفى ت ٩٣٠ هـ - ١٥٢٤ م) :

- بدائع الزهور في وقائع الدهور .
تحقيق محمد مصطفى — الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦١-١٩٦٣ .
- ٦ — ابن ابيك الدواداري (أبو بكر بن عبد الله ت بعد ٧٣٦ هـ — ١٣٣٥ م) :
كنز الدرر وجامع الغرر .
الجزء التاسع : الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر — حققه هانس روبرت —
القاهرة ١٩٦٠ .
- ٧ — ابن بطوطه (محمد بن عبد الله ت ٧٧٩ هـ — ١٣٧٧ م) :
تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .
باريس ١٨٨٠ .
- ٨ — ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ — ١٤٧٠ م) :
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .
١٦ جزء القاهرة ١٩٢٩-١٩٧٢ .
- ٩ — ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ت ٨٥٢ هـ —
١٤٤٨ م) :
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .
تحقيق محمد سيد جاد الحق ٥ أجزاء — القاهرة ١٩٦٦ .
أنباء الغمر بابناء العمر .
- تحقيق د حسن حبشي ٣ أجزاء — القاهرة ١٩٦٩-١٩٧٢ .
- ١٠ — ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ — ١٤٠٥ م) :
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
٧ أجزاء — بولاق ١٢٨٤ هـ .
- ١١ — ابن دقاق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدير العلائي ت ٨٠٩ هـ —
١٤٠٦ م) :

الإنتصار لواسطة عقد الأمصار .

(ج ٤ ، ٥) القسم الأول والثاني نشر فولرز - بولاق ١٣٠٩ هـ - ١٨٩٣ م .

١٢ - ابن الصيرفي (الخطيب الجوهري علي بن داود ت ٩٠٠ هـ - ١٤٩٤ م) :

نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان .

تحقيق د . حسن حبشي ٣ أجزاء - القاهرة ١٩٧٠-١٩٧٤ .

١٣ - ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم المصري ت ٨٠٧ هـ - ١٤٠٤ م) :

تاريخ الدول والملوك (تاريخ ابن الفرات) بيروت ١٩٣٦-١٩٤٢ .

١٤ - ابن فرحون (إبراهيم بن علي اليعمرى ت ٧٩٩ هـ - ١٣٩٦ م) :

الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب

القاهرة ١٣٥١ هـ .

١٥ - ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ - ١٣٤٨ م) :

التعريف بالمصطلح الشريف

مصر ١٣١٢ هـ .

١٦ - أحمد بابا التنبكتي (ت ١٠٣٦ هـ - ١٦٢٦ م) :

نيل الإبتهاج بتطريز الديباج .

القاهرة ١٢٣٩ هـ .

١٧ - البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م) :

المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب .

الجزائر ١٨٥٧ .

١٨ - الجزيري (عبد القادر بن محمد عبد القادر ، من علماء القرن ١٠ هـ - ١٦ م) :

درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة .

القاهرة ١٣٨٤ هـ .

١٩ - السخاوى (محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ - ١٤٩٦ م) :
التبر المسبوك فى ذيل السلوك .

بولاى ١٨٩٦ .

٢٠ - السعدى (عبد الرحمن بن عبد الله ت بعد عام ١٦٥٥ م) :
تاريخ السودان .

نشر هوداس - أنجى ١٨٩٨ .

٢١ - السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ - ١٥٠٥ م) :
حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة .

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . جزآن - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٦٧ .
الحاوى فى الفتاوى .

تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد . جزآن - القاهرة ١٩٥٩ .

٢٢ - الغزى (نجم الدين محمد بن رضى الدين ت ١٠٦١ هـ - ١٦٥١ م) :
الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة .

تحقيق جبرائيل سليمان جبور ٣ أجزاء - بيروت ١٩٤٥ .

٢٣ - القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١ هـ - ١٤١٨ م) :
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا

١٤ جزء - القاهرة ١٩١٩ - ١٩٢٢ .

٢٤ - محمد بلو بن عثمان بن فودى (ت ١٢٥٣ هـ - ١٨٣٧ م) :
انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور .

القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .

٢٥ - محمود كمت (بن الحاج متوكل)

تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .

نشر هوداس - أنجى ١٩١٣ .

٢٦ - المقرئى (تى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ - ١٤٤٢ م) :

كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .

١-٢ (٦ أقسام) تحقيق د. محمد مصطفى زيادة - القاهرة ١٩٣٤-١٩٥٨ م .

٣-٤ (٦ أقسام) تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور القاهرة .

١٩٧٠-١٩٧٢ م .

المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار .

جزءان - بولاق ١٢٧٠ هـ - ١٨٥٤ م .

الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك .

تحقيق د . جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٥٥ .

٢٧ - الناصرى السلاوى (الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد) :

الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى .

٩ أجزاء - الدار البيضاء ١٩٥٤ م .

ثالثاً : المراجع العربية :

٢٨ - إبراهيم على طرخان (الدكتور) :

دولة مالى الإسلامية .

القاهرة ١٩٧٣ .

الإسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى .

مجلة جامعة أم درمان الإسلامية - العدد الثانى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ ص ص

٨٨-١ .

٢٩ - حسين محمد ربيع (الدكتور) :

منهج السيوطى فى كتابة التاريخ .

(بحث مقدم لننوة السيوطى بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية - تحت

الطبع) .

٣٠ - سر الختم عثمان على (الدكتور) :

العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى فيما بين القرنين الثانى

عشر والرابع عشر (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٦٩) .

٣١ - سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) :

العصر المالكي في مصر والشام .

القاهرة ١٩٦٥ .

المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك .

القاهرة ١٩٦٢ .

٣٢ - الشيخ الأمين محمد عوض الله :

العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين
مالى وسنغى (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة بالخرطوم ١٩٧٦)

٣٣ - عبد الرحمن زكى (الدكتور) :

تاريخ الدول الإسلامية السودانية .

القاهرة ١٩٦١ .

الأزهر وما حوله من الآثار .

القاهرة ١٩٧٠ .

٣٤ - عبد العظيم حامد خطاب (الدكتور) :

قائصوه الغورى ونهاية الدولة المملوكية (رسالة دكتوراة غير منشورة بكلية
الآداب - جامعة عين شمس ١٩٧٣) .

٣٥ - عبد القادر زبادية (الدكتور) :

مملكة سنغاي في عهد الأسفيين .

الجزائر ١٩٧١ .

٣٦ - على بن حسين السليمانى (الدكتور) :

العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك .

القاهرة ١٩٧٣ .

- ٣٧ - محمد أنور أبو علم :
دولة سنغاي الإسلامية .
تطورها الإقتصادي والإجتماعي والحضارى ١٤٩٣-١٥٩١ (رسالة ماجستير
غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٧٧) .
- ٣٨ - محمد محمد أمين (الدكتور) :
العبدلاب وسقوط مملكة علوة .
(مجلة الدراسات الأفريقية - العدد الثانى ١٩٧٣) .
- ٣٩ - محمد عبد المنعم خفاجى :
الأزهر فى ألف عام .
٣ أجزاء - القاهرة ١٩٥٥ .
- ٤٠ - منى إبراهيم عبد الرحمن :
السفارات الأجنبية فى مصر على عصر سلاطين المماليك .
(رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٧٥) .
- ٤١ - نعيم زكى فهمى (الدكتور) :
طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى
القاهرة ١٩٧٣) .
- ٤٢ - نعيم قداح :
أفريقية الغربية فى ظل الإسلام .
كوناكرى ١٩٦٠ .
حضارة الإسلام وحضارة أوربا فى أفريقيا الغربية .
الجزائر ١٩٧٥ .

رابعاً : مراجع بلغات أوروبية :

- 43—Bovill, E.W.
The Golden Trade of the Moors, London, 1958.
- 44—Darrag, A.
L'Egypte sous le Regne de Barsbay, Damas, 1961.
- 45—Delafosse, M.
Haute—Senegal—Niger, 3 vols. Paris, 1912.
- 46—Fage, J.D.
— An Atlas of African History, England, 1973.
— An Introduction to the History of west Africa, Cambr. 1959.
- 47—Froelich, J.C.
Essai sur les causes et methodies de l'Islamisation de l'Afrique de l'Ouest du XIe Siecle au XXe Siecle, Islam in Tropical Africa, ed. Lewis, I.M. Oxford, 1969.
- 48—Garcin, J.C.
Un Centre Musulman de La—Haute— Egypte Medievale : Qus, le Cairo, 1976.
- 59—Gouilly, A.
L'Islam dans L'Afrique Occidentale Francaise, Paris, 1952.
- 50—Le Chatelier, A.
L'Islam dans L'Afrique Occidentale, Paris, 1899.
- 51—Léon L'Africain :
Description de l'Afrique, 2 vols., Paris, 1896.
- 52—Levtzion, N.
The Early States of the Westerrn Sudan to 1500, History of west Africa, ed. Ajayi, J.F.A., Vol. I., Great Britain, 1976.

53—Lombard, M.

l'Or Musulman du VII^e au XI^e Siècle, Annales (E.S.C.) II (1947) pp. 143—160.

54—Monteil, Ch.

Les Empires du Mali, Paris, 1930.

55—Panikkar, K.M.

The Serpent and the Crescent, A History of Negro Empires of western Africa, Bombay, 1963.

56—Robert Laffont.

Les Memoires de l'Afrique, Paris, 1972.

57—Rouch, J.

Les Songhay, Paris, 1954.

58—Sartain, E.M.

Jalal ad din as Suyuti's relations with the people of Takrur, Journal of Semitic Studies, XVI, 1971, pp. 193 — 198.

59—Trimingham, J.S.

— *A History of Islam in west Africa, Oxford, 1970.*

— *Islam in west Africa, Oxford, 1961.*

— *The Influence of Islam upon Africa, Liban, 1968.*

60—Umar AL—Naqar,.

Takrur, The history of the name, Journal of African History, (J.A.H.), X, 3 (1969), pp. 365—374.

Printed by
Press and University Book Department
AL BRINCE H. HUSSEIN
Supervisor General
10-5-1978

Acknowledgement

The auther wishes to thank the directors of : Amir El-Shouara primary school, Sherbin Prep. school (shihata) and Kalabska primary school. The au-ther also acknowledges especially Dr. F. H. Hussioen.

Bibliography

1. BRONISLAW JASICKI : "The development of body height, weight and some indices of body build in children and youth in the western Desert in Egypt." In : Publication of the Joint of Arabic - Polish Anthropological Expedition. 1958/1959, Part II, 1964.
2. BROZEK JOSEF : "Quentitative description Body Composition" In : Current Anthro-logy, Vol.4, 1963.
3. CRAIG, J.I. : "An Anthropological Survey of Egypt". In : Cairo Scientific Journal. Vol.5, No.58, July 1911.
4. EUGENIA, STOLYHWO : "Age changes of anthropological characters of children and youth of the Western Desert of Egypt." In : Publication of J. of Arabic-Polish A. E., 1958/1959, Part III, 1964.
5. VALLOIS, H.V. : "Anthropometric Technique". In : Current Anthropology, Vol. 6, No.2, April 1965.

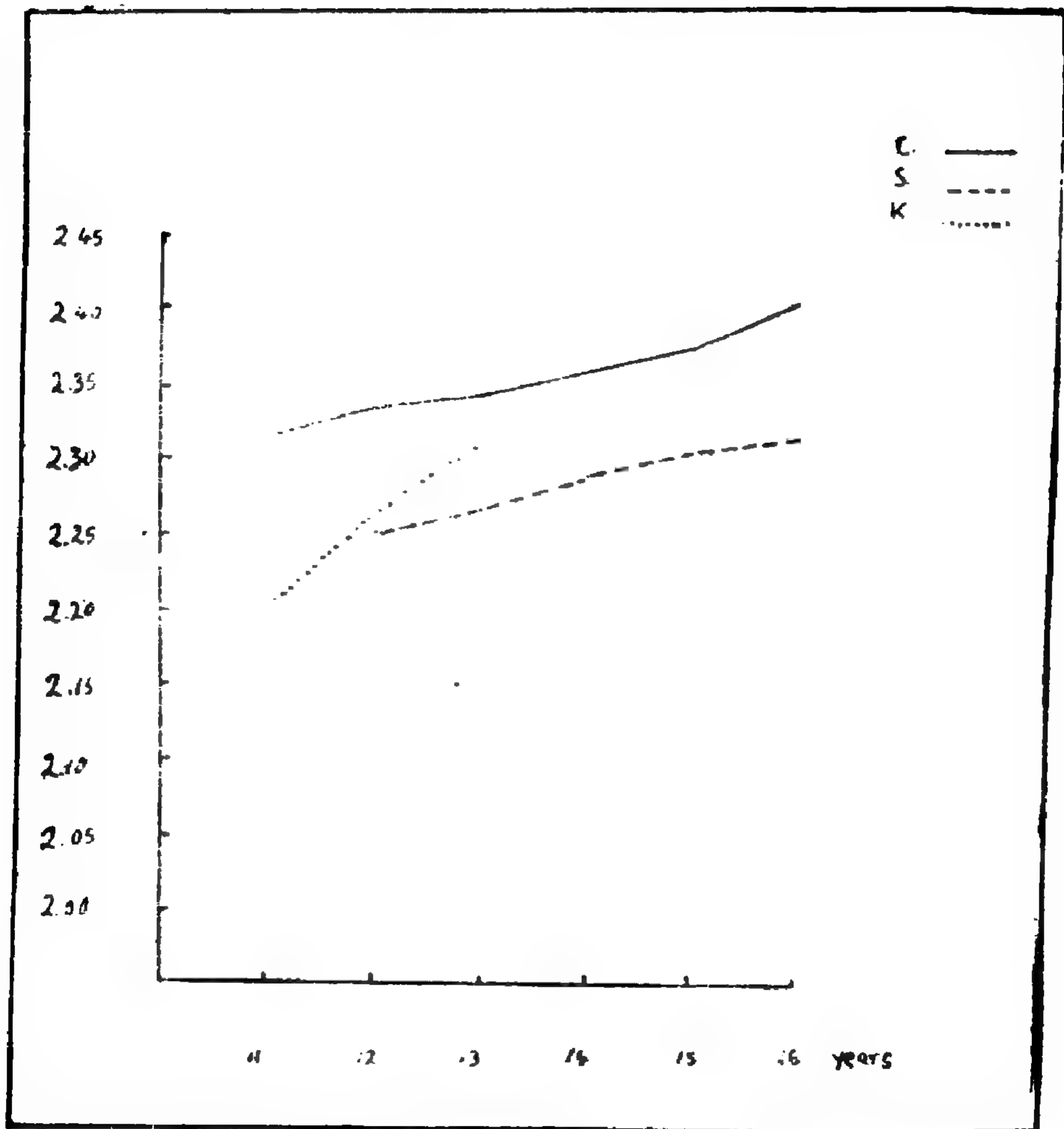


Fig. 7— Ponderal Index Girls

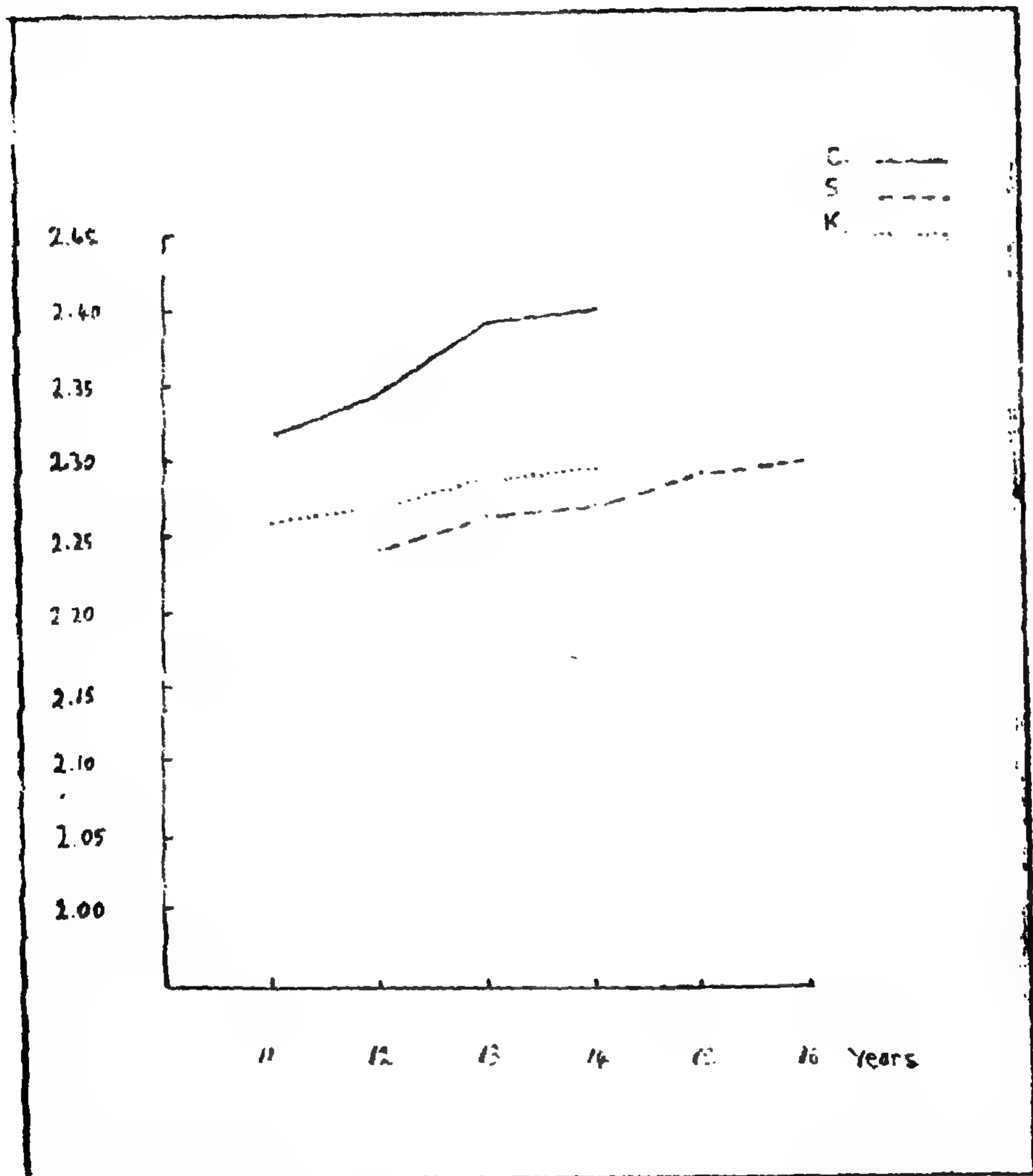


Fig. 6— Ponderal Index Boys

Table 10 — Ponderal Index (Levis 's Index) of Children from:
Cairo, Sherbin and Konouz of Kom Ombo in Percentage of thier index at age 11.0 ± 0.5

Age	Boys						Girls					
	Cairo		Sherbin		Konouz		Cairo		Sherbin		Kouzou	
	N	%	N	%	N	%	N	%	N	%	N	%
11.0 ± 0.5	5	100.00			7	100.00	2	100.00	—		2	100.00
12.0 ± 0.5	21	100.86	3	100.00	24	100.44	14	100.43	12	100.00	12	102.73
13.0 ± 0.5	9	103.02	9	100.89	1	100.88	3	100.86	15	100.44	5	105.00
14.0 ± 0.5	2	103.45	22	101.34	1	101.33			15	101.33		
15.0 ± 0.5			8	102.23			2	102.16	23	102.22		
16.0 ± 0.5			13	102.68			1	103.45	9	102.66		

Table 9 — Ponderal Index (Levis 's Index) of Girls from:
Cairo, Sherbin and Konouz of Kom Ombo

Age	Cairo			Sherbin			Konouz		
	N	\bar{X}	S	N	\bar{X}	S	N	\bar{X}	S
11.0±0.5	2	2.32±0.13	0.18±0.09				2	2.20±0.04	0.06±0.03
10.0±0.5	14	2.33±0.02	0.09±0.02	12	2.25±0.03	0.10±0.02	12	2.26±0.03	0.10±0.02
13.0±0.5	3	2.34±0.03	0.06±0.02	15	2.26±0.03	0.11±0.02	5	2.31±0.04	0.09±0.02
14.0±0.5				15	2.28±0.02	0.07±0.01			
15.0±0.5	2	2.37±0.02	0.03±0.02	23	2.30±0.01	0.06±0.01			
16.0±0.5	1	2.40		9	2.31±0.01	0.05±0.01			

Table 8— Ponderal Index (Levis's Index) of Boys from:
Cairo, Sherbin and Konouz of Kom Ombo

Age	Cairo				Sherbin				Konouz			
	N	X	S	N	X	S	N	X	N	X	S	S
11.0±0.5	5	2.32±0.05	0.11±0.03				7	2.26±0.05	0.14±0.02			
12.0±0.5	21	2.34±0.02	0.10±0.02	3	2.24±0.07	0.12±0.05	24	2.27±0.02	0.09±0.01			
13.0±0.5	9	2.39±0.10	0.30±0.07	9	2.26±0.34	1.01±0.24	1	2.28				
14.0±0.5	2	2.40±0.15	0.21±0.11	22	2.27±0.02	0.09±0.01	1	2.29				
15.0±0.5				8	2.29±0.36	1.02±0.26						
16.0±0.5				13	2.30±0.02	0.08±0.02						

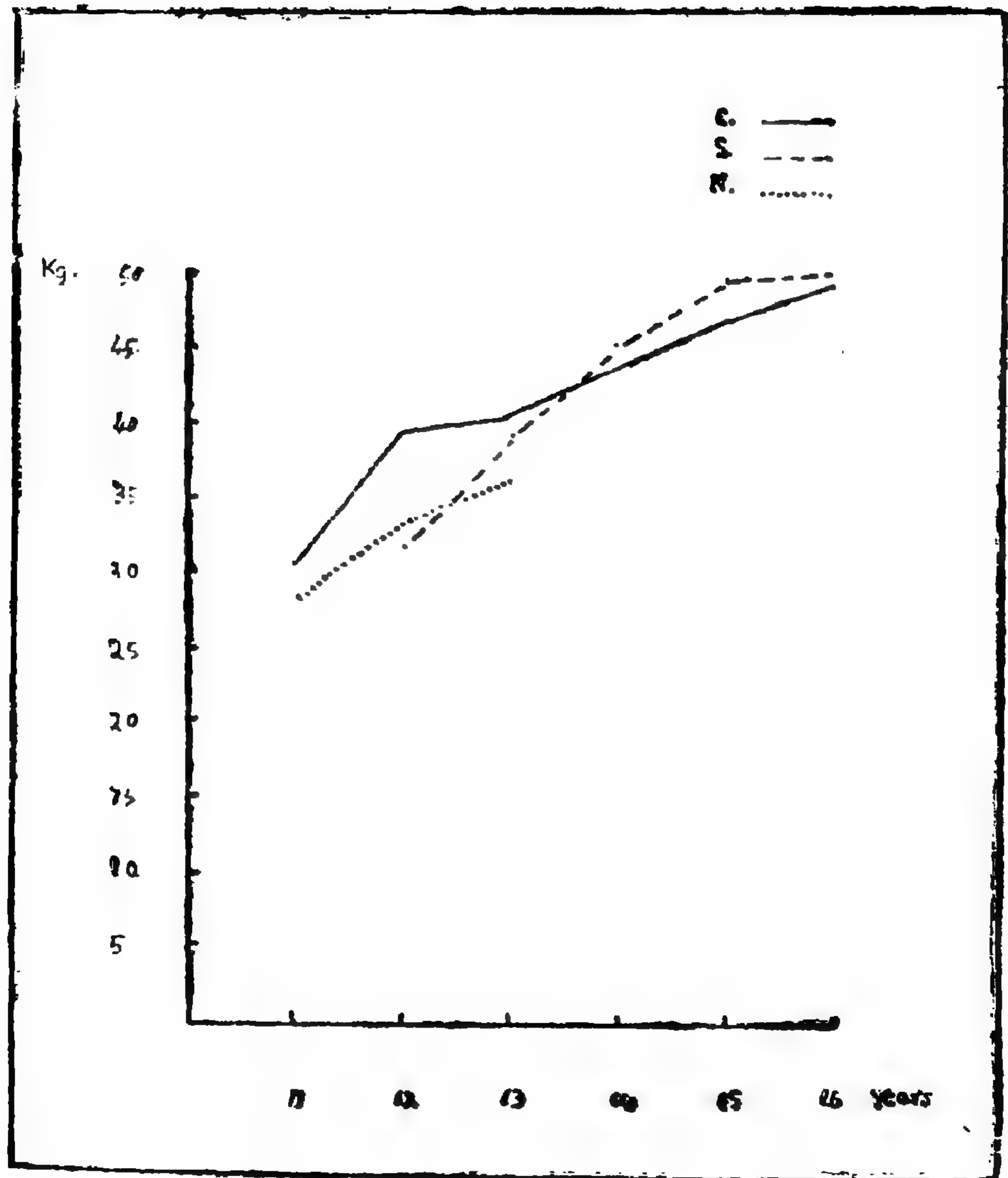


Fig. 5— Weight of Girls

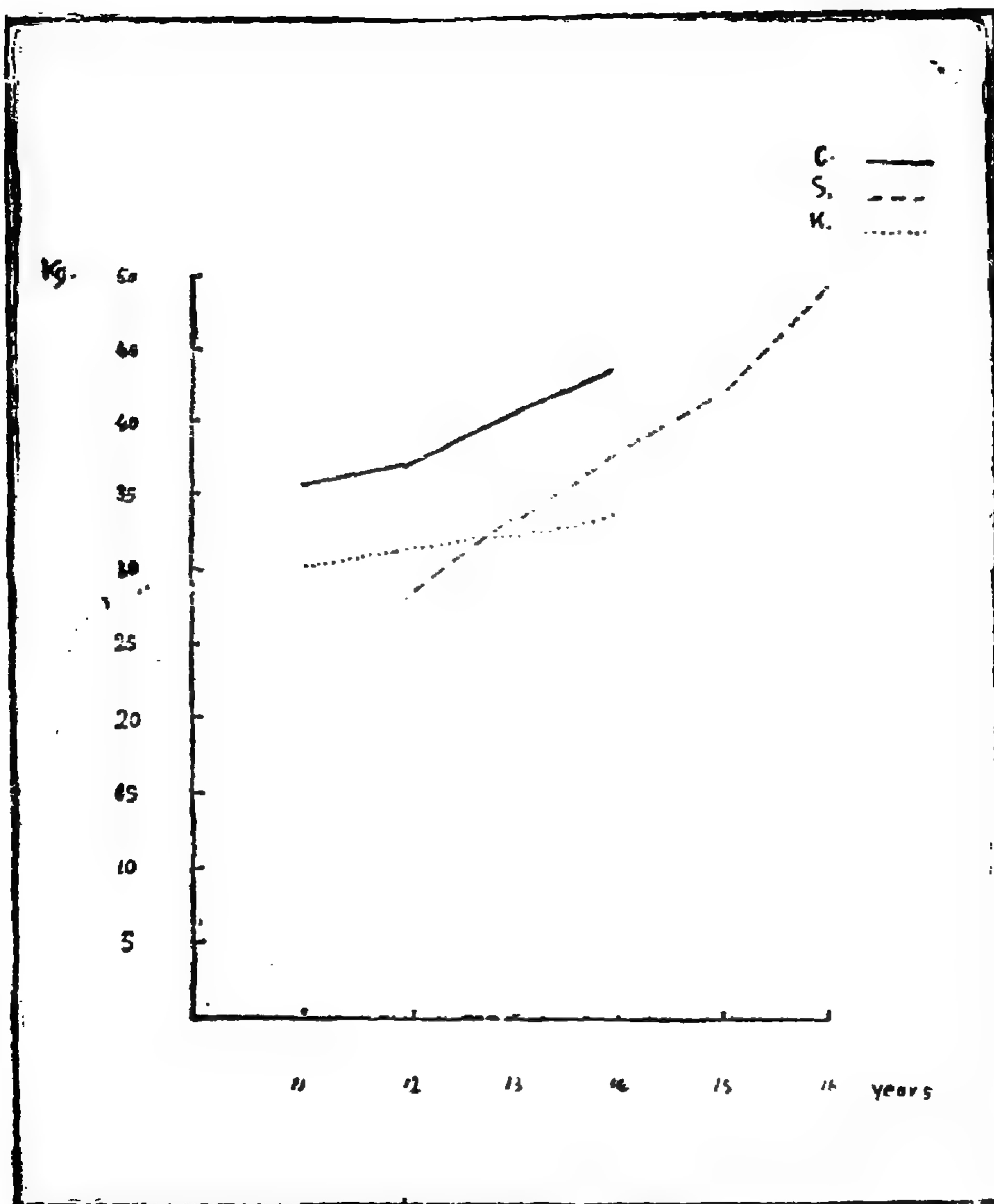


Fig. 4—Weight of Boys

Table 6— Weight of Girls from: Cairo, Sherbin and Konouz of Kom Ombo

Age	Cairo			Sherbin			Konouz		
	N	X	S	N	X	S	N	X	S
11.0±0.5	2	30.5±1.50	2.12±1.06				2	28.0±2.00	2.83±1.48
12.0±0.5	14	39.4±1.98	7.42±1.40	12	32.3±0.54	1.88±0.38	12	33.3±2.09	7.23±1.84
13.0±0.3	3	40.0±2.31	4.0 ±1.63	15	39.2±1.66	6.41±1.17	5	36.8±1.39	3.11±0.98
14.0±0.5				15	45.1±0.78	3.02±0.55			
15.0±0.5	2	46.0±7.50	10.61±5.31	23	49.3±1.90	9.09±1.34			
16.0±0.5	1	48.0		9	49.6±2.75	8.24±1.94			

Table 5— Weight of boys from: Cairo, Sherbin and konouz of Kom Ombo

Age	Cairo				Sherbin				Konouz			
	N	\bar{X}	S	N	\bar{X}	S	N	\bar{X}	S	N	\bar{X}	S
11.0±0.5	5	35.2±3.93	8.78 ± 2.78				7	30.1±0.60	1.58±0.42			
12.0±0.5	21	36.5±1.04	4.79 ± 0.74	3	28.3±1.20	2.08±0.85	24	30.5±1.03	5.04±0.73			
13.0±0.5	9	41.0±4.19	12.56±2.96	9	33.1±3.09	9.27±2.18	1	31.0				
14.0±0.5	2	43.5±2.50	3.54 ± 1.77	22	37.7±2.23	10.44±1.57	1	32.0				
15.0±0.5				8	42.4±3.41	9.64±2.41						
16.0±0.5				13	48.9±2.24	8.06±1.58						

Data of the percentage differences between weight at the ages of 11.0 ± 0.5 and 13.0 ± 0.5 are given in the following table.

	Cairo	Sherbin	Konouz
Boys	16.48	16.96	2.99
Girls	31.15	21.36	31.43

Changes in the means of weight are to some extent similar to the means of height, which is of course quite comprehensible.

Ponderal Index : Statistical data and analyses of body characterization are shown in the tables 8 and 9, and figures 6 and 7.

The arithmetic means of the groups compared show that children (boys and girls) of Cairo are bigger in general than those of Konouz and Sherbin.

It follows from this table that the arithmetic means of ponderal Index at the age of 13.0 ± 0.5 in the particular investigated series increase by the following amounts :

	Cairo	Sherbin	Konouz
Boys	3.02	0.89	0.88
Girls	0.86	0.44	5.00

Boys from Sherbin show a small increase in Ponderal Index than those of Cairo which shows a larger increase. In this period the girls from Konouz show a larger increase.

Conclusion

This paper deals with the constitution and the development of children in Egypt. The author chose three different environments to obtain the measurements and compare their results with each other.

The comparison shows an increase in children of Sherbin (boys and girls) in each of the three categories : stature, weight and Ponderal Index ; especially boys and in stature and weight.

These differences may lie both in the individual measurements and their mutual proportions as conceived from the Ponderal Index and the rate of growth and its changes with age. They may be caused on the one hand by the modifying action of the external environment in the widest sense of this word, especially the nutrition effect, more than the anthropological differences of the groups compared.

Table 4— Stature of Children from: Cairo, Sherbin
and Konouz of Kom Ombo in Percentage of thier height at the age of 11.0 ± 0.5

Age	Boys						Girls					
	Cairo		Sherbin		Konouz		Cairo		Sherbin		Konouz	
	N	\bar{X}	N	\bar{X}	N	\bar{X}	N	\bar{X}	N	\bar{X}	N	\bar{X}
11.0 ± 0.5	5	100.00	—	—	7	100.00	2	100.00	—	—	2	100.00
12.0 ± 0.5	21	100.79	3	100.00	24	100.29	14	107.29	—	100.00	12	101.65
13.0 ± 0.5	9	105.24	9	111.65	1	100.80	3	109.00	15	108.07	5	103.37
14.0 ± 0.5	2	112.69	22	111.95	1	101.17	—	—	15	110.39	—	—
15.0 ± 0.5	—	—	8	112.02	—	—	2	116.37	23	111.92	—	—
16.0 ± 0.5	—	—	13	120.87	—	—	1	117.19	9	112.57	—	—

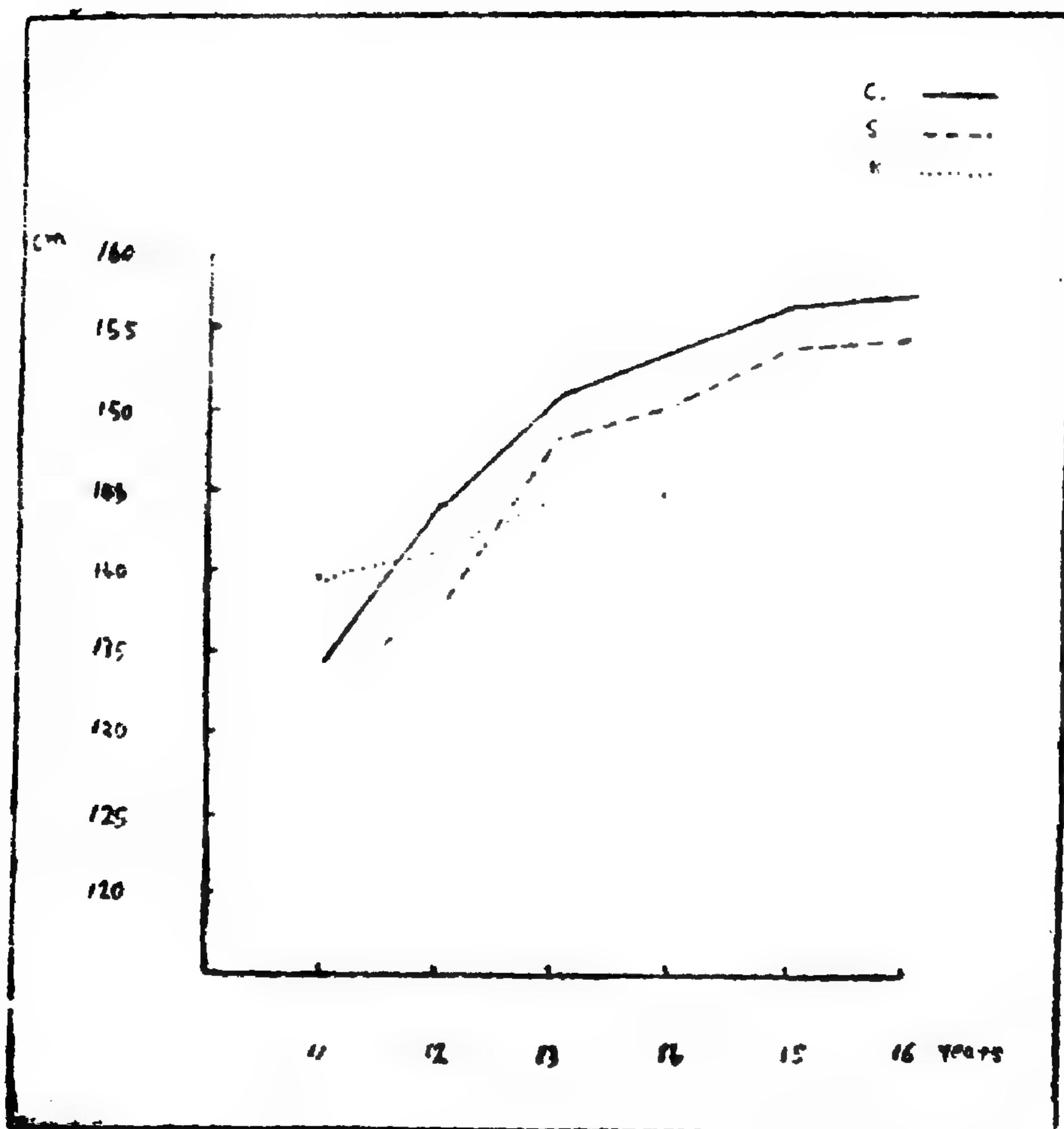


Fig. 3—Stature of Girls

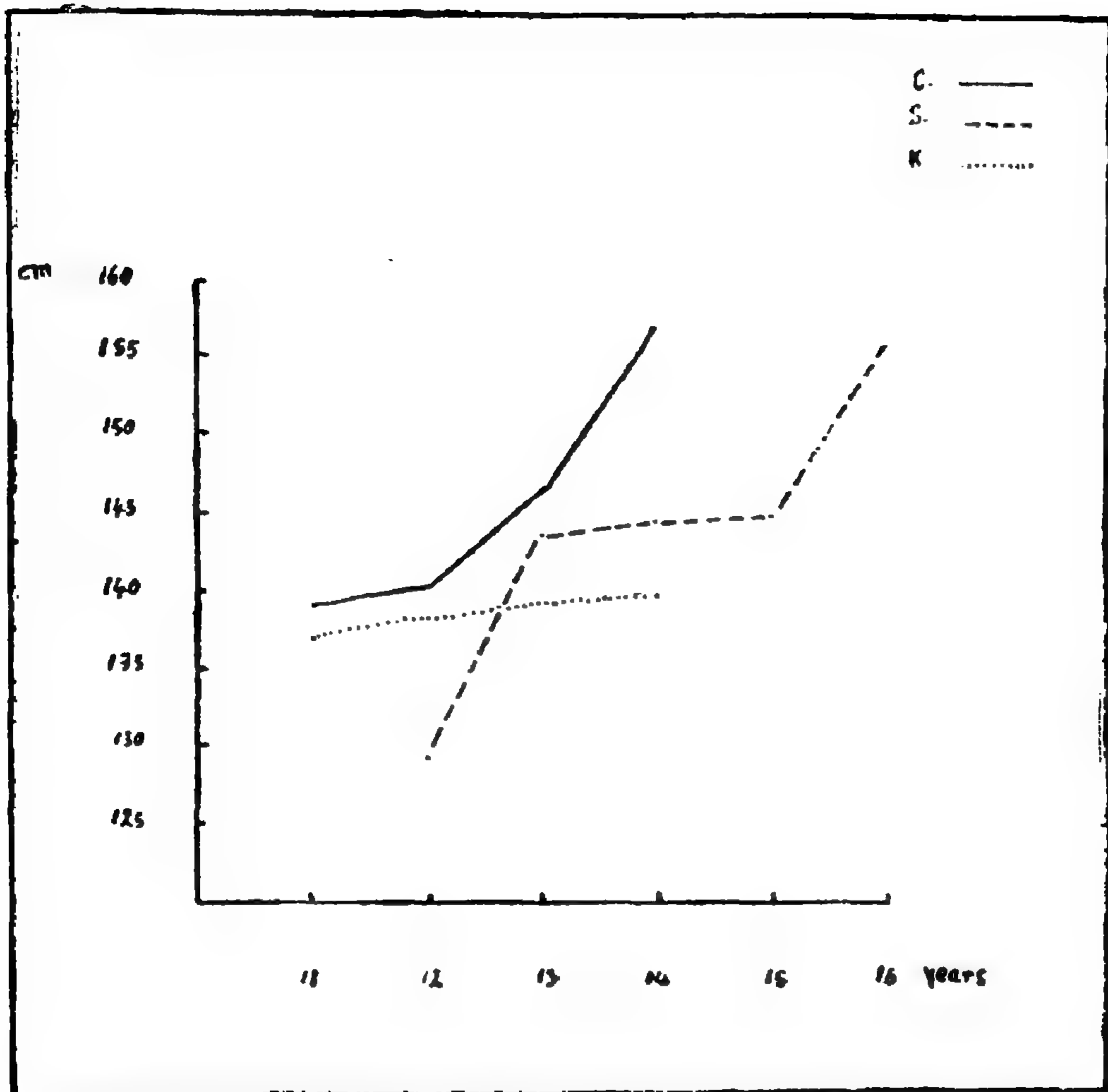


Fig. 2—Stature of Boys

Table 3— Stature of Girls from: Cairo, Sherbin and Konouz of Kom Ombo

Age	Cairo				Sherbin				Konouz			
	N	\bar{X}	S	N	\bar{X}	S	N	\bar{X}	N	\bar{X}	S	
11.0±0.5	2	134.4±1.48	2.09±1.05				2	139.4±2.14	2	139.4±2.14	3.02±1.51	188
12.0±0.5	14	144.2±1.67	6.26±1.18	12	137.6±1.43	4.96±1.01	12	141.7±1.85	12	141.7±1.85	6.41±1.31	
13.0±0.5	3	146.5±2.42	4.19±1.71	15	148.7±1.66	6.43±1.17	5	144.1±0.75	5	144.1±0.75	1.68±0.53	
14.0±0.5				15	151.9±1.79	6.92±1.26						
15.0±0.5	2	156.4±4.98	7.04±3.52	23	154.0±4.80	4.44±0.65						
16.0±0.5	1	157.5		9	154.9±3.29	9.88±2.33						

Table 2— Stature of Boys from: Cairo, Sherbin and Konouz of Kom Ombo

Age	Cairo				Sherbin			Konouz		
	N	\bar{X}	S	N	\bar{X}	S	N	\bar{X}	S	
11.0±0.5	5	139.4±2.69	6.02 ± 1.90				7	137.3±2.11	5.59±1.49	67
12.0±0.5	21	140.5±1.25	5.75 ± 0.89	3	128.9±2.90	5.03 ± 2.05	24	137.7±1.56	7.66±1.11	
13.0±0.5	9	146.7±4.71	14.14±3.33	9	143.8±2.45	7.34 ± 1.73	1	138.4		
14.0±0.5	2	157.1±2.60	3.68 ± 1.84	22	144.3±2.19	10.27±1.55	1	138.9		
15.0±0.5				8	144.4±4.57	12.93±3.23				
16.0±0.5				13	155.8±3.25	11.73±2.30				

Results

Stature : The statistical data necessary for a characterization of height development in boys and girls from each of Cairo, Sherbin and Konouz are presented in table 2 and 3, and also in figures 2 and 3,

The arithmetic means of the groups compared show that boys and girls from Cairo are taller in general than children of the same age in Sherbin town and of the Konouz group.

It is difficult to judge height difference among children in Konouz during the initial stage of maturity on account of lack of material. It might only be remarked that height overage of girls at the ages of 120 ± 0.5 and 13.0 ± 0.5 is greater than that of boys.

The absolute measurement and rate of change in relation to age may be shown by comparing the height differences in the age groups 11.0 ± 0.5 and 16.0 ± 0.6 as well as these in any other age, these differences may show the average increase.

The appropriate data are given in table 4.

It follows from this table that arithmetic means of height at the age 13.0 in this particular series investigated increase by the following amounts :

	Cairo	Sherbin	Konouz
Boys	5.24	11.56	0.80
Girls	9.00	8.07	3.37

The boys and girls of Sherbin show an increase which is larger than that of those of Cairo.

Weight : The statistical characterization of the weight is shown in tables 5 and 6, and figures 4 and 5.

With reference to weight the picture which emerges is similar to that relating to stature. Children from Konouz are lighter in weight than those from Sherbin and Cairo, especially the first. These relations of the mean weight are quite understandable when referred to the mean heights.

Smallest children are at the same time the lightest in weight.

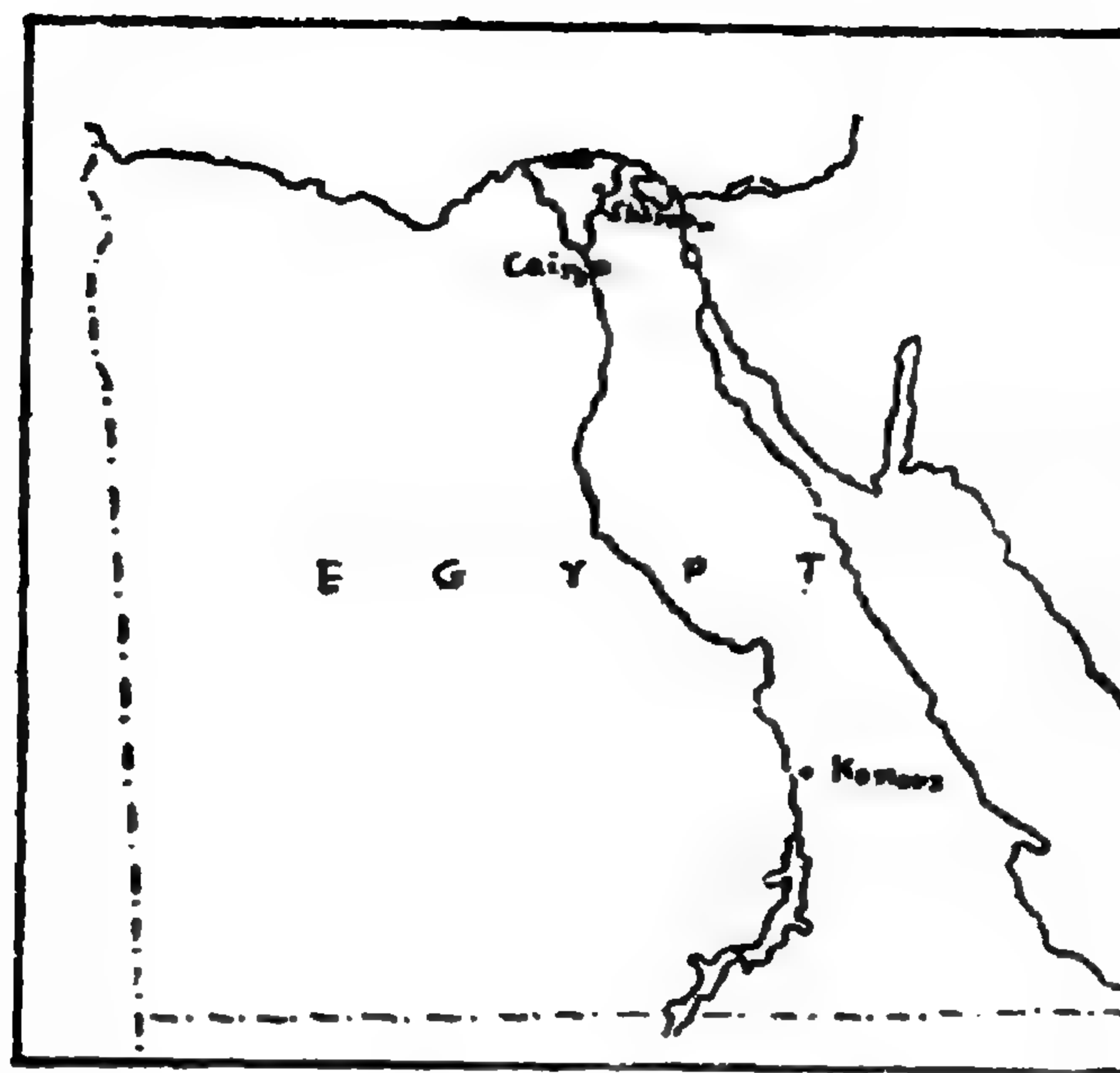


Fig. 1— Location Map

The following formula is thus used :

$$\text{Ponderal Index} = \frac{100 \times \sqrt[3]{\text{weight}}}{\text{Stature}}$$

Calculation of statistical analysis was done according to the formula :

$$\bar{X} = \frac{\sum F}{n}$$

$$\sigma = S = \sqrt{\frac{\sum (X - \bar{X})^2}{(n-1)}}$$

$$SE_{\bar{X}} = \frac{\sigma}{\sqrt{on}}$$

$$SE_{\sigma} = \frac{\sigma}{\sqrt{2n}}$$

These statistical analyses were made on the amount of : height, weight and Ponderal Index.

The collected material was elaborated in three series. The first is represented by sex (boys and girls) from Cairo City. This series is represented by the group aged $II \pm 0.5 - 16 \pm 0.5$ years.

The three presented series come from different environments so it seems more appropriate to elaborate them separately in order to comprehend any possible differences between them.

Material and Methods

School age boys and girls, 240 in number, varying in age from $II.0 \pm 0.5$ years were randomly selected and equally distributed from the three mentioned environments in Egypt (figure I). The datas were collected by the author himself in 1973 by the way especially the data of the Konouz during the research work of the PH.D. dissertation at the New Nubia in Kom Ombo. Some of series ages limited to ringle individuals.

The measurements were taken by : Anthropometer and Weight Beam Scale and from thier results the Ponderal Index was taken.

TABLE I

The number of cases and percentage accourding to sex and location

	Tatal		Cairo		Shenbin		Konouz	
	N	%	N	%	N	%	N	%
mal ♂	125	100.00	37	29.60	55	44.00	33	26.40
femal ♀	115	100.00	22	19.13	74	64.35	19	16.52
♂ + ♀	240	100.00	59	24.58	129	53.75	52	21.67

**THE DEVELOPMENT OF STATURE, WEIGHT AND PONDERAL
INDEX IN CHILDREN IN THREE DEFFERENT ENVIRONMENTS
IN EGYPT**

Key words : Growth. Children. Egypt

By

DR. FARŪQ 'ABD AL-JAWWAD SHUWAYQAH

Dapt. of Anthropology, Inst. of African Research & Studies, cair. University

**نمو الأطفال في القامة والوزن ومعامل بوندلر
في ثلاث بيئات متباينة في مصر**

جمع الباحث قياسات عن ارتفاع القامة ووزن الجسم لعدد ٢٤٠ حالة من الذكور والإناث لأطفال من مدينة القاهرة ومن بندر شربين ومن قرية كلابشة الجديدة ، واستخرج منها معامل بنية الجسم بطريقة بوندلر .
وصنف المادة المجمعة طبقا للنوع ولفئات السن . ثم أجرى عليها بعض عمليات التحليل الإحصائي حيث اتضح قلة التباين بين المجموعات الثلاث وان كانت مجموعة بندر شربين تتفوق على المجموعتين الأخرين بدرجة قليلة ، ويرجع هذا غالبا إلى تأثير التغذية والبيئة أكثر مما يرجع إلى الفروق الأنثروبولوجية .

فاروق عبد الجواد شويقة

Introduction

The present paper elaborates the changes of stature and body weight according to age in three different environments in Egypt. The first one is Cairo city, the second is Sherbin town in mideast Delta and the third one is the new Nubia's homeland at Kom Ombo in upper Egypt.

are however allegations regarding the middle east crisis, that Zambia among other African states severed relations with Israel in order to obtain favourable oil terms - to say the least this is tantamount to accusing a country of corruption. We refuted this in the strongest terms and still do.

It will be realised that the oil weapon was only used after the war and not before. It is apparent therefore that oil issue played no part in our decision to sever relationship with Israel. There were two main principles which influenced our decision. These were that Egypt as an African country needed our support. and secondly, We do not approve of the expansionist policies which were the main reason behind Israel's aggression.

- (ii) Economically there is a lot of room for Zambia and the Arab states to exploit. It must however be remembered. Without being too emotional, that both Zambia and Arab countries are developing nations and consequently they both are producers of raw material - same as African states are to each other. But in those fields where certain commodities can be exchanged. Let us do so. Where joint ventures are a viable proposition let us promote them to our mutual advantages.

Mr. Chairman, ladies and gentlemen, before I pause for questions and discussions. Let me say again how grateful I am to have been offered this opportunity of speaking to you and exchanging ideas. Such forums, if regular, will in my opinion provide an atmosphere for promoting understanding and cementing good knowledgeable relationship. My sincere thanks go to Dr. Salwa Labib in particular for having encouraged me to find time to come and speak.

Long live Africa

Long live Afro-Arab solidarity.

Thank you

Date : Wednesday, 16th April, 1975

3. *Tanzam Railway*

In 1965 soon after the U.D.I. It became obvious to Zambia that she could no longer rely on the railway route which passes through racially controlled countries. Zambia had to find alternative routes. The construction of a railway to the east coast - through Tanzania was therefore given serious consideration, and hence the birth of the «Great freedom railway». There had been however an earlier survey of this railway - by a British firm in 1952. It was not considered economical to build it then because the area it was intended to traverse was undeveloped. Despite this conclusion we decided to build it in association with our brothers in Tanzania.

Zambian, unlike the colonial government, is native and indigenous. Its outlook on economic development of the country is therefore different. Whatever we do now in Zambia is always calculated in long span policy. We believe in providing tools for development before we can expect a part of our country to develop - the horse must pull the cart, and not the other way round otherwise it is an accident. We therefore want to develop our country by long term planning not by accident. In this spirit we believe that the area which the railway will traverse will automatically catch up with the developments. What economic viability would one want other than transporting one's import and export commodities !

I was however fortunate to have been the railway's first executive officer in 1968 and based in Dar-Es-Salaam. I served on the project for one year.

Both Tanzania and Zambia made a world wide appeal for building the railway the only nation that came to our aid, was the People's Republic of China who gave us generous loan conditions. It is expected that the railway will be operational up to Mpika in Zambia this year and completion is expected next year.

4. *Zambia - Arab relation*

There is no doubt that Zambia's relations with Arab countries in terms of cordiality is very good indeed.

There are however two aspects in this regard which one must examine to justify one's assertions, and these are the political and economic relations.

- (i) There is no doubt that politically we speak one and the same language and hence our support for each other at international bodies like U.N. This, I would say is equally true for the whole of Africa. There

Is opposition within one party system feasible ?

The answer is yes ; provided it is constructive. After all the function of the opposition is to provide creative tension and awareness.

2. Zambia's relations with Rhodesia and South Africa

May I now turn to Zambia's relations with Rhodesia and South Africa.

We in Zambia do not hate the *Ian Smiths* of Rhodesia or *John Vorsters* of South Africa. We however hate their systems of government. We do so because their governments are both, oppressive and discriminatory. We had been through that system of government ourselves only the years ago, so know what it is and what it means.

Soon after independence in 1965 Ian Smith's government declared - UDI - Unilateral Declaration of Independence. Economically this meant a lot of sufferings for us in Zambia. Smith began to control the supply of petrol for us and imposed heavier taxes on the coal to our mines etc... Because of our economic set up before independence, Smith was sure he would have us bend to our knees. To his surprise we survived. In 1973, he created another economic strangulations.- Closure of the border between us and his country - which backfired and again we made it, thanks to you all here and many other friendly countries for support you gave both morally and financially.

It is clear therefore that as far as we are concerned we have neither political nor economic relations with Rhodesia. Zambia could not have any diplomatic relation with Rhodesia since we do not recognise the government. In so far as South Africa is concerned, our only way to have trade with this country depended on the railway route which passes through Rhodesia. As we do not agree with their racial policy we do not therefore have any diplomatic, economic or political cooperation.

Liberation struggle

It may be argued that we in fact have political relations with both Rhodesia and South Africa because of the recent events in Southern Africa which appeared to show that Zambia, among other countries, does in fact have relations.

If we are to assist in the achievement of independence by our brothers in Zimbabwe and Namibia for the moment and South Africa later, and there are avenues opened to us and within the guidelines of the O.A.U., We will facilitate the process. It is clear therefore that we may be misunderstood as we were in the case of Mozambique, but the resultant truth may be a clear proof of our honesty.

Kenneth David Kaunda, on the 24th of october 1964 after nearly 84 years of colonial rule. As a british colony Zambia was then known as northern Rhodesia'. The name "Zambia" which was adopted at independence is derived from river Zambezi, the largest and longest river in the country.

After independence, Zambia was committed on one hand to safeguarding. This independence and on the other to persuing an ambitious national development and reconstruction scheme. It is not my intention to say much about this as you will have read or seen for yourselves what achievements have been accomplished by my government just in 10 years of independence.

These achievements have only been possible through a well organized political system geared to save man and man alone. At independence and thereafter until december 1972 Zambia was a multi-party state with U.N.I.P. The united national independence party and A.N.C. the african national congress as the two major parties.

In december 1972, the constiturion was amended, after a democratic process by the commission of inquiry, to provide for a one party system and that party is U.N.I.P. It is the sole and the only legal political party in the country.

To appreciate this, It is important to understand here that the new system is in fact called a "one party participatory democracy". With "participatory democracy" as the operative words.

It was necessary to have a "one party" system because :

- (a) It was the only way to provide a political climate for as many people as possible to participate in the development of the country.
- (b) We were convinced that no useful purpose was served in having another party which was in no way providing the country with a constructive opposition.
- (c) The opposition party had no chance of defeating the government in power, let alone forming a new government because of its numerical inferiority in parliament.
- (d) The findings of the commission of inquiry which had been appointed to look into whether or not there should be a one party system in the country ; confirmed our convictions that there was need and the answer was a "Democratic yes" (composition of commission).

**SPOTLIGHTS ON ZAMBIA'S RELATIONS
WITH ARAB AND AFRICAN COUNTRIES***

MR. CHAIRMAN, LADIES AND GENTLEMEN,

I Feel highly honoured to have been invited to this distinguished university to speak to you about Zambia, the country which I represent in the Arab Republic of Egypt in the capacity of an Ambassador.

While thanking you Mr. Chairman for the opportunity you have so generously accorded me this afternoon, permit me at the same time to laud you for the accurate timing of the invitation which came at a period when the name of my country has been frequently mentioned in the press in connection with the situation in southern Africa. Where as you know the diabolical system of apartheid like zionism has been bitterly condemned world side.

May, I, Mr. Chairman, digress a little here by saying that Egypt and Zambia have a common struggle and president Sadat's decision to storm the zionist soldiers across the canal on 6th october 1973 is an eye opener of what unity of a democratic people can achieve in dealing with an oppressor and an expansionist. For this and other reasons we must draw nearer to each other and close our ranks. With such a close affinity existing between Zambia and Egypt the need to know each other better in various fields of cooperation cannot be over-emphasised.

Due to time factor, however, I propose to deal briefly with four points with a view to leaving sufficient time for questions and discussions. I intend to deal with these points in this order :

1. Zambia's political set up - with particular reference to one party participatory democracy .
2. Zambia's relationship with Rhodesia and South Africa.
3. Tanzam - Tanzania railway.
4. Zambia - Arab relations.

1. *One party participatory democracy.*

Zambia became independent, under the dynamic leadership of H.E.DR.

Short notes on the talk delivered by H. E. Ambassador H.M. NZUNGA.

اضواء جديدة على العلاقات بين اكسوم وممالك جنوب الجزيرة العربية خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين

د. فوزى مكاوى

الشواهد الحضارية كثيرة على قدم وعمق الصلات بين اكسوم وممالك جنوب الجزيرة العربية ومع ذلك فالمعروف عن أحداثها قليل ، من هنا تظهر أهمية النقوش الأربعة الجديدة التى نشرها مطهر على الاريانى ، الباحث اليمنى ، ضمن مجموعة تربو على ثلاثين نقشا جديدا باللغة السبئية .

هذه النقوش الأربعة (أرقام ١٢ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٢٠) تتعلق بأحداث العلاقات الاكسومية السبئية خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين ، وهى تضيف عددا من الحقائق التاريخية الجديدة كما تعدل أو تؤكد عددا آخر . ويمكننا أن نوجز مجمل ما قدمته هذه النقوش الأربعة فيما يلى :

(١) يتحدث النقش رقم ١٢ عن الصراع العسكرى بين الاكسوميين والسبئيين خلال القرن الثانى الميلادى ، وهو يعتبر مصدرا تاريخيا جديدا يضاف الى نص قتيان اوكان الذى كان مصدرنا الرئيسى عن هذا الصراع حتى نشر النقش الجديد . وهذا النص يقدم معلومات هامتين الاولى اتساع نطاق المواجهة العسكرية بين الطرفين عما ذكره نص قتيان اوكان ، اما المعلومة الثانية فهى الاشارة الى تأخر انسحاب الاكسوميين الى مستعمراتهم القديمة الى ما بعد وقت قتيان اوكان .

(ب) لا يضيف النقش رقم ١٩ اى جديد ولكنه يؤكد حدوث الصراع بين شعار اوتر والاكسوميين خلال القرن الثالث .

(ج) يتحدث النقش رقم ٢٨ عن ابرام معاهدة سلام بين الاكسوميين والحميريين فى وقت سابق على عصر شامير الريدانى .

(د) تعود أهمية النقش الرابع (رقم ٢٠) الى أنه يعدل الاعتقاد بانتهاء الوجود الاكسومى فى جنوب الجزيرة العربية على يد الشرح يحضب ، حيث يتحدث عن استمرار الصراع فى عهد ابنه نساكرب يأمن يهرحب الذى حكم بعد وفاته بعدة سنوات .

ويتركز هدف هذه المقالة فى محاولة اعادة صياغة احداث هذه العلاقات على ضوء ما قدمته النصوص الجديدة من معلومات .

دكتور/ فوزى مكاوى

b) The text (No. 28) adds new information about the attempts of the Himyarites to conclude alliance treaties with the Aksumites which do not only date back to the reign of Samir of Rydn, but also precede that reign, as Krb of Rydn had concluded before a similar treaty (which is almost the theme of the text).

c) The text (No. 20) sheds new light on the date of the termination of this phase of conflict through its reference to the continuation of the fight against the Aksumites during the reign of NS' Krb Y'mn Yhrhb son of 'lsrh Yhdb, which points to the delay of the Aksumite evacuation from Arab territory for some years to come after the date defined by previous researchers.

BIBLIOGRAPHY

- AHMED FAKHRY, *Dirasat fi Tarikh El-Sharq Al-Qadim* (Studies in ancient Eastern history) 2nd ed., Cairo, 1963.
- AHMED SHARAF EL-DIN, *Al-Tarikh Al-Thaqafi El-Yamani*. (The Cultural History of Yemen).
- FAWZY MIKAWY, *Mamakit Aksoum* (the Aksumite Kingdom) unpublished doctoral thesis in Arabic, Cairo, 1974.
- JAMME, A., *Sabaeen Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib)*, Baltimore, 1962.
- MUTTAHAR ALI EL-IRYANI, *fi Tarikh Al-Yaman* (in Yemen History), 34 new inscriptions, explanation and interpretation), in Arabic, Cairo, 1973.
- PANKHURST, S., *Ethiopia a cultural history*, London, 1955.
- PROCOPIUS, *The History of Wars, The Persian War*, ed. and trans. H. B. Dewing (Loeb classical Library), London, 1961.
- SERGEW HABLE SIELLASE, *Ancient and Medieval Ethiopian History*, Addis Ababa, 1972.
- WINSTEDT, E.O., *The Christian Topography of Cosmis Indicopleustes*, Cambridge, 1909.
- WISSMANN, H., *Himyar Ancient History*, *Museon*, 77, 1964.

«H'n one of the commanders of Ns' K (r) b Y'mn Yhrhb, king of Saba and Drydn, son of 'lsrh Yhdb and Y'tl (25) Byn Kings of Saba and Drydn offers to 'lmqh lord of 'wm a statue of gold, thanking him (=the god) because he fulfilled a'l his (the writer's) hopes when he (H'n) led the military expedition west-ward on behalf of his lord, the king.

He (H'n) came back victorious with captives and booty from the 'hbsn, who were enemies (of his lord) and with them Rsm and the sons of 'shrn.

2. He (H'n) is also thankful for the might of 'lmqh as he (=the god) saved and cured him from a long illness. And he asks him (=the god) to go on fulfilling all his hopes and give him good male children and abundance of corn, and big income so that he might feel happiness and satisfaction. He also asks him (=the god) to save him from diseases and evils sought by the enemy, either near or far away, and asks for his (the god's) past and future bestowments and righteously invokes 'lmqh lord of 'wm.»

H'n mentions in this text his war against the Aksumites for his lord's (... NS'Krb) sake. He also notes the continuation of the alliance between the Aksumites and the 'Shrn, as mentioned in other inscriptions. However, this text does not contain details about the battles. It is still important as it confirms the continuation of the conflict after the death of 'lsrh Yhdb. Hence it would be appropriate to say that the date of the eventual decline of the Aksumite presence in Southern Arabia during the third century A.D. was later by some years than the date defined before, so as to coincide with the continuation of the conflict between them in the reign of NS' Krb Y'mn Yhrhb.

* * *

The following conclusions can be drawn from this study :

— As regards Aksumite– Southern Arabian relations during the second century A.D., the text of wfy 'drh. (No. 12 of the Al-Kuhali collection) confirms the extension of the confrontation between the two powers, as it encompasses new areas not dealt with in the inscription of Qataban Awkan on the same subject (Ja. 631). Wfy's text refers also to the continuation of the conflict for many years after the period of expeditions in which Qataban Awkan participated.

— As for the same relations in the third century A.D., however varied and diverse were the inscriptions discovered before, these new texts add the following facts :

a) The text (No. 19) confirms the existence of military conflicts between 'lsrh Yhdb and Y'zl Byn and the Aksumites.

(25) Y'Zl.

Adulis to Aksum took from eight to fifteen days according to the route followed by the traveller,(22) the voyage would have thus taken from 22 to 29 days for the outward journey and the same for the return , i.e. a total of two months .

This means that the ambassador remained in Aksum for about five months , which is a relatively long period for negotiations and the conclusion of a treaty especially as such a treaty does not refer to any difficulties in its conclusion.

The reason for such a delay could be either that the ambassador waited for the return of the Aksumite king from his regional wars, or that he had been performing other auxiliary tasks on route, which he did not mention because of their insignificance.

— However, whether this correlation between *krb'l of Rydn* and *krb'l wtr Yhn'm* was true or not,(23) it is doubtless that such a text deals with Aksum as a power sought by the southern Arabian king who was asking for peace and alliance.

The alliance between Aksum and Himyar against Saba continued into the reign of Samir of Rydn, who, as the inscriptions mention, succeeded in concluding an alliance with the Aksumite king Adbah, which provided for the participation of Aksumite forces with the Himyarites against the Sabaeans.

The Aksumite forces were led by Garmat son of the negus and Sabqulum one of his commanders. Samir and his Aksumite allies were able to inflict upon 'lsrh Yhdb king of Saba, heavy losses in the beginning and hold the city of Sawum for about two years and a half. However, ultimate victory was on the side of the Sabaeans.

Wissman believes that these battles caused the final abolition of the Aksumite presence in Southern Arabia.(24) But the new inscription published by Muttahar El-Iryani which dates back to the reign of king *Ns' Krb Y'mn yhrhb*, king of Saba and *DRydn*, son of 'lsrh Yhdb, challenges such an opinion, as this inscription deals with the continuation of the Sabaeans and Aksumite conflict after the death of 'lsrh Yhdb and his son and successor *watarum Yuhamin* and the coronation of his son *Ns' krb Y'mn Yhrhb*. This text (no .20 the Al-Kuhali collection) says :

(22) Mikawy, op. cit., P. 228.

(23) See, F.N., No. 19.

(24) Wissmann, H.V., Himyar, ancient history, *Museon* 77 (1964).

Dhbb , who headed the delegation of Rydn to Aksum. The ambassador wrote an inscription (no.28 of the Al-kuhli collection) to offer his thanks to 'lmqh for success in performing his mission. The text goes as follows.

"1. Srh 'tt 'sw 'Dhbb the commander of the tribes of Srwh and khwn khdlm offers a statue of gold to his god lmqh lord of 'wm thanking him because of his (=the writer's) safe return from overseas, where his lord, krb'l wtr Yhn'm king of Saba and Drydn and Hdrmw and Ymnt, sent him with (an official) delegation to the land of Hbst and 'ksmn to the Negus.

His god 'lmqh favoured him when he retruned with peace accompanied by 'hqm and zlns, And He (=the god) favoured him when he enabled him to move for seven days and nights, then he arrived safely at the city of Mkhwn (Mocha). (20)

2. He thanks his god 'lmqh for his safe return with the 'hbsn delegation, after he had spent in that commission seven months overseas. He also thanks 'lmqh because he found his lord, kr'l wtr Yhn'm king of Saba and Drydn and Hdrmw and Ymnt, in full health.

May he ('lmqh) bestow his blessings on his worshipper, Srh'tt to keep his hand and tongue, and to find the favour with his lord krb'l Wtr Yhn'm king of Saba and Drydn and Hdrmw and Ymnt, and to bring for the for him fruits and crops of wheat, barley and other grains from all his lands."

from this text, we draw the following conclusions :

— It seems that this treaty was of special significance to the king. Since the inscription mentioned above is wholly devoted to its conclusion and Srh 'tt was proud because it was he whom the king had cohosen to lead the side of Rydn in the delegation.

— Srh 'tt spent seven months in this mission. But if we suppose that the march from the capital of Rydn to Mokha took a week and crossing the Red Sea to Adulis took another week, and as we know that the distance from

(20) Procopius wrote in his book (the history of the wars) that " ... about opposite to Homeritae on the main land dwell the Aethiopians who are called Auxomitae because their King resides in the city of Auxomis. And the expanse of sea which lies between is crossed in a voyage of five days and nights, when a moderately favouring wind blows for here they are accustomed to navigate by night also since there are no shoals at all in these parts ... "

Procopius, *The histlry of the wars*, Loeb classical Library Bk. XIX.

(21) El-Iryani op. cit., PP. 147—150.

It is interesting to note here that though this inscription was dedicated to the god by two commanders, one of them only, namely Krb 'tt of Grt, had participated in the expedition to support his lords, the kings of Saba.

After the Aksumites withdrew to their old colony because of their defeat at the hands of 'lsrh Yhdb and his ther Y'zl Byn, during the first phase of the conflict, no other strong rival appeared. Hence, both Sabaean kings attempted to extend their possessions at the expense of their neighbours and accordingly they go into conflict with some commanders of Arab monarchies.

King Krb'l of Rydn was subject to a sabaean in which he faced defeat at Wadi Aswar and was forced to retreat to Abwan and Yalka. Jamme says that krb'l of Rydn was forced to surrender to the sabaean kings who dominated the country. However, it seems that king Krb'l of Rydn renewed the struggle and thus invoked a new Sabaean invasion. Though king Krb'l of Rydn was encamped within Hakirum, he was nevertheless besieged by the sabaean until he surrendered.

If krb'l of Rydn and krb'l Wtr Yhn'm were one and the same person, (19) it is clear that he allied himself with the Aksumites against the Sabaean. The timing of this alliance coincided with his new struggle. Naturally, he found the Aksumites fully prepared to help him as they were harbouring a grudge against the two sabaean kings because of their past defeats. The details of the endeavours to establish the alliance of the Aksumites and the Rydnis against the Sabaean were mentioned by the ambassador Srh 'tt 'sw'

(19) I tend to support the view of El-Iryani about the correlation between Krb'l of Rydn mentioned in the texts of 'lsrh Yhdb and Krb'l wtr Yhn'm, King of Saba and Rydn and Hdrmw and Ymnt, mentioned in the inscriptions Ja 666—667 and the text No. 28 of the Al-Kuhali collection as Jamme could not trace back his lineage to any Arab dynasty (Jamme, op. cit., P. 376). Therefore Jamme came to believe that Krb'l wtr Yhn'm ruled after the dynasty of Yasrum Yuhan'm and nobody succeeded him after his death. It is likely that he should be correlated to an already present King mentioned in the texts of his enemies, though they spoke of him by his abbreviated name and nomenclature. This indicates the animosity between them at that time. It is also more appropriate to delineate the period of his rule as contemporary to the Aksumite presence in Southern Arabia (the Aksumite presence there came to an end during the late 3rd century A.D.) as he contacted the Aksumites and allied himself with them. To say that he ruled from 325—330 A.D., as claimed by Jamme, can easily be refuted as he would be, in that case, contemporary with Ezana the Aksumite King who left many inscriptions which recorded his deeds, either significant or otherwise. If Ezana was the Aksumite King, who concluded a treaty of alliance and peace with the King Krb'l Wtr Yhn'm, this would have been mentioned by Ezana in his inscriptions.

also give them (=the writers) sound senses and faculties and good male children and plenty of good spring, winter, autumn and summer crops. May he ('lmqh) provide them with good and fertile seasons, rains and abundant good fruits in all their lands which they plough and will plough in the east and on the mountains. May 'lmqh Thwn lord of 'wm save them from all kinds of evil of enemies either known or unknown to them.

4. Invoking the right of 'lmqh Thwn lord of 'wm and invoking the right of their lords 'lsrh Yhdb and his brother Y'Zl Byn kings of Saba and Drydn. »

We learn from this text that it was offered by the two commanders krb 'tt Ydf and s'd 'ttr Yskr. both sons of Grt to thank 'lmqh for four different things :

a) The victory achieved by the two Sabaeen kings 'ls rh Yhdb and his brother Y'zl Byn over the Aksumites and their allies and the booty they have won.

b) The safety of the commander krb 'tt of Grt and the triumph of the expedition in which he supported his lords, kings of Saba.

c) The Fulfillment of the hopes of both the writers of the inscription giving them good crops and the construction of their house at the town of N'd.

d) The continuation of the god's support and care to his worshippers the writers of the inscription, giving them wealth and sons and saving them from all enemies ... etc.

It is obvious that the first two matters pertain to the Aksumite - Sabaeen relations where the writers of the inscription mentioned the assault of the Sabaeans upon the Aksumites. This is also the same subject mentioned in the inscriptions (Ja. 574, 565, 590 and 576 published in Jamme's book.

However, it is irrelevant to believe that such a text deals with a new expedition especially as it does not provide exciting details. These two commanders might have been offering their oblation and thanks to 'lmqh for the victory in one of the expeditions mentioned above.

(16) El-Iryani, op. cit., PP 114—118.

(17) It seems that worshippers did not perform such an act after all events, but offered thanks for many deeds in one inscription only.

(18) Jamme, op. cit.

In a second expedition, the Sabaeen forces marched to fight the alliance of the Aksumites and the D Shrtm is Wadi Surdad (40 km to the north of Hudeida). The Sabaeans achieved victory which compelled the allied forces to ask for Peace.

The Aksumites withdrew to the frontiers of their old colony north of the country. El-Iryani published the inscription (no 19 in Al-kuhali's Collection) which speaks about one of the battles of this conflict . This inscription says :

1. Krb 'tt ydf and s'd 'ttr Yskr, both sons of Grt Dzbnr and Tz'd the commanders of the Dmry tribes, who are allies of Smhrm. These commanders offer to 'lmqh Than lord of 'wm an idol of gold, thanking him for the safe return of their lords, 'l srh Yhdb and his brother Y' zl Byn, kings of Saba and Drydn, both sons of Frm Ynhb kig of Saba, and (the safe return of) their (=the kings') army and cavalry from an expedition in which the two kings attacked Hbst and D Shtrm and all those who were at Shtrn. They (= the two kings) returned from this expedition safe and sound with captives and booty which were large enough to satisfy their lords, 'Lsrh Yhdb and his brother Y'ZL Byn kings of Saba and Drydn.

2. They (=the writers) thank him ('lmqh) because he brought back his worshipper krb 'tt son of Grt from the expedition which he conducted following and supporting his lords the two kings, 'Lsrh Yhdb and his brother Y'ZL Byn kings of Saba and Drydn. He (=Krb) came back safe and victorious with booty and captives which Fully satisfied him. May 'lmqh Thwn lord of 'wm continue humiliating and deriding all combatant and envious enemies of his lords 'lsrh yhdb and his brother Y'zl Byn kings of Saba and Drydn. They also thank 'lmqh thwn, the lord of 'wm, because he fulfilled all the hopes of his worshippers, krb 'tt and s'd 'ttr sons of Grt, for which they asked him during the years and the seasons preceding this oblation.

3. Krb 'tt and s'd 'ttr the sons of Grt also thank him ('lmph) for his bestowment when he enabled them to establish and found their house, the house of the sons of Grt in town of N'd (40 km to the south of san'a). May 'lmqh Thwn lord of 'wn bestow his blessings on his worshippers, krb 'tt and s'd 'ttr the sons of Grt, to find the fawour with Their lords 'lsrh Yhdb and his brother Y'Zl Byn kings of saba and Drydn. May he ('lmqh)

(15) Jamme, *Ibid.*, PP. 317—318.

Naturally these Two events are separated by a number of years as mentioned by wfy 'drh when he said that his first task took him many years whilst encamped on the frontiers of the Hsdm.

The fact that hyw 'ttr yd' participated government obviously indicates that the new inscription followed that of Qataban Awkan (Ja. 631) and is therefore evidence for the continuation of the Sabaeen — Aksumite conflict in the reign of S'rm' wtr after the battles of Qataban Awkan.

Though S'rm' wtr had fought so many wars to realise his ambitions, wfy 'drh says in this text, as mentioned before by Qataban Awkan, that the Aksumites were the first to attack. However Srm' wtr might have committed so many acts of aggression against the presence of the Aksumites that their forces were forced to launch a preemptive attack upon him.

A certain degree of exaggeration is noticeable about the Sabaeen victory over the Aksumites. Wfy 'drh remarked that he, aided by 170 soldiers, had killed 210 and captured 530 men, women and children and carried off 11,870 animals. It is quite obvious that these figures are far bigger than the capability of wfy 'drh's forces.

Eventually, if the conflict between S'rm' wtr and the Aksumites had led to the limitation of the Aksumite presence within their old colony, situated at the northern end of the Sabaeen territory, this should have taken place after the new war mentioned in the text, not as a consequence of the operations of Qataban Awkan mentioned in his inscription (Ja 631.).

II

The conflict between the Aksumites and their allies, on the one hand, and the Sabaeans, on the other hand, continued throughout the 3rd century A.D. This conflict reached its zenith during the reign of 'L srh Yhbd and his brother Y 'zl Byn.

These two Sabaeen kings mention the minute details of that conflict in a number of inscriptions. The Sabaeans marched in an expedition against the Aksumites who were around the citadel of Wahadat (70 km to the north-east of Mokha). Then the expedition assaulted the Aksumites in valley of Akkites (152 km to the north of Hudeida). At last the Sabaeans marched eastwards to fight the remaining allies of the Aksumites. They engaged with them at 'ynam (40 km. to the north of San'a). and Huwan (35 km to the north - west of 'mran).

(14) Jamme, *Ibid.*, PP. 315—316.

4— Wfy ' drh also offored hid oblation (to ' lmqh) because his lord s'rm ' wtr king of saba and D rydn with his brother (S'rm's brother) Hyw 'ttr YD', both sons of 'lhn Nhfn king of saba, appointed him to command a special troop of the army totalling 600 warriors to fight ' zd Gysm and Hrbm son of 'lyn ' khwln.

(5) And He (Wfy) fought their forces (the forces of 'zd and Hrbm) at Ngd Mhrbn within the territories of Dshrtn. 'lmqh Thwn lord of 'wm clped his worshipper wfy 'drh and his forces and brought them back safe and sound.

(6) The number of the victims was 210 killed with the edge of sword, 130 captives, 400 prisoners, boys and girls 300 camels, 1300 cows, 270 asses and 10.000 sheep.

(7) May 'lmqh Thwn go on blessing wfy 'drh by finding the favour with his Lord (s), s'rm 'wtr king of saba and Drydan and his brother Hyw 'ttr yd', both sons of 'lhn Nhfn king of saba.

(8) May the god 'lmqh lord of 'wm give his worshipper wfy booty and money wherever he goes to help lords, S'rm' wtr king of saba and Drydn and his brother Hyw 'ttr YD' and wherever they send him either to fight or to reside and to guard either here or there.

(9) May 'lmqh bestow upon him (wfy) good senses and faculties and save them (his lords) from evils of all envious enemies here or there, invoking the right of 'lmqh lord of 'wm and invoking the right of his lords s'rm 'wtr king of saba and Drydn and his brother Hyw 'ttr Yd' both sons of 'lhn Nhfn.'(12)

Studying this text, we draw the following conclusions :—

The events mentioned in the text witness developments of the Sabaeen throne. The first decision appointing wfy 'drh as commander over the forces encamped on the frontiers of the Hsdm (Hasid) tribes was issued by king S'rm 'wtr whilst he was ruling alone. The second decision appointing the same person as commander over retaliation forces against the Aksumites and their Arab allies was also issued bearing the seal of king S'rm 'wtr and his brother Hyw 'ttr Yd' after the latter had joined his brother on the throne (13) .

(12) El-Iryani, op. cit., PP. 67—73.

(13) Some inscriptions say that Hyw 'ttr Yd' shared the crown with his brother (e.g. Jamme, op. cit., P. 304). However the novelty in this inscription that one event was attributed to King S'rm 'wtr exclusively and the other was attributed to the King and his brother.

It is believed that that conflict caused the limitation of Aksumite dominion and sphere of influence in Southern Arabia, though its possessions since the time of the monumentum Adulitanum remained(11), apparently, intact.

However, such along established point of view needs reconsideration since the publication of a new inscription which speaks of a later period of conflict between the Aksumites and the Sabaeans after the expedition of Qataban Awkan.

Wfy 'drh, one of the military commanders of king s'rm 'wtr, wrote the inscription which implicitly indicates that that man had been exercising more than one military function related to the conflicts with the Aksumites. He led the sabaean forces against the Aksumite enemy, then he took upon himself the responsibility of revenge against the Aksumites' Arab auxiliaries. That last task confirms of course, his fulfillment of the first one.

This inscription which I shall refer as no. 12 Alkuhali, after the owner of the collection and number of the inscription in El-Iryani's work, says.

1— wfy 'drh son...ms... praying to 'lmqh Thwn lord of 'wm with a statue and an ox both of gold ; for his lord S'rm ' wtr king of saba and Drydn issued a decree to appoint him as a commander over the troops which were camping on the frontiers of the Hsdm tribe because of the war waged by the ' hbsn and by those who assisted them from the tribes of Swhrn and Khwlhn.

2— Wfy encamped on all the frontiers of the Hsd with their urban and bedouin population and with all those who were assisting them from the Dbn arabs. He established military posts all along the frontier of the Hsd tribe during his years of rule and command. When the 'hbsn launched their assault again, they attacked the Dbn arabs in the valley of Dw'rm, on the west frontier of the Hsd. with a force totalling 2500 warriors.

3— Then wfy 'drh, commanding a force of 170 warriors of (D) bn arabs, overtook them ('hbsn) on the second night at Mqrn D srhtn, and launched a sudden attack upon them. He (wfy) reached the centre of their encampment by midnight then he defeated, killed and expelled them ('hbsn) from their camp. Besides he imprisoned 500 of them and took many sr' and 'lb'...(?)

(11) i.e. from the early beginnings of the 2nd cent. A.D

This alliance served both parties. The Sabaeen king managed to retain his rule and the Akumites created peaceful conditions in their colony north of Sabaeen territory. Nevertheless, matters changed with the death of the Sabaeen king 'lhn Nhfn and the advent of his son S'rm 'wtr as a sole ruler. The amity of the kings changed into animosity, which caused so many battles and victims.

In fact we do not know exactly why these friendly ties collapsed? especially as king S'rm 'wtr shared the crown with his father during the last phases of the father's life.(6) This naturally implies that he witnessed a phase of the friendly ties that linked Aksum and Saba. However the study of king S'rm 'wtr's life indicates that he sent many military expeditions against diverse opponents. These military expeditions covered a very wide area in Southern Arabia.(7) It is highly probable that king S'rm 'wtr was ambitious to expand his sphere of influence. Therefore, he conflicted with all powers prevalent at that time in Southern Arabia which refused to pay him allegiance. King S'rm 'wtr neither wielded a Free hand nor enjoyed full power during his father's reign and was hence relatively handicapped till he ruled alone.

Among those powers with which king S'rm 'wtr fought were the Aksumite Forces residing at their colony on the northern Frontiers of his domain. The Aksumites did actually manage to make alliance against the expanding influence of king S'rm 'wtr. This might explain the presence of Aksumite forces in areas far away from their colony through out the various battles they fought with S'rm 'wtr.

The fact that these battles were actually fought between the Aksumites and king S'rm 'wtr during the 2nd cent. A.D. is confirmed by basic evidence i.e. an inscription written by Qataban Awkan, one of the military commanders of king S'rm 'wtr as dedicated to thank the god 'llmqh "... because he has protected his worshipper Qataban Awkan, descendant of Grt, when his lord, S'rm 'wtr king of saba and Raydan, sent him into the land of the the Habasites against Gadarat, king of the Habasites(9) and of Aksuman...(10)

(6) Many inscriptions implied that S'rm 'wtr shared his father s crown ; See, Jamme Op. cit., P. 290 and El-Iryani, op. cit., PP. 60—61.

(7) Jamme, op. cit., PP. 300—304.

(8) Jamme, Ibid., P. 361.

(9) Habasites is the term used by Jamme to translate the Sabaeen word 'hbsn which often (applied to the Aksumites in the sabaeen inscriptions.

(10) Jamme, Ibid., No. 631, LL, 11—13.

Abdullah Ali-Kuhali. (3) Of this collection, only four inscriptions deal with the relations between the Southern Arabian states and Aksum in the 2nd and 3rd centuries A.D. These inscriptions derive their significance from the contribution and provision of new data concerning the relation of these kingdoms at that time. The inscriptions also confirm or modify some other information about the history of that region.

The first text (no. 12 in Al-Kuhali's collection) deals with these relations in the 2nd cent. A.D., whereas the other three texts (nos. 19, 28 and 20) deal with them during the 3rd cent. A.D.

— I —

The map of the southern parts of the Red Sea basin during the 2nd century A.D. indicates Aksumite expansion on African territory extending the kingdom's frontiers to the boundaries of Egypt in the north and to Somalia in the south. Aksum also expanded into Arab territory with the occupation of *kinaidocolpita*e and *Arrabita*e which lay beyond the Sabaeen territories (4). South of these territories lay a set of warring Arab states such as *saba*, *Himyar*, *Qutaban* and *Hadramwt*.

The presence of the Aksumites on Arab territory helped them to interfere in the Arab affairs. It all began when 'Ihn Nhfn revolted against his master, the sabaeen king, and styled himself as king. Then he started to consolidate his standing so as to be able to resist any attempt to divest him of the throne which he had usurped. He therefore allied himself with Jada'ab Ghailan king of Hadramwt. He also allied himself with GDR king of Aksum. This alliance provided that « ... they plighted themselves to make war and peace together against everyone who should raise himself up against them as enemies and that they would be sincere, faithful brothers ... » (5)

(3) The owner of this collection managed to obtain it written in four note books from a Yemeni Soldier who acted as guard for an American Mission that worked at Mahram Bilqis in 1952, and ; See, Ahmed Fakhry, *Dirasat fi Tarikh A-Sharq Al-Qadim* (Studies in ancient Eastern history) 2nd ed., Cairo, 1963, P. 157.

It seems from the story told by Muttahar El-Iryani that the writer of this collection was a member of that mission. It seems also that during enforced departure of the mission, the collection was lost. Hence it came into the possession of Al-Kuhali and he handed it over to his friend Muttahar El-Iryani. Muttahar found most of these inscriptions in the four note-books some of which were published by Jamme, A., op. cit. However Muttahar found among them the collection which he published for the first time; See, El-Iryani, op. cit.

(4) Winstedt, E.O., *The Christian Topography of Cosmas Indicopleustes* Cambridge 1909, PP. 72—73.

(5) Pankhurst, S., *Ethiopia a cultural history*, London, 1955.

**NEW LIGHT ON THE RELATIONS
BETWEEN AKSUM AND THE SOUTHERN ARABIAN STATES
DURING THE 2ND AND 3RD CENTURIES A.D.**

By

Dr. FAWZY MIKAWY

The southern part of the Red Sea is an integral cultural area in which the Red Sea and the straits of Bab El-Mandab constitute an unifying rather than separating factor. Accordingly Southern Arabian cultural influences extended to Aksum and embraced language, cults, methods of agriculture and irrigation and so on. Aksum, on the other hand, was often capable throughout its history of interfering in rivalries between Southern Arabian Kingdoms. And since the beginning of the 2nd century A.D. it was strong enough to take over that part of Southern Arabia situated to the north of the Sabaean territory.(1)

Though we are quite certain of the strength of these ties, very little is recorded of them. Therefore, the discovery of any new inscription concerning these relations is a treasury in itself since it can shed so much light on unknown chapters of the history of this region.

Mutathar Ali El-Iryani, an Yemeni researcher, contributed to the discovery of new chapters in the history of this region through the Publication of 34 Sabaean inscriptions, (2) from the collection of an Yemeni judge, Ali

(*) The contributor is a lecturer in Ancient African History at Cairo University, Egypt. He wrote two theses and several articles on the Meroitic and Aksumite History ; See, *African Studies Review*, Cairo, *Bulletin of Cairo University*, Khartoum and *Journal of Ethiopian Studies* Addis Ababa.

(1) Fawzy Mikawy, *Mamlakit Aksoum* (The Aksumite Kingdom), an unpublished doctoral dissertation in Arabic, Cairo, 1974.

(2) Muttahar Ali El-Iryani, *Fī Tarikh Al-Yaman* : (in Yemen History, 34 new inscriptions, explanation and interpretation), in Arabic, Cairo 1973. These inscriptions are unpublished with the exception of four texts : Nos. I, 12 and 14 (published in Ahmed Sharaf El-Din, *Al-Tarikh Al-Thaqafi El-Yamani*, Part III under Nos. 11, 20 and 29). and No. 3, published by Jamme, A., *Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib)*, Baltimore 1962, No. 627) ; See, El-Iryani Op. cit., P. 31.

44. ALBINO, pp. 64—66.
45. SHEPHERD, p. 15.
46. ALBINO, p. 75.
47. DAIVD RODEN, "Peace Brings Sudan New Hope and Massive Problems," *Africa Report* 17:6 (June, 1972), p. 15; *A Revolution in Action : Regional Autonomy for the South* (Khartoum : Government Printing Press, 1969), p. 6.
48. "Sudan New Southern Policy," *Africa Research Bulletin : Political, Social and Cultural Series* 6:6 (July 15, 1969), pp. 1438—1440.
49. Howell, p. 177.
50. COLIN LEGUM, "Out of Africa : Sudan," *Africa Report* 17:4 (April, 1972), p. 4; *Africa Research Bulletin (PSCS)* 9:2 (March 15, 1972), pp. 2381—2383.
51. U.N.H.C.R., No. 1 (July, 1972), pp. 1—4.
52. *Africa Research Bulletin (PSCS)* 9:2 (March 15, 1972), p. 2383.
53. IAN ADIE, "China's Return to Africa," *South Africa International* 3:4 (April, 1973), p. 191.
54. *Africa Research Bulletin (PSCS)* 9:2 (March 15, 1972), pp. 2382—2383.
55. "Sudan : Truce Rather Than Peace ?," *Africa Confidential* 14:5 (March 2, 1973), p. 1.
56. *The Washington Post*, July 26, 1972.

22. *Ibid.*, pp. 31—33; Said, p. 72.
23. ALBINO, p. 18; Said pp. 74, 77—78.
24. JOHN HOWELL, "Politics in Southern Sudan," *African Affairs* 72 : 287 (April, 1973), pp 166—167.
25. CECIL EPRILE, *War and Peace in the Sudan, 1955—1972* (London : David & Charles 1974) pp. 41—45.
26. *Memorandum on the future of the Southern Sudan by SANU, Round Table Conference on the Southern Sudan, Khartoum, the Sudan, March 16—25, 1965.* Prepared by Sudan Informazioni "News Agency Documents," 1965", pp. 36, 149; Howell, p. 169.
27. PETER RUSSELL and STORRS McCALL, "Can Secession Be Justified? The Case of Southern Sudan." In Dunstan M. Wai (Ed.) *The Southern Sudan : the Problem of National Integration* (London : Frank Cass, 1973), p. 99.
28. *Ibid.*
29. *Round Table Conference*, 1965, p. 143.
30. *The Southern Front Memorandum to OAU*, p. 2.
31. ALBINO, pp. 29, 98.
32. BESHIR, p. 84.
33. Sudan's Ministry of Information and Culture, *Sudan Today* (Nairobi, Kenya : University Press of Africa, 1971), p. 77.
34. *Round Table Conference*, 1965, p. 146.
35. DUNSTAN M. WAI, "Political Trends in the Sudan and the future of the South," pp 149—150.
36. BESHIR, pp. 85—87.
37. HOWELL, p. 172.
38. BESHIR, pp. 88—89.
39. *Ibid.*, pp. 89—90.
40. ALBINO, pp. 51—54.
41. *Round Table Conference*, 1965, pp. 203—208.
42. *Ibid.*, pp. 201—202, 209—211; George W. Shepherd, Jr., "The Khartoum Conference, New Confrontation on the Southern Sudan " *Africa Report* 10 : 4 (April, 1965), p. 14.
43. MOHAMED O. BESHIR, *Revolution and Nationalism in the Sudan* (New York; Barnes & Noble, 1974), p. 222.

FOOTNOTES

1. ROBERT, O. COLLINS, *The Southern Sudan, 1883—1898* (New Haven, Conn., : Yale University Press, 1962), pp. 177—181; *The Southern Front Memorandum to OAU on Afro-Arab Conflict in the Sudan* (Accra' 1965), pp. 5—9.
2. ROBERT O. COLLINS, "The Sudan : Link to the North." In Stanley Diamond and Fred G. Burke (Eds.) *The Transformation of East Africa* (New York : Basic Books, 1966), pp. 371—377.
3. JOSEPH ODUHO and WILLIAM DENG, *The Problem of Southern Sudan* (London : Oxford University Press, 1963), p. 12.
4. OLIVER ALBINO, *The Sudan : A Southern Viewpoint* (London : Oxford University Press, 1970), pp. 96—97.
5. MOHAMED O. BESHIR, *The Southern Sudan* (Khartoum : Khartoum University Press, 1970), p. 39.
6. ODUHO, p. 9.
7. BESHIR, p. 42.
8. *Ibid.*, pp. 48—52 ; Albino, p. 21.
9. BESHIR, p. 44.
10. J. S. R. DUNCAN, *The Sudan's Path to Independence* (Edinburgh : Blackwood, 1957), pp. 217—218.
11. BESHIR, p. 52.
12. KENNETH D. D. HENDERSON, *The Making of the Modern Sudan* (London : Faber and Faber, 1953), pp. 540—541.
13. BESHIR, pp. 61—62.
14. COLLINS, *The Sudan*, p. 38.
15. K. D. D. HENDERSON' *Sudan Republic* (London : E. Benn, 1965), p. 164; Albino, pp. 28—29; Duncan, pp. 103—104.
16. BESHIR M. SAID, *The Sudan : Crossroads of Africa* (London : Bodly Head, 1965), pp. 164—165.
17. MUDDATHIR ABD AL-RAHIM, *Imperialism and Nationalism in the Sudan* (Oxford : Clarendon Press, 1969), p. 167.
18. *Ibid.*, p. 160.
19. *The Southern Front Memoradum to OAU*, pp. 28—29; pp. 46—71.
20. ABD AL-RAHIM, p. 171.
21. ALBINO, pp. 30—32.

Summary and Conclusion :

The problem of southern Sudan grew out of the British decision to foster separate development for the south, a measure which resulted in uneven development between the north and the south socially, educationally and economically. Thus at the end of 1964, when the British suddenly decided to abandon its separate development policy in favor of a united Sudan, the south found itself in an unequal position in this merger ; as the northern leadership failed to give southerners an adequate share in running the local and central government, southern leaders began to demand federal status for their region. The north gave only lip service to this request, however, and an indirect result was the uprising which broke out in August 1955, an event which marked the beginning of a seventeen-year civil war. The subsequent failure of civilian governments to deal with the southern question effectively brought the army into power and for eight years, Abboud tried to force a solution while also waging a campaign to speed up the process of Islamization and Arabization in the South. His policy drew a great deal of criticism in both the south and the north ; indeed, several politicians and intellectuals openly supported a new approach to the problem, and advocated a new governmental system that would accommodate regional and tribal differences within a united Sudan. By 1965, the army was thrown out and a civilian caretaker government under Khalifa was formed, an event that led to the convening of the Round-Table Conference. Although the conference ended without achieving a final settlement, southerners and northerners had at least agreed that the present centralized unitary form of government was not suitable for the Sudan. On a new proposed form of government, however, they disagreed ; the north was willing to grant regional autonomy based on geographical divisions but the majority of southerners insisted on independence or a plebiscite. In the following years, both diplomatic and military maneuvers were used to bring about an end to the civil war but each met with very little success. It was not until Al-Numeiry came to power that the Sudanese government openly accepted the need to grant autonomy to the south—a move which set in motion several events that eventually led to the signing of the Addis Ababa agreement in February, 1972. That agreement ended the civil war in the Sudan. However, the future of a united Sudan would depend to a great extent on the implementation of the settlement and Al-Numeiry's continuation in office. It seems that he is the only leader at this time who can hold the nation together, as any change in the government might threaten the delicate balance that was created by the Addis Ababa agreement and might again result in separation. Also, the future of a stable Sudan will depend heavily on the rapid reconstruction of the south which can not be accomplished without massive international loans and technical assistance.

the Sudanese government and the southern leaders after they had reached an impasse⁽⁵²⁾. As a result of his mediation, Al-Numeiry moved to close down the Eritrean Liberation Front's office in Khartoum, its headquarters in Kassala and their training camps in the Sudan following the southern settlement⁽⁵³⁾.

The O.A.U. also played an important role in furthering the settlement by the use of its good offices to mediate the conflict and by its refusal to place the item on its agenda, a measure which would have only aggravated the situation. A change of position within the World Council of Churches must also be given due credit as a contributory factor. The World Council of Churches had been generously contributing to the resistance movement in the south but exerted pressure on southern leaders to seek a negotiated settlement⁽⁵⁴⁾ once they reached the conclusion that there was no sense of continuing this endless war and as they found themselves siding with the white regimes in Africa.

The future of a unified Sudan will depend on the full implementation of the Addis Ababa Agreement. It would require complete cooperation between northern and southern leaders ; the national government must be responsive to the needs of the south and must involve southerners in the running of the administration, because only sincerity and tolerance can eliminate the fear and mistrust of the past and heal the wounds of a seventeen-year civil war. The future of the settlement will depend to a large extent on the present leadership in the Sudan. Indeed, any change in the government might threaten the delicate balance that was created by the Addis Ababa agreement⁽⁵⁵⁾.

There is every indication that President Al-Numeiry is diligently seeing to the enforcement of the agreement's provisions in order to help ameliorate north-south relations. In addition, he has taken measures to remove southerners' fear of close association with the Arab north, and no longer is interested in joining Egypt and Libya in a Federation of Arab Republics, a move which he had advocated in the past. To demonstrate his independence vis-a-vis these countries, he resumed diplomatic relations with the United States on July 25, 1972, after a five-year break,⁽⁵⁶⁾ and accepted American aid for refugee resettlement. Moreover, it is expected that the Sudan would improve relations with such neighbors as Ethiopia, Uganda, Zaire and the C.A.R., where southerners had found refuge during the years of turmoil. With the civil war over, the Sudan might be expected to play a major role in African politics because of its unique location on the fringe of Black Africa to the south and Arab Africa to the north.

would submerge them in the Arab north even further.

Despite this rejection, Al-Numeriy proceeded to launch further diplomatic efforts in September 1971—two months after the communist abortive coup. He established secret talks with Joseph Lagu who had emerged as leader of both Anya Nya and the South Sudan Liberation Movement (SSIM). In the following months, this government began a dialogue with exiled southern leaders in Ethiopia, Uganda and Zaire⁽⁴⁹⁾. Moreover, he dispatched delegations to the Scandinavian countries and to Switzerland to solicit help from voluntary organizations, to end the conflict in the south without any more bloodshed. Al-Numeriy also sought the help of the O.A.U. to reach a settlement in a spirit of African fraternity.

These efforts eventually proved to be fruitful in bringing an end to the civil war which had drained Sudanese resources for seventeen years. On March 27, 1972, the Sudanese government and the SSIM ratified a peace agreement in Addis Ababa to end the civil war. It should be pointed out that the Agreement was a compromise, and did not represent a clear-cut victory for either side in the conflict: southern leaders had to give up their ideas for independence or federation while the Sudanese government was forced to grant the south regional autonomy. Arabic was to be recognized as the official language, but as a concession English would be used as a working language along with local languages⁽⁵⁰⁾.

Shortly after the agreement was signed, the Sudanese government established a special fund to meet the initial expenses of repatriation, resettlement and rehabilitation of southern refugees. In response to an appeal by Al-Numeiry, the U.N. Secretary-General requested the U.N.H.C.R. to coordinate the U.N. Emergency Relief program for southern Sudan⁽⁵¹⁾.

In retrospect, an accumulation of factors contributed to the conclusion of the Addis Ababa Agreement. The long years of fighting had convinced the Sudanese government and the SSIM of the need for compromise, perhaps, since neither side had been able to win the war militarily. Undoubtedly, too, southern leaders had changed their views partly through an assessment of their situation in light of the failure of the Biafran secessionist movement and the strong stance made by African governments against any further balkanization of the continent.

Emperor Hail Selassie played «a discreet but important mediatory role» in bringing about the agreement; he intervened to iron out the differences between

the election on the ground that an election should take place until a new constitution was approved and a state of emergency was lifted⁽⁴⁴⁾.

The Deng wing of SANU decided to participate in the election and campaign for its program of federation and self-determination, however, and the Southern Front soon changed its strategy and agreed to take part in the upcoming election⁽⁴⁵⁾. This reversal was made because the Front feared it could lose its influence in the south to the SANU while, at the same time it could attempt to exert pressure within the Parliament to prevent the approval of any constitution which ignored the rights of the south. Another factor in this decision was that the Front might also be able to enter into coalition with a party which would appreciate the southern case.

Subsequently, in May, 1968, the Southern Front did enter into a coalition with UDP and Umma-Imam to form a cabinet under Mahgoub. This participation in the coalition resulted in a rift between the Front and southern leaders living in exile, however⁽⁴⁶⁾. More importantly, the coalition government was not effective in pursuing a settlement of the thorny southern problem. Instead, the situation only deteriorated further when the Mahgoub government decided to resort to the use of force to solve the southern problem. Slowly, however, as it became clear that no one would achieve a military victory, there was evidence of a growing sentiment that a political solution was critically important and could only be reached through the exercise of understanding and tolerance on the part of the Sudanese leaders of both the north and south.

on the Road to Settlement

Following the military takeover in May 1969, General Gafaar Al-Numeiry, the Chairman of the Revolutionary Command Council, took the first major step to end the deadlock when he publicly acknowledged the cultural and historical differences between the two regions as well as the right of the south to develop its own culture within a united Socialist Sudan⁽⁴⁷⁾. This statement marked the first time that a president committed himself openly to the principle of regional autonomy for the south. In addition, he promised the extension of the period of general amnesty, initiation of an economic, social and cultural program for the south, appointment of a minister for southern affairs and the establishment of a job training program for southerners. These conciliatory efforts were rejected by southern leaders, who accused Al-Numeiry's government of being «Arab in aspiration and commitment»⁽⁴⁸⁾ in view of the proposed plan for merging the Sudan in a federation with Egypt and Libya, a move which

On March 16, 1965, the Round-Table Conference was convened ; it was attended by 27 southerners (including SANU's two factions), 18 northerners, and observers from Algeria, Ghana, Kenya, Nigeria, Tanzania, Uganda, and the U.A.R. The northern delegation agreed on a unified platform regarding the southern problem ; they ruled out both federation and a centralized unitary form of government and instead favored a solution based on a united Sudan that would accomodate ethnic and cultural differences. They therefore proposed a system of local government based on geographical differences⁽⁴¹⁾.

The southern representatives were divided, however, William Degn (SANU) advocated a federal system while emphasizing the multi-racial character of the north ; on the other hand, Aggery Jadein (SANU) denounced Arab domination in the south and called for political independence. As a further contrast, the Southern Front suggested that a plebiscite be conducted by a neutral and independent body in order to determine whether the south preferred federation, separation or unity with the north⁽⁴²⁾.

As a compromise, the Front and SANU leadership finally proposed the creation of two separate states in the Sudan that would be bound together by common services and insitiutions since there was need for some form of interdependence between south and north. They felt, that such a step might lead to a voluntary union in the long run. Meanwhile, however, Santio Deng, another southerner, stated that his Sudan Unity Party would not recognize any agreement that would grant the south independence.

The conference was doomed to failure because each side rejected the proposals of the other as being too extreme, and it thus concluded without reaching agreement on the constitutional status of the south. A twelve-man committee was appointed to continue the deliberations on the constitutional question, however ; there was a concensus that the committee should not consider any proposals in favor of separation or of the status quo⁽⁴³⁾.

A year later, this committee reported that it had made no progress in finding a formula to solve the crisis because each side insisted on its position with noroom for compromise. Upon teceiving this report, the government decide against calling the second Round-Table Conference ; instead a new committee was set up to draft a new constituion. In protest over the composition of this committee, both SANU and the Southern Front refused to participate in its deliberations. Morevoer, when the government announced that an election would be held in March, 1967, the Southern Front stated its intention to boycott

SANU leaders looked favorably on the change of leadership in the Sudan, and contacted the new government and suggested the initiation of a dialogue to end the conflict. They suggested a program of action to include the following :

- (a) A general amnesty be declared by the Sudan Government for all the refugees, together with a guarantee for their safety ;
- (b) The recognition of SANU as a political party and permission for it to function inside the Sudan ;
- (c) The convening of a round-table conference between Sudanese political parties of both the North and the South, and in which the Judiciary, the University of Khartoum, and in which Union leaders would be represented, to discuss the constitutional relationships between the North and the South⁽³⁸⁾.

In addition, they recommended that observers from the O.A.U. and from neighboring countries should be invited to attend the conference.

Al khalifa responded on December 10, 1964, by declaring a general amnesty to all Sudanese who had left the country since 1955, including any who had been given trials in absentia or who were still wanted on political charges. Furthermore, two of his ministers travelled to Kampala where they signed an agreement concerning the Sudanese refugees; they met with SANU leaders to explain their government's new policy and to persuade them to come home. In reply, however, the SANU leaders insisted on first reaching a negotiated settlement outside the Sudan prior to their return, and further suggested a federated form of government, the repeal of the Missionary Societies Act and the establishment of a southern economic development program as well as a southern army command⁽³⁹⁾. The government response was cooperative ; it informed them that these proposals were negotiable and suggested the convening of a conference inside the Sudan as a mechanism for both sides to express their views in order that they might find a formula to end the civil war in a spirit of cooperation, tolerance, and understanding.

SANU was divided in its reaction, both with regard to the place of the conference and the ultimate goal for the south. The moderates, headed by William Deng, was in favor of federation and a negotiated settlement anywhere ; the radicals, led by Joseph Oduho, insisted on separatism and negotiations outside the Sudan⁽⁴⁰⁾. Unfortunately, the SANU organization would never recover from this schism.

Commission of Inquiry consisting of nineteen southerners and thirteen northerners to investigate the causes of the southern problem and to make recommendations to achieve internal stability within the framework of the Constitution⁽³⁵⁾.

This Commission was vehemently criticised by SANU on the ground that (1) the appointed southern representation showed «on genuine attempt to include southern intelligentsia» ; (2) the Commission was instructed not to recommend «anything infringing the present Constitutional structure, on the principle of a unitary government» ; (3) the government continued to ignore southern leadership in exile. SANU leaders reiterated their position in favor of a negotiated settlement between the Khartoum government and the southern leaders, although they could no longer exclude the use of violence as a means to their end⁽³⁶⁾.

Dialogue : Round - Table Conference

By late 1964, the population in the north, led by students from the University of Khartoum, became increasingly vocal about their disillusionment with the military regime and with the policy of force which so far had failed to solve the southern problem. Instead, they began to agitate in favor of a peaceful solution and felt that the military government was incompatible with the search for a peaceful settlement. As a result, in October, 1964, Abboud was overthrown and a transitional government was formed. The new prime minister, El Khatim Al Khalifa, was well informed about the south since he had served there as Assistant Director of Education. He immediately initiated the following measures to regain southern confidence : first, he appointed three southern ministers to his cabinet, including Clement Mboro as the Interior Minister in charge of national security ; secondly, he established a precedent by being the first head of government to acknowledge publicly the ethnic, cultural, geographic and historic differences between the north and the south ; furthermore, in order to clarify the case in the minds of both north and south, he granted the press unprecedented freedom to discuss the issue underlying the conflict.

One immediate result of this more relaxed atmosphere was the establishment of the Southern Front as a new political party in the Khartoum, created by southern professionals and civil servants who preferred to work from within the Sudan to alter the status of the south. They maintained close ties with SANU headquarters in Kampala, Uganda. At the beginning their party was considered to a great extent the front for SANU, but it gradually became independent as the southern leadership split⁽³⁷⁾.

of southern education in an attempt to create a single educational system for the nation as a whole. Arabic was introduced as a medium for instruction in the south ; all missionary schools were taken over by the government and all private schools in the south were prohibited. Later by 1962, missionaries were expelled from the south on the ground that they were considered a threat to national unity ; they were held responsible for instigating trouble in the south and for conspiring with the mission-educated southern elite⁽³¹⁾.

During these years, the disturbances in the south had driven thousands of Sudanese across the borders into neighboring countries such as Uganda, Kenya, Ethiopia, and Central African Republic. Gradually the refugees began to form organizations to oppose the Sudan's military regime and, in light of the failure to obtain federation, to demand independence for southern Sudan. The Sudan African National Union (SANU), with its headquarters in Leopoldville, Congo, became a major spokesman for the southern cause, particularly in its insistence on a peaceful solution based on the principle of self-determination for the south. It began to seek international support and unsuccessfully requested the O.A.U. and the U.N. to examine the Question of Southern Sudan⁽³²⁾.

Another organization formed among refugees was Anya-Nya, which was created in 1963 by those who had participated in the mutiny of 1955. Its aim was to capture the south by force and its members repudiated any peaceful solution to the problem⁽³³⁾. In order to conduct their guerrilla warfare activities they captured weapons, primarily by ambushing convoys that were on route to the Congolese «Simbas» but also by exchanging food, clothing or shelter for guns from Congolese fleeing into southern Sudan from their own nation's troubles. Beginning in 1964, the Anya-Nya conducted successful guerrilla attacks in the southern terrain, a region the Sudanese army found difficult to reach because of transportation and communication problems ; the army's activities were in fact limited to large villages and towns in the region.

The warlike situation in the south resulted in tremendous uprooting of the southern population. By the end of 1964, the number of southern Sudanese refugees in Uganda alone had reached 50,000, a situation which prompted the Ugandan government to close its borders with the Sudan⁽³⁴⁾.

The failure to bring about a military solution to the southern problem caused several northern leaders to criticize the way the government was handling the situation. To head off the mounting criticism, the government set up a

independent and sovereign state. Southern representative supported the declaration, but only after the Parliament had unanimously called upon the Constituent Assembly to fully consider the demand of the south for federation. This was a condition *sine qua non* for the southern votes in favor of independence⁽²⁶⁾. Within the next two years, talks on federation continued, but northern leaders showed no sign for compromise—a matter which caused frequent walk-outs by southerners. The net result was an apparent deterioration in the south-north relationships.

Northern politicians paid very little attention to the rising problems that were besetting in the south ; they were too preoccupied with their own struggles for power to be able to recommend a constructive program to cope with southern problems. Such lack of sensitivity was evident in the manner in which seats on the committee to draft the constitution were allocated : only 3 of the 46 seats were given to southerners. Inevitably, then, when southern representatives pressed the question of federation, in December, 1957, they were outvoted and their proposal for federation was defeated⁽²⁷⁾. In protest, southern representatives boycotted the remaining meetings.

This affront to the south gave an effective impetus to the newly founded Southern Federal Party during the 1958 parliamentary elections ; as a result, it captured 40 out of the 46 southern seats. Subsequently, on June 16, 1958, its members walked out of the Constituent Assembly after they had indicated their formal opposition to the new Constitution.

This event engulfed the Sudan in its most severe political crisis yet. By November, when it became evident that the government was unable to handle the explosive situation, the army was invited to take over the government,⁽²⁸⁾ thus ending the search for a constitutional solution to the southern problem. The military government, under Abboud, promptly embarked on a campaign to suppress opposition and to silence any talk about federation. It suspended the parliament—a measure which deprived southern leaders of the main forum by which they had been able to air their grievances and to keep communications open with northern politicians. When political parties were banned, southern leaders were forced to go underground or to flee the country⁽²⁹⁾.

The military regime took a heavy-handed approach immediately and embarked on a program to achieve «... racial integration by islamization and assimilation of the Southerners or by extermination of the educated Southerners should islamization be thwarted»⁽³⁰⁾. It proceeded to take direct and full charge

In their viewê Sudanization of the Civil Service had essentially amounted to northernization.

This mounting frustration coincided with a general reawakening of political consciousness in the south. Some southerners quitted the National Unionist Party (NUP) and joined the Liberal Party ; two southern ministers left their cabinet posts in May 1955 in protest over the handling of southern affairs ; political agitation mounted in an atmosphere charged with accusations by the opposition leadership, both among southerners and northerners. It gradually became apparent that the Al-Azhari government was unable to cope with the rising problems in the south.

As a result, several southern leaders talked about federation or even independence for the south. In an effort to obtain concensus on their goals, the Liberal Party organized Juba conferences in 1954 and 1955,, both of which demanded federal status for the south and southernization of more jobs. In response, the Parliament unanimously voted in favor of asking the next Constituent Assembly to give full consideration to the question of federation. Nevertheless, tension and distrust were building up in the two regions. Particularly in the south which was ready to explode at any time. The incident that eventually triggered a bloody civil war in the Sudan was a demonstration in Nzara over a wage dispute for southern workers, that ended tragically in the killing of a handful of southerners. Although the shooting was done by members of the southern Equatoria Corps, these events aggravated the situation and quickly spread into wide spread violence against northerners-military and civilian alike⁽²⁴⁾.

In an attempt to cool the mounting crisis, the government decided to transfer the Equatoria Corps to the north and to replace them by northern garrisons. The Equatoria Corps refused to comply with these orders and mutined, shooting their officers and massacring several hundred northerners in August, 1955. The government responded with force to suppress the mutiny, and quickly reestablished control of the city of Torit. Fatefully for the future of the Sudan, however, the city had by then become deserted, as military and civilians alike had fled to the bush. This series of events marked the beginning of the insurgency in the south, which would be organized by former soldiers and officerss from the Equatoria Corps Who had abandoned their positions and had found refuge in the bush⁽²⁵⁾.

These events were greatly troubling to the government, but did not disrupt its plan for independence. On January 1, 1956, the Sudan was declared an

The constitution was approved by the Legislative Assembly in 1951. Significantly, however, the specific safeguards for the south were annulled in the Cairo Agreement (1953). Instead, under the Self-Government Statute (which led to the independence of the Sudan in January 1956), it was decided to give the south at least two ministers. By the terms of this arrangement, however, the north had advantages over the south since the latter was far behind the north economically, educationally, and politically. The south lacked political organizations and even a national consciousness. At this time, southern leaders were primarily interested in a united Sudan that would guarantee rapid economic and educational development in the south as well as an adequate share in running the government. This partnership would be put to a test in the following years.

National unity : Tragic Directions :

A united Sudan ran into problems even at the outset, when southerners were excluded from the delegation which met in February 1953 with the Egyptian government before the signing of the Anglo-Egyptian Agreement. Their exclusion was interpreted as further evidence of continued northern domination. At the time, however, it would have been difficult to have designated any southern representatives that might have spoken for the south as a whole ; there was not yet a single political party able to claim such a broad constituency. It was only with the 1953 elections that the Southern Party⁽²²⁾ was formed and was able to capture 12 of the 22 southern seats in the elections. In the following years, it would attempt to capture the leadership in the south, after 1954 being renamed the Southern Liberal Party.

During 1954-1955, the imbalanced situation between north and south was further emphasized when the Sudanization Committee filled only four out of the 800 civil service jobs with appointees from the south on the pretext that a few southerners were qualified and experienced for these posts. It was a great disappointment for the south and an apparent documentation of the way the British and the missionaries, who had been in charge of Sudanese education, had been sorely lacking in their training of qualified personnel for responsible and high-level positions in the Sudanese administration⁽²³⁾.

This event clouded the political atmosphere and brought back to the surface much of the deeply rooted mistrust and hatred felt by the southerners toward northern domination. Increasingly, they saw the independence arrangement as simply the substitution of one foreign colonialism by another; in addition, southern leaders felt that they were tricked because promised to place southerners in high posts in the local and central governments were not fulfilled.

Sudan Administration Conference recommended that the south should be integrated with the north and that an elected Legislative Assembly be created «to exercise legislative, financial and general administrative function in conjunction with a newly-constituted Executive Council⁽¹⁸⁾».

These recommendations were denounced by some British administrators in the south, however, who demanded that an Administrative Conference for the southern Sudan be held in order to hear the opinion of leading southerners on their future. Shortly thereafter, the juba conference was convened and attended by seventeen southerners, six northerners and six British officials.

This conference turned out to be a turning point in the history of the Sudan since the conferees rejected suggestions for regionalism or federalism, the alternatives to unification that had been advocated by some British officials in the south, with the support of missionaries who were vehemently against «one Sudan⁽¹⁹⁾».

Furthermore, the conference made a call for national unity and for the initiation of measures to politically integrate the south with the north. It also recommended that a legislative assembly be created to govern a united Sudan under a centralized government. It was agreed that measures should be initiated towards the creation of a unified system of education for the whole country and the improvement of communication and trade between the two regions⁽²⁰⁾.

The proposed Legislative Assembly was constituted and formally opened on December 15, 1948. Only shortly afterward, however, southerners began to express a desire to run their own local affairs, largely due to dissatisfaction, with what they considered to be a token development program. By 1950 southern politicians began to ask for a Federal status within one Sudan⁽²¹⁾.

Southern dissatisfaction was further evidenced in March, 1951, when a constitution Commission was created to advise the Governor-General on formal measures to be initiated pursuant to granting self-government to the Sudan. At this point, Mr. Buth Dju, the Southern representative on the commission, suggested a federal system, when his proposal was rejected, he withdrew from the Commission. The Commission still completed its task but did at least include some safeguards in the proposed constitution in an attempt to allay southern fears ; specifically, they recommended that the Governor - General be given wide legislative powers to provide protection over the south.

This attempt was buried quietly when Newbold died, but it was indicative of the need for a reexamination of the Sudan policy. Such a need was increasingly evident, as a consequence of certain postwar developments. First, the East African territories, especially Uganda, were «extremely cool toward and prospect of union with this vast an unproductive land»⁽¹⁴⁾. Secondly, as northerners became more vital to southern development projects, they exerted greater pressure for change in the north-south relationship. Thirdly, the British finally came to realize that the landlocked south was without the economic resources and political institutions necessary for survival as a separate entity for any period of time. Fourthly, Egypt was pressuring Britain for the recognition of its sovereignty over the Sudan⁽¹⁵⁾. For all these reasons, the British finally abandoned their original idea of annexing southern Sudan to a Central African Federation ; instead, in 1946, they adopted a policy favoring the integration of the south into the north, largely out of a belief that a united Sudan would have a better chance of resisting pressures represented by a revived and strengthened Egypt. Sir James Robertson, the Civil Secretary, stated that the new policy took into account the fact that:

the peoples of the Southern Sudan are distinctively African and Negroid, but that geography and economics combine to render inextricably bound for future development to the Middle Eastern and Arabicised .

Northern Sudan ; and therefore to ensure that they should, by educational and economic development, be equipped to stand up for themselves in the future as socially and economically the equals of their partners of the Northern Sudan in the Sudan of the future⁽¹⁶⁾.

However, when Britain revised its policy in favor of merging the north and the south together, it failed to make adequate preparation for such a merger and failed to include political safeguards to prevent northern domination in a united Sudan. Even as this policy was being established, some British officials who foresaw the likelihood of problems developing out of an uneven arrangement and suggested such possible safeguards as giving the south regional autonomy or having only a federation between the north and south. These views were disregarded at the time, however, although they would be taken up again later by southern leaders as the only solution to the southern problem.

Consequently, plans for a united Sudan proceeded at a high speed. In March, 1946, the Sudanization Committee was established and was told that «the progressive Sudanization of our governmental machinery 'was' a matter of the greatest political and administrative importance»⁽¹⁷⁾. A month later, the

Congo and the International Institute of African Languages and Cultures, decided in favor of the use of local vernaculars and English in the southern Sudan and the complete exclusion of Arabic on the ground «it would open the door for the spread of Islam, Arabize the South, introduce the Northern Sudanese outlook»⁽⁹⁾.

Missionaries cooperated fully in execution of the southern policy since it gave them a free hand to spread the gospel and western culture ; their major contribution was in the area of educational training, thanks to the British «grant-in -aid program, which progressively increased from LE 1,765 in 1927 ot LE 9,155 in 1937. Their educational training, however, failed to prepare southerners for civil and administrative jobs, and thus could not meet the greater demand for southern staff trained at the managerial level to carry out the policy of southernization, when northern officials were sent back home⁽¹⁰⁾. This situation had «a far-reaching effect on the efficiency of the administrative machinery and was, therefore, a further contributory factor to the backwardness of the South»⁽¹¹⁾.

The net result was that the south developed in complete isolation from the north, which was embarking on new educational and economic development projects. As one result, the indigenous Sudanese political leadership in the north became more and more suspicious of te southern policy. Between 1938 and 1942, the Graduate Congress demanded that all regulations restricting the freedom of movement and trade for the Sudanese in the South be abolished ; they urged the administration to cancel qrants-in-aid to missionary schools and to work for a unified educational system for the whole country⁽¹²⁾. These demands fell on deaf ears, however. Although the British felt that educationa and economic development should be accelerated in the South, they still saw no need to introduce radical changes in their southern policy. In fact, it was not until the end of the Second World War that it became evident to the British that their policy was creating a major discripancy between the south and the north in terms of economic development.

The New Southern Policy (1946-53)

In 1944, Sir Douglas Newbold, the Civil Secretary, attempted to change the direction of Britain's southern policy in a suggestion that the south should be more closely integrated with etither the north or with East Africa, or with both⁽¹³⁾. However, he did not reiterate the reform suggested earlier, in the 1930's, that the south be made an independent state.

Subsequently, the British took concrete measures to bring about a total separation between the south and the north. In 1921, the southern governors began to hold their own separate annual meetings away from the national governors convention held in Khartoum ; they also were instructed to increase contact with their counterparts in Kenya and Uganda. In the following year, the Passports and Permits Ordinance was established, in order to control traffic between the north and the south. It gave each Governor-General the authority to declare any part of the Sudan closed for other Sudanese and foreigners, and to limit the admission of other Sudanese and foreigners as he deemed necessary. Moreover, the Closed Districts Order (1922) classified Darfur, Equatoria and Upper Nile, and parts of Khordofan, Gezira and Kassala as closed districts⁽⁶⁾. In 1925 the Permits to Trade Order was promulgated to halt northern commercial activities in the south since only southerners were allowed to trade without a permit. Sir Harold A. MacMichael, Civil Secretary, explained the British policy in a letter to the southern governors as follows :

It has been the aim of the Government to encourage as far as possible (Christian) Greek and Syrian traders rather than the Gallaba (i.e. Muslim Arabs from Northern Sudan) type. Permits to the latter should be decreased, unobtrusively but progressively, and only the best type of the Gallaba, whose interests are commercial and pursued in a legitimate manner, should be admitted. The limitation of Gallaba trade to towns or established routes is essential⁽⁷⁾.

Throughout the 1930's, the British stepped up their campaign to implement their separatist policy. Most Northern merchants lost their licenses and were either deported or voluntarily left the south ; sale of northern cloth was forbidden in the south ; chiefs and natives were forced to change their Arabic names and dress ; intermarriage was not allowed ; southern tribes were told to cease any contact with the north ; some tribes were even resettled to force them to sever any relationship with neighboring Arab tribes ; in addition, a no-man's land was established between south and north⁽⁸⁾.

Another step that further intensified the policy of separate development was the establishment of a segregated educational system in the south, conducted by missionaries with material and moral support from the British administration through a grants-in-aid program. Instruction in the schools served to encourage southern hostility toward the north by keeping the memory of slavery alive. The separateness was further strengthened by the use of English as the official language in the south. In 1928, the Language conference (Rejaf), attended by missionary representatives from southern Sudan, Uganda, the

which embarked on new economic and educational development⁽³⁾. The gap widened when southern education was completely entrusted to missionaries, who divided the south into religious «spheres of influence» and exploited ethnic and cultural differences in order to separate the north and the south even further. It should be pointed out that missionaries were not allowed to proselytize in the north, but were given a free hand in the south⁽⁴⁾.

In accordance with this stance, such British officials as R. C. Owen began, as early as 1911, to suggest the formation in the south of a «large Christian population which would eventually link up with Uganda and form a substantial buffer or check to the spread of a faith, such as the Muslim»⁽⁵⁾. Although such a policy was not officially adopted until much later, the seeds for separation were being sown in the early years of this century. In 1904, for instance, the use of Arabic by non-Moslems was prohibited on the ground that it was closely associated with the religion of Islam, even though it was widely spoken in the south. Instead, English was introduced gradually and by 1918 was made the official language. The substitution of Sunday Sabbath for Friday as the day of rest in the south was also announced in 1918. Furthermore, a southern military force (Equatoria Corps), whose training began in 1910, replaced the northern garrison in the south in 1917. By this change, the last direct link between the north and the south was severed. From this time on, the separation was so blatant that several British officials began to pressure their government to update its Sudan policy to be more in accord with reality.

Colonial Conspiracy : policy of Separation

During the years following the First World War, British administrators became more and more critical of the status quo in the Sudan, and they pressured their government to make a decision on whether to cut the south off entirely from the north or to introduce a more sound policy for the administration of a unified Sudan.

In the end, the British government decided to pursue the first alternative, as part of a long-term design to join Uganda, Kenya, Tanganyika and southern Sudan into a unified federal state in Central Africa. Rather than making their objectives explicit, however, the British gave the impression that their separatist policy was established in order to preserve native traditions and to protect pagan tribes against the encroachment of Islam ; they did nothing to stop the propagation of christianity, however.

in the mid-1950's and to the demand for separation which, together, engulfed Sudan in political crises of major magnitude over a period of seventeen years ; only with the signing of the Addis Ababa Agreement (1972) did the conflict come to an end.

The Early Years

Sudan's first encounter with the outside world turned out to be decisive in the development of the southern dilemma. The Turco-Egyptian expedition in the 1830's brought southern Sudanese seclusion to an end, as the north and the south were for the first time placed under a single administration as part of the Ottoman empire. The regional relationship began to deteriorate shortly thereafter, however, as trade in slaves and ivory were developed by northerners and Europeans into a profitable operation. The slave merchants, predominately Arab, encouraged tribal wars and played off one chief against another in order to guarantee the flow of slaves- one result of which was the uprooting of the population in the south. Although slave trade was officially prohibited in the Sudan in 1860, it continued to flourish and left behind a legacy of mistrust and violence. Even when the Sudan was independent for thirteen years under Mahdi rule, slave raids were still carried out on southern villages. Although the slave trade was terminated by the end of world war I, southern apprehension toward the north continued throughout the years⁽¹⁾.

Following the Mehdi's defeat in 1898, Britain was left in charge of the Sudan under an Anglo-Egyptian condominium arrangement. The British Colonial Administration saw no need to strengthen national unity ; instead, they placed the north and the south under separate administration on the ground that they geographically, racially, culturally and religiously distinctive, separated into a Negroid south and an Arabized north.

At this early stage of colonization, the British were mainly concerned with the pacification of the south. To this end, they followed a policy of separate development for southern Sudan along traditional African lines. As an important step, they localized the administrative machinery by utilizing the indigenous tribal structure and organization, a device by which the British could enhance their own position in the south⁽²⁾.

Britain's concern was to quell any evidence of tribal unrest in order to maintain law and order rather than to develop the south economically and politically. Consequently, the south fell behind the more homogeneous north,

THE PROBLEM OF SOUTHERN SUDAN

By

MOHAMED A. EL-KHAWAS, Ph.D.

Professor of History, Federal City College, Washington, D.C. U.S.A.

For almost two decades, the problem of southern Sudan has played a dominant role in the political history of the Sudan. Its long-term significance, however, extends far beyond Sudanese national boundaries : it has had repercussions on the relationship between the Sudan and neighboring countries, and has weakened the outlook for the future of Afro-Arab co-operation. In addition, it has served to emphasize a basic weakness common to many new multiracial states, that is, the lack of a political system that successfully accommodates various ethnic and cultural groupings.

The long-standing conflict in southern Sudan has been subject to different interpretations. It has been described by some as a religious conflict (Christianity versus Islam) and by others as a racial one (African versus Arab). Each party has put forward its case and has attempted to repudiate the argument of the other side ; the result has been a heated ideological atmosphere of accusation and counteraccusation, a situation which has not helped to clarify the issues underlying the conflict.

The problem of southern Sudan is both important and controversial, and the arguments have taken varying directions over the past two decades. It thus seems that an investigation taking into account the long-term development of the southern Sudan affair might lend valuable perspective on the issues underlying the problem.

This study represents an attempt in that direction. In particular, it will assess the claim of many northern Sudanese leaders that the problem evolved out of a colonial conspiracy initiated by the British who used « divide and rule » tactics to colonize, christianize, and westernize southern Sudan. It will also analyze the methods utilized by the various Sudanese governments in their efforts to conciliate the various interests in the controversy surrounding southern Sudan. Finally, it will examine the events that led to insurgency

REFERENCES

1. "AFRICA", An international business economic and political monthly, London, September, 1975, March 1974, February, 1974.
2. COLIN LEGUN, "Africa Contemporary Record" London 1790—1973.
3. EUROPA YEARBOOK, "Africa : South of the Sahara". London 1973—1974.
4. HOYLE B.S. HILLING, D. "Seaports and, Developments in Tropical Africa" London, 1970.
5. THOMAS, A. MARKS "Djibouti," African Affairs, Vol. 73, N. 290 1974, p.p. 95—105.
6. UN.ECA, Association of African Central Banks, Addis Ababa, 5—16.
August, 1974, "Impact of the Energy Crisis on Trade and Development of African countries.
7. UN, Economic, Social Survey, for Africa, 1970—1974.
8. UN., ECA, Statistical Yearbook, Parts 2,3,4 1972, 1973.
9. Dr. MOHAMMED ABDEL GHANI SEOUDI : African Economy and International Trade, Cairo, 1973.
10. Dr. MOHAMMED ABDEL GHANI SEOUDI : The Arab Nation, Cairo 1975

countries have not forgotten them and that the Africans did not forget the Arab brothers, the conference approved the oil embargo on Portugal, Rhodesia and South Africa considering that they were countries standing against African liberation. The Arab Summit also approved setting up an Afro-Arab Fund with a capital of S 100 million which was later increased to S 200 million to assist the African countries facing economic difficulties due to the increase in oil prices. An organisation of African Unity Committee placed four other economic factors to raise the share of the African countries, these were : drought, confined landlocked countries, these countries whose export prices did not increase much, and those countries whose per capita income was very low.

At the end of 1974, the oil Assistance Fund allocated 50 million to 16 African countries. Although the interest was 1% at the beginning, this note was cancelled in November 1974 on the basis that payment would begin after 10 years. The loan would be distributed in instalments spread over a period of 10 to 25 years.

Another Arab Bank for African Agricultural and Industrial Development was set up in Khartoum in January 1974 with an initial capital of S 195 million. This was increased, starting from November 1974, to S 231 million. Then there was the project of an Arab Fund to grant technical assistance to the African countries. A sum of S 15 million was allocated to this Fund. The Secretary General of the League of Arab States called for the increase of this sum to S 50 million.

African countries began to ask for assistance from the United Nations. An Emergency Fund was set up to offer assistance to Third World countries affected by the oil embargo. The International Monetary Fund distributed 656 million among 21 African states at the end of 1974.

African countries requested OPEC to adopt a policy of dual prices, in the sense that the Organisation would sell oil to the African countries at a reduced and special price and sell to other countries at a higher price. However, the idea was not accepted for it would have been impossible to control this measure. It is sufficient to see what happened during the oil embargo. The OPEC decided that there was about 3.5 million tons of Arab oil which were sneaked to the United States between October 17, 1973 and the end of December of the same year. Such an action is possible to a certain degree because it is possible to unload oil between tankers in the high seas.

bauxite and the Organisation of Peanuts Exporting Countries (75% of peanuts are produced by Africa). These unions and others of which African countries are members have been encouraged by OPEC to adopt resolutions concerning their production and exportation. It seems there is a trend on the part of oil producing countries to finance. Some projects presented by raw material producing countries to consolidate their position in bargaining with advanced countries.

The rise in oil prices is to the benefit of African raw material producing countries

We should not forget that the rise in oil prices has benefitted African countries in an indirect manner by raising the prices of substitute commodities and which have become a serious competition to these materials. This is obvious in many ways. In respect to cotton (Africa produces 25% of the world cotton and 70% of long staple cotton) it now challenges artificial fibres derived from oil. World consumption of artificial fibres in 1968 reached 47% of the total amount of fibres offered compared to 27% in 1958. These fibres were used for wash and wear clothes which saved both time and expense for the consumer. Fibres replaced cotton in other uses such as car tires, parachutes fishing nets and knit-wear. Fine materials made of pure cotton have come to face competition with artificial latex products by 100% such as Quana which is a new kind of silk material produced by Dupont. The prices of polyester fibres have become very close to the prices of cotton particularly if we take into consideration the waste in the cotton industry. There is no doubt that the increase in oil prices would consequently lead to an increase in the price of its derivatives competing with materials and make it possible to return to plant materials once more.

The same can be said about polypropylene and its competition with sisal (66% of which is produced by Africa) from which ship ropes and bales are manufactured. Ropes made of polypropylene are more durable than those made of sisal and the price factor could defied its consumption.

Strategy of Arab States towards African countries

The Arab states became aware of the imperialist strategy which attempts to lay the blame on the oil producing countries particularly the Arab countries and sow the seeds of doubt and suspicion between Arab and African countries. The Arab Summit Conference was held in Algiers in November, 1973, to consolidate Arab-Arab solidarity. So that the African countries feel that the Arab

been shouldered by the advanced countries long before. At the various meetings of the UN conference on Trade and Development (UNCTAD), countries have agreed that industrial countries should assign 1 % of their revenue to assisting developing countries. However, this decision was never put into effect. Mr. Robert McNamara, Governor of the International Bank, at the inaugural session of the Bank in October, 1974 called upon advanced countries to save the developing countries by increasing their government aid to them. He recalled that the assistances in 1974 reached.

The lowest in the last four years. Debts to be paid by developing countries to advanced countries reached \$ 80 milliard in addition to \$ 9 milliard in interest in 1974. Is there an advanced country that exempts developing countries from paying interest only ? The Marshall Plan was laid down after World War within the framework of a political and military alliance between the United States and Europe. The assistance extended by an industrialised to other industrialised countries reached about 3 % of the total revenue of the US. Its mobilisation and quick usages is evidence that the financial potentialities could be easily secured by industrialised countries when the political will is there.

Oil producing countries are pioneers to African countries .

Oil countries, including Arab countries, however, rich they become, are Third World countries and are considered pioneers of those countries producing raw materials. We found in the introduction of the research the degree of the dependence of African countries on materials. Therefore, there is no country producing and exporting raw materials in Africa or elsewhere, which to some degree or other, does not express admiration for OPEC. It succeeded in achieving what African countries aspired to because it imposed for the first time the price at which it wants to sell to the industrial countries. These material producing countries including African countries encouraged this move to imitate or to follow suit. Whether unions for some raw materials existed before the rise in oil prices or appeared afterwards, OPEC is considered a pioneer in this field.

There is a union for cocoa producers (70% of which is African production) and a union for coffee producers 31 % of which is African product). Copper producers (25 % of world copper is produced by Africa) and they are thinking of limiting their production Bauxite (8 % of which is produced by Africa) Producers are debating the possibility of laying down a minimum price for

The rise in prices of advanced commodities occurred prior to the October War

The fault lies with the advanced countries for more than one reason: the prices of foodstuffs were on the rise before the increase in oil prices. The prices of industrial products rose before the energy crisis between July 1972 and July 1973, that is before the October War.

The price of wheat doubled and rose once more in the second half of 1973.

The price of sugar quadrupled in less than three years.

The price of fertilisers doubled.

The price of steel increased threefold while that of cement increased fourfold

No one said anything about the inflation in the prices of agricultural and industrial materials produced by advanced countries. Perhaps, the statement made by the Shah of Iran concerning the rise in oil prices was a good answer to their allegations. He told Time magazine (April 1, 1974) that the initial price of the oil barrel from the Gulf states was 2 1/4 in 1947. Then was reduced to 1.8 and remained at this price until 1969. The advanced world was exchanging our production in return for very little whereas the price of wheat increased threefold and sugar by 16 times. Therefore it was necessary to raise the price of oil, so that we, in our turn, obtain our requirements and achieve prosperity for our peoples.»

Where is the assistance of the advanced countries to the African countries before and after the October War?

What astonishes one is man's invasion of the moon in this decade, showing that his scientific and technical abilities could overcome any problem produced by nature, while he appears helpless in the face of the misery and poverty that prevailed in nearly all the world. Advanced countries took advantage of the rise in oil prices to make developing countries, including African countries, which are not oil producers, believe that this rise will aggravate their crisis. We do not believe that. For it is not possible to set different prices for oil one for advanced and another for developing countries. In the light of the embargo policy, which accompanied the October War, against some countries, it was doubtful that such a policy would have been implemented completely due to the possibility of loading tankers in mid-ocean.

Oil-producer countries are aware that a rise in oil prices could harm developing countries but they find that the responsibility of assistance should have

Germany in this context? Have these figures been published and commented on by anyone? The whole issue is that those benefitting from the rise in prices of industrial products, fertiliser's and wheat are the advanced countries of Europe, America and Japan, while those benefitting from the oil situation are the developing countries. Therefore, that which is considered right for the advanced countries is considered wrong for the developing countries. Why should developing countries import food products, fertilisers and manufacture goods at costs double those of oil?

Arab countries require development

Those who publish figures of petroleum revenues seem to forget that petroleum is an exhaustable material, as we mentioned earlier, and that exported countries today will define future oil production to preserve this resource for as possible. It is sufficient to say that the advanced countries in 1973 alone consumed about 30 million barrels per day, that is half of the world's consumption.

Faculty calculations do not take into consideration that the oil countries are developing countries which need to consolidate their economies starting from Saudi Arabia to Iraq, Kuwait, Algeria, Libya, Qatar and Bahrain. For example, Saudi Arabia allocated the sum of S 60 milliard, in 1973, to its Five-Year Development Plan. This sum is subject to change since it increases every year. After the devaluation of the U.S. dollars, the price of the Saudi Arabian Rial has been changed three successive times, a total of 27 %. It is sufficient to say that in the Arab World, there are 200 million feddans which could be cultivated. They require investments. Should these lands be ignored and the Arab countries continue to import wheat, miwe and meat? It is time to set up an industrial base in the oil exporting countries. Why are there so many factories in the advanced countries? Why are there so many factories in the advanced countries? Why should not certain industries be set up such as plastics, artificial textiles, proteins, vitamins, pharmaceuticals and other materials which rely on oil as a raw material in the same countries which produce oil?

If oil producing countries have sufficient great energy and great amounts capital, they lack technology at a time when the energy crisis became more serious, industrial countries expressed readiness and provide experts. But unfortunately the enthusiasm shown during the crisis cooled down the crisis eased.

The production of Gabon reached more than a million tons in 1974 compared to 5 million tons in 1970, while Angola's production increased from 5 million tons in 1970 to 9 million tons in 1974, and that of the people's Republic of the Congo rose from 365,000 tons to 2.4 million tons during the period.

On the other hand production in the Arab countries was considerably reduced, by nearly one half, between 1970 and 1974, though sometimes it remained constant as in Algeria (see Table VI). African producer countries benefited from oil revenues and sometimes they benefitted more as shown in the table below.

	Government, oil revenues (in US \$)	Oil exports (per million barrels)
Libya		
1973	2300	794
1974	7600	547
Extent of change	230.4 +	31.1 —
Nigeria		
1973	2000	715
1974	7000	785
extent of change %	250 +	9.8 +

The flow of oil revenues was the key to economic development and dependence on this source increased greatly as seen in the Third Five-Year Development Plan announced by President Takubu Gowon of Nigeria in 1974.

So that the arrow may be diverted towards the advanced countries which attempted to point it at oil producing Arab countries, in particular, we should like to ask : Some advanced countries, such as, Japan and West Germany, have achieved a great surplus in their balance with their reliance on raw material and Third World oil in general. Have we heard anyone say that the reason behind the world's economic problems was exploitation by these advanced countries? Do we know that in 1973 Japan alone had a surplus which was estimated at about \$ 19,000 million of gold and foreign currency, followed by West

countries on the other hand, particularly the African countries considering that they all, with few exceptions, supported Egypt and its demands after the October War for the necessity of Israeli withdrawal from the territories it occupied in 1967 and condemned Israel as an aggressive power. The practical interpretation of such support was the decision by most of the African countries to sever diplomatic relations with Israel. Major powers wanted African countries to believe that this was their punishment. This led some African governments and press to attack the Arab countries saying that they were responsible for the crises. They are passing through new. We should like to discuss how far the Arab countries were responsible for the crisis suffered by some African countries after the October 1973 war.

The Non-Arab African oil-producing countries benefitting from the October War :

If we take the first point, which is that the Arab countries may have benefited greatly from the October War at the expense of the balances of other countries, including African countries, we should like to point out that oil-producing countries are not only Arab countries. There are other non-Arab oil producing countries, such as Venezuela, Iran and the Soviet Union, and African countries, for example, Nigeria, Gabon, the People's Republic of the Congo and Angola. The effect of oil exploration in Nigeria began to show in the late fifties and the country began to export oil in a regular manner starting from 1960. Nigeria's oil production and exports increased until 1970 when civil war broke out in the country. In 1968 there was no oil production or exportation when the oil fields and the pipeline terminals fell into the hands of the Biafra separatists. Life returned to normal and oil production leaped and exceeded 50 million tons in 1970. However, it greatly increased, in 1973, to 100 million tons, and, in 1974 to about 114 million tons, giving Nigeria, for the first time in its oil history, the lead, as petroleum production country, over Libya, and in fact placing it seventh among world producers. Production increased at a rate of 34% annually from 1969 to 1974 (mainly in 1973 and 1974), that is after the October War.

Production in the other African countries rapidly increased due to the Arab oil embargo and the closure of the Suez Canal as the remaining African oil-producing countries, at the time, were located in West Africa, far from the Canal and closer to European and American markets than the Gulf States.

the inhabitants are occupied in pasture and agriculture which both depend, on rainfall. The situation was even more critical because those countries affected by the drought with the exception of Mauritania do not have mineral resources worth mentioning. The peoples of these countries look towards the sky and pray to God that the drought does not befall them for another year. The drought continued now for a number of years. The inhabitants exhausted their grain crops. At present about 25 million Africans live in famine, many became weak and thousands died of hunger. They were forced to eat seeds and cereal bolls and were unable to cultivate new crops.

Various diseases spread in these regions such as typhoid, dysentery, measles and intestinal inflammations. Cholera threatened the lives of 15,000 inhabitants of the capital of Niger alone. The number of inhabitants who experienced the famine in Chad alone in 1974 is estimated at about one and a half million in the northern sector while in Ethiopia they were estimated at about two million. The famine became more dangerous in countries lying in the interior of the continent, far from the sea, such as Chad, Niger, Upper Volta and Central Africa because they received the least assistance due to transportation difficulties such as bad roads and often the absence of railways. In this case there was no other way but to use planes to drop foodstuffs in cities and inhabited areas. The foodstuffs did not reach the remote and scattered areas. The inhabitants of the desert and villages close to the cities left their homes and immigrated to the cities in search for food. This led to the emergence of marked unemployment. This unemployment still exists in Addis Ababa, Niamey, Zinder and Bamako.

These countries also lost most of their animal husbandry, which represented the majority of the exports of some. In 1973, alone, the loss ranged between 500,000 head of cattle in Ethiopia to most of the animal wealth in Niger.

In view of these grave circumstances, Algerian President Houari Boumedienne at the end of the Non-Aligned Conference held in Algiers in December 1973, called for the necessity of holding an international conference to examine the problem of food. The UN General Assembly, in December, 1973 agreed to organise a conference for Food to be held in Rome in November 1974. **The dissension sown between African and Arab countries**

Major powers today take advantage of these crises and attempt to defame Arab oil producing countries on the one hand and African and developing

It is an economy that relies on the exportation of agricultural or mineral raw materials. Raw materials comprise 92 of the total value of exports while the share of finished and semi-finished goods is less than 8 (in 1970). This led to economic dependence and obstructed economic development. The prices of agricultural materials dropped after they had soared at the end of the fifties. This was particularly in respect of some major commodities produced by African countries. Some grains witnessed a catastrophic drop in prices which were cut down by about 50 as compared to the late fifties. The price of Sisal Tanzania's major grain as another example, dropped from 140 pounds in 1963 to 70 pounds in 1967. The price of Ghana's cocoa dropped by 32 between 1959 and 1965. Other grains which have witnessed a catastrophic decline in prices in some years were coffee and cotton. These are all major exports for some African countries. The total loss of foreign accounts for Africa due to the drop in prices, particularly those of agricultural crops, is more than all the foreign accounts invested in the continent whether in the form of loans or grants in the two decades following World War II. Mr. Phillip Asidou, Permanent Secretary for the Ministry of Mining and Energy and chairman of the National Union for Nigerian Oil, summed up the situation by saying that what happened after World War II was an inflation and increase in the prices of finished goods exported by the advanced countries as compared to a stagnation or drop in the prices of raw materials exported by Third World countries, in general, and African countries, in particular.

The Tanzanian Minister of Finance referring to the same situation, in a statement he made in Paris in 1975, said "the prices of the vital imports of Tanzania increased at a rate between 20 and 50 while our income from exports either remained the same or fell. The oil bill alone in Tanzania increased from 35 million to 100 million in the last fiscal year. The oil bill went higher from 16 million in 1973 to 40 million in 1974." Some oil — producing countries such as Nigeria were badly affected with the growing inflation in the advanced countries. The value of its imports, excluding oil imports, increased by 40 in 1974 as compared to the previous year.

2 — Famine and the problem of foodstuffs in Africa :

Although the problem of foodstuffs was prevalent before the October War, it prevailed in the last period due to the drought which affected those countries, and unfortunately the poor countries. The drought extended from Mauritania to Niger, Mali, Upper Volta, North Nigeria and Central and North Ethiopia (the stal region). In these regions, particularly in Africa

tons. The Wankie coal field in Rhodesia comes next whose production is estimated at about 3 million tons.

As for the other fields they are insignificant; and are scattered in Nigeria, Morocco, Algeria, Mozambique and Zaire. The production of each does not exceed several hundred tons and it is poor quality coal. Good quality coke for heavy industry does not exist except in Natal and Rhodesia.

Despite the continent's wealth of hydraulic potentialities, these countries which possess such potentialities are generally far away from industrialised and populated regions. These potentialities are found in Tropical Africa while the main consumption areas at present are the contours of the continent. It is known that the costs of electricity increase the longer the lines. The economic limit of extending these lines is at the present 500 miles. If nothing appears to reduce these costs this means that, in the light of the present circumstance, the possibility of benefitting from the electricity of tropical Africa is little.

3. The African countries efforts for development :

African countries have sought to develop at a faster rate since they gained independence. They relied on exporting raw materials and at most semi-manufactured goods. They suffered badly from this specialisation. Industrialisation, therefore, was the objective of many of these countries. If we know that development implies an increase in labour productivity through the exploitation of energy and technology, the energy requirements of African countries will undoubtedly increase particularly if industrialisation is the basis for development. It has also been noted that in Africa cities have developed at the expense of the rural sector. For example, the population of Algiers has increased threefold in one decade : 300,000 in 1959 to 900,000 in 1960. Cairo's population reached 7 million in 1973 as compared to 4 million in 1960. An increase in the rate of modernisation is undoubtedly followed by an increase in the demand for oil.

WHY COULD AFRICAN COUNTRIES NOT FACE THE PROBLEM OF HIGHER PRICES ?

1. The nature of African economy :

African countries could have been to face the problem of higher prices like other advanced countries when the prices of their commodities went up. However, the nature of African economy and African exports did not help.

when Mr. T.E. Anin, Chairman of the Board of Directors of the Ghanaian Commercial Bank, stated that Ghana paid 53 million for its oil imports from January 1973 to end of December of the same year. However, it paid 100 million in the first seven months only in 1974. This not affected its balance of payment but also its development projects, particularly since during this year West European demand for wood fell. The situation could have been worse Ghana had not increased its cocoa production (its main export). If this was the situation in Ghana, what could it have been in other countries such Dahomey, Mozambique or Upper Volta.

TABLE VII
Development of African oil imports
(in US Dollars)

Country	1967	1969	1973	1973	1974
Ethiopia	12,42	11,08	14,97	29,61	69,64
Kenya	35,60	35,83	35,83	61,46	14,60
Uganda	1,50	8,56	2	6,99	16,44
Mauritius	5,25	5,60	4,29	7,53	17,72
Ivory Coast	14,34	17,83	19,29	34,54	81,28
Mali	2,59	3,41	4,89	10,13	23,84
Liberia	8,02	4,60	12,27	34,87	82,04
Morocco	23,37	30,56	42,73	85,97	202,28
Egypt	48,65	44,51	75	165,85	390,24
Sudan	8,35	35,30	25,61	44,08	103,72
Zaire	14,12	21,30	25,39	47,21	111,08
Cameroun	—	11,62	15,08	29,22	68,76

2. Africa's lack of other energy sources :

What makes the situation more critical is that the majority of African countries have come to depend on oil as a main source of energy. Ghana's dependence on oil is 80 and Tanzania 95 . This means that the continent has a shortage of coal. The only coal field of significant production lies in South Africa and this is the main reason behind the development of many mining operations there. Its yearly production reaches about 52 million

African countries which have refineries are Egypt, Libya, Tunisia, Algeria, Morocco, Sudan, Ethiopia, Kenya, Tanzania, Mozambique, South Africa, Rhodesia, Zambia, Angola, Zaire, Congo, Gabon, Nigeria, Ghana, Ivory Coast, Liberia, Guinea and Senegal, that is about half the African countries.

The October War and Petroleum with regard to African Countries :

Many African countries were affected by the oil measures adopted by the Arab countries and OPEC, after the Egyptians had crossed the Canal, and as a reaction to the United States' constant support to Israel. We shall review here the degree to which they were affected then we shall examine how far the October War was responsible in this field. The apprehension of the African countries of the results of the October War increased at first when the oil policy was enforced in November, 1973. The intention, at the beginning, was aimed at the hostile countries. However, Arab countries realised that imposing an oil embargo on some countries and not others would not have been completely effective, since these countries which were not embargoed could provide the others with their requirements of oil. Therefore, the policy of limiting production for all and, at that particular time made all the African countries, with the exception of the oil -producers, feel the oil embargo.

The countries which have refineries as well as those which do not, were all apprehensive of the policy since they all relied on imported oil whether crude or refined.

1. Balances of payments :

The situation may have changed with the flow of oil in the international market. But the complaint, at present, is the rise in oil prices and its effect on African economies or rather its effect on the 36 non petroleum producing African countries. The value of oil imports of these countries rose to 2062 million in 1974 as compared to 516 million in 1972. Most of the increase was due to the rise in the prices of imported oil and this effected a deficit in the balance of trade of these African countries, in 1974, mounting to 3738 million compared to about 700 million in 1972. Taking Ghana as an example, since it is one of the relatively advanced countries in West Africa, we find that in 1972—1973 there was a considerable increase in the prices of its major exports, namely, cocoa and wood. This led to a marked improvement in its balance of payments. The situation, however, changed dramatically in 1974

Table VI

Development of crude oil production in Africa (in thousand tons)

	1950	1960	1970	1973	1974	%of world production in 1974
Algeria	80	900	48500	51200	48500	1.7
Libya	—	—	159800	104900	79500	2.6
Other countries in North Africa	2400	4500	27700	17600	16000	5
Nigeria	—	880	52900	100100	113500	4
Other countries in West Africa	—	850	10900	17600	21000	8
Total production of the African continent	2480	7130	299800	290500	272500	9.6

equal to that of West Africa, though North Africa produced three-fourth of the continent's output in 1970, that is, before the October War. It is noted that the oil producing regions, whether in North or West Africa, are coastal countries. As for the poor countries, as those in which oil has been discovered, these are located in East or South Africa or in the interior part of the continent. Nevertheless some of these countries which have no oil, have oil refineries which rely on imported crude.

In this case, one may divide African countries, as regards the oil situation, into three categories:—

1. Importing and exporting countries : Nigeria, Libya, Algeria, Egypt, Tunisia, Angola, Gabon, and the People's Republic of the Congo.

2. Oil producing and importing countries : Morocco.

3. Non-producing and importing countries : Sudan, Ethiopia, Somalia, Assab and Avar, Zambia, Tanzania, Kenya, Uganda, Mozambique, South Africa, Cameroon, the Republic of Central Africa, Zaire, Dahomey, Ghana, Guinea, Ivory Coast, Liberia, Mali, Upper Volta, Niger, Senegal Mauritania, Sierra Leone, Mali and Togo. There are 33 refineries in Africa with an output of about 45 million tons. Countries which have oil refineries are either oil-producing or rely on the import of crude oil.

that plans were contemplated to build drydocks for the repair of giant ships With a view to attracting international maritime companies to make Dekar a port of call for the vessels ; and also to set up a tax free zone close by where foreign organisations would be exempted from custom dues and bureaucratic restrictions.

Table V

Tarffic in Dakar Port (per thousand tons)

Year	1966	1968	1970	1972
Loaded commodities	2100	2015	2804	2389

Second : Petroleum :

The African Economic Committee issued a Report on African Economic and Social Survey in 1974, which described the situation as not very optimistic for the 36 African petroleum non-producer countries due to the mounting petrolum prices which have been raised 5 times since 1972.

In fact, as we said at the beginning of this research, it would be wrong to say that all the African countries have been harmed or have benefitted from the international changes that occurred after the October 6 War.

Before studying the effect of oil measures taken after the October War, it is preferable to shed light on oil conditions in the African continent. Africa is one of the continents which has only recently entered the field of international oil production even though Egypt is not only one of the earliest African countries to produce oil, but also in the Arab World, since its oil production dates back to 1918 when the Gamassa oil field on the Red Sea began production. Oil production at the international level began in the late fifties and early sixties in Algeria, Nigeria and Libya.

Therefore, we find that oil in Africa is concentrated in two regions : North and West Africa. In North Africa, Libya comes first followed by Algeria, Egypt and Tunisia. In West Africa, Nigeria is first followed by Angola, Gabon, and the people,s Republic of Congo. If Libya is the giant oil producer in North Africa then Nigeria is the giant producer of West Africa, in fact it was the leading African oil producing country in 1974.

Total African oil production reached 272,5 million tons in 1974 or 9.6 of international production. North Africa's oil production is now almost

its north-eastern boundaries. Any action in the Canal has its reaction on the Cape route, and any cessation on the Canal or inactivity in the Red Sea means increased activity via the Cape. For this reason, the South African ports found themselves faced with a huge maritime traffic rushing in from the Indian Ocean, particularly, and heading to Western Europe and the new World. The Cape of Good Hope inherited the current of the Gulf oil heading towards Western Europe. The value of oil transferred to Europe reached 260 million tons in 1970 and reached 300 million tons in 1973. This is almost double the record petroleum tonnage transitting the Suez Canal prior to its closure. If the average number of ships passing through and stopping at South African ports, before the closure of the Canal, reached 2,500 vessels, this number increased threefold after the closure of the Canal. The volume of commodities increased by six times since this was the route followed by the giant tankers to which the world resorted only after 1967 in a bid to reduce distances and cut down costs.

Other countries benefitting from the increasing number of ships passing through their ports were Malagasy and Mozambique due to the change in the direction of traffic in the Indian Ocean to the South East instead of to the north east as shown in Table III and Table IV .

Table III

Traffic in Malagasy ports (per thousand tons)

<i>Year</i>	1960	1966	1968	1970
<i>Loaded commodities</i>	235	399	591	719
<i>Unloaded commodities</i>	450	601	803	1019

Table IV

Traffic in Mozambique's ports (per thousand tons)

<i>Year</i>	1960	1966	1968	1970
<i>Loaded Commodities</i>	3843	6854	9124	9828
<i>Unloaded Commodities</i>	2716	3175	4076	4044

In respect of West Africa, we can mention Senegal the capital of which, Dakar, witnessed a remarkable increase in the traffic of ships to the extent

Red Sea near the Red Sea's link with the Indian Ocean on the African side. The inhabitants of Djibouti depend, for a living, on the traffic of ships passing through the port in addition to the railways linking it to Addis Ababa. Despite the fact that the region is one of the most barren spots in the world, it is compensated by its strategic location. This may be seen in its balance of trade. In 1967, its exports were estimated at 2.8 million, the majority of which were leather and salts, all of which with the exception of about 500,000 worth were to France, whereas Djibouti's imports, that year, reached about 27 million. Therefore, this indicates re-exportation, namely, those products sold to ships transitting through or calling at the port. The port of Djibouti suffered badly from the closure of the Canal. Prior to the suspension of shipping in 1967, there was a marked and steady increase in the port's activity as it was responsible for 80% of Ethiopia's external trade. The tonnage of ships passing through in 1966 reached 1.8 million tons as 900,000 tons in 1960. In 1968, the volume of traffic fell by 33% as compared to 1966. Furthermore, there was a drop in the fishing industry and sale of fish was cut down by half. This led to the appearance of another problem, namely, unemployment, especially that this port alone employs about two thirds of the inhabitants of the Avar and Assab region. In an attempt to overcome this problem before the reopening of the Canal, efforts were exerted to activate tourism and advertise the port's favourable climate from October to April as well as the purchasing facilities found in Djibouti as a tax free port. With the reopening of the Canal, life in the port returned to normal.

This was an example of the activity of ports in countries which favoured the opening of the Suez Canal.

TABLE II

Number of Ships which called at Port Sudan

1966 — 1970					
Year	1966	1967	1968	1969	1970
Number	1223	1004	845	770	760

On the other hand, some African countries benefited from the closure of the Canal and were not anxious to have it re-opened. Consequently, the October War was to their disadvantage. These were namely the racist white minority government of South Africa which together, with Israel, represent racist regimes at the farthest southern tip of the continent and along

oil prices which were increased five-fold before the October War, the element of distance and transportation costs had an effect on the prices of the commodities which the above-mentioned African countries deal with and consequently on the degree of competition which they may find in other countries, particularly the countries of Latin America and the Caribbean Sea. Without entering into many details, I shall cite two examples in this context :

First : Somalia

Before the closure of the Suez Canal, bananas represented about 40% of the total value of exports of the country. However, in 1969, this fruit represented only 18% of the total value of exports. This was largely due to the finger dropping disease which, though known before, became more widespread and began to pose a grave problem, due to the closure of the Canal, the threefold increase of the maritime distance between Somalia and Italy (the main agent) and the doubling of the time period from 12 to 24 days. This led the Somali government to seek faster and better-prepared ships to go round the Cape of Good Hope. Until this was achieved, Ecuador seized the opportunity to fill the gap by exporting its banana crops to Italy in an attempt to wrest the market from Somalia. Therefore, due to the closure of the Canal, Somalia's bananas output faced a great challenge in its traditional market, namely, Italy. What saved Somalia to some extent was the preferential tariff given to Somalia bananas in the Italian market as well as the preferential treatment granted by the European Economic Community since Somalia is an associate member of the community. The costs of one ton of Somalia bananas in Italy, including all taxes, reached 263 pounds per ton within the existing preferential tariff system, without which the cost per ton would have risen to 311 pounds. This explains the disposal of some of Somalia's bananas due to the closure of the Canal. There is no doubt that with the reopening of the Canal costs will once more be reduced. In this event Somalia could compete with, not only Ecuador's bananas, but also with those of the Ivory Coast, in West Africa, which enjoys the same privileges of Somalia in the European Economic Community even though the Ivory Coast was not affected by the closure of the canal.

Second : Djibouti

Djibouti is an example of these ports which depend to a large extent in their life on the passage and stop-overs of ships. Djibouti is situated opposite Aden and as a port has the same functions. It has at the entrance of the

material losses from the lost passage dues, destruction in habitation areas, slowing down of economic activity and the costs of moving workshops and factories as well as migration were not less than £ 1,200 million, then these economic losses are little as compared to the political and strategic considerations imposed by the very nature of the conflict in the region.

The African part which really suffered from the closure of the Canal was the eastern part starting from Sudan and ending at Mozambique, that is Sudan, Ethiopia, Djibouti, Somalia, Kenya, Tanzania and Mozambique.

Other countries which were also harmed were those located in the interior of the continent, such as Uganda, Ruanda, Burundi, Malawi and Zambia, which depend in their trade, both export and import, on the coastal countries mentioned previously. The gate way of these inland to the outside world namely Western Europe and North America, is through the Suez Canal, which reduces distances and number of the journeys, as indicated by the table below :

Table 1
Naval Journeys from Southampton (The United Kngdom)

Distance in maritime miles				
To	Through Suez	Through the Cape of Good Hope	Economy in distance	Economy in %
Port Sudan	3747	10841	7094	60
Djibouti	4446	10143	5797	57
Mogadiscio	5510	9077	3567	40
Mombassa	6044	8545	2501	30
Beira	6782	7507	725	10

The table shows that the economy in distance is less the farther away the port is from the canal. The effect is clear in Sudan and Ethiopia and gradually decreases until we reach Mozambique. Not an important reduction when it is only a question of decreasing the number of days of the trip and consequently the number of journeys which one ship can make in one year. It assumes far greater importance when we consider operation costs, particularly fue . It has been proved that the fuel price in tankers' trips represents alone about half the price of transporting one ton. This was not of great importance before the October War. However, after the crises in

THE OCTOBER 6 WAR AND AFRICAN ECONOMY⁽¹⁾

By

MOHAMED ABDEL GHANI SEOUDI

*Professor and Head of Geography Section, African Research
and Studies Institute, Cairo University.*

In international relations, whether political or economic, no one is ever the winner or the loser all the time. Everyone has his turn according to changes in international conditions. Moreover, any political or economic decision adopted by a country, in respect of its external relations, must, in varying degrees, have either a positive or negative effect on one or a number of countries. This is because the international community is formed of a group of countries or political units and any change affecting one political unit will definitely be either to the advantage or at the expense of one or several other political units.

I am saying this in relation to the topic we are now discussing, namely, the effect of the October 6 War on African economy and the impact of Egypt's decision to enter the war on African countries. In this objective and scientific study, I have tried to point out the effect of this war and Egypt's decision on African economy in two main subjects : the Suez Canal and oil.

First : The Suez Canal

It was not possible to open the Suez Canal to navigation or to the world and international trade except after Egyptian forces on October 6, 1973 had crossed to the eastern bank of the Canal and Sinai. The presence of two hostile forces on the two banks of the canal, naturally, impeded shipping even if the waterway were cleared of sunken vessels, rocks or mines. The re-opening of the Canal to shipping and navigation on June 5, 1975 had an effect on the world, including Africa. There are countries whose economies were very badly affected by the closure of the waterway and, therefore, its opening after the October War was a long-awaited remedy. If Egypt was the African country most harmed by the closure of the Canal since its total

(1) October Seminar, 1975, Cairo University.

CONTENTS

In Non Arabic Language :

	Page
1. SEOUDI, M. A. G. The October 6 th War and African Economy... ..	1
2. EL-KHAWAS, M. A. The Problem of Southern Sudan ...	21
3. MIKAWY F. New Light on the Relations Between Aksum and the Southern Arabian States During the 2nd and 3rd Centuries A. D.	43
4. NZUNGA, H. M. Spotlights on Zambia's Relations with Rrab and African Countries	57
5. SHUWAYQAH, F. A. A. The Development of Stature, Weight and Ponderal Index in Children in Three Diffrent Environments in Egypt	63

OUR BULLETIN

This is fourth issue of this scientific bulletin published by the Institute of African Studies, Cairo University.

The goal of this bulletin as apparent from the essays published here is purely academic. It is to publish recent researches either done by the specialized staff of the institute or by others. These researches deal with the different aspects of the continent of Africa.

Our Institute views this bulletin as a complement to its scientific mission, because, as a specialized institute, it aims foremost to encourage studies dealing with our continent and also to publish all new research and findings about it. Its aim is also to exchange this knowledge with other Institutes and Universities or other scientific bodies either in African Countries or anywhere else all over the world.

As we welcome this exchange of knowledge which serves our combined efforts, we hope that these studies about the African Continent, its inhabitants their activities, their civilization and their contributions towards the progress of mankind may always develop and grow.

Editor

Editor : Prof. Dr. M.A. SEOUDY

Contributions to this magazine are welcomed and should be sent to :

Prof. Dr. M.A. SEOUDY

Institute of Research and

African-Studies

Cairo University

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 4

1975

Issued by the Institute of Research and African-Studies, Cairo University.

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 4

1975

Issued by the Institute of Research and African-Studies, Cairo University.



Bibliotheca Alexandrina



0535435